

فتوح الرب

في عبادات القلب

الطريق إلى سعادة الدنيا وجنة الآخرة

أعدده وكتبه

د. محمد السرفه مجازي

٢٠١٩ م

١٤٤١ هـ

الطبعة الرابعة المزيّدة

مصرح به من الأزهر الشريف

حقوق الطبع والتوزيع والاقتباس والترجمة والنشر محفوظة لكل مسلم ومسلمة

للمساعدة في التوزيع الخيري اتصل على 00201113383389

لمزيد من الكتب

www.Iam-Muslim.com

www.Iam-Muslim.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾

[الْعَنْكَرَانَا : ٨٥]

اللهم! يا من بَلَغَ آذان إبراهيم، بالحج للعالمين.
انشر هذا الكتاب في أُمَّة المسلمين.
وافتح به قلوب وبلاد الكافرين.
وارفع به راية الحق والدين.
وأَعِدْ به الخلافة الراشدة على نهج النبي الأمين.

أهمية العلم

﴿قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»﴾ [صحيح البخاري ٧١ ومسلم ١٠٣٧]

﴿قال رسول الله ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»﴾. [صحيح : رواه ابن ماجه ٢٢٤]

وصححه الألباني في المشكاة ٨٦]

وسائل الاجتهاد في طلب العلم

أخي؛ لَنْ تَنَالِ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ سَأُنَبِّئُكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بَبَيَانٍ
ذِكَاءً، وَحِرْصً، وَاجْتِهَادً، وَبُلْغَةً، وَإِرْشَادً أَسْتَاذٍ، وَطَوِيلُ زَمَانٍ

وجوب إلحاق الحكم بالدليل

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]

فالمسلم ذو البصيرة يعرف الحق من دليله

ومن قال قولاً بلا برهان فقول له ظاهر البطلان

مخالف ما عليه أهل الحق والإيمان المتمسكون بمحكم القرآن

مقدمة المصنف للطبعة الرابعة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، وغمر بالنعيم، ووقانا من النقم، وصلى الله وسلم على من بعثه الله إلى كافة الأمم، فأسمع الحقّ من في آذانه صمم.
أما بعد.....

فإن سبب كتابتي لهذا الكتاب أني حين بلغت ثمانية عشر عامًا، وذلك في عام ١٣٩٧ هـ؛ بدأت تشغلني أفكار مهمة، وهي:

- ما معنى الاحتساب؟

- وما هو السبيل لمضاعفة ثواب الأعمال والترقي في درجات الجنة؟

- فالأعمار قصيرة، ومهما اجتهدنا فيها، هل نستطيع أن نبلغ الدرجات العليا من الجنة؟

- وما هو الشيء الذي وقر في قلب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فسبق به الأمة؟

- وما هو علاج قسوة القلب؟ وكيف نصلح قلوبنا، ونزكي نفوسنا؟

- وكيف تتفاضل الأعمال عند الله تعالى؟

- فزاحمت علماء أرض الكنانة وعلماء الحرمين الشريفين بالركب، والتقيت

بأعلامهم، وطرحت نفس الأسئلة، فكان جوابهم أن قالوا:

- عليك بالقرآن، أو عليك بكثرة السجود، أو عليك بالإخلاص، أو عليك

بالتقوى، وكلها معانٍ عامة، لم ترو ظمًا قلبي، ولم تشفِ غليل صدري؛ لأنني كنت

أريد شيئًا تفصيليًا، ومنهaja تربويًا، وعلمًا واضح المعالم، بارز الطريق، يسير عليه

المشتاق إلى الجنة.

- وظلت هذه الأسئلة تتردد في ذهني عشرين سنة، حتى كانت أيام التشريق في

منى، واحتاج الناس إلى من يعظ الحجيح، فذهب الواعظ يتحدث عن إعجاز

القرآن، فلم أجد هذا الموضوع مناسبًا؛ فإن هذين اليومين فرصة عظيمة، خاصة وأن

الجميع مستعدون لسماع الوعظ.

- وتساءلت بيني وبين نفسي: ما أهم موضوع في الدين ينبغي أن يسمعه في هذه

الأيام؟... فهداني ربي إلى أنه:

❁ العباداة التي يجب أن يؤديها في كل يوم، بل وفي كل ساعة، ويجب أن يؤديها

في كل فريضة، بل يؤديها خارج الفرائض.

-إنها حب الله، والخوف منه، والتوكل عليه، والتوبة إليه، وحسن الظن به، ورجاؤه، وشكره، والإخلاص له، وغيرها من العبادات القلبية.

- نعم، يجب أن تمتلئ قلوبنا بهذه المعاني، ونمارسها في عبادات الأبدان وخارج عبادات الأبدان.

✽ وهنا أدركت أن هذه الأعمال هي الإجابة على أسئلتني الأولى، لكن فكرة هذا الكتاب لم تكن قد تبلورت بعد؛ لأن علم العبادات القلبية لم يكن بهذا الوضوح، ولا نال ما يستحقه من الاهتمام.

✽ وبعد عشر سنوات من التفكير تبلورت الفكرة، فكتبت هذا الكتاب «العبادات القلبية»، أسأل الله أن يجعله كتابًا مباركًا!

- وذكرت فيه أن: العبادات القلبية هي أساس العمل، وشرط الإيمان، وبزوالها يزول الإيمان، وهي شرط قبول الأعمال، وبانتفائها تُرد الأعمال، وهي سبب مضاعفة الأجور، إذا أتى العبد بالقدر المستحب منها.

- ثم مرت أربعة أعوام حتى اتضحت الفكرة أكثر، وعلمت أن العبادات القلبية هي أساس توحيد الألوهية الذي لا ينجو العبد يوم القيامة إلا به.

- وتوحيد الألوهية من أهم ما يميز أهل السنة والجماعة عن كثير من الفرق الضالة.

- ثم اهتديت إلى أن العبادات القلبية هي مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى .

- أو هي عبادة الله تعالى بمقتضى أسمائه تعالى .

- أو هي أثر الإيمان بأسماء الله وصفاته.

- وهي العمل بعد العلم.

✽ وهنا اكتملت الفكرة، وهي الدخول إلى هذه العبادات العظيمة من باب العقيدة الأكبر، وهو أسماء الله الحسنى.

✽ ثم اتضحت الفكرة أكثر؛ بأن الله تعالى ما شرع الشرائع والعبادات، ولا ذكر نعيم الجنة وعذاب النار، ولا قص علينا قصص الأنبياء والسابقين، ولا ذكر لنا صفاته وسعة ملكه، ولا رغبتنا في سعة رحمته، ولا خَوَّفنا من أليم عذابه، ولا فرض علينا عبادات الأبدان، من الصلاة والصيام وحج بيته الحرام...إلا لكي نكتسب تلك العبادات القلبية...

- فقال الله تعالى بعد ذكر كل ما سبق:

- ١- ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧، الأنعام: ٥١، الأنعام: ٦٩، طه: ١١٣، الزمر: ٣٥]
- ٢- ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١، البقرة: ٦٣، البقرة: ١٧٩، البقرة: ١٨٣، الأنعام: ١٥٣، الأعراف: ١٧١]
- ٣- ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢، النور: ١، النور: ٢٧، النحل: ٩٠]
- ٤- ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦، التوبة: ١٢]
- ٥- ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]
- ٦- ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣، البقرة: ٢٤٢، الأنعام: ١٥٣، النور: ٦١، الحديد: ١٧]
- ٧- ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١، المؤمنون: ٤٩، السجدة: ٣]
- ٨- ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣، آل عمران: ١٠٣، الأعراف: ١٥٨]
- ٩- ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]
- ١٠- ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْا﴾ [الأنعام: ٦٥]
- ١١- ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]
- ١٢- ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩]
- ١٣- ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْلُمُونَ﴾ [النحل: ٨١]
- ١٤- ﴿لَعَلَّهُ يَرْزُقَ﴾ [عبس: ٣]

وكل هذه الأفعال من العبادات القلبية التي جعلها الله الغاية من عبادات

الجوارح؛ وجعل عبادات الجوارح سبباً للوصول إليها وتحقيقها.

- فظهر أن الغاية من الأوامر والأخبار، أو أن الهدف من الشرائع والعقائد هو

توجيه العبد إلى عبادة الله بالعبادات القلبية، والتي سائر العبادات تابعة لها.

- فإن العبادات القلبية هي أساس توحيد الألوهية، وعليها النجاة يوم القيامة، وبسببها

يتفاضل أهل الجنة، وتتفاضل درجاتهم.

❀ اللهم ارزقنا القدر الأوفى، والنصيب الأسمى، والسهم الأعلى، والغاية المثلى

من العبادات القلبية، واجعلها سبباً لمرافقة نبيك ﷺ وصحابته رضي الله عنهم في الجنة، فهم

الذين سبقونا إليها، ودلونا عليها.

وكتبه

د / محمد أشرف حجازي

مقدمة المصنف

الحمد لله كما أمر، والصلاة والسلام على خير البشر محمد رسول الله ﷺ ومن سار على الأثر.
أما بعد

فالله تعالى خلقنا لعبادته وتحصيل الإيمان والأعمال الصالحة، لا لتحصيل الأموال والشهوات الجانحة.

❁ ومن أكمل محبوبات الله في الدنيا؛ من الإيمان به، وإحسان عبادته، أكمل الله له محبوباته في الآخرة، من التمتع بجنته، والفوز برضاه، ورؤيته.

❁ ومن أحب الله، أنس به، ومن أحب غيره، عذب به.

❁ ومن نقصت عبادات جوارحه، كان سببه نقص عبادات قلبه، ونقص إيمانه.

❁ والقلب إذا ازداد من العبادات القلبية، ازداد نوره، فأقبل على الطاعات، وكره المعاصي، وعلى قدر قوة نوره تكون قوة عمله وحسن خلقه.

❁ ومن ذاق اشتاق.

فمن ذاق طعم الإيمان، اشتاق إلى تكميله ومروضة ربه، والتلذذ بعبادته، ووجد حلاوة إيمانه.

❁ وإن عبادات القلوب هي الأصل الذي تقوم عليه عبادات الجوارح.

❁ وإن عبادات الجوارح بالنسبة لعبادات القلوب كالحجر إلى الجبل، وإن كان كلاهما من الدين.

❁ ولا تقبل عبادات الجوارح - كالصلاة - إلا بوجود عبادات القلوب فيها

كالإخلاص، وحب الله، والخوف منه، فبعضها شروط لقبول الصلاة كالإخلاص، وبعضها شروط لصحة الإيمان اللازم لقبول الصلاة.

❁ ويتضاعف أجر عبادات الجوارح بقدر ما فيها من عبادات القلوب.

❁ وإن معرفة العبادات القلبية من العلوم التي تبعث الهمة في النفس، وتسكب

الطمأنينة في القلب، وتحرك الجوارح للطاعة والعبادة.

❁ وإن هدي النبي ﷺ هو تعلم الإيمان، ثم تعلم الأحكام، ثم العمل على وجه

الإخلاص لله والمتابعة للرسول ﷺ.

- وتعلم الإيمان أوله تعلم العبادات القلبية، التي هي أساس عبادة الله تعالى -

❁ ولما عرف الرسل ﷺ وأتباعهم قيمة هذا الدين، ومدى احتياجهم إليه، وأيقنوا بثواب من استقام عليه، وعذاب من أعرض عنه، هان عليهم كل شيء من أجله، واستعذبوا المكاره في سبيله، وتسابقوا إلى الدعوة إليه، حتى استغرق ذلك كل وقتهم وجهدهم، فالمملوك ليس له أن يتصرف في نفسه ووقته إلا بأمر مالكه، فحققوا مراد ربهم، فيا لفوزهم وسعدهم !!

❁ **ومن الخسارة الفادحة** أن ينفق المسلم أوقاته ونشاطه في تحصيل دنيا فانية، غافلاً عن إصلاح نفسه وإصلاح غيره، والسعي في مرضاة ربه، وتحصيل جنة عالية.

- **وأخسر الناس** صفقة من انشغل عن الله وعبادته بتحصيل شهواته ومطامعه.

- **وأخسر منه** من انشغل عن الله وعن نفسه، وانشغل بالخلق ذمًا وظلمًا وتجريحًا وسبًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

❁ حتى أتى على المسلمين حينٌ من الدهر ضعف فيه إيمانهم، وقل فيه علمهم، ونقصت فيه أعمالهم، فأقبلوا على الدنيا، وزهدوا في الدين، فقَصُرَ بعضهم في العبادات، وظلم بعضهم بعضًا في المعاملات، وأساء في المعاشرات، وزهد في حسن الأخلاق، وأصبح كالسوائم، لا يعرف من دنياه إلا تحصيل الشهوات، فأصبحت أخلاقه سيئات، وعاداته مهلكات.

❁ **فيا نائمًا على فراش التقصير، متى تفيق من هذا المرض الخطير؟**

لا تكن من الغافلين، وعن شرعه من المعرضين، وعن أمره من المخالفين، ولا تكن للشهوات من المحيين، وللأهواء من المتبعين، ولا لسخط الرحمن من المتعرضين.

❁ ولكنها حكمة الله البالغة ومشيتته النافذة، يقلب القلوب كيف يشاء، يعلم من يصلح للكرامة، ومن يصلح للإهانة.

❁ فأضاء الله في هذا الظلام نورًا، وأنبأ في الإسلام نبتًا صالحين، وعلماء عاملين، وفقَّهم لتحصيل ما تتضاعف به الأجور، ويهتدي به كل طالب للحق مبتعد عن الشرور.

❁ فيا كل من له عقلٌ راجح، لا تتأخر عن ركبهم، فهذا فضل لا يزهده فيه إلا محروم، ولا يتأخر عن المنافسة فيه إلا جاهل لنفسه ظلوم.

❁ فعليك بعبادة الله، وسارع إليه وقل له تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]

❁ ومن دخل من باب العبودية، ذاق طعم الإيمان وحلاوته، وذاق طعم الطاعة ولذته، فبكى على ما فاتته من أيام غفلته.

❁ **وعليك بالعلم قبل العمل**، والعلم النافع لا تجده إلا عند علماء أهل السنة، فالزم غرزهم، ولا تَحِدْ عن سبيلهم.

❁ **ومن نَهَلَ من كتب أهل السنة**، وجد أئمة الدين قد فاضت منهم علوم نافعة، وكلمات ساطعة، وأصول جامعة، وقواعد محكمة، إلا أنها مُتَفَرِّقة في بطون الكتب، لا تيسر على من يريد جمعها والانتفاع بها.

❁ **ولكن الله تعالى** بمنه وكرمه قد يسر التقاط هذه الثمار الياضعة، والجواهر الرائعة، والأزهار الماتعة، والأنوار الساطعة.

- فاستخرجنا الأقوال الأهدى سبيلاً والأقوم دليلاً من أقوال العلماء الربانيين، الذين قالوا وفعلوا، ووصفوا واتصفوا، وجاهدوا وصبروا.

- فصار العلم سهلاً ميسراً، وعاد الدين نقياً صافياً، لم تكدره آراء أهل البدع والأهواء، ولم تحرفه أيدي أهل السوء والنفاق.

❁ **فكان هذا الكتاب كالوعاء يحمل جواهر كلامهم وروائع استدلالاتهم.**

❁ **ومع أني قد اجتهدت ألا يكون فيه حشو ممل، أو نقص مخل، إلا أنه جهد المقل.**

❁ **وما أودعته في هذا الكتاب من النفائس، فللقارئ غنمه، وعلى المؤلف غرمه، وللدارس ثمرته ومنفعته، ولصاحبه كدره ومشقته، والله المستعان، وعليه التكلان.**

❁ **واني لأرجو الله تعالى أن يكون قد وفقني لأن أكتب لنفسي ولأمتي الكتاب الذي يوضح الطريق إلى الجنة وسبل الترقى فيها.**

❁ **واني لأرجو الله تعالى أن يكون في نشر هذا الكتاب سعادة كاتبه وقارئه ومستمعه وناشره.**

- فانفع به يا رب كل متعطش للحق، طالب للهدى، باحث عن التقى.

❁ **نسأل الله تعالى أن يرقينا من العلم إلى العمل، ومن الوصف إلى الاتصاف، وأن يزيّننا بزينة الإيمان، ويرزقنا أعالي الجنان، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وهو مولانا ونعم النصير.**

وكتبه

د / محمد أشرف حجازي

تمهيد

الحمد لله كما أمر، والصلاة والسلام على خير البشر محمد رسول الله ﷺ ومن سار على الأثر.
أما بعد

فمن أهم ما ينبغي أن يراعيه المسلم في حياته : قلبه؛ فهو محل نظر الله تعالى ،
ومحل الإيمان، ومحل العلم، ومحل التكليف، ومحل تنزل الرحمة، وهو يقود
الجسد للخير أو للشر، فيسبب نجاة الإنسان أو هلاكه.

وهو كثير القلب بين الحب والبغض، وبين الطاعة والمعصية.

لذلك فمن الأسئلة التي ينبغي معرفة إجابتها:

السؤال الأول : ما أهمية القلوب ؟

السؤال الثاني : ما أهمية عبادات القلوب؟

السؤال الثالث : ما أنواع القلوب؟

فأولاً: لكي نعرف أهمية القلب، يجب أن نعرف أن:

أولاً : القلب قدره عظيم؛ فهو أهم ما في الإنسان.

ثانياً : القلب هو محل الصلاح والفساد.

ثالثاً : عبادات القلوب هي أعظم العبادات.

ثانياً: لكي نعرف أهمية عبادات القلوب يجب أن نعرف:

أولاً : ما هي العبادة؟ وما هي الطاعة؟

ثانياً : لماذا العبادات القلبية بهذه الأهمية؟

ثالثاً : ما هي أركان عبادات القلوب ؟

رابعاً : ترك العبادات القلبية كفر ؟

ثالثاً: أما أنواع القلوب فهي:

أولاً : القلب السليم.

ثانياً : القلب المريض.

ثالثاً : القلب الميت.

السؤال الأول : ما أهمية القلوب ؟

أولاً : القلب قدره عظيم؛ فهو أهم ما في الإنسان.

ثانياً : القلب هو محل الصلاح والفساد.

ثالثاً : عبادات القلوب هي أعظم العبادات.

القلب أهم ما في الإنسان

أولاً: عظيم قدر القلب:

١- القلوب محل نظر الله تعالى:

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ». [صحيح مسلم ٢٥٦٤]

فإن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أجسامكم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، فلا تزين ما يراه الناس من ظاهرك، وتهمل ما يراه الله من باطنك، وهو قلبك.

٢. القلوب هي محل حب الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]
فإن العبد يحب ربه بقلبه، وأكثر ما يحب الربُّ من عبده قلبه؛ لأنه يحب من العبد طاعته، وأعظم الطاعات طاعات القلب.

٣. القلوب محل أعظم العبادات ومحل التقوى:

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]
❁ قال رسول الله ﷺ: «التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. [صحيح مسلم ٢٥٦٤]
والنية محلها القلب، والنية من العبادات القلبية.

٤- القلوب محل العلم:

قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]
وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥]
وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف: ٥٧]

وقال الله تعالى: ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]
 وقال الله تعالى: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣]
 وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَاتِ أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]
 وقال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]
 وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]

٥- القلوب محل التكليف:

❁ فإن المكلّف هو القلب، فإذا أطاع القلب ربه؛ أمر سائر الجوارح بالطاعة.
 - وقد يلتزم القلب الطاعة، ولا يستطيع البدن فعلها؛ كأن يلتزم الجهاد، وألاً يأكل إلا من ذبائح المسلمين؛ ثم هو مريض لا يستطيع المدافعة، فيسقط عنه الجهاد بالعدر، وهو كذلك فقير لا يستطيع شراء اللحم، لكن يكتب له فضل الجهاد، وهو لم يتعناه، ويكتب له تحري أكل الحلال، وهو لا يقدر عليه.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ». [صحيح البخاري ٣٩١]
 ❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَصَلَّى صَلَاتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَهُوَ الْمُسْلِمُ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ». [صحيح البخاري ٣٩٣]
 فالطاعة في الأصل طاعة القلب، وتؤديها الجوارح على قدر استطاعتها،
 فإن القلب هو قائد الجوارح .

٦- القلوب مكان التعقل :

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]

٧- القلب مكان البصيرة :

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]
 فإن عمى البصر لا يصد عن الإيذان والجنة ولكن عمى البصيرة هو المهلك وإن كان صاحبه صحيح البصر.

ثانيًا: القلب محل الصلاح أو الفساد

١- القلب يقود الجسد للصلاح أو الفساد:

- اعلم أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب.

❁ قال رسول الله ﷺ: « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ. » [صحيح البخاري ٥٢ ومسلم ١٥٩٩]

- فإن صلحت أعمال القلوب، صلحت كل الأعمال الظاهرة القولية والبدنية والمالية، وإن فسد القلب، فسدت كل الأعمال القولية والبدنية والمالية.

٢ - القلب سبب نجاة الإنسان أو هلاكه:

فمن القلوب من صلح بالرحمة، فنجا، ومنها من فسد بالقسوة، فهلك.

❁ مثال القلب الرحيم:

❁ قال النبي ﷺ: « بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بَرَكِيَّةَ، قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَرَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغَفِرَ لَهَا بِهِ ». [صحيح البخاري ٣٤٦٧ ومسلم ٢٢٤٥]

❁ مثال القلب القاسي:

❁ قال رسول الله ﷺ: « دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هَرَّةٍ رَبَطَتَهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا وَلَمْ تَدْعَهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ ». [صحيح البخاري ٣٣١٨ ومسلم ٢٢٤٢]

٣ - معاصي القلب أعظم من معاصي الجوارح:

❁ قال رسول الله ﷺ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ». [صحيح مسلم ٩١]

والكبر من معاصي القلوب، فالذي يمنع من دخول الجنة هو عصيان القلب، وليس عصيان الجوارح والكبائر.

٤- القلب هو الذي تنزل عليه رحمة الله أو عذابه؛

قال الله تعالى في شأن أصحاب الكهف: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: ١٤]
وقال الله تعالى في شأن أم موسى عليها السلام: ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠]
وقال الله تعالى في شأن المجاهدين: ﴿وَلَيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١]

وقال الله تعالى في شأن المؤمنين: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]

- وهذا لما أراد الله بهم من الخير.

وقال تعالى عن أعدائه: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢]

- وهذا لما أراد الله بهم من العذاب.

فائدة : لماذا كان الذين ربط الله على قلوبهم شباباً؟

✽ إن أتباع الأنبياء غالباً ما يكونون شباباً، والشباب يحتاجون أن يربط الله على قلوبهم عند البلاء؛ لأنهم صغار السن، وتأثير آبائهم عليهم كبير.
- والشباب غالباً ما يسارعون إلى الإيمان؛ لأنهم لم يكتسبوا من السيئات ما يستزلهم بها الشيطان؛ فلم تتلوث قلوبهم بعد.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَسْتَرْزَلُهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥]

- وإن كبار السن غالباً ما يتأخر إسلامهم.

- لأنهم يظنون أن الإسلام يأمرهم بإنفاق أموالهم على الفقراء.

- ولأنهم يظنون أن الإسلام سيزيحهم من مناصبهم، وسيجعل الإمامة في أهل الديانة من دونهم.

- ولأنهم قد اكتسبوا في حياتهم كثيراً من السيئات، التي صنعت طبقة من الران على قلوبهم، تحجب عنها الإيمان.

✽ وإن الإسلام لم يُمكن له إلا يوم فتح مكة سنة ٨هـ، يعني بعد ٢١ سنة من الدعوة والجهاد، وبعدما هلك أغلب قيادات قريش الفاسدة، الذين كانوا كبار السن في أول الدعوة.

٥ - سمي القلب قلباً لكثرة تقلبه:

القلب كثير التقلب بين الحب والبغض، وبين الطاعة والمعصية. ولا يُقَلَّبُهُ إِلَّا اللهُ تعالى؛ فهو مالكة والمتصرف فيه، وهو تعالى مقلب القلوب، ومصرف القلوب، ومثبت القلوب.

قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠] ﴿كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا قَالَ نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ.»﴾ [صحيح: رواه الترمذي ٢١٤٠، وابن ماجه ٣٨٣٤، وصححه الألباني في المشكاة ١٠٢]

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤] والله تعالى يحول بين العبد وقلبه، فهو تعالى يقلب قلب عبده من حال إلى حال، ويحول قلب عبده عن الحال التي يريد بها العبد.

وهذا من معاني اسمه تعالى الجبار، فهو الذي يُجبر عباده على فعل ما أراد بإرادتهم، وهذا من كمال ربوبيته تعالى، وهيمته على خلقه، بعكس الإكراه؛ فإن المكروه يجبر من هم أضعف منه على فعل ما أراد بغير إرادتهم

والجبار من البشر المكروه لغيره لا يستطيع أن يكره إلا ظاهرهم وتظل قلوبهم كارهة له، ولا إكراهه، وكارهة لأفعالهم التي يفعلونها وهم مُكرهين، ولذلك قضى الله تعالى بخيبة كل المخلوقين الجبارين؛ أما هو سبحانه، فهو لا يكره عباده، وإنما يجعلهم يفعلون ما يريد بإرادتهم واختيارهم هم، فيوافق ما فعلوه ما كان الله تعالى قد كتبه في اللوح المحفوظ قبل خلق آدم بخمسين ألف سنة.

اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة؛ إنك أنت الوهاب.

ثالثًا: عبادات القلوب هي أعظم العبادات:

- وهي الطريقة الوحيدة للوصول إلى السعادة؛ سعادة الدنيا والآخرة.
 - وبها يدخل العبد جنة الدنيا، التي مَنْ لم يدخلها، لم يدخل جنة الآخرة.
 - وبها يرتقي العبد في درجات الجنة.
 - وهي السبيل الوحيد لإصلاح القلوب والوصول إلى القلب السليم، الذي يصلح للقاء الله، ويصلح لدخول الجنة.
 - وبها يتم تجديد الإيمان.
 - وهي سلم الوصول إلى مضاعفة الأجور.
 - وهي أصل الأصول في عبادة الله واتباع الرسول ﷺ.
 - وهي أعظم أسباب القرب من الله تعالى .
 - وهي أصول التزكية.
 - وكل ما سبق من الصفات يصلح أن يكون اسمًا لهذا الكتاب.
- (كتاب العبادات القلبية)**
- فهي أسباب السعادة وطريق الجنة والزيادة**

السؤال الثاني: ما أهمية عبادات القلوب ؟

- أولاً : ما هي العبادة؟ وما هي الطاعة؟
- ثانياً : لماذا العبادات القلبية بهذه الأهمية؟
- ثالثاً : ما هي أركان عبادات القلوب ؟
- رابعاً : ترك العبادات القلبية كفر ؟

أولاً : ما هي العبادة ؟ وما هي الطاعة ؟

- ✽ العبادة : هي أقوال وأفعال وتروك توقيفية، نزل بها الوحي، تؤدي تجاه الخالق، يُقصد بها التقرب إليه الخالق ونيل رضاه، وتؤدي بالقلب والجوارح.
- مثال العبادات القلبية : حب الله وخوفه.
- ومثال العبادات الظاهرة : الصلاة والصيام.
- ✽ الطاعة: هي أقوال وأفعال وتروك توقيفية نزل بها الوحي، تؤدي تجاه المخلوق، يُقصد بها التقرب إلى الخالق ونيل رضاه، وتؤدي بالقلب والجوارح.
- مثال الطاعات القلبية: حب الخير للمسلمين وعدم غشهم.
- مثال الطاعة الظاهرة : بر الوالدين وصلة الأرحام.
- ولفظ الطاعة والعبادة إذا افترقا، اجتماعاً، افترقا، فإذا افترقا وتباعدا في الكلام، دل كل لفظ منهما على معناه وعلى معنى اللفظ الآخر فاجتماعاً في المعنى.
- وإذا اجتمعا في الجملة، دل كل لفظ منهما على خصوصيته فافتراقاً في المعنى.
- فالطاعة أوسع من العبادة، والعبادة أخص من الطاعة، فكل عبادة طاعة، وليس كل طاعة عبادة.

❁ ثانياً : لماذا العبادات القلبية بهذه الأهمية؟

- ١ - العبادات القلبية هي أصل توحيد الله.
- ٢ - العبادات القلبية هي العمل بعد العلم.
- ٣ - أعمال القلوب هي أساس توحيد الألوهية.
- ٤ - العبادات القلبية أساس النجاة من النار والفوز بالجنة.
- ٥ - عبادات القلب أساس قبول عبادات الجوارح.
- ٦ - زوال العبادات القلبية هو زوال الإيمان.
- ٧ - عبادات القلوب هي الدافع لعبادات الجوارح.
- ٨ - كلمة العبادات يقصد بها عبادات القلوب غالباً.
- ٩ - فساد أعمال القلوب سبب لحبوط العمل.
- ١٠ - معاصي القلوب أكبر من معاصي الجوارح.
- ١١ - أعمال القلوب على درجتين : واجبة ومستحبة.
- ١٢ - أعمال القلوب من أسباب زيادة الإيمان.
- ١٣ - عبادات القلوب سبب صلاح العباد.
- ١٤ - أعمال القلوب سبب لمضاعفة الأجور.
- ١٥ - عبادات القلوب أساس لنيل درجات الدين.
- ١٦ - عبادات القلوب أساس لنيل الدرجات العالية من الجنة.
- ١٧ - عبادات القلب تعوض عن عبادات الجوارح عند عدم الاستطاعة.
- ١٨ - عبادات القلوب يحتاجها المسلم في كل عبادة.
- ١٩ - عبادات القلوب ليس لها ميعاد محدد للأداء بل تؤدي في كل وقت .
- ٢٠ - العبادات القلبية تستمر حتى بعد انتهاء هذه الحياة.
- ٢١ - أعمال القلوب يجب أن تكون للعمل لا للعلم فقط.
- ٢٢ - تفاضل الناس يكون بما عندهم من أعمال القلوب.

١ - العبادات القلبية هي أصل توحيد الله :

❁ التوحيد هو إفراد الله تعالى بالعبادة.

❁ وبمعنى أوسع : التوحيد هو الإقرار لله تعالى بالخلق والملك والتصرف في

ملكه، وهذا هو توحيد الربوبية.

- وتوحيد الربوبية يستوجب أفراد الخالق المالك بالعبادة، وهو توحيد الألوهية.
- وإفراد الله بأسمائه وصفاته، وهو توحيد الأسماء والصفات وما يستوجبه هذا التوحيد من عبادة الله بمقتضى أسمائه وصفاته بالعبادات القلبية والبدنية.
- والإخلاص أصل ذلك كله، وهو عمل قلبي.
- أليس الإخلاص هو شرط صحة توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات؟
- أليس الصدق في قول الشهادتين هو شرط صحتها؟
- أليس حب الله هو أول تكاليف الأعمال؟
- لأن حب الله هو شرط صحة الشهادة التي يدخل بها العبد في الإسلام.
- فكيف لا يُحب من شُهد له بالخلق والرزق والنعم، وشُهد باستحقاقه للعبادة؟
- ❁ والإخلاص والصدق والحب من أعمال القلوب.
- أليس الرياء محيطاً للعمل الذي هو فيه، فإن كان الرياء في كلمة التوحيد، أبطلها، وأصبح قائلها منافقاً.
- ❁ والرياء من أعمال القلوب.

٢- العبادات القلبية هي أول العمل بعد العلم:

- الإيمان علمٌ وعمل.
- العلم هو العلم بأسماء الله وصفاته.
- والعمل هو العبادات القلبية التي هي مقتضى الإيمان بأسماء الله وصفاته، أو أثر الإيمان بالأسماء والصفات، أو حظ العبد من الإيمان بالأسماء والصفات، أو عبادة الله بأسمائه.

٣- أعمال القلوب هي أساس توحيد الألوهية:

- توحيد الألوهية هو عبادة الله بعد معرفته، وهو الذي عليه النجاة يوم القيامة، وهو الفارق بين أهل السنة وبين غيرهم من المرجئة الذين يقولون إن الإيمان هو المعرفة فقط.

- والعبادات القلبية هي أول العبادات وأصلها، فهي أساس توحيد الألوهية.

٤- العبادات القلبية أساس النجاة من النار والفوز بالجنة؛

فالتوحيد عبادة قلبية خالصة، والتوحيد الخالص ليس له جزاء إلا الجنة.
﴿ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا مَنْ قَلْبِهِ، أَوْ يَقِينًا مَنْ قَلْبِهِ، لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَقَالَ مَرَّةً: دَخَلَ الْجَنَّةَ وَلَمْ تَمْسُهُ النَّارُ. »

[صحيح رواه أحمد ٣٦ / ٣٨١ / ٢٢٠٦٠ وصححه الألباني في الصحيحة ٣ / ٢٩٩]

- وكل ما جاء في العبادات الظاهرة أن جزاءه الجنة ككفالة اليتيم أو الحج المبرور، إنما ذلك بشرط إخلاص النية لله التي هي عمل قلبي محض.

٥- عبادات القلب أساس قبول عبادات الجوارح؛

﴿ عبادات الجوارح لا تصح إلا بعبادات القلوب.

﴿ فعبادات الجوارح لا تصح إلا بالنية، والنية محلها القلب، وهي من عبادات القلوب.

- وإن فسدت النية فسد العمل كله، والنية تفسد بالرياء، والرياء يحبط العمل الذي هو فيه.

- و لو كان الرياء في كلمة ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فسدت هذه الشهادة، وحبطت، وكان قائلها منافقاً حابط العمل كله.

٦- زوال العبادات القلبية هو زوال الإيمان؛

لماذا نضع عبادات القلوب في كتب العقيدة ؟

وعبادات الجوارح في كتب الفقه ؟

١- لأن زوال عبادات القلوب بالكلية يؤدي إلى زوال الإيمان بالكلية، وهو الكفر أو النفاق أو الردة.

- أما زوال عبادات الجوارح بالكلية، فلا يؤدي إلى زوال الإيمان بالكلية.

٢- فعبادات الجوارح - كالصلاة والصيام والزكاة والحج - إن تركها العبد تكاسلاً أو بخلاً أو جبناً، فإنه لا يخرج عن مسمى الإيمان، بشرط أن يقر بفرضيتها، ولا يحدها ولا يستحل تركها، إلا أنه ينقص إيمانه جدّاً، لكن لا يزول بالكلية.

٣- وليس في ترك عبادات القلوب **تكاسل أو بخل أو جبن**، وليس في تركها **إكراه**؛ لأنه لا سلطان لمخلوق على قلوب العباد، **وترك العبادات القلبية لا يعني إلا جردها**؛ لأنه ليس في فعلها مشقة بدنية، أو نفقة مالية، أو تضحية نفسية.

- وجحود الشرائع والعبادات مخرج من الملة.

٤- والله تعالى جعل حبه أساس الملة والدين، ومن لم يحب الله، خرج من الدين.

- والله تعالى جعل خوفه شرط الإيمان، ومن لم يخف الله تعالى، فليس بمؤمن.

- ومن ابتغى غير الله بعمله، ولم يخلص نيته لله، فقد أشرك به تعالى، ومن لم يخلص في الشهادتين، كان منافقاً نفاقاً أكبر.

- ومن توكل على غير الله، فقد أشركه مع الله وهكذا.

٥- **فوجود أصل عبادات القلوب عند العبد شرط في وجود أصل الإيمان عنده.**

- ووجود القدر الواجب من العبادات القلبية شرط وجود القدر الواجب من الإيمان.

- واستكمال القدر المستحب من أعمال القلوب شرط استكمال القدر المستحب من الإيمان.

٧- عبادات القلوب هي الدافع لعبادات الجوارح؛

❁ وإن استكمال عبادات القلوب يعني بالضرورة استكمال عبادات الجوارح،

ويعني ترك المناهي، **فوجود عبادات الجوارح هو من آثار وجود عبادات القلوب.**

❁ **وإن انتفاء عبادات الجوارح يدل على أن عبادات القلوب كادت تنتفي.**

ولا نقول إن انتفاء عبادات الجوارح يدل على انتفاء عبادات القلب أو تصديق القلب.

❁ **كلمة العبادات يقصد بها عبادات القلوب غالباً**

- إذا أطلقت كلمة العبادات فالمقصود منها هو عبادات القلوب تغليباً.

❁ لماذا ؟

لأن العبادات إما ظاهرة وإما باطنة.

- والعبادات الباطنة هي عبادات القلوب.

- والعبادات الظاهرة هي أركان الإسلام وهي الصلاة والصيام والزكاة والحج.

❁ **فأعمال البر إما عبادات وإما طاعات.**

- والعبادات هي ما قصد به الخالق فعلاً وقصد به الخالق إخلاصاً، مثل الصلاة والصيام.
 - والطاعات هي ما قصد به المخلوق فعلاً وقصد به الخالق إخلاصاً، مثل بر الوالدين، وصلة الأرحام، والجود والكرم، وإعانة الملهوف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها، فإنها يقصد بها المخلوق فعلاً ويقصد بها الخالق إخلاصاً.
 * وعليه فالعبادات الظاهرة يطلق عليها **أركان الإسلام**.

- فإذا أطلق لفظ العبادات فيكون المقصود به هو العبادات الباطنة تغليبا؛ لأن العبادات الظاهرة يطلق عليها أركان الإسلام والله أعلم.

٩- فساد أعمال القلوب سبب لحبوط العمل:

* ألا ترى إلى أول من تُسعر بهم النار؛ إنهم أناسٌ كان **ظاهره السبق في العبادات البدنية والقولية والمالية**.
 - فمنهم **المجاهد حتى قتل**، ومنهم **قارئ القرآن** والمعلم له آناء الليل وأطراف النهار، ومنهم **المتصدق ليل نهار** ذات اليمين وذات الشمال.
 - ولكن بفساد قلوبهم، وغلبة إرادة الدنيا عليهم، وطلب نظر المخلوقين إليهم، تركهم الله وأعمالهم، فهو أغنى الشركاء عن أن يكون له شريك.
 - وما من عمل، ابتغى العامل به من هو دون الله تعالى، إلا تركه الله لذلك الأدنى؛ ليُجازيه على عمله، لينظر ماذا يُعطي هذا الشريك الأدنى لذلك العامل من ثواب في الدنيا أو الآخرة.

* قال رسول الله ﷺ: « **إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟** قَالَ: **قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟** قَالَ: **تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟** قَالَ: **مَا تَرَكْتُ** »

مِنْ سَبِيلٍ يُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ : كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ :
هُوَ جَوَادٌّ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. [صحيح مسلم ١٩٠٥]

❀ وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». [صحيح رواه الترمذي ٢٣٨٢ وصححه ابن خزيمة في صحيحه ١١٥/٤، وابن حبان في صحيحه ١٣٥/٢، والحاكم في

المستدرک ٥٧٩/١، والألباني في التعليقات الحسان ٤١٧/١]

❀ قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرِكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرَكَاهُ». [صحيح مسلم ٢٩٨٥]

❀ فيا لخسارة المُرَائِينَ حين يقدمون على أرحم الراحمين، فيجدون أعمالهم ضاعت مع الضائعين، فلا يثبت لهم منها شيء، وقد أصبحت هباءً منثورًا في ليلة ظلماء شديدة الريح، لا يبقى عندهم من أعمالهم شيء !
- ومن كان حاله كذلك، فالنار أولى به، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]
وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسَابَهُ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]

١٠- معاصي القلوب أكبر من معاصي الجوارح؛

١- ألا ترى أن: الاستكبار، والشك، والريبة، والتكذيب، والإنكار، وعدم التصديق، وعدم الاستسلام، وعدم الانقياد، والإعراض، والإباء، والرد، والجحود، والاستحلال، والاستهزاء، والسخرية، والبغض لله ولرسوله ﷺ ولأحكام الشريعة، كلها من معاصي القلب؟ وكلها مخرجة من ملة الإسلام، وصاحبها في النار خالد مخلد فيها.
٢- أما معاصي الجوارح - كالزنا، وشرب الخمر، والسرقة - عند أهل السنة لا تُخرج من الملة، حتى وإن مات صاحبها مصرًا عليها، فهو إلى مشيئة الله؛ إن شاء عذبه بقدر معاصيه، ثم مصيره إلى الجنة، وإن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة بلا سابقة عذاب.

٣- معصية آدم عليه السلام ومعصية إبليس

- فمعصية آدم عليه السلام كانت معصية جوارح؛ بأن أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها، وتاب بعدها، وتاب الله عليه، واجتباها، واصطفاه.

- وأما معصية إبليس، فقد كانت **معصية قلب**، بأن تكبر على طاعة أمر الله له بالسجود لآدم عليه السلام، ولم يتب منها، فأخذ الله تعالى، فأصبح إبليس زعيم الكفار، ورمز العار، والداعي إلى النار، إلى أن تولى هذه الدنيا الأدبار.

٤- **ولكن ليسمع كل سامع: إن معاصي الجوارح هي الباب الأوسع لمعاصي القلوب.**

٥- وإن الكبائر هي البوابة الكبرى للجحود والاستكبار، وأخوف ما يُخاف على صاحب الكبيرة أن ينزلق إلى الاستحلال، فلا يخرج من النار.

٦- **ومن معاصي القلب ما لا يخرج من الملة،**

- مثل: يسير الرياء، ويسير العجب، اللذان يحبطان العمل الذي وقعت فيه هاتان الآفتان فقط، ولا يحبطان كل عمل العبد.

ومنها: الكبر على الناس، والفخر بالأنساب، والفرح بأذى المسلمين، والشهامة بمصائبهم.

٧- **ومن معاصي القلب ما هو مكروه،**

- كانشغال القلب عن الله بالمباحات من أمور الدنيا.

١١- أعمال القلوب على درجتين : واجبة ومستحبة:

- كل عبادة قلبية فيها قدر واجب، وقدر مستحب.

- وإن إتمام أعمال القلوب ووجود **القدر المستحب منها** يعني زيادة الإيمان، ووجود **القدر المستحب منه** وهو درجة المقربين.

١٢- أعمال القلوب سبب زيادة الإيمان:

❁ الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي.

- وأعظم الأعمال التي يزيد بها الإيمان أعمال القلوب.

❁ فزيادة أعمال القلوب تؤدي إلى زيادة الإيمان، وزيادة ثواب الأعمال.

- ونقصانها يتبعه نقص في الإيمان، ونقص في ثواب الأعمال.

١٣- عبادات القلوب سبب صلاح العباد:

فالأعمال الظاهرة - كالصلاة، والصيام، والحج، والصدقة - تزيد من **صلاح الفرد**، كلما زاد ما فيها من أعمال القلوب، ويقل تأثيرها كلما قل ما فيها من أعمال القلوب.

١٤- أعمال القلوب سبب لمضاعفة الأجور:

✽ إن صحة عبادات القلب واكتمالها في قلب المُكَلَّف سبب لمضاعفة أجر العبادات البدنية والقولية والمالية إلى مائة ألف ضعف أو أكثر، كما جاء في الحديث أن درهماً سبق مائة ألف درهم.

- **وسبب ذلك** أن المتصدق بالدرهم -وهي العبادة المالية- أداها بكمال الحب مع تمام الذل لله، ومنتهى التوكل عليه، لتحصيل الثواب، قد أَحَسَّنَ الظنَّ بربه، وراقبه في عمله، حتى كأنه يراه، ولم يعد يرى المخلوقين من حوله، فيرائيهم، ولم يعد يرى نفسه فاعلاً، فيركن لفعله، فيعجب به، أو يمن به على الله أو على خلقه.

- **بل رأى الله تعالى متفضلاً واهباً خالقاً له ولعمله.**

- بل ورأى أن الله تعالى هو الذي منَّ عليه بالمال، ثم بإيجاد الفقير، وجعله في طريقه، وزينَّ له العمل الصالح، وزهَّده في قروشٍ فانية، ورغَّبه في جنة عالية.

- فلم يجد من لعاعة الدنيا إلا هذا الدرهم، ليتصدق به، ولو كان يملك مائة ألف درهم، لأذَّاهم طواعية؛ ليشترى بهم بيته في الدار الباقية، فأصبح هواه تابعاً لما يريده مولاه.

- فأعطاه مولاه فوق ما يتمناه، فأعطاه بدرهمه أكثر مما يُعطي صاحب المائة ألفٍ، ورفع درجته في عليين، وأورثه منازل الصالحين، وجعله كما جعل درهمه من السابقين.

- فيايك نسأل أن تلحقنا بهم يا رب العالمين آمين. آمين.

✽ قال رسول الله ﷺ: «سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ». قالوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: «كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَأَنْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضٍ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ

بِهَا». [حسن: رواه النسائي ٢٥٢٧، أحمد ١٤١/٤٩٧/٨٩٢٩، وابن حبان ٣٣٤٧، وحسنه الألباني في صحيح ابن خزيمة ٢٤٤٣]

فائدة

- هذا الرجل أخذ على درهمه أكثر من مليون «ألف ألف» حسنة.

- وذلك لأن أقل ما يجازي الله تعالى به عباده هو عشر حسنات عن كل حسنة، فالحسنة بعشر أمثالها.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]

- وبفرض أن الدرهم حسنة واحدة، فأقل ما يجازي الله عليه عشر حسنات.

- يعني أقل ما يعطيه الله تعالى لصاحب المائة ألف هو مائة ألف، عشر مرات، يعني ألف ألف حسنة أو مليون حسنة.

- والله تعالى ربما يجازيه بسبعمائة ضعف أو بأضعاف كثيرة.

- ورسول الله ﷺ قال : «سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ»؛ يعني : هذا الدرهم أخذ من الثواب أكثر من ثواب مائة ألف درهم، يعني أكثر من مليون حسنة.

- ولو كان جزاؤه مليوناً وحسنة واحدة لما قال رسول الله ﷺ «سبق».

- فمدلول قوله ﷺ : (سبق) أي : أخذ - مثلاً - عشرة ملايين حسنة وإلا لم يقل رسول الله ﷺ «سبق» والله تعالى أعلم.

❀ فسبحان من هذا جوده وهذا عطاؤه!!!

كيف يربح عليه عبده؟ وهو الذي خلق العبد وفعله، وخلق له ثوابه وربحه.

❀ وإن مضاعفة الأجور بهذه الصورة الهائلة ليست عزيزة على الله تعالى .

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤]

❀ وسبق الفضل أو سبق الأجر هو الذي عبر عنه أهل السنة بسبق القبول، الذي ذكره في شروح الحديث.

ومن أمثلة مضاعفة الأجور

١ - قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] تعدل قراءة ثلث القرآن، ولا تستغرق قراءتها عشر ثواني.

❀ سمع رجلٌ رجلاً يقرأ : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يردها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك - وكان الرجل تقاهًا -

فقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّمَا لَتَعْدِلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ». [صحيح البخاري ٥٠١٣]

❀ قال رسول الله ﷺ: «أَيُعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيْنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ» [صحيح البخاري ٥٠١٥]

❀ قال رسول الله ﷺ: «أَيُعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». [مسلم ٨١١]

❀ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَخْتِمَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ، بَنَى

اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ». فقال عمر بن الخطاب: إِذَا نَسْتَكْثِرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ». [حسن: رواه أحمد ٢٤/٣٧٦ / ١٥٦١٠، وحسن الألباني في الصحيحة ٥٨٩]

٢- قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً». [حسن رواه الطبراني في مسند الشاميين ٣ / ٢٣٤ / ٢١٥٥، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته ٦٠٢٦، ٢ / ٨٠٤٢]

- وعدد المسلمين الآن ١.٨٠٠.٠٠٠.٠٠٠ ألف وثمانمائة مليون إنسان.
- ولا نستطيع الجزم بالعدد، فربما كان المقصود عدد المسلمين في كل العصور.
- وربما شمل العدد عدد المسلمين من اليهود والنصارى.
- ويخرجُ منهم الشيعة والمرتدون وأهل الملل الباطلة، والله أعلم.

١٥- عبادات القلوب أساس لنيل درجات الدين:

- فدرجات الدين هي: الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان.
- كما جاء في حديث جبريل عليه السلام حين سأل عنها النبي ﷺ.
- ❁ والإحسان هو أعظم مرتبة في الدين، ومبتغى العاملين، وإليه جهاد الصالحين.
- والإحسان مبني على المراقبة لله، التي هي عبادةً قلبيةً صرفةً.
- ❁ فقد عرّف النبي ﷺ الإحسان، فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». [صحيح البخاري ٥٠ و ٤٧٧٧ ومسلم ٨ و ٩]
- فلا يصل العبد إلى مرتبة الإحسان إلا بإتمام عبادات القلب، وإتمام مراقبة الله تعالى في كل عمل وقول ونية.

١٦- عبادات القلوب أساس لنيل الدرجات العالية من الجنة:

- ١ - فقد فاز الأنبياء عليهم السلام بالدرجات العالية من الجنة، لتمييزهم بعبادات القلوب.
- فجاء في القرآن أن إبراهيم عليه السلام كان عظيم التوكل .
- وأيوب عليه السلام كان عظيم الصبر .
- وعيسى عليه السلام كان عظيم الزهد .
- وآدم عليه السلام كان عظيم التوبة .
- ونبينا محمد ﷺ قد جمع له ذلك كله .

٢- أما باقي الخلق، فهم متفاوتون على قدر أعمالهم.

- فإن الله تعالى أعد كرامته لأهل طاعته، وفي مقدمتهم **المجاهدون** المخلصون وأهل القرآن العاملين والملتصقون المحسنون.

❀❀ والله تعالى أعد لأهل القرآن في الجنة درجات **كعدد آيات القرآن**.
❀ قال رسول الله ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا». [حسن: رواه أبو داود ١٤٦٤ والترمذي ٢٩١٥ وحسنه الألباني في الصحيحة ٢٢٤٠]

❀❀ وأعد للمجاهدين في الجنة **مائة درجة**، مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض.
❀ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ». [صحيح البخاري ٢٧٩٠]

❀❀ وأعد للمتصدقين ظلاً يوم الحر الأعظم.
❀ قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أَمْرٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ». [صحيح: رواه أحمد ١٧٣٣٣ وابن المبارك في الزهد ٦٤٥ وأبو يعلى ١٧٦٦ وابن حبان ٣٣١٠ وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ٣٢٩٩]

❀ لكنه تعالى جعل **الصديقين** فوق كل أولئك. **والتصديق عمل قلبي محض**.
قال الله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]

١٧ - عبادات القلب تعوض عن عبادات الجوارح عند عدم الاستطاعة:

❀ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهْ نَفْسُهُ؛ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ». [صحيح مسلم ١٩١٠]

- فمن عزم على الغزو، ثم لم يستطع، أخذ أجر الغزاة في سبيل الله؛ لأن العزم والنية من عمل القلب، الذي يحل محل الفعل عند عدم الاستطاعة، **وان نية المؤمن خير من عمله**.

❀ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصَدَقٍ؛ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ». [صحيح مسلم ١٩٠٩]

- **فصدق السؤال من عمل القلب**، والله تعالى مُطَّلِعٌ على ذلك.
❀ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» [صحيح مسلم ٤٩]

يستنبط من الحديث:

١- أن تغيير المنكر بالقلب يحل محل تغييره باليد واللسان عند عدم الاستطاعة على ذلك، ولا يعلم الاستطاعة إلا الله تعالى .

٢- وفي الحديث دليل على أن **تغيير المنكر بالقلب عمل**، وأنه من الإيمان، فدل على أن **العمل من الإيمان**.

٣- وفي الحديث دليل على أن **أعمال القلوب من أعمال الإيمان**.

٤- ورسول الله ﷺ سمي تغيير المنكر بالقلب فقط «**أضعف الإيمان**».

٥- وفي الحديث أن رسول الله ﷺ أقر الضعيف على عدم تغيير المنكر بيده ولا بلسانه، ولكنه ﷺ **لم يقر أحداً على عدم تغيير المنكر بقلبه**.

٦- ومن استطاع أن يغير المنكر بيده، فلم يفعل، وغيره بقلبه فقط، فهذا من **ضعف الإيمان**.

٧- ومن غير المنكر بيده أو بلسانه، ولم يغيره بقلبه، فهذا عمله **غير مقبول**؛ لأن

تغيير المنكر بالقلب واجب مع تغييره باليد واللسان.

- فعمل القلب شرط في قبول عمل الجوارح، فتغيير المنكر بالقلب شرط في

صحة تغيير المنكر باليد واللسان.

- ولأن تغيير المنكر بالقلب أضعف الإيمان، وعدم تغييره بالقلب ليس وراءه إيمان،

فمن غيره بلسانه أو يده دون قلبه، فهذا قد غير المنكر بلا إيمان، فلا قبول لعمله.

❁ **فطاعات الجوارح تسقط بالعدر، وتغني عنها عبادات القلوب، لكن**

عبادات القلوب الواجبة ليس لها عذر تسقط به.

١٨- عبادات القلوب يحتاجها المسلم في كل عبادة؛

١- فالمسلم يجب عليه أن يعرف فقه الصلاة والطهارة؛ لأنه مكلف بأدائها.

- لكنه لا يجب عليه أن يعرف فقه صلاة المريض أو صيام المسافر، إلا إذا مرض أو سافر.

- ولا يجب عليه معرفة فقه الزكاة، إلا إذا ملك النصاب، وهو المقدار الذي يجب

عليه إخراج الزكاة، وهو ٨٣ جرام ذهب عيار ٢٤، أو ٥٩٥ جرام فضة.

- ولا يجب عليه معرفة مناسك الحج، إلا إذا ملك الاستطاعة للحج، وهي: المال،

والصحة، وأمان الطريق.

- ٢- لكن المسلم يحتاج إلى العبادات القلبية في كل وقت، وفي كل عبادة، فعليه أن يؤدي كل العبادات الظاهرة بتمام الحب مع كمال الذل مع الافتقار إلى الله وإلى ثوابه، والحب والذل والافتقار إلى الله من أعمال القلوب.
- ٣- والمسلم يحتاج إلى العبادات القلبية في علاقته مع الله تعالى، فيجب عليه أن يحب الله، ويخافه، ويرجوه، ويحمده، ويتوكل عليه في كل وقت.
- ٤- والمسلم يحتاج إلى العبادات القلبية في علاقته مع أهله وإخوانه؛ من حبهم في الله، والصبر على أذاهم، والتواضع لهم، وعدم حسدهم على نعم الله عليهم.
- ٥- والمسلم يحتاج للإخلاص في كل عمل؛ وهو من أعمال القلوب.

١٩- عبادات القلوب ليس لها ميعاد محدد للأداء، بل تؤدي في كل وقت :

- ١- العبادات البدنية والمالية لها أوقات معلومة تؤدي فيها.
- فالصلوات لها خمسة أوقات مفروضة، ولها أوقات كراهة وهي : بعد صلاة العصر، وبعد صلاة الفجر وقيل أذان الظهر، حيث يكره فيها التنقل.
- والصيام منه المفروض في رمضان، ومنه المحرم في العيدين.
- والحج يؤدي في يوم عرفة، ويوم الحج الأكبر، وأيام التشريق.
- ٢- لكن عبادات القلوب تؤدي في كل وقت، حتى تصير حالاً ملازماً للعبد في صحته ومرضه، وصحوه ونومه، وفراغه وشغله.
- فحب الله، والخوف منه، والرضا عنه، وتعظيمه، والافتقار إليه، والشوق إلى لقائه، لا ينفك عن العبد الصالح، وهو حال ملازم له.
- ❁ فإن التاجر في متجره، والصانع في مصنعه قد ينقطع عن عبادات الجوارح بعد أدائها، لكنه لا يزال يحب الله ويخافه ويعظمه، فتظل تكتب له الحسنات في كل لحظة يشعر فيها القلب بذلك.
- ٣- فإن كان هذا حال العبد الذي لا ينفك عنه، لم ينفك عنه عداد الحسنات.
- ٤- أليس إذا فرغ القلب من تلك العبادات ساعة، كان من الغافلين؟
- ٥- وإذا فرغ القلب تماماً من تلك العبادات، كان من المعرضين الهالكين!!

٢٠- العبادات القلبية تستمر حتى بعد انتهاء هذه الحياة:

١- في القبر:

أليس إذا مات العبد أتاه ملكان، فسألاه عن التوحيد: «من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟» **والتوحيد من عمل القلب.**

والمؤمن يجيب أحسن إجابة وهو في قبره بتثبيت الله تعالى له، بينما يعجز عن ذلك الكافر والمنافق بإعراض الله عنه؛ جزاءً وفاً لما كان عليه حالهم في الدنيا من إعراض قلوبهم عن طاعة الله وحبه وخوفه وتقواه والتوبة إليه.

٢- ويوم القيامة:

أليس يفرح المؤمنون برؤية ربهم؟ ويحمدونه ويشكرونه، وكل ذلك من عمل القلب. - وهم يفرحون بالورود والشرب من حوض رسول الله ﷺ، والمسلمون يحبون رسولهم ﷺ في الله وحبه ﷺ إنها هو من عمل القلب.

٣- وفي الجنة:

أليس يلهم أهل الجنة التسبيح كما يلهم الناس النفس في الدنيا؟ أليسوا يحبون ربهم ﷻ ويرضون عنه ويرضى عنهم؟ وكل هذا من عمل القلب.

٢١- أعمال القلوب يجب أن تكون للعمل لا للعلم فقط:

قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] * قال ابن مسعود رحمته الله: «لَيْسَ الْعِلْمُ مِنْ كَثَرَةِ الْحَدِيثِ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ مِنَ الْخَشْيَةِ.» [صحيح: رواه الطبراني في الكبير ٨٥٣٤، وأبو داود في الزهد ١٧٢، وأبو نعيم في الحلية ١ / ١٣١، وابن عبد البر في

جامع بيان العلم وفضله ١٤٠٠، وأحمد في الزهد ٨٦٧]

* روى عن معاذ بن جبل رحمته الله أنه قال: «تَعَلَّمُوا مَا شِئْتُمْ أَنْ تَعَلَّمُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَأْجُرُكُمْ عَلَى الْعِلْمِ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهِ.» [رواه الدارمي في سننه ٢٦٦، وأبو داود في الزهد ١٨٦، وأبو نعيم في

الحلية ١ / ٢٣٦، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٢٢٧، وأحمد في الزهد ١٠١٢، وابن حجر في إتحاف المهرة ٤٤٣ / ١٠]

١- فنحن لا نقرأ عن أعمال القلوب لكي نتعلمها فقط، وإنما نتعلمها لنعمل بها.

- ففرق بين من يعرف صفات الأصحاء وهو مريض، ومن هو صحيح بالفعل.

- وفرق بين من يعرف أحوال الغنى وهو فقير، وبين من هو غني بالفعل.

٢- ولا بد من فعل العبادات الظاهرة التي تؤدي فيها العبادات القلبية

فالخشوع أكثره في الصلاة، فاستعن على تحصيله بكثرة السجود؛ حتى يرزقك الله الخشوع، و حتى يصبح الخشوع هو حالك، والخشوع عبادة قلبية، والصلاة عبادة بدنية. ❀ فلا ينبغي أن تكتفي بالحديث عن الخاشعين، بل المهم أن تكون أنت منهم.

٣- بل ينبغي بأن تحاول أن تكون أول الناس في كل عبادة.

قال الله تعالى لرسولنا ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [الأنعام: ١٤]
وقال الله تعالى مخبراً عن رسولنا ﷺ: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣]
وقال الله تعالى عن رسولنا ﷺ: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١٢]
❀ ليحث المؤمنين على أن يجتهدوا مثله ﷺ.

٤- فبالاجتهاد في الطاعات تصل إلى تلك المقامات.

- فداوم على الدعاء، وإظهار الفقر لله، والتذلل بين يديه، والرغبة إليه في أن يعطيك هذا الفضل، وأن يملأ قلبك بأنواع عبادته؛ حتى يوصلك إلى الرضا بطاعته، ويدنيك من رحمته، ويحسن إليك بعين رعايته.
- عسى الله أن يمن علينا بصلاح قلوبنا وتركية نفوسنا.

ما هو العمل المترتب على العلم ؟

١- إن كل مسألة من مسائل الإيمان وأركان الإسلام التي يتعلمها العبد يترتب عليها عمل قلبي.

- فخشوع القلب بها، واعتقاد العبد أنه يلزمه اتباعها، والعزم بقلبه أنه لو جاء وقتها لعمل بها، هذا هو العمل المترتب على العلم.

٢- فإن عِلِمَ أن الملائكة خلقت من النور، فعمله هو التصديق بذلك، وهو يُثَاب على تصديقه.

- وإن عِلِمَ أنهم لا يفترقون عن عبادة الله، اجتهد أن يتشبه بهم في عبادتهم.

- وإن علم كيفية صفوفهم عند ربهم؛ كما قال رسول الله ﷺ: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأَوَّلَ، وَيَتَرَاوُونَ فِي الصَّفِّ» [صحيح مسلم ٤٣٠] اجتهد أن يصف مثلهم في

صلاته وعند جهاده.

٣- وإن تَعَلَّمَ معاني اسم الله **السميع**، وأنه تعالى يسمع كل مخلوقاته في أنحاء أرضه وسماواته رغم اختلاف اللغات وتباين الطلبات، واختلاط الأصوات، فلا يختلط عليه شيءٌ من ذلك، بل سرُّهم وعلاانيتهم عنده سواء، **دفعه ذلك العلم ألا يتكلم إلا بما يرضي الله**، فيترك الغيبة والسباب، وينشغل بالذكر وتلاوة القرآن.
❀ وإن تعلم اسم الله **العليم**، وعلم أنه يعلم السر وأخفى، وأن سرائر العباد علانية عنده، **اجتهد أن ينقي سيرته** التي لا يطلع عليها إلا الله تعالى، وهي عنده علانية.

٢٢- تفاضل الناس بما عندهم من أعمال القلوب :

هؤلاء آبائي، فهل في الدنيا مثلهم ؟

❀ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْعَابِرَ مِنَ الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ.» [صحيح البخاري ٣٢٥٦ ومسلم ٢٨٣١]

- ١- كان الشافعي يختم القرآن كل يوم مرة، وكان يختمه مرتين كل يوم في رمضان.
- وقد كان كثير من السلف لو قيل له : القيامة غداً، لم يجد ما يزيده في جدول أعماله الصالحة، فلم يكن في يومه دقيقة يضعها في غير عبادة الله.
- وقد كان بعضهم يجفف الخبز، ويطحنه، ويسفه، حتى لا يضيع الوقت في مضغه.
- وكان أحدهم لا ينام إلا عندما تغلبه عينه، وهو ساجد.
- وكان أحدهم يبذل الوسادة بدموعه من خشية الله، ولا تشعر به امرأته وهي إلى جواره.
- ٢- ورغم ذلك كان أحد الصالحين يعد أعمال عمره الصالحة بأقل من أعمال يوم واحد من حياة أحمد بن حنبل، رغم ما كان عندهم من أسباب مضاعفة الأجر، من حب الله، وخوفه، والتوكل عليه، وحسن رجائه، وهم الذين نقلوا أركان هذه العلوم العظيمة إلينا.
- ٣- فأين أنت من هؤلاء الصالحين؟

- وهل ترى أن طاعات عمر ك تساوي يوماً من أعمالهم؟
- مع أنهم كانوا يعدون يوماً من عمر أحمد بن حنبل خيراً من أعمالهم.
- ٤- وفي الطرف الآخر تجد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يزِن إيمانه إيمان الأمة

بأسرها، وكم في الأمة من أمثال أحمد بن حنبل يزعم أبو بكر رحمته الله ؟

❁ فإن بلغت المنتهى في أعمال القلوب كنت كأولئك الصالحين، فأين منزلة خيارهم؟ بل أين منزلة أبي بكر رحمته الله ؟ إنه لم يسبق السابقين بكثرة صلاة ولا صيام، وإنما سبقهم بشيء وقر في قلبه، جعله يأخذ على العمل الواحد أجراً غير محدود، أكبر بكثير من العشرة أضعاف، أو السبعمئة ضعف، أو ربما المائة ألف ضعف، التي جاءت في حديث المتصدق بالدرهم، وإنما تحصل له ذلك بسبب أعمال قلبه.

❁ فإنه اجتمع له في يوم واحد من الأعمال ما يؤجب له الجنة، فقد أصبح صائماً، وصلى على جنازة، وعاد مريضاً، وتصدق، وكل هذا كان قبل صلاة الفجر؛ فقد صح أن النبي صلوات الله عليه سأل بعد ما فرغ من صلاة الفجر عن هذه الأعمال الصالحة.

- ومن أدراك أن أبا بكر رحمته الله تعمل تلك الأعمال فقط في ذلك الوقت اليسير ؟

- ومن أدراك أن النبي صلوات الله عليه لو سأل عن أعمال أكثر من ذلك، فقال: من فعل كذا من الصالحات غير ما سبق؟ فربما أجاب أبو بكر رحمته الله: أنا يا رسول الله .

❁ سأل رسول الله صلوات الله عليه يوماً: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِماً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رحمته الله: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رحمته الله: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِيناً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رحمته الله: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضاً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رحمته الله: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: مَا اجْتَمَعَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ. [صحيح مسلم ١٠٢٨]

❁ هؤلاء آبائي، فهل أنجبت الأمم مثلهم ؟

❁ وهؤلاء عشيرتي فهل في المجد من سبقهم ؟

❁ وهؤلاء أهرامي إن افتخر الناس بأهراماتهم ؟

وإنما تطر المجالس بذكر أمثالهم.

| | |
|--|--|
| أَعْمَالٍ بَلْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ | فَالْفَضْلُ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِصُورَةٍ أَلْ |
| مُ بِقَلْبٍ صَاحِبِهَا مِنَ الْبُرْهَانِ | وَتَفَاضُلُ الْأَعْمَالِ يَتَّبِعُ مَا يَقُو |
| فِي رُبَّةٍ تَبْدُو لَنَا بَعِيَانِ | حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانِ كِلَاهُمَا |
| وَالْأَرْضِ فِي فَضْلِ وَفِي رُجْحَانِ | هَذَا وَبَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ |
| رُتَبٌ مُضَاعَفَةٌ بَلَا حَسْبَانَ | وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوَابٍ ذَا وَثَوَابٍ ذَا |

ثالثًا : أركان عبادات القلوب

١- تفاضل عبادات القلوب:

✽ عبادات القلوب منها ما هو ركن في الإيمان، ومنها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب.

- والعبادات الواجبة منها قدر واجب، ومنها قدر مستحب.

✽ وأما عبادات القلوب التي هي ركن في الإيمان فهي: حب الله، والخوف منه، والإخلاص له، والتوكل عليه، والتوبة إليه، وتقواه، وشكره ورجاؤه تعالى.

✽ وزوال واحدة من هذه العبادات من قلب العبد بالكلية يعني زوال الإيمان بالكلية.

✽ ووجود القدر الواجب منها في قلب العبد، شرط في وجود الإيمان الواجب في قلب العبد.

✽ ووجود القدر المستحب منها في قلب العبد، شرط في وجود القدر المستحب من الإيمان في قلب العبد.

✽ وعبادات القلوب الواجبة، مثل الصبر والخشوع.

✽ والعبادات المستحبة، مثل الزهد والورع.

٢. تفاضل عبادات القلوب على عبادات الجوارح

✽ عبادات الجوارح منها الواجب ومنها المستحب.

- ومن العبادات الواجبة: الصلاة والزكاة والصيام والحج وبر الوالدين وجهاد الدفع.

- ومن العبادات المستحبة: نوافل الصلوات والزكوات والصيام وجهاد الطلب.

✽ ولا يوجد من أفعال الجوارح شيء هو من أركان الإيمان إلا قول الشهادتين باللسان.

٣. أركان عبادات القلوب

✽ إذا جاءت عبادة القلب في القرآن مقترنة بلفظ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فهذا يدل

على أن ترك هذه العبادة يعني ترك الإيمان.

١. حب الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

وقال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]

وقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩]
 وقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]

٢. خوف الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَحَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]
 وقال الله تعالى: ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]
 وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]
 وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]

٣. الإخلاص لله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦]
 وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]
 وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]
 وقال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]
 وقال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]

٤. التوكل على الله تعالى :

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]
 وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢ / آل عمران ١٦٠ / المائدة ١١ / التوبة ٥١ / إبراهيم ١٠ / المجادلة ١٠ / التغابن ١٣]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]

وقال الله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِنْ كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]

٥. التوبة إلى الله تعالى :

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]

وقال الله تعالى: ﴿وَتَوَبُّواْ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]

وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ [المائدة: ٧٤]

وقال الله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوَبُّوْا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحریم: ٨]

٦. تقوى الله تعالى :

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٢]

٧. شكر الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]

وقال الله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]

وقال الله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]

وقال الله تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿لِبَلْوَىٰ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]

٨. رجاء الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايِنِنَا غٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[يونس: ٧ - ٨]

وقال الله تعالى: ﴿فَنَذِرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١]

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا

لَقَدْ اَسْتَكْبَرُوا فِيْ اَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيْرًا﴾ [الفرقان: ٢١]

وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهٖ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهٖ اٰحَدًا﴾

[الكهف: ١١٠]

وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَجُّونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]

وقال الله تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿يٰٓبَنِيَّ اٰذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَآخِيهِ وَلَا

تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ، لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ [يوسف: ٨٧]
 وقال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦]

٤. معنى قول الله تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إذا اقترنت بأفعال الجوارح

﴿إِذَا جَاءَتْ﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مقترنة بعبادات القلوب، فمعناها أن ترك هذه العبادة يعني ترك الإيمان.

- وإذا جاءت ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مقترنة بأفعال الجوارح فإنها لا تعني نقض الإيمان إلا أن يقترن بالإباء أو الاستحلال، إباء الأمر أو استحلال النهي.

*** وتفصيل ذلك:

﴿إِبَاء طاعة الله ورسوله ﷺ﴾ : ناقض للإيمان.

قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]

﴿استحلال الربا﴾ ناقض للإيمان.

قال الله تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]

﴿استحلال الإفك﴾ ناقض للإيمان.

قال الله تعالى: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧]

﴿استحلال الإفساد وتطيف الكيل﴾ ناقض للإيمان.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿بَقِيَتْ لَكُمْ﴾

﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٥-٨٦]

﴿نقض الميثاق الأول﴾ (ويُعرف ذلك بنقض العهد باتباع الرسول ﷺ) ناقض

للإيمان.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَسْمَايَا مُرْكُم بِهِ﴾ ﴿إِيْمَنُكُمْ﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣]

وقال الله تعالى: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨]

رابعاً: ترك العبادات القلبية كفر

١. المعاصي سببها الشهوات والشبهات

✽ فأعمال القلوب لا تصدر إلا عن اعتقاد.

- فما كان منها طاعة، فهو يدل على صحة الإيمان.

- وما كان منها معصية، فهو يدل على شبهة في الإيمان.

✽ وأعمال الجوارح لا تصدر كلها عن اعتقاد.

- فما كان منها طاعة، فهو تابع لطاعات القلب الدالة على صحة الإيمان.

- وما كان منها معصية، فهو إما تابع لمعصية القلب الناتج عن شبهة في الإيمان.

- أو ناتج عن شهوة لا تقدر في أصل الإيمان، وإنما تنقص من كماله الواجب.

٢. الإيمان لا ينقض بالشهوات، وإنما ينقض بالشبهات

- وإن معاصي الجوارح بسبب الشهوات تكون بترك المأمور، أو بفعل المحذور.

- كترك الصلاة كسلاً، أو ترك الزكاة بخلاً، أو ترك الجهاد جبناً.

- أو تكون بفعل المحذور، كفعل الزنا، أو السرقة، أو شرب الخمر.

✽ وإن الإيمان لا ينقض بترك الطاعات الظاهرة لأجل شهوة.

بل لا ينقض إلا برفض الطاعات لأجل شبهة واعتقاد.

✽ والرفض يكون إما بإباء فعل المأمور أو استحلال فعل المحذور.

- فلا بد من جحود الأمر والنهي حتى ينقض الإيمان، وليس مجرد الترك للمأمور

أو الفعل للمحذور.

✽ أما ترك عبادات القلوب، فلا يكون تركها إلا عن اعتقاد كفري.

- فترك حب الله، وخوفه، والإخلاص له، لا يصدر إلا من كافر أو مرتد قد نقض

إيمانه بشبهة كفرية، ولا يصدر عن مؤمن أبداً.

٣. ترك عبادات القلوب لا يكون إلا عن اعتقاد

✽ فإن ترك العبادات القلبية لا يكون لأجل شهوة.

- فلا يتصور ترك أعمال القلوب تكاسلاً، أو جبناً، أو بخلاً.

- ولا يتصور تركها إكراهاً؛ لأنه لا إكراه على ترك الأعمال الباطنة، إنما الإكراه

يكون للأعمال الظاهرة فعلاً أو تركاً.

❁ لذلك لا يكون سبب ترك أعمال القلوب إلا جحوداً أو إباءً أو إعراضاً أو استكباراً، فليس في تركها شهوة؛ لأنه ليس في فعلها مشقة أو كلفة، وتركها لا يكون إلا عن شبهة واعتقاد.

❁ لذلك ترك أعمال القلوب بالكلية أو ترك أحد أركانها كفر.

٤. الاستطاعة شرط التكليف

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ أَمْرٍ فَانْتَهُوا عَنْهُ» [صحيح البخاري ٧٢٨٨، ومسلم ١٣٣٧]

- فالتكليف في الأعمال الظاهرة منوط بالقدرة والاستطاعة.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]

- ولذلك أمر الله تعالى بالتقوى في العبادات الظاهرة بقدر الاستطاعة.

وهو قول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]

❁ أما أعمال القلوب فليس فيها عدم استطاعة؛ لأنه ليس في فعلها مشقة، ولا تستلزم صحة في البدن، ولا تستلزم مالاً، ولا شجاعة، وليس فيها إكراه.

- لذلك فكل أعمال القلوب مستطاعة لكل لأحد، وبكل درجاتها؛

الركن والواجب والمستحب.

- فهي قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

لأنه ليس فيها عدم استطاعة، وليس فيها أي مانع يمنع العبد من الوصول إلى الحد الأعلى منها، وفعل كل مستحباتها.

❁ إنما هي إرادة قلب، وليس فيها فعل بدن.

السؤال الثالث: ما هي أنواع القلوب

أولاً : القلب السليم.

ثانياً : القلب المريض.

ثالثاً : القلب الميت.

أولاً: القلب السليم:

- ١- ما هو القلب السليم؟
- ٢- مواصفات القلب السليم.
- ٣- جزاء القلب السليم.
- ٤- فضل القلب السليم.
- ٥- لن تصلح الأرض إلا بأصحاب القلوب السليمة.
- ٦- علامة القلب السليم هي انشراح الصدر.

١. ما هو القلب السليم؟

هو القلب الخالي من الهوى والشهوات والشبهات، قد امتلأ بحب الله، وجعل سبيله الإخلاص ومتابعة الرسول ﷺ، وهو ليس معصوماً، لكنه سرعان ما يعود عند أول عارض من شبهة أو شهوة.

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]
 وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْعِنِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [٨٣] إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [الصافات: ٨٣، ٨٤]
 وقال الله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣]
 وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]

٢. مواصفات القلب السليم:

- ١- هو القلب الذي خلا من الشبهات، فأصبح يعبد الله باليقين، كأنه يراه.
- ٢- وهو القلب الذي خلا من الشهوات، حتى أصبح مراده تبعاً لما يحبه الله .
- ٣- هو القلب الذي يحسن عبادة الله تعالى ، فآتم الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ.
- لم يطلب الدنيا بعمله أو يطلب رضى الناس، بل همه ومطلوبه رضا مولاه وخالقه.

- ولم يتبع إلا رسوله ﷺ، فلم يقدم على قول رسول الله ﷺ هوى أو بدعة أو فلسفة، أو حتى قدم قول مجتهد يخالف قول رسول الله ﷺ.

٤- وهو القلب الذي **تحقق بكل العبادات القلبية**، فامتلاً بحب الله، والخوف منه، والخشية له، والتوكل عليه، والإخلاص له، والتوبة إليه، والصبر على قضائه، والصبر عن محارمه، والصبر على طاعته، والافتقار إليه، وحسن الرجاء فيه، والاستعانة به، والاستغاثة به، والاستعاذة به، والشكر له سبحانه، وغير ذلك من العبادات القلبية.

٥- وهو القلب الذي خلا من كل **نواقض الإيمان**.

- فلا شك فيه، ولا استكبار، ولا إباء، ولا جحود، ولا نكران، ولا إعراض، ولا استحلال، ولا تكذيب، ولا استهزاء، ولا سخرية، ولا بغض لله تعالى ولرسوله ﷺ ولأحكام الدين.

- وخلا من الاعتقادات المكفرة المناقضة للإيمان.

٦- وهو القلب الذي **خلا من سوء الظن بالله**، والإلحاد في أسمائه تعالى، وخلا من التشاؤم والتطير، وخلا من القنوط واليأس من رحمة الله.

٧- وهو القلب الذي خلا من **الحقد والحسد للمخلوقين**.

- وخلا من سوء الظن بالمسلمين، وخلا من موالاة أعداء الله، وتعظيم المخلوق كالخالق العظيم، وخلا من تصديق الكهان، والتحاكم لغير شرع الله، واتباع الهوى، وخلا من الحقد، والغرور، والطمع، والشح، وطول الأمل، والفتور، والوهن، وانعدام العزيمة.

٨- وهو القلب المنيب الأواه الرجاء إلى الحق، الذي يسارع بالتوبة إلى ربه تبارك وتعالى عند أول عارض من شبهة أو شهوة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]

٣. جزاء صاحب القلب السليم:

✽ لن يفلح يوم القيامة إلا من أتى الله بقلب سليم.

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]

- وصاحب القلب السليم **يدخل الجنة من أول وهلة**.

✽ واعلم أن أصحاب القلوب السليمة هم أئمة الدنيا والآخرة، وهم سادات أهل الجنة.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

- فالصبر و اليقين أعمال قلبية، وهي التي جعلهم الله بها أئمة مهتدين هادين لغيرهم.

٤- فضل القلب السليم:

والقلب المهتدي يعطيه الله ما لا يعطي غيره.

فإن الله يمن على صاحب القلب السليم بالإلهام، والتحديث، والفراسة،
والرؤيا الصالحة.

١ - الإلهام:

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]

- فهذا الإلهام لها لم يأتها إلا بعد صلاح قلبها.

٢ - التحديث:

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُكَلِّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمِّرْ» [صحيح البخاري ٣٦٨٩]

ولم يصلح قلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه للتحديث إلا بعد خلوه من كل الآفات،
وامتلائه بكل طاعات القلوب.

٣ - الفراسة:

وكانت لا تحطى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فراسة، فكان لا يخطئ في تصنيف
الرجال، وكان لا يختلط عليه الطيب من الخبيث.

٤- الرؤيا الصالحة:

وهي جزء من ستة وأربعين جزءاً من أجزاء النبوة.

❁ قال رسول الله ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ» [صحيح

البخاري ٦٩٨٩ ومسلم ٢٢٦٣ بلفظ «سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ»، وعند مسلم ٢٢٦٥ بلفظ: جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا]

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجِبْتَ، وَإِذَا سُئِلَتْ بِهِ
أَعْطِيتَ؛ أَنْ تَعْطِيَنَا قُلُوبًا سَلِيمَةً، وَنَدْعُوكَ أَنْ تُصَلِّحَ قُلُوبَنَا حَتَّى تَصْلَحَ لِلْقَائِكَ
وَالْعَرَضِ عَلَيْكَ. آمين. آمين يا رب العالمين.

٥- القلب السليم لا تضربه فتنة :

❁ قال رسول الله ﷺ : «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا : نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ : عَلَى أَيْبَسٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرَبَّادًا كَالْكُوزِ مَجْخِيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ». [صحيح مسلم ١٤٤]

٥. لن تصلح الأرض إلا بأصحاب القلوب السليمة:

صلاح القلب صلاح للفرد...

وصلاح الفرد سبيل لصلاح الجماعة المؤمنة:

فإذا صلحت قلوب طائفة، أمكن لهذه الطائفة أن تقوم بواجب العبودية لله تعالى ،
وَتُقِيمَ حضارة عظيمة، وتدعو الناس للدخول في تلك الحضارة بالجهاد.
فالسبيل الوحيد لإقامة عبودية الجهاد - التي هي ذُرْوَةُ سَنَامِ الإسلام - هو إصلاح
القلوب؛ حتى تكون قلوبنا أقرب ما تكون من قلوب الصحابة رضي الله عنهم وأقرب ما تكون من
قلب رسول الله ﷺ.

❁ فأعمال القلوب هي العبادات التي تنفرد بها الشريعة الإسلامية.

- ولما أحسن سلفنا الصالح هذه العبادات، تربعوا على عرش الحضارة العالمية،
وكذلك سنكون - بإذن الله - لو عاد الناس وصرفوا جهدهم لإصلاح قلوبهم.

٦. علامة القلب السليم هي انشراح الصدر

• نبي الله موسى عليه السلام طلب من الله تعالى انشراح الصدر لعظم هذه المنزلة.

قال تعالى مخبراً عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ [طه : ٢٥]

• ولقد شرح الله صدر نبيه محمد ﷺ، وأعطاه تلك المنزلة قبل أن يسألها.

قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح : ١]

• وَمَنْ الله بشرح الصدر على أتباع نبيينا محمد ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ﴾ [الزمر : ٢٢]

• فإذا انشراح صدرك للإسلام، لم يضيقه مكر عدوك، ولا ظلمه، ولا

أذيته، ولا حقد، ولا حسده بفضل الله ومَنَّهُ، ولرأيت الله تعالى فاعلاً في

كل ذلك، فرضيت بقضائه، وأحببت اختياره لك؛ لما ترى فيه من

الحكمة البالغة وحسن العاقبة.

ثانيًا: القلب المريض:

- ١- ما هو القلب المريض؟
- ٢- أمراض القلب.
- ٣- علاج القلب المريض.
- ٤- أسباب مرض القلب.
- ٥- علامات القلب المريض.
- ٦- القلب القاسي
- ٧- علاج ثسوة القلب.

١- ما هو القلب المريض:

• هو القلب الذي غلبت عليه أمراض الشهوات والشبهات. ففقد صحته وسلامته.

قال الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]

وقال الله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ٥٢]

وقال الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ﴾

[الأنفال: ٤٩]

وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾

[التوبة: ١٢٥]

وقال الله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا﴾ [النور: ٥٠]

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا

غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]

وقال الله تعالى: ﴿فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]

وقال الله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٠]

وقال الله تعالى: ﴿وَأَزْنَابٌ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رِيبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥]

وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]

وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]

٢. أمراض القلب:

أمراض القلوب مردها إلى شيئين: **الشبهات، والشهوات.**

- **الشبهات** هي خلل في التصور والاعتقاد.

- **الشهوات** هي خلل في الإرادات والأفعال.

١ - القلب المريض **بالشبهات يشك** في ربه تعالى ، وفي نبيه ﷺ، وفي دينه، وفي المؤمنين، بل ويشك في نفسه.

- أو يتكبر على أوامر الله وعلى خلقه.

- أو يكذب بشرع الله، ويظن أن المؤمنين دائماً كاذبون.

٢ - والقلب المريض **بالشهوات** لا غرض له إلا المتع الدنيوية، والشهوات البهيمية؛ مثل شهوة البطن والفرج.

ومن الشهوات : الإرادات الشيطانية، التي منها الكبر، و العلو، وإرادة الرياسة، وحب المال لمعصية الله تعالى به، وحب النساء وإرادة تحصيلهن بالحلال أو الحرام.

❀ والقلب المريض يشتهي نظر الناس إليه؛ **ليرائيهم**، ويشتهي أن يرتفع عليهم بعمله ليمن عليهم بدينه، أو يرتفع عليهم بديناه؛ ليمن عليهم بها.

٣. علاج القلب المريض:

علاج الشبهات العلم، وعلاج الشهوات العمل.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُوكَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]

❀ فجعل الله تعالى **الصبر علاجاً للشهوات**، والصبر من عبادات القلوب، وأعمال القلوب هي أعظم الأعمال. فهذا هو العمل.

❀ وجعل الله **اليقين علاجاً للشبهات.**

- واليقين هو الإيمان بالغيب. وأعظم الغيب صفات الله العليا، التي الإيمان بها علاج لكل شبهات العقيدة.

- وسبيل الإيمان بصفات الله تعالى هو تعلمها، فأول الإيمان **العلم** بما ستؤمن به.

قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [حمد: ١٩] وهذا هو العلم.

❁ والصبر وإن كان عملاً لكن لا بد للعامل به من علم يعمل به .
- فكان علاج الجميع في العلم الذي يتبعه العمل .

١ - علاج الشبهات بتعلم أسماء الله وصفاته:

فإن الشبهة تأتي بالشك، أو الكبر، أو الإباء، أو التكذيب، أو الاستحلال، أو الاستهزاء .
❁ وعلاج الشبهة هو العلم النافع، وأنفع العلوم هو العلم بالله تعالى .
- فإذا عرفت عظمة الله، وجلاله، وواسع علمه، وعظيم حكمته، وفائق قدرته، وأنه تعالى مُنزهٌ عن كل نقصٍ وعيب، أزال ذلك من القلب كل شكٍ، واستكبارٍ، وإباءٍ، وتكذيبٍ، وانقادت النفس لطاعته، وذلت لعظمته، واستسلمت لمشيئته، وفوضت لحكمته، وصدقت خبره، وأيقنت بألوهيته، سبحانه .

٢ - علاج الشهوات بأداء العبادات القلبية :

❁ رؤوس الشهوات ثلاث: التعلق بالرياسة، والمال، والنساء .
- وعلاج التعلق بالشهوات هو أداء العبادات القلبية من حب الله، والخوف منه، وحسن الرجاء فيه، ومراقبته في السر والعلن، ومحاسبة النفس، والصبر عن المحرمات، والصبر على الطاعات، والاستعانة بالله في كل ذلك .
- فالعبادات القلبية هي أساس التزكية، التي هي أساس علاج الشهوات .
قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة: ٢]

والتزكية هي: التخليّة والتحليّة :

❁ التخلي عن الإرادات الفاسدة، والتطهر من تلك النجاسات والأمراض الباطنة .
❁ والتحلي بأنواع العبادات، وأعظمها العبادات الباطنة -عبادات القلب- .
• وإنه لن يخلو قلبك من الإرادات الفاسدة، إلا إذا ملأته بالعبادات النافعة، فإذا دخل الخير قلبك طرد الشر منه حتماً ولا بد .

• فإذا دخل حب الله قلبك، طرد منه كل حبٍ لسواه، وتعلق بما تهواه، وزال عنك الإخلاد إلى الدنيا الزائفة، والتثاقل إلى الأرض الموحلة، وأثمر الحب خوفاً، والخوف إخلاصاً، والإخلاص توكلأً، والتوكل رجاءً، والرجاء شوقاً، والشوق إنابةً، والإنابة توبةً، والتوبة اقتقاراً، والاقتقار ذللاً، والذل زهداً، والزهد

ورعاً، والورع صبراً، والصبر شكرًا، والشكر جَنَّةٌ ونعيمًا وروحًا وريحانًا وولايةً وقربًا، فأصبحت قدمك في الدنيا وقلبك تحت العرش.

- فأصبح مرادك تبعًا لمراده، وحبك تبعًا لمحاببه، وفعلك تبعًا لأمره، فترتفع إلى مستوى ما خلقك الله له من توحيده، وعبادته، وتعلق قلبك بعظمته.
- وقد أفلح سلفنا الصالح حين اهتموا بقلوبهم، فعالجوها مما بها من الآفات والعيوب، حتى برعوا في معرفة أدوية القلوب، فأصبحت قلوبهم طاهرة كأعمالهم، وأصبح باطنهم ناصعًا كظواهرهم.

٤. أسباب فساد القلب ومرضه:

١- الذنوب:

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُيِّلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبُهُ ذَاكَ الرَّيْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» [المطففين : ١٤] [حسن : رواه الترمذي ٣٣٣٤، وابن ماجه ٤٢٤٤، وأحمد ١٣ / ٣٣٣ / ٧٩٥٢، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته ١ / ٣٤٢ / ١٦٧٠، وفي المشكاة ٢٣٤٢]

❁ قال الحسن البصري عن الران: «هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ، حَتَّى يُغْمِيَ الْقَلْبَ

فيموت». [تفسير الطبري ٢٤ / ٢٠١، وزاد المسير ٤ / ٤١٥، وابن كثير ٨ / ٣٥١]

الفرق بين معصية القلب ومعصية الجوارح

❁ قال : قال رسول الله ﷺ: « أَتَانِي آتٌ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي - أَوْ قَالَ : بِشَرْنِي - أَنَّهُ : مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟

قال ﷺ : **وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ** » . [صحيح البخاري ١٢٣٧ ومسلم ٩٤]

❁ روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ. قَالَ أَبُو الدرداء رضي الله عنه : وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ ﷺ : وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ. قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ ﷺ : وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ. قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ ﷺ : وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْدَاءِ » . [رواه النسائي في السنن الكبرى ١٠٨٩٨، وأحمد ٢٧٤٩١]

❁ قال رسول الله ﷺ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » . [صحيح مسلم ٩١]

﴿ فمعاصي القلب تحجب العبد عن الجنة، وكبائر ذنوب الجوارح لا تمنع من دخول الجنة ، فإن أتبعها العبد بالتوبة، غفرها الله له.

والتوبة من عمل القلب، لكن حتى إن لم يتب العبد، فهو إلى مشيئة الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، ما لم يناقض الإخلاص بالشرك. والإخلاص عمل قلبي.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]

٢- انشغال القلب بغير الله:

﴿ انشغال القلب بتحصيل المال ليل نهار من حلال أو من حرام.

﴿ انشغال القلب بتحصيل المناصب، فينخلع قلبه عند كل طارق أو هاتف،

فربما يكون خبر بولاية أو وزارة، وربما يكون خبراً بتنحية أو إقالة.

﴿ انشغال القلب بالنساء وحرصه أن ينظر إلى عوراتهن بكل طريقة وفي كل وقت.

﴿ انشغال القلب بحب الدنيا وطول الأمل فيها.

﴿ انشغال القلب بحسد الناس.

﴿ انشغال القلب بالبحث عن عيوب الناس، وكراهيتهم، والغل لهم، وحب

الانتقام منهم.

٣- مخالطة الناس في غير الخير:

﴿ فلا تخالط الناس إلا المخالطة المحمودة، فتزور مريضهم، وتواسي فقيرهم،

وتُعَلِّم جاهلهم، وتجالس عالمهم، وتصلي الجماعة معهم، وتسعى على يتييمهم، وتجهز إفطار صائمهم، وتحج معهم.

﴿ فإن لم يكن لك بُد من مخالطة الناس في العمل والتجارة؛ فليكن قلبك هو

الحاضر الغائب، القريب البعيد، فتكون معهم ببدنك، وتنأى عنهم بقلبك، فبدنك يعمل على الأرض، وقلبك في الملاء الأعلى ساجدٌ تحت العرش.

٤- كثرة الطعام والشراب.

﴿ قال الفضيل بن عياض: «خَصْلَتَانِ تُقْسِيَانِ الْقَلْبَ: كَثْرَةُ الْكَلَامِ، وَكَثْرَةُ الْأَكْلِ».

[رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧ / ٤٧٧ ، وابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ١ / ٤٣ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق

٤٨ / ٤١٥ ، والذهبي في تاريخ الإسلام ٤ / ٩٤٢ ، وابن مفلح في الآداب الشرعية ٣ / ١٩٥]

﴿ قال الشافعي: «ما شبت منذ ستة عشر سنة إلا مرة، فأدخلت يدي فتقيأتها.»

[آداب الشافعي ومناقبه ١ / ٧٨]

❁ قال ابن أبي حاتم: «لَأَنَّ الشَّبَعَ يُثْقِلُ الْبَدَنَ ، وَيُقَسِّي الْقَلْبَ ، وَيُزِيلُ الْفِطْنَةَ ، وَيَجْلِبُ النَّوْمَ ، وَيُضَعِفُ عَنِ الْعِبَادَةِ». [رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ١٢٧]

❁ قال أبو سليمان الداراني: «لكل شيء صدأ وصدأ القلب الشبع».

[أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٨٣]

٥- كثرة النوم:

وأبشعه من نام عن الفرائض.

٥. علامات القلب المريض:

١- لا يحب التوحيد.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]

٢- لا يحب الطاعات.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ [التوبة: ٤]

٣- يسرف في المعاصي.

ولا يستطيع الخلاص من سُكْرِ نشوتها أو رِقِّ أسرها.

قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]

٤- لا يحب المتقين.

يستهزئ بعباد الله الصالحين، و يضحك عليهم، ويجعلهم سخريته، ويؤذيهم، ويمكر بهم، ويفتري عليهم، ويتهمهم بالضلال.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾

[المطففين: ٢٩ - ٣٢]

٥- كثير الغفلة.

فلا يذكر الله تعالى ، ولا يحب ذكر الموت، ولا الآخرة، ولا الحساب، ولا النار.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]

٦- يجزم أنه من أهل الجنة رغم إقامته على المعاصي.

قال الله تعالى عن أحد أصحاب القلب المريض المتكبر: ﴿وَلَيْنَ تُجِعتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ

لِي عِنْدَهُ، لِلْحُسْنِ ﴿[فصلت: ٥٠]

٦. القلب القاسي:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]
وقال الله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِّيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]
وقال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأأنعام: ٤٣]
وقال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]
وقال الله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُوتٌ﴾ [الحديد: ١٦]

٧. علاج قسوة القلب:

١ - ذكر الله بحضور القلب.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]

٢ - ذكر الموت:

- فمن ذكر الموت، قصر أمله، وكثر عمله، وقل ذنبه.

✽ روى عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: «كفى بالموت واعظاً». [رواه أحمد في الزهد ٩٨٤]

وابن أبي الدنيا في اليقين ٣٠ والبيهقي في شعب الإييان ١٠٠٧٢، والشهاب في مسنده ١٤١٠

✽ كَانَ عُثْمَانُ رضي الله عنه إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكِي حَتَّى يَبْلُغَ لَحِيَّتَهُ، قَالَ فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ». [حسن: رواه

الترمذي ٢٣٠٨ وابن ماجه ٤٢٦٧ وأحمد ٤٥٤ / ٥٠٣٨ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١٦٨٤]

✽ قال سعيد بن جبیر: «لَوْ فَارَقَ ذِكْرُ الْمَوْتِ قَلْبِي لَحَشِيتُ أَنْ يَفْسُدَ عَلَيَّ قَلْبِي». [رواه

أحمد في الزهد ١ / ٣٠٠ / ٢١٦٨، وأبو نعيم في الحلية ٤ / ٢٧٩]

٣ - زيارة المقابر والاعتبار بحال الموتى ومصارعهم.

٤ - زيارة المرضى والاعتبار بعجزهم وألمهم.

٥ - زيارة الصالحين والاعتبار بسمتهم.

٦ - قراءة كتب الصالحين والاعتبار بهديهم.

ثالثاً: القلب الميت:

- ١- ما هو القلب الميت؟
- ٢- صفات القلب الميت.
- ٣- وموت القلب أشد من موت البدن.
- ٤- علامة القلب الميت هو الطبع على القلب.

١. ما هو القلب الميت:

- القلب الميت هو الذي لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه.
- فهو كالكوز المنكوس، إذا صُب عليه الخير، لا يقبله، وينحدر عنه.
- فلا يعرف الرحمن، ولا يطلب جنة الرضوان.
- همه الدنيا والشهوات، ولا يعرف الصلوات.
- صخابٌ بالأسواق، جيفةٌ بالليل، حمارٌ بالنهار.
- يشتد سعيه بالنهار لجمع متاع الدنيا، ولا يترك وقتًا ولا جهدًا لطلب الآخرة، فإذا جاء الليل نام كالأموات.

- لا يعرف الله عَجَلًا قدرًا، ولا للنبي ﷺ مقدارًا.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْغُصُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَاطٍ سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ جِيفَةً بِاللَّيْلِ حِمَارًا بِالنَّهَارِ عَالِمًا بِالدُّنْيَا جَاهِلًا بِالْآخِرَةِ». [صحيح رواه ابن حبان ٧٢ في صحيحه، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٠٨٠٤ و ٣٢٧٨٠، وصححه الألباني في الصحيحة ١٩٥]

٢. صفات القلب الميت:

١- القلب الميت عبدٌ للدينار والدهر.

❁ قال رسول الله ﷺ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضْيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ أَنْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ». [صحيح البخاري ٢٨٨٧ و ٦٤٣٥]

٢- القلب الميت ممتلئ بالفتن والشهوات.

❁ قال رسول الله ﷺ: «تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ

أَشْرَبَهَا نُكْتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكْتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلَ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرَبَّادًا كَالْكُوزِ مُجْنِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ. [صحيح مسلم ١٤٤]

٣. وموت القلب أشد من موت البدن:

لأن ميت القلب لا خير فيه ولا فائدة، وأما ميت البدن فربما يكون من أهل الجنة.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ». [صحيح البخاري ٦٤٠٧]

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ». [صحيح مسلم ٧٧٩]

❁ قال ابن القيم: «فجعل بيت الذاكر بمنزلة بيت الحي، وبيت الغافل بمنزلة بيت الميت وهو القبر».

في اللفظ الأول: جعل الذاكر بمنزلة الحي والغافل بمنزلة الميت.

فيتضمن اللفظان: «أن القلب الذاكر كالحي في بيوت الأحياء، والغافل كالميت في بيوت الأموات، ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم، وقلوبهم فيها كالأموات في القبور». [مدارج السالكين ٢ / ٤٠٢]

٤. علامة القلب الميت هو الطبع على القلب:

- ١ - فأصحاب القلوب الميتة لا يصلهم الخير؛ لأن الله تعالى طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وختم عليها، وجعل على أبصارهم غشاوة وحجاب، وفي آذانهم وقر، فهم لا يسمعون الخير ولا يبصرونه، فهم عميان عن رؤية الحق، وإن كانوا مبصرين لشهوات الدنيا.
- وإذا سمعوا الحق أو أبصروه لا يعقلونه ولا يفهمونه ولا ينتفعون به؛ لأنهم لا يتبعون الحق وإنما يتبعون أهواءهم.
- ٢ - وعدم رؤيتهم للحق أو سماعهم له، سببه الران الذي جعله الله على قلوبهم، وهو طبقة عازلة تمنع دخول الهداية إلى قلوبهم، وتمنع وصول الحق إليها، ومادام هذا القطران على قلوبهم فلن يهتدوا أبداً.

٣- والقلوب الميتة لا تدخلها إلا الأشياء الخبيثة، فقلوبهم مليئة بأمراض الشهوات، والظلم، والقسوة.

- ومليئة بأمراض الشبهات، والكبر، والإعراض عن الله تعالى، والشك فيه، والجحود لأمره، والاستحلال لما حرمه، والاستهزاء بشرعه.

٤- نعوذ بالله من حال أهل النار وأصحاب البوار وسوء القرار.

**والله تعالى ذكر ما صنعه بأصحاب القلوب الميتة فإذادوا
بعداً على بعدهم**

١- طبع على قلوبهم:

قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ [النحل: ١٠٨]

وقال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]

وقال الله تعالى: ﴿وُطِّعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧]

وقال الله تعالى: ﴿فُطِّعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣]

وقال الله تعالى: ﴿وُطِّعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣]

وقال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩]

وقال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١]

وقال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]

وقال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَظْعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس: ٧٤]

٢- ختم على قلوبهم:

قال الله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً﴾ [البقرة: ٧]

٣- جعل على قلوبهم أكنة:

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥ / الإسراء: ٤٦]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف: ٥٧]

٤- جعل على قلوبهم الأقفال

قال الله تعالى: ﴿أَمَرَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَفْئَالِهَا﴾ [محمد: ٢٤]

٥- جعل على قلوبهم الأغلفة

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨]

٦- جعل على قلوبهم الران؛

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]

٧- جعل على قلوبهم الحجب؛

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا

وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥]

٨- أزاغ قلوبهم ؛

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]

٩- جعل في آذانهم وقراً؛

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيْ أُذُنَيْهِ

وَقْرًا﴾ [لقمان: ٧]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِيْ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف: ٥٧]

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيْ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤]

١٠- منع عنهم سمع الهداية ؛

قال الله تعالى: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠]

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [لقمان: ٧]

١١- منع عنهم الفهم؛

قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]

وقال الله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ﴾ [التوبة: ٨٧ / المنافقون: ٣]

وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِيْ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٦]

وقال الله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣]

١٢- جعل على أبصارهم غشاوة؛

قال الله تعالى: ﴿وَحُخِمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣]

١٣- أعمى أبصارهم؛

قال الله تعالى: ﴿فَاتَّهَلَّا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤]

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [الأنعام: ٢٥]

❀ سبحان الله أشياء مرعبة

الطبع.... الختم القفل.... التغليف الحجب الران الأكنة....
الوقر عدم الفهم الزيف الصمم الغشاوة.... العمى....

كيف يمكن أن يهتدي هؤلاء؟

اللهم لا تجعلنا مع هؤلاء !!!

❀ اللهم إنا نشهدك أننا نؤمن بك، ونصدق برسولك ﷺ الذي أرسلت، وبكتابك الذي أنزلت، ونؤمن بيوم القيامة، والبعث والجزاء. اللهم لا تحشرنا معهم.
- هذه الأشياء تدعو إلى **الخوف الشديد من الله ﷻ**، فهو الذي أقامك على طاعته بغير سابقة منك، وترك غيرك.

- فَمَنْ عَلَيْكَ بمعرفته وتوحيده، ويسر لك عبادته، ولم يسر ذلك لغيرك.

- وأنت تعرف من حسن عاقبة المتقين وسوء عاقبة المعرضين ما لا يعرفه غيرك.

- فلماذا اختصك بهذه المنة والفضل والنعمة، ولم يعمم ذلك على خلقه؟!

- ألا يدعوك ذلك إلى الحياء منه، والافتقار إليه أن أعطاك ما لم يُعْطِ غيرك؟!

- فلا تبدل ما أنت عليه من الطاعة؛ حتى لا يبذل ما يمن عليك به من نعمة معرفته وتوحيده.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]

- أما أن لك أن تشعر أن إيمانك هو محض فضل من الله عليك؟!!

- أما أن لك أن تفتقر إلى رحمته وهدايته وتوفيقه وتستغني به عما سواه؟!!

- ماذا لو عاملك بعدله، فكنت من هؤلاء؟ ... اللهم لا تعاملنا إلا بفضلك !!

- اللهم إنا نبرأ من أي حول لنا وقوة، فلا حول ولا قوة إلا بك يا الله !!

- اللهم كما رزقنا الإيمان قبل أن نسألك، فإننا نسألك أن **تثبتنا** عليه، و**تقبضنا**

عليه، و**تبعثنا** عليه، ولا تسلبه منا حتى **تدخلنا** جنتك بعظيم رحمتك وواسع

نعمتك يا أرحم الراحمين!

اللهم كما رزقنا الطاعة بغير سابقة منا إليك، فثبتنا على الطاعة بما قبلته من طاعة

أنت خلقتها فينا!

- اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة، فلا يملك ذلك إلا أنت !

- اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك، ويا مقلب القلوب ثبت

قلوبنا على دينك، ويا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على عبادتك، آمين آمين !!

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

العبادات القلبية

- ١- حب الله.
- ٢- الخوف من الله.
- ٣- الإخلاص.
- ٤- التوكل على الله.
- ٥- التوبة والإنابة إلى الله.
- ٦- التقوى.
- ٧- الصبر.
- ٨- الحمد والشكر.
- ٩- الرجاء.
- ١٠- حسن الظن بالله.
- ١١- مجاهدة النفس.
- ١٢- المحاسبة.
- ١٣- المراقبة.
- ١٤- اليقين.
- ١٥- الورع.
- ١٦- الزهد.
- ١٧- الافتقار إلى الله.
- ١٨- الإخبات لله.
- ١٩- الاستسلام والذل لله.
- ٢٠- التواضع.
- ٢١- الخشوع.
- ٢٢- القنوت.
- ٢٣- الاستعاذة بالله.
- ٢٤- الاستعانة بالله.
- ٢٥- الاستغاثة بالله.
- ٢٦- التفكير في آيات الله.
- ٢٧- التقديس لله.
- ٢٨- تمجيد الله.
- ٢٩- التحاكم إلى الله.
- ٣٠- الصدق مع الله.
- ٣١- الحياء من الله.
- ٣٢- الموالاة لله.
- ٣٣- الرضا بقضاء الله.
- ٣٤- الاستنصار بالله.
- ٣٥- الاستجارة بالله.
- ٣٦- اللجوء إلى الله.
- ٣٧- الاستغناء بالله.

عناصر البحث في كل عبادة

- ١ - تعريف هذه العبادة.
 - ٢ - الله تعالى أمر بهذه العبادة.
 - ٣ - العبادات القلبية هي مقتضى الإيمان بأسماء الله وصفاته.
 - ٤ - هذه العبادة شرط الإيمان.
 - ٥ - وجوب هذه العبادة.
 - ٦ - أركان هذه العبادة.
 - ٧ - أهمية هذه العبادة.
 - ٨ - أنواع هذه العبادة.
 - ٩ - كيفية أداء هذه العبادة.
 - ١٠ - تفاوت الناس في أداء هذه العبادة.
 - ١١ - ميزان الاعتدال.
 - ١٢ - الأسباب الميسرة لأداء هذه العبادة.
 - ١٣ - علامة الصدق في أداء هذه العبادة.
 - ١٤ - فضل هذه العبادة.
 - ١٥ - ثمرة هذه العبادة.
 - ١٦ - جزاء هذه العبادة.
 - ١٧ - الانحراف في أداء هذه العبادة.
 - ١٨ - خطورة الانحراف في هذه العبادة.
 - ١٩ - علامة الانحراف في هذه العبادة.
 - ٢٠ - ما يضاد هذه العبادة.
- وإني إن شاء الله سأكتب ما ييسر لي من هذه العناصر والله المستعان وهو من وراء القصد

١- حب الله

بحث حب الله يتضمن :

أولاً : ما هو حب الله؟

ثانياً: حب الله هو مقتضى الإيمان بأسماء الله وصفاته.

ثالثاً: حب الله شرط الإيمان .

رابعاً: تفاوت الناس في حب الله تعالى .

خامساً: الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى .

سادساً: ثمرات وفضائل حب الله تعالى .

سابعاً: علامات صدق حب العبد لله تعالى .

ثامناً: أعلي درجات العبادة : دوامها

تاسعاً: جزاء حب العبد لله تعالى .

عاشراً: أحب عباد الله إلى الله.

حادي عشر: أنواع المحبة.

أولاً: ما هو حب الله؟

- حب الله هو الشوق إليه، والشعور بالفرح والسعادة والطمأنينة والراحة بقرب الله تعالى، ولن يقترب العبد من ربه إلا بعبادته.
- وحب الله هو الدافع إلى طاعته.
- وهو الذي يصرف المؤمن عن مخالفته.
- وهو الذي يجعل المؤمن يتلذذ بتحمل المشاق والتضحية من أجله.
- وهو الذي يجعله يرضى بقضائه ويُسلم بقدره.

والحب مراتب

الشوق:

- وهو **شدة التعلق** بمن تحب، وعدم القدرة على نسيانه.
- **والتلذذ بذكره** والثناء عليه بإحسانه ونعمه، وتنعم القلب بذكر كماله.
- **والرغبة الشديدة لرؤيته**، ولو بَدَلَ لذلك مهجته؛ حتى يتنعم بلقائه.
- فإن كان الاستشهاد في سبيله يُعَجِّل برؤيته، فنعم العمل ونعم المعمول له؛ سبحانه.
- **فالشوق إلى الله أعظم نعيم الدنيا**، ورؤية وجه الله العظيم **أعظم نعيم الجنة**.

الوله:

- وهو شدة الحب **والتعظيم** لمن تحب، واقتران ذلك بطاعته في السر والعلن، هذا هو **حب العباد**، ولا ينبغي أن يصرف إلا لله وحده.

- وهو معنى اسم **الإله** لشدة تعلق عباده به تعالى .
قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

وقال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]

الخلّة:

- وهي **الاصطفاء** والاجتباء لشدة المحبة.
- والله تعالى اتخذ إبراهيم ومحمداً عليهما الصلاة والسلام أخلاء.
- قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]
- ❀ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ

مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَا تَتَّخِذُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةَ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتَهُ لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ». [صحيح البخاري ٤٤٦]

❁ قال رسول الله ﷺ: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَا تَتَّخِذُ أَبَا بَكْرٍ».

[صحيح البخاري ٣٦٥٤]

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا، لَا تَتَّخِذُ أَبَا بَكْرٍ

بْنِ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ». [صحيح مسلم ٢٣٨٣]

ثَانِيًا: حُبُّ اللَّهِ هُوَ مُقْتَضَى الْإِيمَانِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ

❁ حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ مُقْتَضَى الْإِيمَانِ بِاسْمِهِ الْوُدُودُ، فَهُوَ تَعَالَى يَحِبُّ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ، وَهُمْ يَحِبُّونَهُ.

- وَحُبُّ اللَّهِ مِنْ آثَارِ الْإِيمَانِ بِأَسْمَائِهِ تَعَالَى الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

- فَلَوْلَا رَحْمَتُهُ بِهِمْ مَا يَسِرُّ لَهُمْ طَاعَتُهُ، وَأَدْخَلَ فِي قُلُوبِهِمْ مَحَبَّتَهُ.

- وَهُوَ سَبْحَانَهُ مَا هَدَاهُمْ لِمَحَبَّتِهِ إِلَّا لَمَّا أَرَادَ بِهِمْ مِنْ كَرَامَتِهِ.

- وَهُوَ تَعَالَى مَا ثَبَتَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ إِلَّا لَمَّا سَبَقَ أَنْ أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ مَقْعَدِ الصَّدَقِ فِي جَنَّتِهِ.

ثالثاً: حب الله شرط الإيمان

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

١- حب الله هو شرط الإيمان.

✽ بل هو ركن الإيمان الذي لا يتم الإيمان إلا به .
وبغض رضوان الله أو بغض ما أنزل الله محبط للعمل ومبطل للإيمان.
قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٩]
وقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]

٢- وحب الله أساس الملة والدين

- ووجود حب الله في القلب يعنى وجود الإيمان في القلب.
- وإذا زال حب الله من القلب بالكلية، زال الإيمان بالكلية.
- ومن لم يحب الله فهو ليس بمؤمن، وليس في قلبه ذرة من إيمان.
- ٣- حب الله هو أول الفرائض - بل حب الله أعظم الأعمال.

٤- حب الله أصل كل العبادات

- حب الله هو روح الإيمان، وروح الطاعات، وهو الدافع لها، وكل أعمال القلوب بعد ذلك ثمرة من ثمار حب الله تعالى .

٥- حب الله هو حياة القلوب

- بل لا يحيا القلب إلا بحب ربه، ومن لم يحب ربه، فقلبه ميت.
- ومن لم يذق حلاوة الإيمان و حلاوة حب الله تعالى ، فبسبب موت قلبه وخبث نفسه.

٦- حب الله هو بهجة النفوس، وقرة العيون

- وبحب الله يطمئن الإنسان ويجد الراحة والسكينة.

٧- وحب الله أعلى نعيم الدنيا والآخرة.

- وإنما طلب المؤمنون رؤية ربهم في الجنة لحبهم له، ومع رؤيتهم له تكتمل محبته.
- وإن لذة النظر إلى وجه الله الودود أعظم من كل نعيم الجنة، فضلاً عن نعيم الدنيا.

رابعاً: تفاوت الناس في حب الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]

ومعنى الآية: أن الله تعالى قد بين درجات من اصطفاهم لحمل كتابه، فمنهم:

- ١ - المقربون السابقون بالخيرات الذين يدخلون الجنة بغير حساب.
- ٢ - ثم المقتصدون في الخيرات الذين يفعلون الواجبات، وهم أصحاب اليمين الأبرار.
- ٣ - ثم المقصرون الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي، وهم المخلطون الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

- وهؤلاء الأصناف الثلاثة تتفاوت أعمالهم بسبب تفاوتهم في حب الله ﷻ، فالحب في قلوبهم درجات.

✽ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله سبحانه كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب». [الدر المنثور ٤٧٢/٥ وفتح القدير ٤١٩/٤ وتفسير البغوي ٣/٥٧٠ وتفسير ابن كثير ١١/٣٢٢ وزاد المسير ٦/٤٨٨

وتفسير الطبري ١٩/٣٦٨، والطبراني في الكبير ١١/١٨٩ والبيهقي في البعث والنشور ١/٨٦]

✽ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة، ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول: ما هؤلاء؟ وهو أعلم تبارك وتعالى، فتقول الملائكة: هؤلاء جاءوا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بك، فيقول الرب: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي».

[تفسير الطبري ١٩/٣٦٨ وتفسير ابن كثير ٦/٥٤٩، وفتح القدير للشوكاني ٤/٤٠٤، وتفسير ابن عطية ٤/٤٣٩]

الحب الواجب والحب المستحب

✽ قال ابن رجب رحمته الله: «ومحبة الله ﷻ على درجتين:

الدرجة الأولى: فرض لازم؛

هي أن يحب الله محبة توجب له محبة ما فرضه الله عليه، وبغض ما حرمه الله عليه،

ومحبة رسوله المبلغ عنه أمره ونهيه، وتقديم محبة رسوله على محبته لنفسه وأهله وماله، وتوجب عليه محبة الأنبياء والرسل والمتبعين لهم بإحسان، وبغض الكفار والفجار، والرضا والتسليم بكل أوامر الدين.

فالمحبة الواجبة تقتضي:

١- فعل الواجبات.

٢- ترك المحرمات.

٣- والاستسلام لأمر رب العالمين.

قال تعالى في الرضا والتسليم بأحكام الدين: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

وهذا القدر لا بد منه في تمام الإيمان الواجب.

ومن أخل بشيء منه فقد نقص إيمانه الواجب بحسب ذلك.

الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين؛

وهي أن ترتقي محبة العبد إلى :

١- محبة ما يحبه الله من نوافل الطاعات.

٢- وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات.

٣- وإلى الرضا بما يقدره من المصائب التي تؤلم النفوس.

❁ قال رسول الله ﷺ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ،

وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ.» [صحيح البخاري ٦٥٠٢]

[جامع العلوم والحكم لابن رجب ٣٦١ بتصرف]

خامساً: الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى

الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى أو الميسرة أو المعينة لتحقيق محبة الله تعالى بتصرف من كلام ابن القيم:

- ١ - قراءة القرآن بالتدبر، والتفهم لمعانيه.
- ٢ - التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض.
- ٣ - دوام ذكر الله تعالى على كل حال باللسان والقلب.
- ٤ - إثارة محاب الله تعالى على محابك عند غلبات الهوى.
- ٥ - مشاهدة القلب لأسماء الله الحسنى .
- ٦ - مشاهدة بر الله تعالى وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة.
- ٧ - انكسار القلب بين يدي الله تعالى .
- ٨ - الخلوة بالله تعالى وقت نزوله في الثلث الأخير من الليل، والتلذذ بدعائه وتلاوة كتابه، وختام الليل بالاستغفار والتوبة.
- ٩ - مجالسة المؤمنين الصادقين، والتقاط أطياب كلامهم.
- ١٠ - مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله تعالى .
- ١١ - التفكير في رؤية أهل الجنة لربهم، وزيارتهم له، واجتماعهم به يوم المزيد.

١- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه:

❁ فالتدبر أن تقف عند كل آية، وكل كلمة، وكل حرف، تتدبر ما فيه من المعاني التي يريد بها الله؛ فإنك تجد فوائد ومعاني في الآية في كل مرة تقرؤها فيها، غير ما وجدت من المعاني في المرة التي قبلها.

❁ وأعظم ذلك يحصل عند تدبر القرآن في الصلاة، وبخاصة في قيام الليل.

❁ النبي ﷺ قام الليل بآية واحدة يرددها حتى أصبح ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]

[حسن: رواه ابن ماجه ١٣٥٠، والنسائي ١٠١٠، وأحمد ٣٥/٣٥٦، ٢١٣٢٨، ٢١٣٨٨، صحيحه الألباني في المشكاة ١٢٠٥]

ومن قرأ القرآن بالتدبر أحب كلام الله تعالى الذي هو صفته، ومن أحب كلام الله وصفته، أحبه الله تعالى .

❁ بعث النبي ﷺ رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: فأخبروه أن الله يحبها. « فهذا الرجل أحب صفة الله فأحبه الله. [صحيح البخاري ٧٣٧٥ ومسلم ٨١٣]

مثال التدبر في القرآن:

التدبر في قوله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٢-١١٤]

● قول الحواريين: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هذا القول ينافي الإيمان، ويدل على الجهل بعظمة الرحمن فإن الله تعالى لا يعجزه شيء.

● قول الحواريين: ﴿نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ فطلبوا الأكل قبل طلب الهداية والاطمئنان والإيمان، فتشعر أن اهتمام هذا الطالب بأمر قلبه وآخرته اهتمام ضعيف مؤخر إلى ما بعد الأكل، وهذا نقص في الإيمان واضطراب في ترتيب الأولويات.

● فطلب عيسى عليه السلام المائدة، حتى لا يفتنوا عن دينهم، فبدأ بالدعاء والتوسل إلى الله بالوهيته وربوبيته، قال: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾ فتوسل إلى الله بما يجب من ألوهيته وربوبيته.

● وعيسى عليه السلام طلب الدين والإيمان أولاً؛ فقال: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ لأن طلبه للعيد من الإيمان، فإن العيد أحد شرائع الدين، والعيد من العبادات التوقيفية؛ يعني من العبادات التي لا يشرعها إلا الله، ولا يجوز للمخلوق أن يشرع عيداً من دون تشريع الخالق العظيم.

● وطلب الآية والهداية ليصلوا إلى اطمئنان القلب بقرب الرب ﴿وَأَيَّةً مِنْكَ﴾.

● ثم طلب الأكل في نهاية الآيات، وهو طلبٌ ضمني على استحياء ضمن قوله:

﴿وَأَرْزُقْنَا﴾؛ لأن الرزق يتضمن الرزق الأخروي والرزق الدنيوي؛ رزق الآخرة بالطاعات، ورزق الدنيا بالمباحات، ومنها الأكل.

● فكان عيسى النبي ﷺ يعلمهم كيف يتأدبون مع الله تعالى ، وكيف يطلبون منه، ويعلمهم أولويات الطلب، فجعل الباقية قبل الفانية، والآخرة قبل الدنيا، والإيمان قبل الملذات.

● فانظر إلى الفرق الشاسع بين الأدب العالي في كلام رسول الله عيسى بن مريم ﷺ، لربه وبين كلام الحواريين.

❁ ثم قارن حال أولئك الحواريين بحال أصحاب نبينا محمد ﷺ يوم طلب منهم البيعة على القتال يوم بدر، فقالوا: «لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَكُونَنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَمِنْ خَلْفِكَ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ، سِرُّ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ فَوَاللَّهِ لَإِنْ بَلَغْتَ بِنَا بَرَكَ الْغِمَادِ لَسَرْنَا خَلْفَكَ مَا تَخْلَفُ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ. [صحيح البخاري ٤٦٠٩ بلفظ قريب]

❁ شتان ما بينهما.

● فإنا نشهدك يا الله! أَنَّا نَحِبُ أَصْحَابَ نَبِيِّكَ ﷺ ، وَنَتَمَنَّى لَوْ كُنَّا مَعَهُمْ، نَنْصُرُ نَبِيَّكَ، وَنُقَاتِلُ تَحْتَ قَدَمِهِ، وَنَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وَصِفَاتِكَ الْعُلَى أَنْ تَحْشُرْنَا فِي زَمْرَةِ أَصْحَابِهِ ﷺ بِحُبِّنَا لَهُمْ، فَنَكُونُ كَمَا أَخْبَرَ نَبِيَّكَ ﷺ بِأَنْ «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». [صحيح البخاري ٥٧٠٢]

❁❁ فمن قرأ القرآن هكذا - بالتدبر والتفهم - ودارت في خلدته تلك المعاني، أَحَبَّ الْقُرْآنَ وَأَحَبَّ اللَّهَ الَّذِي أَوْحَاهُ وَأَنْزَلَهُ وَتَكَلَّمَ بِهِ.

٢- التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض

- ١- ما هو الطريق إلى ولاية الله تعالى ومحبه؟
- ٢- كيف تؤدي العبادة حتى تصل بصاحبها إلى درجة الولاية؟
- ٣- إحسان العبادة هو الطريق الوحيد لبلوغ المحبة.
- ٤- علاج الشعور بمشقة العبادة.
- ٥- قرة العين في الطاعة.
- ٦- عظيم قدر الصلاة.
- ٧- الصلاة في القبر.
- ٨- رجل قلبه معلق بالمساجد.
- ٩- غربة المؤمن وسط أهله.
- ١٠- لن يقوم بهذا الدين دراويش.

١- ما هو الطريق إلى ولاية الله تعالى ومحبه؟

- ❀ أحب شيء إلى الله تعالى هو الفرائض، تليها النوافل.
- ❀ وكلما كان العبد صادقاً في حبه لربه، كلما اجتهد في أداء محبوباته من الفرائض، ثم داوم على النوافل، وبذلك يثبت صدق حبه، ويصل إلى ولاية ربه، فيحبه ربه ويتولاه.
- ❀ والولاية أصلها الإيمان وطريقها التقوى.
- والتقوى هي أداء الفرائض ومتابعتها بالنوافل.
- قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٣)
- الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿يونس: ٦٢ - ٦٣﴾
- فإن العبد حين أدى الفرائض، صار مؤمناً، وأحب الله منه إيمانه، فلما أدى النوافل، وداوم عليها، صار ولياً، فأحبه الله حباً كاملاً من كل وجه.
- فأصبحت كل حواسه - سمعه، وبصره، ويده، ورجله - تابعة لمراد الله، فهو لا يحرك ساكناً، ولا يسكن متحركاً إلا لله، وهو لا يفعل شيئاً ولا يترك شيئاً إلا لله وبالله.
- لله يعني: إخلاصاً له تعالى، وبالله يعني استعانة به تعالى.

❁ فلما اكتملت ولايته، تولاه الله.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَكِنْ اسْتَغَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ». [صحيح البخاري ٦٥٠٢]

❁ ومحبة الله للعبد رزقٌ من الله تعالى للصادقين من عباده فقط، الذين اجتهدوا في طلب محبته، والله تعالى لا يعطيها للغافلين الذين تركوا العمل وتمنوا على الله الأمانى.

٢- كيف تؤدى العبادة حتى تصل بصاحبها إلى درجة الولاية؟

❁ كيفية أداء العبادة حتى تصل بصاحبها إلى قرة العين؟ .

❁ إن الكمال في أداء العبادة هو أداؤها بكمال الحب مع تمام الذل لله.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

وقال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]

- يجب أن يقترن حب الله تعالى بالذل له سبحانه، وهذا الذل هو سبب عزة المؤمن

الذي لا يذل إلا لله وحده، فيعزه الله العزيز بذلك.

- فأنت تحب الطعام والشراب والزوجات والأولاد والمال، وتخاف من العدو والغرق

والحرق، فأنت إما تحب المخلوق أو تخافه، ولا يوجد مخلوق تحبه وتخافه في نفس الوقت.

❁ وانك لا تحب أحداً من كل وجه، وتخافه من كل وجه، إلا الخالق العظيم.

- وجهه يدفعك للطمع فيما عنده، وخوفه يدفعك للذل له سبحانه.

٣- إحسان العبادة هو الطريق الوحيد لبلوغ المحبة.

١- الأوعية التي يمارس فيها العبد محبة الله تعالى هي العبادات الظاهرة.

٢- فليتحَرَّ العبد مواسم الخير، فيجتهد فيها في الطاعات؛ كالعشر الأواخر من

رمضان، والعشر الأوائل من ذي الحجة.

- وليتحَرَّ أفعال البر، من الحج، والعمرة، والجهاد، والصدقة.

- وليتحَرَّ أماكن الخير؛ كمكة المكرمة والمدينة المنورة، ومنى، وعرفات.

- وليتحرّر ساعات القرب في الثلث الأخير من الليل، وآخر ساعة في يوم الجمعة.
٣- وإحسان العبادة هو الطريق الوحيد الذي يسلكه العبد ليقترّب من رضى باريه تعالى ، فيشعر بلذة حبه، ولن يبلغ العبد إحسان العبادة إلا **بالإخلاص** لله تعالى **والاتباع** لرسول الله ﷺ.

٤- وقد لا يجد العبد حلاوة الإيمان عند بداية سلوكه إلى ربه، وذلك لأنه لم يبلغ بعد، فلا يرجع، وإنما عليه الاجتهاد في السير، والمواظبة على الطاعات، والاستمرار في طرق الباب، فلا يحيد عن باب ربه رجاء أن يُفتح له، فإن أذن الله له، بلغ الدرجات العلى من أعمال القلوب، التي يدخل بها جنة الدنيا، التي هي المفتاح لجنة الآخرة. ❀ والناس في ذلك على درجات.

كان صالح المرّي يقول كثيرًا: «من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له، فقالت رابعة العدوية: إلى متى تقول هذا؟ وهل أغلق بابه قط حتى يستفتح؟ فقال صالح: امرأة عقلت، وشيخ جهل». [أورده القيشري في الرسالة القشيرية ٢٩٩ / ٢ / ١٤٢٥]

٥- ولا بد من **إجبار النفس على التكليف في البداية**؛ حتى يشعر العبد **بلذتها في النهاية**.

- فالنفس الأمارة بالسوء تميل إلى الكسل واللعب، والمؤمن لا بد أن يروض نفسه، حتى تنقاد لله وتألّف الطاعة.

- فحينها يجد لذة القرب ولذة الحب، فيدفعه الحب إلى مزيد من الطاعة والقرب. ❀ **ولكن ماذا يفعل في الشعور بمشقة العبادة التي يشعر بها في البداية؟**

٤- علاج الشعور بمشقة العبادة:

❀ **سبب وجود المشقة في العبادة شيئان:**

١- حال القلب الناقص.

٢- وتأدية العبادة على حالٍ ناقص.

❀ **وعلاج ذلك.**

- **بإصلاح القلب** بإزالة ما فيه من الشهوات والشبهات.

- **وإصلاح العبادة** وتحسينها بمراعاة الإخلاص فيها وتقييدها باتباع السنة.

❁ فعليه بإكراه نفسه على تأدية العبادة، والمواظبة عليها وتحسينها، فيؤديها بالخشوع مع تمام الحب وكمال الذل، مع تمام الرغبة في ثواب الله، وصدق التوكل عليه، والإخلاص له، والصبر عليها، فتكمل بذلك العبادة في ذاتها.

- واكتمال العبادة يؤدي إلى حدوث ثمرتها، فيتحول حال العبد من الصبر عليها إلى الاستمتاع بها، ويتحول حاله من استعجال الفراغ منها إلى تمنى عدم انتهائها.

- ويصبح حب الله هو الذي يدفعه للعبادة التي يجد فيها قرة عينه.

5- قرة العين في الطاعة:

• لا تحصل قرة العين إلا بالله، وهي الشعور بالقرب منه والشوق إليه، والشعور بمراقبته.

- والصلاة هي أهم السبل الموصلة إلى هذا النعيم.

❁ قال رسول الله ﷺ: «وَجْعَلْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».

[صحيح: رواه النسائي ٣٩٣٩، وأحمد ١٩ / ٣٠٥ / ١٢٢٩٣ وصححه الألباني في الصحيحة ١٨٠٩]

• وتحصل قرة العين بسائر الطاعات كالجهاد، والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- وإن الناس لتشفق على المجاهد؛ كيف يفارق ماله وولده وزوجته وبيته؟ ولكن المجاهد لا يشعر بما يقولون، بل هو يجد راحة قلبه في طاعة ربه، وإنما هو الذي يشفق على الناس؛ لما هم فيه من كدر قلوبهم الناتج عن دوام فقرهم إلى الدنيا.

- فهم يشفقون عليه، وهم الذين يستحقون الشفقة عليهم في الحقيقة.

6- عظيم قدر الصلاة:

❁ قال رسول الله ﷺ: «وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».

[صحيح: رواه النسائي ٣٩٣٩، وأحمد ١٩ / ٣٠٥ / ١٢٢٩٣، وصححه الألباني في الصحيحة ١٨٠٩]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «يَا بَلَاءُ أَقِمِ الصَّلَاةَ؛ أَرْحَنَّا بِهَا».

[صحيح: رواه أبو داود ٤٩٨٥، وأحمد ٣٨ / ١٧٨ / ٢٣٠٨٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٨٩٢]

- فرسول الله ﷺ لم يقل: أرحنا منها، فهو لم يؤديها كتكليف لا بد منه لدخول الجنة فقط، ولكنه أداها لأن فيها انشراح صدره وشفاء قلبه وراحة فؤاده، فبها تهون مصاعب الحياة وابتلاءاتها.

٧- الصلاة في القبر؛

✽ فمن الناس من كان يتمنى أن يصلي في قبره، كثابت البناي، فكان يخاف أن تذهب عنه قرّة العين التي كان يجدها في الصلاة، فكان يتمنى أن تستمر معه قرّة العين بعد الموت في قبره.

✽ وقد مر رسول الله ﷺ برسول الله موسى ﷺ وهو يصلي في قبره ليلة الإسراء.
✽ قال رسول الله ﷺ: «مَرَرْتُ عَلَى قَبْرِ مُوسَى ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ». [صحيح مسلم ٤٣٨٠]
✽ وصلاة الرجل في القبر من باب المبالغة في إكرام الله تعالى لمن أحب الصلاة حال حياته.

٨- رجل قلبه معلق بالمساجد؛

✽ فشتان بين قلبين: قلبٌ يَكسل عن الصلاة ويتأخر في الذهاب إليها، فإذا قام إليها، أسرع في أدائها، ينقريها نقرًا، حتى يسرع بالعودة إلى الأودية التي تشتت فيها قلبه من الأعمال والتجارات.

- وهو في صلاته ينتقل بقلبه بين فلان الذي عليه الديون يريد تحصيلها، والحاجة الفلانية التي يريد قضاءها، والزوجة التي يريد إرضاءها، والدار التي يريد إصلاحها، والتجارة التي يخشى كسادها، والمناصب التي يخشى زوالها، قد جعل نفسه لعبة تتقاذفها شياطينها، وأدخل عقله في غفوة أثناء أدائها، وأصبح قلبه لاهيًا عن خشوعها، لا ينتبه إلا على قول الإمام: «السلام عليكم ورحمة الله».

✽ شتان بين هذا القلب وقلب يسابق إليها، ويبكر في الرواح إليها، فإذا أقامها، تدبر في القراءة، وخشع فيها، لم يرد إنهاءها؛ لما يجد فيها من اللذة، واجتماع قلبه على ربه تعالى، والشعور بقربه ومعيته ومراقبته، فيتعلق قلبه بها، لا يقطع عليه حبل اتصاله بالله إلا قول الإمام: «السلام عليكم ورحمة الله».

- فلا يكون همه بعد الصلاة إلا «متى تحين الصلاة التالية؟» حتى يرجع إلى المسجد، فيرجع إليه قلبه.

✽ قال رسول الله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ...» منهم «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ». [صحيح البخاري ٦٦٠، ومسلم ١٠٣١]
✽ قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَيْلِكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ

الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ، قَالَ: ثُمَّ فِيمَ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الْكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. قَالَ: سَلْ. قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَقْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا». [صحيح رواه الترمذي ٣٢٣٥ وصححه الألباني في المشكاة ١/ ٢٣٢]

❁ قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ». [صحيح مسلم ٢٥١]

٩- غُرْبَةُ الْمُؤْمِنِ وَسُطُّ أَهْلِهِ:

❁ وهذا المؤمن في الحقيقة لم ينقطع اتصاله بربه.

- فإنه إذا خرج من المسجد لشؤون الحياة، خرج ببدنه، وبقي قلبه في المسجد.
- فيشعر بالوحشة والغربة بين الناس، حتى يعود إلى المسجد.
- فيعود إليه قلبه، ويجتمع شمله، وتستقر نفسه، فتجده يذكر بالضبط عند أي آية وفي أي سورة وقف في الصلاة الماضية، ليستكمل القراءة في الصلاة الحالية، لا كَمَن تسأله: بماذا قرأ الإمام؟ فيجيب: «بشيء من القرآن غير أني لا أذكره بالتمام»، ولا حول ولا قوة إلا بالملك العلام!!

١٠- لَنْ يَقُومَ بِهَذَا الدِّينَ دِرَاوِيشُ:

❁ وهذا الذي تعلق قلبه بالمسجد ليس بالضرورة أن يكون من العاطلين أو من الذين يأكلون من أموال المتصدقين.

- فقد كان عبدالله بن الزبير رحمته الله إذا شوهده في مكان تجارته وسط غلمانة ومساعدية، يقول من رآه: «هل هذا يحسن يصلي؟» لشدة ما يرى من إحكام قبضته على الدنيا وكأنه يجرها من قرنيها، فإذا ذهب يصلي إمامًا للحرم المكي، قال أحدهم:

«من ينفق على هذا؟» لشدة ما يرى من خشوعه وبكائه، وما يظنه أن من كان هذا حاله، فهو لا يحسن شيئاً من أمر الدنيا.

«كأنه بالله من العارفين، وبأمر الدنيا من الجاهلين»

- وهذا غير صحيح، فلا تلازم بين معرفة الله تعالى والجهل بالدنيا.
❁ وقد سَبَقْنَا رجال كانوا أئمة في أمر الدنيا والآخرة، وأخبر الله تعالى أن الدرجات العلى من الجنة قد أُعِدَّتْ لهم.

- حالهم يَصْعُبُ على أصحاب القلوب المريضة فهمُّه، ووصفهم يصعبُ على أبناء الدنيا شرحه، قد تعلق قلوبهم بمساجدهم، قد خالطوا الناس بأبدانهم دون قلوبهم، يشعرون إذا خالطوا الناس بوحشة الغريب يريد أن يرجع إلى أهله ووطنه.

❁ قال رسول الله ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». [صحيح البخاري ٦٤١٦]

- لكنهم لم ينقطعوا عن الناس.

❁ قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ؛ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ». [صحيح : رواه البخاري في الأدب المفرد ٣٨٨، ابن ماجه

٤٠٣٢، وأحمد ٩ / ٦٤ / ٥٠٢٢ وصححه الألباني في الصحيحة ٩٣٩، ورواه الترمذي ٢٥٠٧ بلفظ: «المسلم...»]

- ورغم ذلك أتهم الدنيا وهي راغمة، وهي كارهة أن تملكها مثل تلك الأيدي الطاهرة، فأمسكوها من لابتها، وأنفقوها في مرضاة خالقها.

- فنعم المورد ونعم المال، ونعم الأخذ، ونعم العطاء !

- فكما سَلِمَتْ قلوبهم منها في الدنيا، كذلك يسلمون بعد السؤال عنها في الآخرة، حين يُسأل الناس عن أموالهم : كيف جمعوها ؟ وفيهم أنفقوها ؟

٣- دوام ذكر الله على كل حال باللسان والقلب

قال الله تعالى: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]

١- فدوام ذكر المحبوب دليل على صدق محبته.

٢- ونصيب العبد من المحبة على قدر نصيبه من ذكر من يحبه.

٣- وذكر القلب هو المقصود الأعظم، وإنما كان ذكر اللسان معيّنًا له، وذكر القلب أن يظل محبًا لله، خائفًا منه، متوكلًا عليه، راجيًا له، فيثمر ذلك مزيدًا من الحب له.

- أما ذكر اللسان فقط والقلب لا، فإنه لا يورث محبة ولا قرباً.

٤- من فوائد ذكر القلب لله: أن العبد يفكر فيمن يذكّره، فيحبه، ويشتاق إلى لقائه، ويفكر فيما يرضيه، فيفعله، ويفكر فيما يسخطه، فلا يقربه.

٥- ولأهمية الذكر: فإن الله تعالى شرع لأجله العبادات العظيمة؛ فالصلاة شرعت للذكر، والحج كذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]

وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٨]

٦- ومما يدفع العبد لمداومة ذكر الله يقينه بثواب ربه للذاكرين بالدرجات العالية في جنات النعيم، وبأن ربه سيذكره في الملاء الأعلى بين الملائكة والنبين، وهذا أشرف شيء يمكن تخيله.

✽ قال الله تعالى في الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذَرَأًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذَرَأًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً». [صحيح البخاري ٧٤٠٥ ومسلم ٢٦٧٥]

• فإذا استشعرت أن الله سيذكرك باسمك هناك، ويرحمك، ويشني عليك، ويُعلي شأنك، ويأمر الملائكة أن تشني عليك إذا ذكرت ربك ذكراً كثيراً، إذا استشعرت هذا، دفعك لمزيد من حبه وذكره تعالى؛ فلا تفتقر عن ذكره، ولا ينشغل قلبك بغيره.

٤- إثارة محاب الله تعالى على محابك عند غلبات الهوى.

- وكما يتضمن شرع الله فعل الطاعات يتضمن كذلك ترك المنهيات، التي غالباً ما تهواها النفس، خصوصاً عند اللحظات التي يشتد فيها الهوى جداً ويغلب على القلب، ويكون قاهراً للإنسان، تلك اللحظات التي ينهزم فيها كثير من الناس لهواهم، فينقادون له، وقليل منهم من يصبر، ويقهر هواه.
- ومن قهر هواه، وجد لذة حب الله مباشرة في قلبه.

مثال من قهر هواه في شهوة النساء:

✽ فيوسف نبي الله ﷺ كان شاباً قوياً في تمام شبابه وقوته وجماله، وكانت عنده

شهوة مثل فحول الرجال، وكانت عنده أسباب المعصية، فهو :

- ١- غريب بعيد عن الأهل، وعمَّن يستحي منهم.
- ٢- وقد طالت عزوبيته، وزاد احتياجه للزواج.
- ٣- وهو عبد لا يجد ما يتزوج به النساء، ولا يتوقع تغير حاله من قريب.
- ٤- والمرأة هي التي تطلبه.
- ٥- وهي التي تملك القصر.
- ٦- وهو من خدمها.
- ٧- وهي شديدة الجمال والشباب.
- ٨- وقد هيات نفسها بأنواع الزينة.
- ٩- وهيات المكان.
- ١٠- وأغلقت الأبواب.
- ١١- وصرفت الحُجَّاب.
- ١٢- وأبعدت كل من يمكنه أن ينقل الخبر.
- ١٣- وقد كانت متسلطة على زوجها، فكان هو الذي يخشاها، فأمنُوا جميعًا من عقابه لذيائة طبعه.

١٤- ثم هي تخلع ستر الحياء، وتجذب أجمل الأنبياء، بل تهتك منه الثياب، فقد غلبها الهوى، وأذهب عقلها، وَأَغْرَقَ فِي سُكْرِ الْمَعْصِيَةِ فَوَادَهَا ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]

فما فعل نبي الله يوسف ﷺ أمام هذا كله ؟

- ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣].. هيهات... هيهات.
 - فمقام النبوة أعلى من أن يُنجس صاحبه.
 - ومقام الولاية أنقى من أن تدنس جوانبه.
 - وإنه الكريم ابن الكريم ابن الكريم، كيف يلطخ بالعارِ طهر آبائه ويدنسه؟!
- ﴿ قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنَ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. » [صحيح البخاري ٤٦٨٨، ٣٣٩٠]

- وكيف يضيع إخلاصه وبالفحشاء يبعثه؟!
- ولكن ربه لم يتركه، وبالبهران أيده، وعن السوء صرفه وأنقذه.
- قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤]

• فهرب مسابقًا.

قال الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَفْزَعٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]

• وإلى الرحمن راغبًا.

قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُوكَ رَغْبًا وَرَهْبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]

• وبه عائدًا.

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]

فيا من أسرفت على نفسك في الشهوات، كم عندك من هذه الأسباب؟

- فإن زين لك الشيطان منها سببًا أو سبيين، فأوقعك بهما في خطايا كالجبلين.
فانظر إلى أصحاب الهمة العالية كيف أخسؤوا شيطانهم ووسواسه، وردوه خائبًا في حسراته؟

- فلا تظن أن أسباب المعاصي عندك وحدك، وأن هذا يعذرك عند ربك، بل عندهم من أسباب المعاصي أضعاف ما عندك، ولكن عندهم من حب الله ما ليس عندك.

- فغلب حبهم لربهم كل شهواتهم وهوى نفوسهم ووسواس شيطانهم.
- وإنما وقعت لضعفك وخبث نفسك، وإنما نجوا لقوة تعلقهم بربهم ونقاء قلوبهم.
- وما نجوا إلا بمعونته ربهم، فالجأ إلى ربك، واسأله من فضله؛ لعله يعطيك كما أعطاهم، وينجيك كما أنجاهم، ويجعلك من السبعة الذين يظلمهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فمنهم: «رَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ».

[صحيح البخاري ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١]

وبالمثال يتضح المقال

مثال من قهر هواه في شهوة المال؛

- كمن يتعرض إلى ضائقة مالية شديدة ويُعرض عليه مالٌ حرام من ربا أو رشوة، ولا يطلع عليها أحد، فيترك ذلك ابتغاء وجه الله، رغم اضطرابه الشديد، فيجد أثر

ذلك مباشرةً، حُبَّ الله في قلبه، فإن لذة حبه والفرح بها تفوق لذة الفرح بالحصول على كل حُطام الدنيا وشهواتها الفانية.

• وأكثر الناس **ينهارون عند بدايته وجود الهوى لا عند غلبته** - ولا حول ولا قوة إلا بالله -، ولا يفكرون في عاقبة ذلك، ولا يفكرون في الثواب والعقاب والجنة والنار، المهم هو الحصول على الشهوة أيًا كانت النهاية.

قال الله تعالى: ﴿وَأِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]

• فالنفس الإنسانية في داخلها طفل صغير جاهل ظالم، لا يريد إلا اللهو واللعب، والنفس من طبيعتها أنها لا تسعى لنيل معالي الأمور، وإنما يجب أن تُكره إكراهًا على ما ينفعها.

• **فمن أكره نفسه على الطاعة في أول أمره، أحبها في آخر جده؛ لما يجد فيها من راحة قلبه.**

ومن منع نفسه شهواتها ولذتها العاجلة، نال اللذة الدائمة في جنة عالية قطوفها دانية.

٥- مشاهدة القلب لأسماء الله وصفاته:

✽ فتدبر أسماءه تعالى: **الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَالْعَلِيمُ وَالسَّمِيعُ وَالْبَصِيرُ وَالْقُدُّوسُ**، توقن بكمال الله، وجماله، وغناه، وعظمته، فتحبه لكمال ذاته.

- تم تدبر أسماءه: **الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَالْعَفْوُ وَالْمَتَّانُ وَذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**، توقن برحمته الواسعة، فتحبه لإحسانه.

- وتدبر أسماءه: **الحكيم الخبير**، توقن بحكمته البالغة، التي تظهر في كل شيء، والتي تستوجب حمده ومحبته.

✽ التفكر في عظيم ملكوت الله وعظيم مخلوقاته يدل على عظيم قدر خالقها؛ فيزداد تعظيم القلب له تعالى؛ فيزداد حبه في قلبك.

- والناس يتفاوتون في درجات حب الله؛ لتفاوتهم في درجات معرفة الله وعظمته.

٦- مطالعة بر الله تعالى وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة:

✽ أساس المحبة شيان: مطالعة عظمة الله وكماله، ومشاهدة نعم الله على عباده.

- فإن الحب ينبت على حافات النعم.

❁ والإنسان مجبول على أن يحب من أحسن إليه، والنعم كلها من الله تعالى .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]

❁ ونعم الله على الإنسان أكثر من أن تحصى .

قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: ١٨]

❁ وأعظم النعم الهداية إلى الإسلام واتباع الرسول ﷺ، فإن شاهدت أن الله أخذ بقلبك إليه، وحرّم غيرك، ويسر لك سبيل الطاعات، ومنع غيرك، وجعلك تعبد وحده، وتتبع رسوله ﷺ، وأصلّ غيرك، **قادك ذلك إلى حبه** والافتقار إلى المزيد من فضله.

❁ ثم شاهد نعمه عليك بالصحة والعافية في بدنك، ومالك، وسمعك، وبصرك، ويدك، ورجلك، وأتّعظ بغيرك من المرضى والمقعدين، وتذكر ساعات مرضك واشتداد ألمك، فتحمد الله على ما منّ به عليك من **الشفاء والعافية**.

❁ وتنبه، **فلا يمنحك اعتياد النعم أن لا تشعر بوجودها**، فأنت تمشي على رجليك وتسمع وتبصر، وغيرك من أهل البلاء والمرض محروم من ذلك.

❁ تأمل نعمة تنفّس الهواء النقي، وأنت ترى طلوع الشمس، وبزوغ القمر، وأسرى المسلمين محرومون من ذلك.

❁ **فتدفعك مشاهدة النعم إلى حب المنعم .**

❁ **وانكسار القلب بين يديه احتياجاً إليه .**

❁ **فنحن نتقلب في نعمه ولا قوام لنا إلا بفضله .**

٧- انكسار القلب بين يدي الله تعالى:

❁ هو الشعور بالفقر، والاحتياج التام، والضرورة التامة إلى الله العظيم، وهذا يزيدك حباً لله.

❁ فشاهد أنك لا تملك لنفسك ضرراً، ولا نفعاً، ولا موتاً، ولا حياةً، ولا نشوراً، وأنت تحتاج إلى الله تعالى في كل نفسٍ من أنفاسك، فلو شاء الله لأمسكه عنك، وأنت تحتاج إلى الله في كل طرفة عين، وفي كل نبضة قلب، **فلولاه لما كان فيك حياة .**

❁ ثم شاهد ضعفك في المرض والابتلاء وأنت **لا تعافى من البلاء والمرض إلا**

بالله، فإنما يتبلى عباده ليتضرعوا إليه؛ لأنه يحب سماع تضرع عباده المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]

❁ ثم شاهد معاصيك وتقصيرك في العمل الصالح، ولولا معونة الله، لم تعبه، ولولا أنه يسر لك طاعته، لم تطعه، فأنت مضطر إليه؛ لكي يعينك على عبادته . ❁❁ وشاهد ضعفك عند الوقوع في المعصية، وضعف أدائك للطاعة. ❁ ورغم ذلك تشاهد استمرار إحسانه إليك، وأن بره لم ينقطع بمعاصيك وخذلانك، فيدفعك ذلك لمزيد حبه، والذل له، وانكسار القلب بين يديه، سبحانه.

٨- الخلوة بالله تعالى وقت نزوله في الثلث الأخير من الليل، والتلذذ بدعائه وتلاوة كتابه وختام الليل بالاستغفار والتوبة؛

❁ فإن من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله «رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ.» [صحيح البخاري ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١] خالياً يعني بعيداً عَمَّن يراه.

❁ والخلوة أعون للعبد على الإخلاص، وأبعد له عن الناس وعن الرياء. ❁ والخلوة أعون للعبد على جمع القلب؛ حيث يبتعد عن الأعمال، والأموال، والأولاد، وما يشتت قلبه.

❁ وليستعمل الذل، والخوف، وحسن الرجاء في مناجاته لربه، ويقتفي أثر نبيه ﷺ في ذلك، فيناجي ربه بالقرآن، وبما صح عن خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام؛ فلا يرفع حاجز الأدب مع ربه، ولا يخرج عن درجة العبودية لمولاه.

❁ والثلث الأخير من الليل من كنوز الأوقات؛ حيث يجب الله الدعوات، ويكشف الكربات، ويشفي المرضى، ويغني الفقراء، ويقل العثرات، ويغفر الزلات، ويقبل التوبات، ويعطي السائلين، فهل بعد ذلك تُضَيِّعُ هذا الكنز الثمين في النوم والغفلة، أو في السهر والمعصية؟

❁ قال رسول الله ﷺ: «يُنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» [صحيح البخاري ١١٤٥ ومسلم ٧٥٨]

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثُ اللَّيْلِ يَنْزِلُ اللَّهُ ﷻ إِلَى

السَّامِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ.»

[صحيح : رواه ابن ماجه ١٣٦٧ وأحمد ١٥٧/٢٦ والدارمي في السنن ١٥٢٢ والطيالسي ١٣٨٨ وصححه ابن القيم في مختصر

الصواعق ٢/٢٣٦ والألباني في إرواء الغليل ١٩٨/٢]

٩- مجالسة المؤمنين الصادقين والتقاط أطيب كلامهم:

✽ فإنك إن جالست أهل الأموال، لم يتكلموا إلا عنها، وإن جالست أهل السياسة، لم يدندنوا إلا حولها.

- فإن جالست من يحبون الله، كان كلامهم عن محبوبهم، وكيف يصلون إلى رضاه.
✽ وإنك لتجد من كلامهم كلمات مؤثرة تنقلك من حضيض الدنيا، فترتفع بك، حتى كأنك تطوّفُ بعرش الرحمن، وتنقلك من حيوانية الشهوة إلى طهارة الملائكة، بل إلى منازل أعلى من ذلك فوق الملائكة، تستوجب بها أن يجعلهم الله خدامك في الجنة، رغم عصمتهم عن المعاصي وتدنُّسك أحياناً بها.

✽ من أمثلة ذلك الكلام الطيب: قول الحسن البصري: «ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل.» [رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٦٣/٦ و ١٨٩/٧ وأحمد في الزهد ١٤٨٣]

✽ وقال الحسن البصري: «إن قومًا ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة، وقالوا: نحسن الظن بالله، وكذبوا؛ لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.»، يقول: «إني أحسن الظن بربي، كذب، ولو أحسن الظن بربه لأحسن العمل.»

[رواه ابن أبي الدنيا في الوجل ٢٠ وأبو حيان في البحر المحيط ٤ / ٧٥، واليسابوري في تفسيره ٢ / ٥٠١، وأبو السعود في تفسيره ٢ / ٢٣٥]

- فهذا الكلام ترى عليه نور النبوة، وإنما جرت ألسنتهم بذلك لقربهم من ربهم تعالى، وتأثرهم بالنبع الصافي «الكتاب والسنة»، فسطع نورهما على كلام من اتبعهما.

✽ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يَرَى أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطُهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ» [صحيح البخاري ٦٤٧٨]

✽ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ مَا فِيهَا يَهْوَى بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» [صحيح مسلم ٢٩٨٨]

❁ فإذا صحبت الصالحين فليكن همك أن تسمع أكثر، لتستفيد أكثر، لا أن تتكلم أكثر، لتضيع الوقت، فلا تتكلم إلا إذا أيقنت أن الكلام ينفعك أو ينفع غيرك، لا لكي يقال : إن فلانًا تكلم في المجلس الفلاني.

١٠- مباحدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله:

❁ بالبعد عن البدع والمعاصي بل والمكروهات، حتى تبتعد عن بعض المباحات، فتبتعد عن التعلق بالمال، والتعلق بالزوجات، والتعلق بالأكل، والشرب، والنوم. ❁ فكل هذه المباحات إن زاد أخذك منها عن قدر ضرورتك واحتياجك، كانت من الأسباب المبعدة عن الله، وحالت بين القلب وبين خالقه ﷻ.

١١- التذكر في رؤية أهل الجنة لربهم، وزيارتهم له، واجتماعهم به تعالى يوم المزيد:

❁ والشوق إلى كل ذلك يزيد حب الله في القلب، ويدفع لنيل مزيد من القرب، ولن تصل إلى القرب إلا بطاعة المحبوب والبذل له، والتضحية من أجله رجاء أن يقبلك، فإذا قبلك، سعدت سعادة لا تشقى بعدها أبدًا.

سادساً: ثمرة وفضائل حب الله تعالى

١- حب الله هو الذي يجعل العبد لا يشعر بجهد العبادة؛

- التعب لنيل رضا من تحب ألد من كل الملذات والشهوات.
 - ومن أحب الله بصدق، لم يعرف معنى التكاسل عن طاعته.
 - فمحبته الله هي التي تهون مشاق الطاعة.
 - ومن لم يحب الله، فلن يتحمل مشقة العبادة، وسيترك طريق الطاعة عند أول عقبة.
- ﴿ قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ : « أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمْ ، أَلَدُّ مِنْ أَهْلِ اللَّهْوِ فِي هَوَاهُمْ » .
- [المجالسة وجواهر العلم ١ / ٤٧٣ / ١٥٥ و ٤ / ٣٨٣ / ١٥٦٨]

٢- حب الله يجعلك تضحى في سبيله؛

- ومحبة الله تجعلك تستهين بكل شيء تبذله في سبيل الله، وتجد ساحة نفسك ببذل المال والروح تبغي مرضاة الله ومحبه.
- قال الله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا ﴾ [الحديد: ١٠]

٣- حب الله يجعلك تسابق الناس إليه تعالى؛

- قال الله تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ الْحَيَوَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [الحديد: ٢١]
- وقال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]
- وقال الله تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ [طه: ٨٤]
- فبِم سبق المهاجرون الأنصار؟ سبقوا الناس إلى الإسلام في وقت الاستضعاف حين لم يكن على الأرض مسلم إلا هم.
- قال الله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦١]
- ﴿ فمن أحب الله، اجتهد في طاعته، وإن عم الفساد الأرض .
- ﴿ ومن أحب الله، اجتهد في طاعته، وإن قتر الناس عن عبادته.
- ﴿ ومن أحب الله، استيقظ قبل الناس، وسار إلى الله قبلهم، وعمل بطاعته في

وقت لا يعمل فيه أحد بطاعة الله، بل لم يلتفت إلى أحد أصلاً، ولم ينتظر رفقةً قاعد في مسيره إلى الله تعالى .

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَذْلَجَ، وَمَنْ أَذْلَجَ، بَلَغَ الْمَنْزَلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ». [صحيح رواه الترمذي ٢٤٥٠ وعبد بن حميد في المنتخب ١٤٦٠ والحاكم ٣٤٣/٤ والبخاري في التاريخ ١١١/٢/١٨٧٣ وصححه لغيره الألباني في الصحيحة ٢٣٣٥]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَكِنْ يُشَادُّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ». [صحيح البخاري ٣٩ ومسلم ٢٨١٦]

أي : استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة : كأول النهار وبعد الزوال وآخر الليل .

- والدلجة هي المسير بالليل، كناية عن أنه استيقظ قبل الناس، وبدأ مسيره إلى الله قبلهم، يحذوه شوقه إليه تعالى ، وسابق الناس، فسبقهم .
والغدوة هي المسير في أول النهار، والروحة هي المسير في آخره .

٤- من أحب الله، لم يلتفت أن سار عكس اتجاه أكثر الناس؛

فالناس يسيرون نحو الشهوات، وهو يسير نحو الدرجات.
قال الله تعالى: ﴿وَأِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]

٥- محبة الله تدفع إلى طاعته؛

- فمن أحب المخلوق على نقصه وضعفه وقلة وفائه، فعل كل ما يطلبه منه
- والذين آمنوا أشد حبا لخالقهم .
قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

وكلما ازداد حبهم لله، ازدادت طاعتهم له، فلم يكتفوا بالفرائض، بل أتبعوها بالنوافل، حتى لم يبق فراغ في حياتهم إلا ملأوه بطاعته سبحانه .

❁ قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ». [صحيح البخاري ٦٥٠٢]

٦- كمال محبة الله تمنع العبد أن يعصيه؛

فمن اكتملت في قلبه محبة ربه لم يخالفه، ولم تنازعه نفسه لفعل محارمه، ولم يدعه هواه لنيل ما عنه نهاه .

٧- محبة الله سبب لدخول جنة الدنيا؛

فيدعوه صدق الحب لربه أن يتقرب إليه بالنوافل بعد الفرائض، ويظل على إتقان عمله، ومراقبة ربه، حتى يصل إلى إحسان العبادة، فيشعر بأعظم نعيم في الدنيا، ألا وهو نعيم القرب من الله.

- فإن في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة.

- ألا وهي جنة الشعور بقرب الله الحاصل بدوام ذكره واستمرار مراقبته. ❀
مساكين أهل الدنيا والشهوات، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أحلى ما فيها؛ حلاوة الأنس بالله الحاصلة بطاعته، والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه.

٨- محبة الله تورث الشوق إلى لقاءه؛

❀ قال رسول الله ﷺ: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ»

[صحيح: رواه أحمد ٣٠ / ٢٦٤ / ١٨٣٢٥ والنسائي ١٣٠٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٣٠١]

❀ فأعظم نعيم الدنيا لذة الشوق إلى الله الناتجة عن حبه وعبادته.

❀ وأعظم نعيم الآخرة لذة النظر إلى وجهه الكريم في الجنة.

❀ فمن أحب أحداً، اشتاق لرؤيته.

- فإذا ازداد شوقه، أطاعه بالغيب.

- وكلما ازداد له طاعة، ازداد له حباً.

- وكلما ازداد له حباً، ازداد لرؤيته شوقاً.

- وكلما ازداد له شوقاً، ازداد له طاعة.... سبحانه.

٩ - حب الله هو الذي يجعلك تحب قضاءه، وترضى به؛

فحب الله يخفف كل بلاء الدنيا وهمومها.

١٠ - حب الله هو شفاء القلب؛

- وبدون حب الله يمرض القلب بأمراض الشهوات، بل ويمرض البدن بأنواع المعاصي والكبائر.

❀ وحب الله هو سعادة القلب؛ لأن سعادة الأبدان بالشهوات لا تدوم إلا لحظات، أما سعادة القلب بحب الرب، فتدوم ما دامت حياة القلب، بل حب الله

يتصل بعد الحياة، فيكون هو السبب في دخول جنة الله، التي هي أقرب شيء إلى الله؛ لأن الفردوس الأعلى هو منزل الأنبياء والمقربين، وهو أقرب الجنة إلى رب العالمين؛ لأن سقفه عرش أرحم الراحمين.

• سأل رجلُ رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ: «وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟» قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام؛ غير أنني أحب الله ورسوله، قال ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّيْتَ.» [صحيح البخاري ٣٦٨٨، ومسلم ٢٦٣٩]

١١- حب الله هو شرف الدنيا والآخرة:

✽ المحبون لله هم أشرف أهل الدنيا والآخرة.
- والمبغضون لله تعالى والمعرضون عنه هم أراذل الخلق وأظلمهم عقولاً، وأقساهم قلوباً، وأضيقهم صدوراً، وأنكدهم حالاً، وأتعسهم مآلاً، وأشقاهم عاقبة.

١٢- حب الله يضاعف أجر الأعمال:

فمن أدى العمل بكمال الحب مع تمام الذل، تضاعف أجره إلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى .
✽ قال رسول الله ﷺ: «سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ.»

[حسن: رواه النسائي ٢٥٢٧، وأحمد ١٤ / ٤٩٧ / ٨٩٢٩ وابن حبان ٣٣٤٧، وحسنه الألباني في صحيح ابن خزيمة ٢٤٤٣]

وما سبق هذا الدرهم إلا لأن صاحبه أداه بكمال عبادات القلوب، التي أولها حب الله تعالى .

١٣- محبة الله سبب لدخول جنة الآخرة:

✽ حُب الله هو أقصر طريق إلى الجنة، بل هو شرط الوصول إليها.
✽ وما فَضِّل الفردوس على سائر الجنة إلا لأنه أقرب الجنة إلى الله.
• وما فَضِّل ساكنوه على سائر أهل الجنة إلا بقربهم من الله.

سابعاً: علامات صدق حب العبد لله تعالى

- ١ - أن يحب العبد ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله تعالى .
- ٢ - اتباع رسول الله ﷺ .
- ٣ - محبة الصحابة رضي الله عنهم الذين أحبهم الله تعالى .
- ٤ - أن يكون العبد رحيماً بالمؤمنين، شديداً على الكافرين .
- ٥ - أن يحب لإخوانه ما يحبه لنفسه .
- ٦ - أن يكثر ذكر الله تعالى على كل حال .
- ٧ - أن يتلذذ بمناجاة الله تعالى .
- ٨ - أن يفرح بالطاعة؛ لأن الله تعالى يحبها .
- ٩ - و يحزن عند السيئة؛ لأن الله تعالى يكرهها .
- ١٠ - أن يشاق إلى لقاء الله تعالى .
- ١١ - أن يضحى في سبيل الله تعالى بكل ما يستطيع .
- ١٢ - أن يزهد في الدنيا؛ لأنها لا تساوى عند الله جناح بعوضه .
- ١٣ - أن يزداد خشية الله كلما ازداد حباً له تعالى .
- ١٤ - ألا يأمن من مكر الله به .
- ١٥ - أن يرضى بقضاء الله وقدره خيره وشره .

١ - أن يحب العبد ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله تعالى

- ✽ فعلامة صدق حب العبد لربه أن يؤثر مرضاته، وإن كان في ذلك سخط الناس .
- ويؤثر مرضاته على هوى نفسه، وإن سخطت عليه نفسه .
- ✽ قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ، كَفَّاهُ اللَّهُ النَّاسَ ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَكَلَّهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ» . [صحيح رواه الترمذي ٢٤١٤، وأبو داود في الزهد ٣١٥، وابن حبان في صحيحه ٢٧٦ وعبد بن حيد في مسنده ١٥٢٤ وصححه الألباني لغيره في الصحيحة ٢٣١١]
- ✽ فيجتهد في مرضاة ربه؛ فيفعل ما أمر به ويرضاه، ويتعد عما حرمه عليه، ويكرهه أشد الكراهة .

✽ لكن اعلم أن المعصية لا تنافي أصل المحبة، وإنما تنافي كمالها .

فمن أحب الله، تجده لا يحسن أن يعصي الله تعالى، فإذا عصاه، كان مضطرب القلب، غير مستقر الفؤاد، ثم تجده سريع التنبه من الغفلة سريع الإفاقة من سكر المعصية، سريع الإنابة إلى ربه، سريع التوبة من ذنبه، لا يستقر قلبه إلا بقربه من ربه.

✽ وقد كان في الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله من أحب الله جدًّا، فدفعه ذلك الحب إلى الاجتهاد في الطاعات، حتى لو قيل له: إن القيامة غدا. ما استطاع أن يزيد في عمله شيئًا.

٢. اتباع رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم:

فحب رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم واتباعه هو البيّنة على صدق دعوى المحبة.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]

✽ فإذا غُرست شجرة المحبة في قلب المؤمن، وسقاها بماء الإخلاص ومتابعة الرسول صلی اللہ علیہ وسلم، أثمرت أنواع الطاعات، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، بالإقبال على الله تعالى، والمسارة إليه في كل أمر، فإن أصل شجرة الحب ثابت في قلب المؤمن، وفروعها متصلة بسدره المنتهى، حيث يصعد إليها العمل الصالح وينتهي إليها.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [٤٤] ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥]

✽ فينبغي على المؤمن أن يجتهد في اتباع الرسول صلی اللہ علیہ وسلم، وفعل أوامره، والابتعاد عن نهيه.

٣. محبة الصحابة رضي الله عنهم لحب الله تعالى لهم:

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَئِكَ هُمُ الْمُفَوَّضُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]

فنحن نحب الصحابة رضي الله عنهم لحب الله لهم، ورضاه عنهم.

✽ قال رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم: «الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ.» [صحيح البخاري ٣٧٨٣ ومسلم ٧٥]

- فمن أحب الصحابة رضي الله عنهم لحب الله لهم، أحبه الله تعالى؛ لأنه أحب محبوباته تعالى.

٤- أن يكون العبد رحيماً بالمؤمنين شديداً على الكافرين؛

قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]
فهؤلاء أصحاب رسولنا ﷺ وخير الخلق بعد الأنبياء ﷺ، مدحهم الله تعالى ،
وذكر صفتهم قبل أن يخلقهم وقبل أن يخرجوا من أرحام أمهاتهم؛ بأنهم أشدّاء على
الكفار، رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ.

✽ فيجب على المسلم أن يتشبه بهم، ويكون شقيقاً بالمؤمنين رحيماً بهم، يجب
الخير لهم، ويهتم بمصلحتهم؛ لأنهم أولياء الله وأحبابه.
- ويكون شديداً على الكافرين؛ لأنهم أعداء الله، لا تأخذه في الغضب عليهم
لومة لائم، لا يدهنهم، ولا يركن إليهم، بل يتبرأ منهم، ومن موالاتهم.
✽ فإن الولاء والبراء، والحب في الله، والبغض في الله من أعظم علامات
محبة الله.

- فتجد المنافقين يحبون الكفار، ويناصحونهم، ويوالونهم ضد أهل الإيمان،
وتجدهم أذلاء على الكفار وعلى أعداء الإسلام، بينما هم أشدّاء على الصالحين
المؤمنين، همهم القدح فيهم والتنقص منهم، فاعترضوا على مراد الله وعارضوه،
وتولوا عن أمره وخالفوه، سبحانه.

٥- أن يحب لإخوانه ما يحبه لنفسه؛

✽ قال رسول الله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِإِخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

[صحيح البخاري ١٣ ومسلم ٤٥]

- فنجد المسلم يواسي إخوانه بماله، ويلين القول لهم، ويناصرهم، ويحزن لما
يحزنهم، خصوصاً أصحاب الحقوق منهم كذوي الأرحام والجيران، فيكون حبه لهم
في الله دليلاً على حبه لله تعالى .

٦- أن يكثر ذكر الله تعالى على كل حال؛

فمن أحب شيئاً، أكثر من ذكره ولا بد، ومن تعلق قلبه بشيء، لا يبتعد ذلك الشيء
عن خاطره أبداً، فتجد المؤمن يذم ذكر الله تعالى وتلاوة كلامه القرآن، ويشنى على
ربه تعالى في كل مجلس، ويذكر إحسانه إلى خلقه، ويذكر آلاءه وعظمته.

٧- أن يتلذذ بمناجاة الله تعالى؛

✽ التلذذ بالخلوة بالمحبوب الأعلى وقت تنزله سبحانه إلى الدنيا في الثلث الأخير من الليل، والتنعم بمناجاته في قيام الليل هو من آثار محبته تعالى، بل هو من أدلة صدق محبة العبد لربه سبحانه.

✽ حتى إذا فاته قيام ليلة بين الفرض والنفل كان حزنه على فواتها أشد من حزنه على فقد بعض ولده، فأما **الفرض**، فهو **تعلم التوحيد والفقه**، وأما **النفل**، فهو طول القيام في الصلاة وترتيل القرآن.

٨- أن يفرح بالطاعة؛ لأن الله تعالى يحبها؛

✽ الاستبشار والفرح بالحسنات من آثار محبة الله؛ لأنها مما يحبه الله تعالى .

- فرحة الله أحق أن يفرحوا بها، وهي خيرٌ من كنوز الدنيا.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]

✽ قال رسول الله ﷺ: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرَحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرَحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ».

[صحيح البخاري ١٩٠٤ ومسلم ١١٥١]

✽ فللصائم فرحتان، فالتى عند فطره هي فرحته بتوفيق الله له أن أعانه حتى أتم صومه

إلى غروب الشمس، فليست فرحته بالطعام، وإنما فرحته بإتمام العمل الصالح.

-والفرحة الكبرى عند لقاء ربه، فيجازيه بثواب صومه.

-فالفرحة بفضل الله وتوفيقه لعبده لإتمام الصالحات هي الفرحة الحقيقية؛ لأنه

يترتب عليها ثواب ونعيم الجنة، ونعيم الجنة لا يفنى ولا ينقطع.

- وإنما الفرحة بتحصيل الشهوات من المال، والنساء، والمناصب في الدنيا - وإن

كانت من الحلال - فإنها فرحة تفنى وتزول بزوال سببها، وسببها لا بد أن يزول

ويضمحل؛ لأنه مخلوق.

- والنعيم الباقي في الجنة خيرٌ من الفاني في الدنيا.

✽ قال رسول الله ﷺ: «لَهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ

عَلَى رَأْسِهِ بِأَرْضٍ، فَلَاةٌ فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيَسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَأْسِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ

بِخَطَائِمِهَا، ثُمَّ قَالَ: مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ». [صحيح مسلم ٢٧٤٧]

- فانظر إلى فرحة هذا العبد بنجاة نفسه، فإن فرحة الله بتوبة عبده الأبق ورجوعه إليه أشد من فرحة هذا العبد بعودة راحلته عليها طعامه وشرابه في هذه الصحراء.

❁ وهكذا يجب أن تكون فرحة المؤمن بعمله الصالح.

- فرحة توفيق الله له بينما خذل غيره.

- فرحة عطاء الله له بينما منع غيره.

٩. ويحزن عند السيئة؛ لأن الله تعالى يكرهها؛

الحزن ينتج عن ضيق الصدر بالمعصية، فالمؤمن يرى أن معصيته كالجلب، تكاد أن تقع عليه فتهلكه.

❁ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ: بِهِ هَكَذَا»، قَالَ أَبُو شَهَابٍ أَحَدُ رَوَاهُ الْحَدِيثَ: يَبِيدُهُ فَوْقَ أَنْفِهِ» [صحيح البخاري ٦٣٠٨]

١٠. أن يشتاق إلى لقاء الله تعالى؛

الشوق إلى لقاء الله لا ينافي كراهية الموت؛ لأن لقاء الله لا يكون إلا بعد الموت.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ». [صحيح البخاري ٦٥٠٧ وصحيح البخاري ٢٦٨٣]

- وقد كان الصالحون يكرهون الموت؛ لأنه ما من أحدٍ قد استكمل الاستعداد له مهما كان صلاحه.

- أما الكافر والمنافق والفاسق فإنه يكره الموت، لما سيقدم عليه من العذاب.

❁ ولذلك يسمى يوم القيامة بيوم التغابن؛ لأنه يغبن فيه المؤمن والكافر.

- فأما المؤمن، فإنه إذا هم بدخول الجنة، فإنه يندم أنه لم يجعل عمره كله طاعة.
- وأما الكافر، فإنه إذا دخل النار، فإنه يندم أنه لم يطع الله تعالى .
- ❁ وعلامة صدق المؤمن في أن كراهيته للموت من أجل الاستعداد للقاء الله أنك تجده يجتهد في الأعمال الصالحة، حتى تستغرق كل وقته بلا كسل أو ملل.
- فكراهية الموت هنا لا تنافي كمال محبة الله تعالى .

١١- أن يضحي في سبيل الله تعالى بكل ما يستطيع؛

❁ التضحية هي سماحة النفس ببذل المال، وسماحة النفس ببذل الروح في سبيل الله.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]

- ❁ فهو يضحي بماله، يبتغي ملكاً لا يزول.
- ❁ وهو يضحي بوقته، يبتغي عمراً يطول.
- ❁ وهو يضحي بلذة مخالطته لأولاده وأهله، يبتغي مرافقة الرسول ﷺ.
- ❁ وهو يضحي بتمتع بهزوجته، يبتغي التنعم بالحدود.
- ❁ وهو يضحي براحته ومسكنه، يبتغي سكنى القصور.
- ❁ وهو يضحي بتعاهده لتجارته وما يظنه أمان ذريته، يبتغي الأمن يوم النشور.
- ❁ وهو يضحي بجاهه حين ينهى عن المنكر، يبتغي النظر لرب غفور.
- ❁ بل هو يضحي بنفسه وروحه، يبتغي أن يسرح في الجنة في حواصل الطيور.
- ❁ فلكي يهبك الله حبك له، وينعم عليك بلذة حبه في قلبك، لا بد أن تكون صادقاً في استعدادك لبذل نفسك في سبيله.
- ❁ وكلما تضحي من أجله أكثر، فتبذل من راحتك ومالك، ولا تأبه بمشقة الطاعة، فإنك تجد لذة حبه في الدنيا، وتفوز بحقيقة قربه في الجنة، وتتعمم بالنظر إلى وجهه، وسماع كلامه يوم المزيد.

❁ ومن لا يريد أن يضحي في سبيل دينه ويقدم لإسلامه، فلن يجد لذة حبه لربه تعالى .
❁ فالذي أقعد كعب بن مالك رضي الله عنه عن مرافقة الرسول صلّى الله عليه وآله في غزوة تبوك هو أنه لم يستطع أن يفارق الظلال والثمار، ولم يستطع البعد عن الزوجة الحسنة ولا الثمار النضيجة، حتى تاب الله عليه وأنزل بذلك قرآنًا.

❁ فإن الناس ييخلون لأجل تعلقهم بالأهل، والزوجات، والأبناء، والأموال، والمساكن، والتجارات، وكل هذا من زهرة الدنيا، التي تدفع صاحبها للبخل وعدم التضحية في سبيل الله وإعلاء كلمته.

❁ بل يداهنون أهل الباطل، ولا يخالفونهم، حتى لا يُحرّموا من تلك الأشياء.
❁ وهذه الرغبات في نهايتها إما رغبات أرضية، أو رغبات شيطانية.
• فالرغبات الأرضية هي رغبات حيوانية مثل : شهوة البطن، والفرج، وهي تؤخر السير إلى الله وإن كانت من الحلال.

• والرغبات الشيطانية مثل شهوة الرياسة والاستكبار في الأرض والفساد بين العباد، وهي تقطع السبيل تمامًا إلى الله تعالى .

❁ فلكي تصل إلى محبة الله لا بد أن تدفع ثمنًا غاليًا من نفسك، ومالك، وراحتك.
❁ فالصحابه رضي الله عنهم ومن قبلهم الأنبياء عليهم السلام بذلوا كل شيء في سبيل الله؛ لكي ينالوا قربه تعالى .

❁ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأصحابه: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ». قَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ : «يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ؟» قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ : بَخٍ بَخٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله : «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ : بَخٍ بَخٍ ؟» قَالَ : «لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا ، قَالَ : «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» ، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ، ثُمَّ قَالَ : «أَنْزِلْ أُنَا حَيِّتُ حَتَّى أَكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا حَيَاةٌ طَوِيلَةٌ ، قَالَ : فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ» . [صحيح مسلم ١٩٠١]

(بخ: بَخ: كلمه تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير) (قرنه: وعاء من جلود يجعل للسهم.)

١٢ - أن يزهد في الدنيا:

من آثار محبة الله أن يزهد العبد في الدنيا الفانية، ويرغب في الآخرة الباقية.

- لأن الدنيا لا تساوى جناح بعوض، فإذا زهد فيها، لم يزهد في كبير شأن.

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءً». [صحيح: رواه الترمذي ٢٣٢٠ وابن ماجه ٤١١٠ وصححه لغيره الألباني في الصحيحة ٦٨٦]

❁ فالمؤمن يزهد في الدنيا ؛ لأن الله حقرها، ويشد في طلب الآخرة؛ لأن الله تعالى عَظَّمَهَا.

١٣- أن يزداد خشية لله كلما ازداد حباً له تعالى؛

وخوف الله لا ينافي حبه، وإنما يتممه، فالمؤمن يخاف من عاقبة ذنوبه، ويخاف ألا تُقبل حسناته، ويخاف من عظمة ربه تعالى، ويخاف من السؤال يوم وقوفه بين يديه.

- فخوف الله تعالى وحبه متلازمان، وهما من أسباب قبول الله تعالى لعبادة العبد .

❁ **وإنه لا يُحِبُّ من كل وجهٍ ويخشى من كل وجهٍ إلا الله تعالى .**

١٤- ألا يأمن من مكر الله به؛

قال الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩]

فيظل المؤمن على وجل حتى يدخل برجليه إلى الجنة.

❁ قال الحسن البصري رحمه الله: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن. [تفسير ابن كثير ٣ / ٤٥١]

❁ قال إسماعيل بن رافع: « من الأمن لمكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة » [تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٥ / ١٥٢٩]

١٥- أن يرضى بقضاء الله وقدره مهما كان؛

بل يشعر بنعمة الله في بلائه، فيحمده عليها.

❁ قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لَأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ إِنَّ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». [صحيح مسلم ٢٩٩٩]

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١]

يعنى: من يؤمن بقضاء الله وقدره، يُنزل الله عليه الهداية والإيمان والسكينة

والرضا، فيتملىء بها قلبه، فيكون أسعد الناس وأرضاهم عن قضاء الله وأفرحهم به.
❦ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «هو الذي إذا أصابته مصيبة رضي وعرف أنها

من الله». [صحيح: رواه البخاري في صحيحه معلقاً فتح الباري ٦٥٢/٨]

- بل إن خيَّره الله تعالى لاختار قضاءه وما فيه من البلاء، ولم يختَر ما يجب من العافية؛ لأن البلاء كان اختيار الله له، واختيار الله أحب إليه من اختياره لنفسه، واختيار الله له لم يكن إلا عن علم تام، وحكمة بالغة، ورحمة واسعة، والله تعالى لم يخلق شيئاً سدى ولا لهوًّا ولا لعباً، بل خلق كل شيء **لعاقبة حسنة**، سبحانه.
- فالعبد لا يجب البلاء إلا لأنه من قدر الله الذي قدره عليه، لما يرى فيه من حسن العاقبة في الدنيا وحسن الجزاء في الآخرة، ويرى البلاء خيراً من العافية التي تميل إليها نفسه.

- فهو لا يجب البلاء لذاته، وإنما يجب قدر الله كله الذي منه البلاء.
- والعبد مأمور أن يسأل الله العافية، فإذا نزل به البلاء، رضي به، ولم يتسخط، ونظر في حسن عاقبته فرضي بها، ورضي عما قدره الله من البلاء.

ثامناً: أعلى درجات العبادة دوامها

العبادات القلبية لا تنقطع عن قلب المؤمن، وليست لها أوقات لأدائها كعبادات الجوارح، فليست كالصلاة تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم، وليست كالصيام يبدأ من الفجر وينتهي عند الغروب، وليست كالحج في أيام معدودات. بل إن عبادات القلوب يجب أن تستغرق كل عمر الإنسان، أثناء العبادات الظاهرة، وبعد الفراغ منها، وبعدها، وقبلها، وقبل النوم، وعند الاستيقاظ، وأثناء الأكل، وحتى أثناء الجنابة، وأثناء السير إلى المسجد وإلى العمل. - ما الذي يمنع القلب عن حب الله في كل وقت وحين؟

لا تكتفي بالحال دون المقام:

❁ لا يكفي بأن يكون حالك محبة الله، فإن الحال يتحول أحياناً. - ولكن ليكن مقامك الذي لا ينفك عنك هو حب الله. - فإن أقامك على حبه، أذاقك برد عفوه، وأنعم عليك برؤية وجهه، ورَضَى قلبك بقضائه، ويسر لك طاعته، وصرف عنك معصيته، وسَخَى نفسك بالبذل له، وضاعف أجرك في العمل من أجله، ورزقك الشوق إلى لقائه. - فإن أقامك على حبه، أثابك على ما ألهمك من طاعته، فيعطيك حسنات على كل لحظة تحبه فيها، فيا لها من عطايا وهبات، فكم في الساعة من لحظاتٍ؟! وكم في اليوم من ساعاتٍ؟! - فإن أقامك على حبه في صلاتك، وصيامك، وزكاتك، وحجك، وأكلك، ومشيك، وعملك، وتجارتك، أدام لك عطاءً من الثواب لا ينقطع. - وعلى عدد لحظات حبك لله تعالى يكون عطاء حسناته لك، سبحانه، فإن لم ينقطع حبه من قبلك، لم ينقطع فضل عطائه لك، فله الحمد على ذلك، والله الحمد على كل حال. ❁ قال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزقنا حبك، وحبَّ من يُحبُّك وحبَّ كلِّ عملٍ يُقَرَّبنا إلى حبِّك». [حسن لغیره: رواه الترمذي ٣٢٣٥، وأحمد ٣٦ / ٤٢٢ / ٢٢١٠٩ وقال الترمذي: حسن صحيح]

تاسعاً: جزاء حب العبد لله تعالى

- ✽ أعظم جزاء حب العبد لربه هو حب الرب لعبده وشعوره بحلاوة الإيمان في قلبه، ودخول الجنة في آخر أمره.
- ١- حب الله للعبد..... الغاية أن يحبك الله.
- ٢- الشعور بحلاوة الإيمان.
- ٣- دخول الجنة.

ولن يحب العبد ربه إلا إذا أحب الرب عبده، فإذا أحبه، وفقه لحبه.

قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]

أولاً: الغاية أن يحبك الله

✽ كثيرٌ من الخلق يدّعي حب الله تعالى ، وهذا لا يكفي لدخول الجنة، بل المهم أن يُحبك الله، ومن أحبه الله، لا يعذبه أبداً ويغفر له كل ذنبه.

الدليل على أن الحبيب لا يعذب حبيبه هو قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ ۖ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾ [المائدة: ١٨]

✽ قال ابن القيم : « سئل بعض العلماء أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه » قال : في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ ۖ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾ [المائدة: ١٨] [روضة المحيين ٤١٦] والعالم هو أبو بكر الشبلي.

✽ مرَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَصَبِيٌّ فِي الطَّرِيقِ، فَلَمَّا رَأَتْ أُمُّهُ الْقَوْمَ، خَشِيتْ عَلَى وَلَدِهَا أَنْ يُوطَأَ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَتَقُولُ : ابْنِي ابْنِي، وَسَعَتْ فَأَخَذَتْهُ، فَقَالَ الْقَوْمُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُلْقِي ابْنَهَا فِي النَّارِ، قَالَ : فَخَفَّضَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ : «وَلَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُلْقِي حَبِيبَهُ فِي النَّارِ». وفي رواية : «لا، ولا يُلْقِي الله حبيبه في النار».

[صحيح : رواه أحمد ١٩ / ٧٥ / ١٢٠١٨ و ٢١ / ١٢٨ / ١٣٤٦٧ وأبو يعلى ٣٧٤٧، ٣٧٤٨، ٣٧٤٩

وصححه الألباني في الصحيحة ٢٤٠٧] فخففهم يعني : سكنهم وهون الأمر عليهم]

فضل محبة الله للعبد يتضمن :

- ١ - رضا الله ووجهه أعظم من نعيم الجنة.
- ٢ - ما يوصل إلى محبة الله للعبد؟
- ٣ - مَنْ الذين يحبهم الله تعالى ؟
- ٤ - علامة حب الله للعبد.
- ٥ - من يحبهم الله أحبهم صالح خلقه
- ٦ - صفات من يحبهم الله تعالى .

١. رضا الله ووجهه أعظم من نعيم الجنة:

ألم يجعل الله تعالى رضوانه أعظم من كل نعيم الجنة؟! ألم يخبرنا النبي ﷺ أنه بعدما انقطعت آمنيات المؤمنين في الجنة، وبعدها أعطاهم ربهم تعالى كل ما تمنوا، أخبرهم أنه سيعطيهم شيئاً هو خير من كل ذلك ألا وهو رضوانه جل وعلا ؟ فلا يسخط عليهم بعد ذلك أبداً، وهذا الحب والرضوان من الله تعالى هو أعظم عطاياه في الدنيا والآخرة.

❁ قال النبي ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ:

فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ» [صحيح مسلم ١٨١]

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أُحِلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ

أَبَدًا» [صحيح البخاري ٦٥٤٩ و٧٥١٨ ومسلم ٢٨٢٩]

٢. ما يوصل إلى محبة الله تعالى للعبد.

❁ لا يصل العبد إلى أعظم أمنيته في الدنيا، وأعظم عطية في الآخرة ألا وهي حب الله له إلا بشيئين: الولاية والاتباع.

أولاً: الولاية:

الولاية هي القرب من الله تعالى ، ومحبته، ونصرته، والرضا عنه رباً والهاً، والثناء عليه تعالى وعلى دينه الذي ارتضاه لنفسه.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]

❁ والولاية: أولها الإيمان... وغايتها التقوى... وسبيلها الطاعات...

❁ ولا تصل إلى ذلك إلا بمتابعة الفرائض بالنوافل، فالفرائض أحب شيء لله، تليها النوافل، ولا يقبل الله النافلة حتى تؤدى الفريضة، ولا يزال العبد يتابع الفرائض بالنوافل، حتى يصل إلى حبة الله تعالى له.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ فَإِذَا أَحَبَّهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَكِنْ اسْتَغَاذَنِي لِأَعِذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.» [صحيح البخاري ٦٥٠٢]

❁ فإذا أحبه الله، تولاّه، وأسقط من قلبه كل الأنداد، وأسقط عن جوارحه كل الشهوات، فيصبح العبد لا يسمع ولا يبصر ولا يمشي إلا إلى ما يرضي الله، ففتح له الولاية لله تعالى .

❁ والله تعالى يحب أوليائه، ويؤذن بالحرب من يعاديهم، فهنيئاً لك حب الله يا ولي الله.

❁ قال الله تعالى في الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ.»

[صحيح البخاري ٦٥٠٢]

ومن الأعمال الصالحة التي يحبها الله تعالى: قراءة سورة الإخلاص في كل صلاة.

❁ بعث النبي ﷺ رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: سَلُوهُ لَأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ. [صحيح البخاري ٧٣٧٥ ومسلم ٨١٣]

ثانيًا: الاتباع؛

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران : ٣١]
يستخرج من الآية :

- ١- من ادعى حب الله، ولم يتبع رسوله ﷺ، فهو كاذب في ادعائه حب الله تعالى .
❁ فشرط صحة محبة الله تعالى هو اتباع رسول الله ﷺ، وهذا جواب الشرط الأول.
❁ وجزاء صدق اتباع رسول الله ﷺ هو محبة الله للعبد، وهذا جواب الشرط الثاني.

٢- وحب الله تعالى واتباع رسوله ﷺ هو تحقيق الشهادتين.
- فحب الله هو تحقيق شهادة «أن لا إله إلا الله» .

- واتباع رسوله ﷺ تحقيق شهادة «أن محمدًا رسول الله» .

- ٣- ولا يصح حب الله وعبادته إلا بالطريقة التي أمر الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وكل طريقة سواها فهي بدعة باطلة مردودة على من اخترعها.

حب رسول الله ﷺ من اتباعه؛

- ١- يجب على المؤمنين أن يحبوا رسول الله ﷺ في الله، ولأجل الله تعالى .
 - ٢- ومن كره رسول الله ﷺ خرج من الملة- عيادًا بالله - واستوجب الخلود في النار.
 - ٣- يجب على المؤمن أن يحب رسول الله ﷺ أكثر من حبه لنفسه، وأكثر من حبه لكل متاع الدنيا، والأهل، والمال، والذرية، وأكثر من حبه لكل المخلوقين.
- ❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». [صحيح البخاري ١٥ ومسلم ٤٤]

ولا يؤمن العبد حتى يكون رسول الله ﷺ أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه :
فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «يا رسول الله لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي»،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، قَالَ
عُمَرُ: «فَأَنْتَ الْآنَ، وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الآنَ يَا
عُمَرُ». [صحيح البخاري ٦٦٣٢]

- ٤- وحب رسول الله ﷺ شرط في صحة حب الله تعالى ، فلا يصح حب الله بدون حب رسوله ﷺ؛ لأننا لم نعرف كيف نحب الله إلا بما أخبرنا به رسول الله ﷺ.

ما الفرق بين حب الله ﷻ وحب رسوله ﷺ ؟

- ١- حب الله ﷻ هو حب العبادة، وهو حب مع تذلل، ولا يكون هذا النوع من الحب إلا للخالق المعبود، سبحانه.
- ٢- أما حب رسولنا ﷺ، فهو حب في الله؛ لأن الله تعالى هو الذي أمرنا بحبه ﷺ.
- ولأننا ما عرفنا طريق الجنة ولا سبيل النجاة من النار إلا عن طريقه ﷺ، فهو الذي بلغنا ذلك عن ربنا ﷻ.
- ولأن رسولنا ﷺ هو أطهر البشر، وأكرمهم على الله تعالى، وأعبدتهم الله تعالى، وأكملهم له حباً.
- فنحن نحب رسولنا ﷺ لكمال ذاته ولإحسانه إلينا، ولكمال حبه لله، ولحب الله تعالى له، ولأمر الله تعالى بحبه.
- فحبنا لرسول الله ﷺ بهذا المعنى من أنواع الطاعة لله تعالى .
- ٣- وحبنا لنبينا ﷺ ليس فيه تذلل كحب العبادة لربنا جل وعلا.
- ٤- وحبنا لرسولنا ﷺ مقترن بتعظيمه، وتوقيره، وتعزيزه ﷺ.
- قال الله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]
- ٥- والله أعلى ذكر نبينا ﷺ وقرن اسمه ﷺ باسمه ﷻ في الأذان وغيره، وجعل شرط الدخول في الدين الإقرار له بالرسالة وشهادة: «أن محمداً رسول الله».

٣. من الذين يحبهم الله تعالى ؟

- الله يحب ثمانية أصناف، وهم عدد أبواب الجنة.
- ١- فالله تعالى يحب المتطهرين؛
 - قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]
 - ٢- والله تعالى يحب المجاهدين؛
 - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ [الصف: ٤]
 - ٣- والله تعالى يحب المحسنين؛
 - قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤ / آل عمران: ١٤٨ / المائدة: ٩٣]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥ / المائدة: ١٣]

٤- والله تعالى يحب الصابرين؛

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]

٥- والله تعالى يحب المتوكلين؛

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

٦- والله تعالى يحب التوابين؛

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

٧- والله تعالى يحب المقسطين؛

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٨ / الممتحنة: ٨ / الحجرات: ٩]

٨- والله تعالى يحب المتقين؛

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤ / التوبة: ٧]

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]

٤. علامة حب الله للعبد؛

❀ الله تعالى يُجَنِّبُ عبده الدنيا؛ حتى لا يشغل بها عن ذكره.

❀ ثم يرزقه التفقه في الدين.

❀ ويسر له الطاعة كلما همَّ بها، ويعسر عليه المعصية، فلا يُمكنه منها، فيشغله عنها.

❀ ثم يرزقه التوبة من نية المعصية.

❀ ثم يرزقه حسن الخاتمة.

❀ فإذا رأى الله يعطي عبده الدنيا رغم معاصيه، فاعلم أنه استدراج؛ حتى

يأخذه أخذ **عزيز مقتدر**، فإذا أخذه، لم يفله، نعوذ بالله من الخذلان.

والله تعالى أعطى الدنيا وعمل الآخرة لبعض خواص عباده الذين علم من قلوبهم

قوة على اتباع أمره، فجعلوا ما أعطاهم الله من الدنيا سلماً لئيل درجات الآخرة.

❀ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَتَّقِي

فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَةُ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بَنِيَّتُهُ

فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَحْبُطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فَلَانٍ فَهُوَ بِنَيْتِهِ فَوَزَّرَهُمَا

سَوَاءً». [صحيح رواه الترمذي ٢٣٢٥، وابن ماجه ٤٢٢٨، وأحمد ١٨٠٣١ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١١٠، ٥٢٠]

٥. من أحبهم الله يحبهم صالحي خلقه:

١- حب الله للعبد سبب لحب الملائكة له:

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَخْبِيَهُ فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَخْبِيَهُ فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ». [صحيح البخاري ٣٢٠٩ ومسلم ٢٦٣٧]

٢- حب الله للعبد سبب لحب الصالحين له:

❁ قال رسول الله ﷺ: «وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ». [صحيح البخاري ٣٢٠٩ ومسلم ٢٦٣٧]

٦. صفات من يحبهم الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [آل عمران: ٥٤]

❁ قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ قبل أن يقول: ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾؛ لأن هذا أعظم ما يتشرفون به وأعظم صفة يوصفون بها، وأعلى منزلة يصلون إليها، وهي حب الله لهم، فإن هذا هو هدفهم ولأجله كان سعيهم.

❁ وهم لم يصلوا إلى حبه تعالى لهم إلا بعد أن أحبوه، وأطاعوه، وعبدوه.

❁ وحب الله للعبد هو عنوان السعادة وهدف العبادة ودليل كمالها وأعلى منازلها، وهو أولها وآخرها.

❁❁ صفات من يحبهم الله:

١- يحبون ربهم ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾

٢- ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

٣- ﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

٤ - ﴿يَجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

٥ - ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾

١ - يَحِبُّونَ رَبَّهُمْ ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾

﴿فهم يحبون ربهم بكل قلوبهم، وهكذا الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، فيمتلئ القلب بحب الله تعالى ورسوله ﷺ، ولا يبقى فيه مكان لشيء بعد، أي شيء، حتى نفسه لا يجد في قلبه متسعاً لحبها بعد حب الله، إلا ما كان حبه تابعاً لحب الله ورسوله ﷺ.﴾

﴿فحب الله يضيء في القلب، وحب الدنيا ظلمات فوق بعض.﴾

﴿فإذا صدق حب العبد لربه، امتلأ قلبه من نوره، فبدد نوره كل ظلمات قلبه، وأضاء كل حنايا صدره.﴾

﴿حتى إذا استشعر العبد حلاوة الإيمان، طلب مزيداً من القرب، فعلم أنه لا يبلغ ذلك إلا ببذل ماله ونفسه لربه جهاداً في سبيله، فهان عليه عرض فان، وهان عليه جسد بال، واختار جوار ملكٍ باقٍ.﴾

٢ - ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

قال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

﴿وأمر حبهم لله تعالى أن صاروا يحبون من يحبهم الله من إخوانهم المؤمنين، فصار أحدهم يشفق على إخوانه، ويعطف عليهم، ويرحمهم، ويرفق بهم؛ لأن حبهم لإخوانهم من علامات حبهم لربهم.﴾

﴿فتجد أحدهم يعامل إخوانه كالولد لو والده، وكالعبد لسيده.﴾

﴿كأن أمواله اقترضها منهم؛ فإن سألوه إياها، سارع بردها إليهم، لا يرى لنفسه منة في أداء حقهم عليه.﴾

﴿وكأن نفسه عارية أعارها له خالقها، فإن طلبها منه نصرة لدينه وإخوانه، ودليلاً على محبته وإيانه، سارع بدفعها إلى خالقها، لا يرى لنفسه فضلاً، بل الفضل لله إن قبلها.﴾

﴿بل يرى نفسه مقصراً، ويندم ويشتد أسفه على طول ما أمسك نفسه وضمناً بها قبل أن يبذلها لخالقها.﴾

﴿ثم إذا نظر إلى نفسه، وجد بها عوامل العيب والنقص، وأنها أقل من أن تبذل في الله

العظيم، وهل تصلح نفسُ كنفسه أن تُبدل في الله؟
- فيافرحة القلب إن قبلها على عبيها، ويا لفوز العبد إن قبلها على نقصها.

٣ - ﴿أَعَزَّ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]
❀ وأثمّر حبهم لربهم تعالى أن صاروا يبغضون من يبغضهم الله من الكافرين، فأصبحوا أعزّة عليهم، وأصبحوا لا يعاملونهم إلا بالغلظة، والقوة، والشدة، والبغضاء، والكراهية.

❀ وكان الواحد منهم مع أعداء الله كالأسد على فريسته، فإن حاربهم شَرَّدَ بهم مَنْ خلفهم وأرعب من لم يَلْقَهُمْ، وعلا عليهم بإيمانه، فما قام له شيءٌ إلا أنامه، وما عارضه باغٍ إلا أزال أركانه ودمر بنيانه.

❀ وكان تكبيرهم يوم الصبيحة أشد على عدوهم من أعتى السلاح.
❀ فما من سلاح إلا وعند الكافر أكبر منه، إلا الإيَّانُ بالله؛ فلا يوجد سلاح أكبر منه.
- والله هو ناصرٌ من تولاه، ومُعزٌّ من رجاه، ومجيب من دعاه.
❀ **قد تعرفوا إلى الله في الرخاء بالعبادة، فتعرف الله إليهم في الشدة بالفرج.**

٤ - ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ [الصف: ٤]
❀ فإن طالبه محبوبه تعالى أن يضع دليلاً على حبه، وأن يضحى من أجله بكل ما يملك من زهرة هذه الدنيا، سارع إلى ذلك، وبذل ماله لله تقرباً وحباً.
- فإن طلب الله منه نفسه - التي هي أحب شيء لديه - جهاداً في سبيله، سارع ببذلها طواعيةً.

❀ فإن كان يحب نفسه إلا أنه ضحّى بها **لحب هو أعظم من حبها؛ ألا وهو حبه لخالقها.**
- فما يحصل لديه من لذة حبه لربه ونعيم قربه أعظم عنده من لذة الاستمتاع بحياته.
- وهذا الذي صدق في دعوى المحبة لله ولرسوله ﷺ.

❀ ثم دفعهم حبهم لربهم تعالى إلى دعوة أهل الأرض جميعاً إلى حبه والدخول في دينه، فجاهدوا في سبيل الله بالقرآن والسنان، وبكل ما يستطيعون من أنواع

الجهاد، ليزيلوا راية الكفر، وُبَغِضَ الله من على وجه الأرض.

لأنهم لن يستطيعوا أن يزيلوا الكفر من القلوب؛ فهي بيد الله يقلبها كيف يشاء، والله لم يشرع لهم أن يُكْرِهوا الناس على الدخول في دينه، ولكنه شرع لهم أن يحطموا راية الكفر من فوق أرضه، ويرفعوا مكانها راية التوحيد، والناس بعد ذلك بالخيار: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]

❁ فأعظم ما يصد الناس عن دين الله هو الجهل به، ولو عرفوه، لاتبعوه.

- وشياطين الجن والإنس لا تملّ تكذب عليهم ليل نهار، ليشوهوا دين

الله في كتاباتهم وإذاعاتهم ومرئياتهم، فوجب إزالة علوهم وتمكّنهم، ووجب إعلاء كلمة الله والتمكين لشرعه، وسوف يتبعه الناس مختارين.

❁ فأكمل الخلق من عبد الله في نفسه وسعى لكي يعبد خلقه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]

- وأكمل الخلق: الرسل ﷺ، وأكملهم على الإطلاق محمد ﷺ، الذي أتم عبادة ربه، وسعى أكمل السعي لكي يعبد خلقه.

❁ قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ». [صحيح رواه أحمد ٩ / ١٢٦، ٤٧٨ / ٥١١٥، ٥٦٦٧، والبيهقي في شعب الإتيان ١١٥٤، وابن أبي شيبة ١٩٤٠١،

وصححه الألباني في إرواء الغليل ١٢٦٩]

❁ فمن تشبه برسول الله ﷺ نصر دينه بنفسه وماله ولسانه، وبكل ممكن ومستطاع، وبكل ما وصلت إلى يده، وطاقته، وعلمه، وسمعه، وبصره، لم يدخر من ذلك شيئاً،

فكأنما هو وإخوانه يقودون الناس إلى الجنة بالسلاسل.

❁ قال رسول الله ﷺ: «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ». [صحيح البخاري ٣٠١٠]

قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

❁ قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أَنْتُمْ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ، تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي

أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ». [صحيح البخاري ٤٥٥٧]

❁ فنجد أحدهم يسارع ببيع نفسه إلى الله، ويسلم نفسه له تعالى؛ ليضعها حيث

أراد، فيحقق بذلك أعلى درجات العبودية لله.

❁ ثم هو يعقد بيعته الرضوان: يبيع نفسه لله، ويشترى بذلك الجنة، فمرحباً

بعقد كان الله فيه المشتري، والتمن الجنة، والدفع فوراً؛ لأنه إذا مات، دخل الجنة من فوره، ولا ينتظر إلى يوم الحساب.

- ومرحباً بعقد شهوده أمين السماء وأمين الأرض جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ.

- ومرحباً بعقد وثقه الله في أحكم كتبه القرآن العظيم.

- وزاد من شرفه بأن تكلم سبحانه بنصه، فإن القرآن كلام الله.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَقْنُتُونَ وَيَقْنُتُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]

✽ فانظر إلى قيمة السلعة، فإن السلعة إذا اشتراها الفقراء، فهي سلعة رخيصة، وإذا اشتراها الأغنياء، فهي سلعة غالية، وأما السلعة التي لا يشتريها إلا الملوك، فهي سلعة غالية جداً، فكيف بسلعة يشتريها رب العالمين؟!

✽ والتمن كذلك عظيم جداً، فهو الحور، والقصور في جنات ونهر، ومقعد صدق عند ملك مقتدر، يأخذ أذناهم وليس فيهم دني أكثر من عشرة أضعاف الدنيا، فما قيمة أعظم ملوك الدنيا أمامه؟

✽ قال الله تعالى في الحديث القدسي لأخر أهل الجنة دخولاً الجنة: «أذهب، فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا». [صحيح البخاري ٦٥٧١ ومسلم ١٨٦]

- أما أصحاب السبق والكرامة فإن الله يعطيهم نعيماً لم يخطر على قلوبهم ولم تستطع أن تتخيله عقولهم، فكل ما تمنوه ليس بشيء أمام ما سيعطونه.

✽ قال رسول الله ﷺ: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». ثم قرأ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] [صحيح البخاري ٤٧٨٠، ٤٧٧٩، ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤]

✽ فبعد أن عرفت قيمة نفسك وعظم شأنها، فهل ترضى أن تباعها لغير الله ببيعته خاسرة، ويكون ثمنها شيئاً من الدنيا الفانية؟!

✽ هل ترضى أن تترك الصفقة الرابعة والجنة العالية، وتنفق عمرك لنيل شهوة فانية؟! فإن كانت الدنيا كلها لا تساوي عند الله جناح بعوضة بأموالها ونسائها ومناصبها،

وأنت لا يمكن أن تطمع في تحصيل الدنيا كلها، بل تريد جزءاً منها، فما هو هذا الجزء الذي تريد تحصيله من جناح البعوضة وتريد أن تدفع ثمناً له عمرك ووقتك الذي هو في الحقيقة حياتك ؟ !

✽ من نظر إلى السلعة -وهى نفسه-، وجد أن مشتريها كان يملكها قبل أن يشتريها، وهو الذي وهبها لعبده، ولكن من جوده سبحانه أخبر المؤمنين بأن من بذلها له طواعيةً، ردها عليه ثانيةً، وزاده على ذلك: الجنة.

✽ فالمنة لله أولاً حين منحها .

✽ والمنة لله ثانياً حين قبلها .

✽ والمنة لله ثالثاً حين ردها .

✽ والمنة لله رابعاً حين يدخلك الجنة .

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّهَا نَفَسُ الْمُطْمَئِنَّةِ﴾ (٢٧) ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾

(٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]

فإن الله لما تقبل منهم أنفسهم وأموالهم، ردها عليهم أوفر ما كانت، فأعطاهم بدل حياتهم حياةً عاليةً، فإما عزة النصر والتمكين في الدنيا، وإما حياة الشهداء في الجنة. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

وأعطاهم بدل أموالهم غنائم المنتصرين، أو عظيم المالك في جنات النعيم.

قال الله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٧٠]

نسأل الله أن يلحقنا بهم، ونسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقنا الشهادة في سبيله، مقبلين غير مدبرين، في يوم نصر المسلمين، فنفرح بالنصر لإخواننا، ونفرح بالجنة لأنفسنا، ولا نتعجل من أجرنا شيئاً.

٥ - ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾

✽ من صدق في حبه لله، تجده لا يلتفت إلى من يلومه في حبه وبذله لربه، ولا يشينها يجد من الشفقة على زوجه وولده، ولا يجذبه حضيض الدنيا عن تمام البذل لربه، حتى يرث الجنة.

- فكأن جسده يجاهد في هذه الدنيا، بينما روحه قد تعلقت بالرفيق الأعلى.

❁ فلا تأخذه في الله لومة لائم.

- ولا تمنعه رهبة الناس أن يصدق بالحق، فإنه لا يُقرب من أجل، ولا يمنع من رزق.
❁ فإذا بلغ عن الله، تجده لا يخفى شيئاً من الحق، وتلك علامة صحة المحبة ودليل إخلاصها.

❁ فتجده قد هانت عليه نفسه في الله، فلم يُقم لها وزناً.

- دائم الذكر لربه، والقيام بحقه وفرضه، قد استلذ بالطاعة وتحمل المشقة.
- فإن تكلم فبالله، وإن نطق، فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله.
- دائم المراقبة لربه، كأن الجنة عن يمينه، والنار عن يساره، والصراط أمامه.
- لا همَّ له إلا رضاه ومولاه، فتجده لا يصنع إلا ما ينجيه، ولا يخالف إلا ما يريده.
❁ فاللهم إنا نسألك بوجهك الكريم أن تدخلنا الجنة مع أولئك النفر الصالحين والركب الفائزين آمين آمين.

ثانيًا: الشعور بحلاوة الإيمان

❁ من ثمرات حب العبد لله تعالى، الشعور بحلاوة الإيمان

١- حلاوة الإيمان هي التلذذ بفعل الطاعة وتحمل المشاق في سبيل الله، وهي السرور والبهجة والفرحة التي يجدها العبد في قلبه بعد فعل الطاعة.

❁ وهي الإجلال والهيبة والإقبال على الله، والشعور بمعيته سبحانه.

٢- ولا يشعر العبد بحلاوة الإيمان إلا بحب الله، وحلاوة الإيمان لا تدخل في القلب إلا باكتمال محبة الله، فبدون محبة الله لا يشعر المؤمن بحلاوة الإيمان.

٣- وحلاوة الإيمان لا تُوصف حتى يُحصّلها الناس؛ لأنه لا يدركها إلا من أحب الله بكل كيانه، فتملاً هذه المحبة قلبه، وتشغل فكره، فينشغل بذكر الله الخالق عن ذكر المخلوقين.

❁ ومن ذاق عرف، ومن عرف اغترف.

- أما من حُرّم، فهو كالسوائم لا يرى ما حُرّم.

٤- ومن مظاهر حلاوة الإيمان: الفرحة تكون في قلب المؤمن عند إتمام الطاعة.

- وهذه الفرحة لا تدانيها فرحة جمع التجار بأرباحهم، ولا فرحة أهل الشهوات بشهواتهم.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]

❁ قال رسول الله ﷺ: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ.»

[صحيح البخاري ١٩٠٤ و٧٤٩٢، ومسلم ١١٥١]

يعني يفرح عند فطره بتوفيق الله له بإتمام الطاعة حتى نهايتها، ويفرح عند لقاء ربه بدخول الجنة.

لا تُدرِك حلاوة الإيمان إلا بثلاثة شروط:

أولاً: أن يكون الله ورسوله أحب للعبد مما سواه.

ثانيًا: ألا يحب المرء شيئاً إلا لله.

ثالثاً: أن يكره الكفر أشد من كرهه إلقاء نفسه في النار.

❁ قال النبي ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا

يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ» [صحيح البخاري ١٦، ومسلم ٤٣]

الشرط الأول: أن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواه:

❁ ما هو السَّوَى ؟

السَّوَى في الحديث : هو ما يحبه الإنسان بطبيعته من زهرة الدنيا كالمال، والولد، والزوجات، والمناصب ، وإن كان من المباحات .

❁ فإن محبة الله ورسوله التي تُثمر حلاوة الإيمان لا يُكْتَفَى فيها بأصل الحب، بل يجب أن يكون عند العبد من قوة الحب لله ورسوله ﷺ ما يقدم ذلك الحب على حب كل شيء، مثل حبه لولده ووالده وزوجاته والناس أجمعين، وحبه لقصوره وأمواله وتجارته، بل يقدم حب الله ورسوله ﷺ على حبه لنفسه.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]

❁ قال رسول الله ﷺ : « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » . [صحيح البخاري ١٥ ومسلم ٤٤]

❁ قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « يا رسول الله لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي » ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ » ، قَالَ عُمَرُ : « فَأَنْتَ الْآنَ ، وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي » ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْآنَ يَا عُمَرُ » . [صحيح البخاري ٦٦٣٢]

١- لا أحب أعظم من حب الله تعالى:

١ - معلوم أن أحب الأشياء إلى العبد هي نفسه وحياته، ولكن إذا آمن العبد بالله، وصدق إيمانه، أصبح حب الله عنده أعظم من حبه لنفسه، وماله، وولده، ووالديه، وإخوانه، وزوجاته، ومساكنه، وتجارته، والناس أجمعين .

٢ - وهذه الدرجة من المحبة لا توجد إلا بين المؤمنين وبين ربهم ﷻ؛ فهم أشد حباً لله.

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]

٣ - وهذه المحبة تقتضي كمال الذل، والخضوع، والتعظيم، والإجلال، والطاعة،

والانقياد لله تعالى .

٤- ومن لوازم تلك المحبة أن تغار لله، فتتمنى أن يحبه كل الخلق مثلك، ويضيق صدرك أن ترى الناس معرضين عنه، لم يذوقوا حلاوة حبه.

٢- الدليل على حب العبد لله تعالى:

١- من ادعى حب الله امتحنه الله تعالى بمتابعة رسوله ﷺ، وجعل اتباعه دليلاً على حبه لله.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران : ٣١]

٢- فمن أحب الله وأطاعه، لزمه أن يحب رسوله ﷺ ويطيعه.

٣- ومن ادعى محبة النبي ﷺ ثم لم يتبعه ويطع أمره، ويجتنب نهيه، ويقدم قوله على قول كل أحد؛ فقد كذب في حبه للنبي ﷺ، ومن ثم كذب في حبه لله تعالى .

الشرط الثاني : ألا يحب المرء شيئاً إلا لله تعالى

١- الحب في الله من كمال محبة الله تعالى:

١- فيحب ما يحبه الله من العمل الصالح، ويجب من يحبهم الله من الصالحين .

✽ ومحبة الله تستلزم محبة طاعته، فالمحب يحب ما يحبه محبوبه، والله تعالى يحب من عباده أن يطيعوه.

✽ ومحبة الله تستلزم محبة أهل طاعته: كأنبيائه، ورسله ﷺ، وأوليائه، وأئمة الدين، والصالحين من عباده، وتكون محبتهم من أجل طاعتهم، لا لقراءة أو نسب أو نفع دنيوي، وهذا هو الحب في الله .

٢- وعلامة صدق الحب في الله ألا يزيد هذا الحب ببر المحبوب، ولا ينقص بجفائه، فإن كان يزيد بالبر وينقص بالجفاء، فهو حب للدنيا، لا يغني عن صاحبه شيئاً يوم القيامة.

فأنت تحب الصالحين لصلاحهم، أعطوك أو منعوكم.

- فإن أحببتهم لنفع دنيوي، انقطع الحب بانقطاع المنفعة، فما علاقة هذا الحب بالحب في الله؟! وما علاقة هذا بمن يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؟!

٢- فلا يحب شيئاً إلا لله تعالى:

✽ فلا يحب إلا ما يحبه الله تعالى ، حتى يصبح حبه لما يحبه الله أعظم عنده من حبه لهوى نفسه، فيصبح هواه تبعاً لما يحبه مولاه.

- ومن كان كذلك، كان مؤمناً حقاً، وتلك هي درجة الولاية لله تعالى .

✽ فتكون حياته كأنها « وقف لله » ، فلا تكون له لذة، ولا فرحة، ولا هم، ولا عمل إلا إرضاء الله واتباع أوامره وفعل محابه، سبحانه.

✽ وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يحبون بعضهم بعضاً في الله، حتى كانوا يؤثرون إخوانهم على أنفسهم تقريباً لله، وهذا من صدق الحب في الله، حتى إن أحدهم لم يكن يظن أنه أحق بهاله من أخيه.

قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]

✽ وسيعود هذا الخلق غريباً كما سيعود الإسلام كله غريباً.

٣- المرء مع من أحب:

✽ سئل النبي ﷺ عن المرء يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال النبي ﷺ : «المرء مع مَنْ أَحَبَّ». [صحيح البخاري ٦١٦٩، ومسلم ٢٦٤٠]

✽ سأل رجلُ النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟» قال: «لَا شَيْءَ» ، إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ. فقال: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ.»

قال أنس: «فَمَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ، فَرحنا بقولِ النبي ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ!!» قال أنس: « فَأَنَا أَحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ. » [صحيح البخاري ٣٦٨٨ ومسلم ٢٦٣٩ واللفظ به]

وفي رواية: فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: نعم، ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً.

[صحيح البخاري ٦١٦٧]

١- وأعظم من تحب هو الله تعالى ، فيجعلك الله معه، ويكون الله معك، معية رعاية وتكريم وحفظ في الدنيا، ويدخلك الجنة في الآخرة؛ لتكون أقرب شيء إليه سبحانه.

٢- فالمؤمن في الجنة أقرب ما يكون إلى الله؛ لأنه كان يحب الله.

- وهو جار لرسول الله ﷺ؛ لأنه كان يحب رسول الله ﷺ.
 - وإن سرير عرش أحدهم ليطير حتى يقابل سرير أخيه الذي أحبه في الدنيا في الله، فيتذكران أوقات الطاعة والجهاد، ومتى غفر الله لهما ونالا تلك الكرامة.
 قال الله تعالى: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]
 ٣- فحب الإخوان في الله ليدوم حتى بعد انتهاء الحياة الدنيا، ليستمر في الجنة.
 - وإن المؤمن ليلحق بمن يحب من إخوانه في حر يوم القيامة، فيستظل معهم تحت ظل العرش.

❁ قال رسول الله ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «وَرَجُلَانِ تَحَابَّتَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ» [صحيح البخاري ٦٦٠، ومسلم ١٠٣١]
 ٤- فإن صدقت في حبك لله وفي الله، كنت مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.
 فإننا نشهدك يا الله! أننا نحبك، ونحب نبيك ﷺ، ونحب أصحاب نبيك ﷺ، أكثر من حبنا لأنفسنا، وأبنائنا، وآبائنا، وأموالنا، ونسائنا، والناس أجمعين.
 اللهم اجمعنا بنبيك ﷺ، وقد آمنابه ولم نره، ولا تفرق بيننا وبينه، حتى تدخلنا مدخله ﷺ.

الشرط الثالث: أن يكره الكفر أشد من كرهه لإلقاء نفسه في النار

الكفر ضد الإيمان، وكراهية الكفر من كمال محبة الله؛
 ❁ ولو خيّر المؤمن بين الكفر وبين موته بإلقاء نفسه في النار، لاختار النار، ولا يكفر.
 ❁ ولوازم ذلك أن يكره من كفر بالله وأشرك به وفسق عن طاعته؛ لأجل ما فعلوه من الكفر والفسوق الذي يسخط الله، ولو كانوا من أقاربه وأهله، فإنه ييغضهم بقلبه، ولا يعطيهم الدنية في دينه، ولا يداهنهم في أمر الله، بل يعتز بعقيدته، ويجهز بشعائر دينه.

١- الحب في الله والبغض في الله؛

١- وكلما قويت محبة الله في قلب العبد، أصبح لا يحب شيئاً إلا في الله، وأصبح لا يوالى إلا أولياء الله وينصرهم، وأصبح ييغض أهل معصيته، ويعاديهم في الله، ويجاهدهم، وأصبح لا يعطى ولا يمنع إلا لله.

❁ قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ». [حسن: رواه أبو داود ٤٦٨١ وحسنه الألباني في الصحيحة ٣٨٠]

٢- وكلما قويت محبة الله في قلب العبد، قويت هذه الأعمال في قلبه، واكتمل توحيده.
- وكلما نقصت محبة الله في قلب العبد نقص توحيده، حتى ينعدم، والناس بين مُقِل ومُستكثر، أو محروم.

٣- ولن يصل العبد إلى حلاوة الإيمان بكثرة الصلاة والصيام فقط، إلا أن يحقق الحب في الله والبغض في الله، فلن يذوق حلاوة الإيمان، إلا إذا أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، وأعطى لله، ومنع لله.

٤- بل لن يصل إلى الإيمان الكامل، حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ.

٢- أما عكس ذلك من الحب لغير الله تعالى:

❁ فإن الحب لغير الله ينقطع يوم القيامة، وينقطع كل سببٍ ووسيلةٍ وصلَةٍ ومودةٍ كانت لغير الله، فما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره، انقطع وانفصل.

❁ فمن اتخذ من دون الله أولياء أو كبراء أو متبوعين، أحبهم كحبه لله، ووالى لأجلهم، وعادى لأجلهم، على عكس مراد الله، خانت هذه المودة أحوج ما كان إليها، وانقلب هذا الحب عداوة يوم القيامة، وتبرأ بعضهم من بعض، وتبرأ المتبوعون من أتباعهم، وكفر بعضهم ببعض، ولعن بعضهم بعضاً، وحبط عملهم، وإن كان كثيراً، وإن اشتد تعبه فيهم، فتصيبهم أعظم الحسرات حين يرون سعيهم ضائعاً، وقد سعد أهل السعي النافع بسعيهم واتباعهم لرسولهم ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْكَذَابَ وَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِي فَنَتَّبِعَ أَمْرَهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ [البقرة: ١٦٧]

الأنداد

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

١ - من الناس من يحبون الله تعالى ، لكنهم اتخذوا أندادًا يحبونهم كحبهم لله ، وهذه المحبة هي أصل الشرك.

٢ - لكن المؤمنين يحبون ربهم أشد من حب المشركين لشركائهم.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

٣ - المؤمنون يحبون ربهم أشد من حب المشركين لله؛ لأنه لما توزعت محبة المشركين بين محبة الله ومحبة الأنداد، صار حب الله ضعيفاً في قلوبهم... هذا إن كانوا يحبون الله أصلاً.

٤ - لذلك يحرم اتخاذ محبوبين أنداداً يحبهم العبد كحبه الله، حتى لو كان أصل حب هذه الأنداد من المباحات.

- مثال : أن يحب الرجل زوجته حباً عظيماً كحبه لله، فتطلب منه ما لا يقدر عليه، ويأسره حبها، فلا يستطيع مخالفة أمرها، فيطلب المال من كل وجه، ولا يبالي أمن حلال أم من حرام؟ فيعصي الله ليلبي طلبها، ويعصي الله ليطيع الذين يحبهم من دون الله !

٥ - وربما كانت الأنداد موتى الصالحين، فيدفعه حبهم إلى أن يدعوهم من دون الله، فيشرك بذلك الشرك الأكبر، عياداً بالله.

٦ - وربما كان الأنداد هم الرؤساء والكبراء والمتبوعين يتبعهم على عكس مراد الله في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله؛ فإن صدّقهم واتبعهم، خرج بذلك من دين الله، فإنه جعلهم بطاعته لهم أرباباً، وساوى بينهم وبين الله تعالى في الاتباع والتحاكم.

قال الله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَزْوَاجًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]

ثالثاً: دخول الجنة

أبواب الجنة

❁ قال رسول الله : «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا عَلَى الَّذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا مِنْ ضُرُورَةٍ، هَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».[صحيح البخاري ١٨٩٧ ومسلم ١٠٢٧]

❁ قال القاضي عياض : «وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ بَقِيَّةِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ فِي حَدِيثٍ آخَرَ، بَابِ التَّوْبَةِ، وَبَابِ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ، وَبَابِ الرَّاغِبِينَ، فَهَذِهِ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ جَاءَتْ فِي الْأَحَادِيثِ وَجَاءَ فِي حَدِيثِ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ. أَتَاهُمْ يَدْخُلُونَ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ، فَلَعَلَّهُ الْبَابُ الثَّامِنُ».[شرح مسلم للنووي ١١٨/٧]

- «فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمْتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ».[صحيح البخاري ٤٧١٢ ومسلم ١٩٤]

❁ عن الحسن مرسلاً: «إِنَّ لِلَّهِ بَابًا فِي الْجَنَّةِ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا مَنْ عَفَا عَنْ مَظْلَمَةٍ».

[رواه ابن حجر في فتح الباري ٢٨/٧ وابن الملقن في التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٤٢/١٣]

❁ قال ابن حجر : «وَقَعَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ... وَبَقِيَ مِنَ الْأَرْكَانِ الْحَجُّ فَلَهُ بَابٌ بِلَا شَكٍّ».

❁ وقال ابن حجر : وأما الثلاثة الأخرى فمنها باب الكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس... ومنها الباب الأيمن وهو باب المتوكلين الذي يدخل منه من لا حساب عليه ولا عذاب، وأما الثالث فلعله باب الذكر.... ويحتمل أن يكون باب العلم والله أعلم.[فتح الباري ٢٨/٧]

❁ فهذه ستة أبواب متفق عليها: باب الصلاة، وباب الجهاد، وباب الصدقة وباب الريان، وباب العفو عن الناس، وباب التوكل، وأما البابان الباقيان.

❁ قال القاضي : «باب التوبة، وباب الراضين».

❁ وقال ابن حجر : «باب الحج، وباب الذكر أو العلم».

✽ وذكر بعض المتأخرين أنه باب بر الوالدين واستدلوا عليه بقول رسول الله ﷺ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ». [صحيح : رواه الترمذي

١٩٠٠ وابن ماجه ٢٠٨٩ و٣٦٦٣ وأحمد ٤٩ / ٥٧، ٢١٧١٧، ٢١٧٢٦ وصححه الألباني في الصحيحة ٩١٤]

✽ قال ابن حجر : «ويحتمل أن يكون المراد بالأبواب التي يدعى منها أبواب من داخل أبواب الجنة الأصلية؛ لأن الأعمال الصالحة أكثر عددا من ثمانية، والله أعلم». [فتح الباري ٢٨/٧]

- ويوجد أحاديث فيها أبواب أخرى، ولكن لا تصح، مثل: باب الضحى، وباب الفرح.
- ✽ ومن نظر في كلام الله ﷻ، وجد أنه تعالى يحب من الناس ثمانية أصناف.
- ومن نظر في كلام رسول الله ﷺ، وجده قد سمى من أبواب الجنة الثمانية خمسة أبواب، هم: باب الصلاة، وباب الجهاد، وباب الصدقة، وباب الريان، والباب الأيمن.
- ووجد القاضي عياض يذكر باب التوبة، وباب العفو، وباب الرضى.
- والحسن البصري يذكر باب العفو.
- وابن حجر يذكر باب الحج، وباب التوكل، ثم باب الذكر أو العلم.
- وكلام المتأخرين فيه ذكر باب بر الولدين.

- وبجميع ذلك نجد أن أبواب الجنة بمقتضى الصفات التي

يحبها الله تعالى:

- ١ - باب الطهارة وهو باب الصلاة (عماد الدين).
- ٢ - باب الجهاد (ذروة سنام الدين).
- ٣ - باب الإحسان وهو باب الصدقة (نفع الخلق).
- ٤ - باب الريان وهو باب الصوم، هو باب الصبر (لأن الصوم نصف الصبر).
- ٥ - باب التوكل وهو الباب الأيمن وهو باب الرضى (لأن التوكل قرين الرضا بالوكيل).
- ٦ - باب التوبة، وهو باب الحج (الذي يرجع منه العبد بلا ذنوب).
- فالتوبة خروج من الذنوب، والحج خروج من الذنوب.
- ٧ - باب العفو، وهو باب المقسطين (فالعفو أعلى القسط، ونافلة العدل).
- فمن أعلى عزائم الدين: العفو عن المذنبين.

٨- باب **التقوى** وهو باب العبادة والذكر وهو باب العلم طلباً ونشراً.

وهو باب بر الوالدين

- فأبواب الجنة عظيمة، وكلما عظم الشيء، كلما كثرت أسماؤه. والله تعالى أعلم.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ». [صحيح مسلم ٢٣٤]

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمِّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ.»

[صحيح البخاري ٣٤٣٥ ومسلم ٢٨]

❁ **أسرع يا عبد الله وكن من هؤلاء، فالرابع من سبق.**

قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]

- فيا عبد الله! لا تلهك الدنيا وأمانى الغرور عن تحقيق متابعة الرسول ﷺ.

- فيا حسرة من سار السابقون، وتركوه، وجدَّ المقربون، وخلفوه.

- فيا من له عزيمة الأبرار، وهمة الأخيار، واصل الليل بالنهار في طريق **العزیز الغفار**.

- فإنه إن قبل إحسانك، زادك، ويسر لك بعد الحسنه حسنات، أما علمت أن الله خلق

الجنة درجات، وما خلقها عبثاً، وإنما جعلها كرامةً لأصحاب الطاعات؟!!

- أما تأقت نفسك لسكنى أعلى الدرجات والقرب من رب الأرض والسموات؟!!

❁ فإذا اشتهدت نفسك تلك الدرجات، فاعلم أن لها **سلماً من الطاعات**، فأدبج؛

فإن من أدبج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة.

عاشراً : أحب الخلق إلى الله

❁ قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «أحب عباد الله إلى الله من يحب الله إلى عباده».

[أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣٤٦٠٣، والزهد والرفائق لابن المبارك ١٣٠٣، والمستدرک ١٦٤، والسنن الكبرى للبيهقي

١٧٨٢، وقال: روي موقوفاً على أبي هريرة في معناه] [وروي كذلك عن سعيد بن المسيب]

- فإن الحبтан في بحورها، وإن النمل في جحورها لتدعو لمعلم الناس الخير، وأي خير أعظم من تحبيب الخالق إلى خلقه.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْخُوتِ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ».

[صحيح رواه الترمذي ٢٦٨٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤٢١٣]

- وإن الله تعالى ليذكر من يذكره في ملائكة خير من البشر الذين يُذكرهم الداعي بالله تعالى .

- فبشرى لمن يذكر الله تعالى في نفسه.

- وبشرى أعظم لمن يذكر الله في أهل مسجده.

- وبشرى أعظم لمن يعلم طلاب العلم آيات الله وأوامره.

- وبشرى أعظم لمن يعلمهم عظمة أسمائه وكمال صفاته ، فهذا أعظم الذكر لله.

- وطلاب العلم هم أرجى من يُذكرون بالله، وأعظم الخير الدلالة على عظمة الله.

- فبشرى لمن فعل ذلك بوعد الله تعالى أن يذكره بالثناء عليه والمدح له في ملائكة

الملائكة الذين هم خير من طلاب العلم الذين هم من خير أهل الأرض، الذين تبسط لهم الملائكة أجنحتها؛ رضا بما يطلبون.

❁ قال الله تعالى في الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي؛

إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي

يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً». [صحيح البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥]

حادي عشر : أنواع المحبة

باب أنواع المحبة يتضمن:

- ١ - حب الله .
- ٢ - الحب في الله .
- ٣ - المحبة الطبيعية .
- ٤ - المحبة لأجل الدنيا .
- ٥ - المحبة الشركية .

أولاً : حب الله.

محبة الله هي أصل الإيمان والتوحيد:

١ - ينبغي أن يحب العبد ربه، حتى لا تبقى ذرة من ذرات الحب إلا وقد توجهت إلى الله تعالى ، حتى لا تبقى في قلب المؤمن ذرة يحب بها سواه.
فإذا امتلأ القلب بحب الله، لم يبق فيه متسع لسواه، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك، ومن أشرك معه غيره، تركه وشركه.

٢- فحب الله والولاء له من أول أركان الدين.

٣- وحب الله من لوازم كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، ومن لوازمها صرف الحب، كل الحب لله وحده، ونفي حب العباد عن كل ما عداه، بل نفي أي حب إلا ما أمر به الله أو أذن فيه.

٤- وكيف لا نحبه سبحانه، وهو الذي امتن علينا بكل النعم؟!

قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]
وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان: ٢٠]

وقال الله تعالى: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]

- فخيرُه سبحانه إلى العباد نازل، وشرهم إليه صاعد، يتحبب إلى عباده بنعمه

عليهم، وهو غنى عنهم، ويتبغضون إليه بالمعاصي، وهم الفقراء إليه.

فلا إحسان الرب يردع العبد عن المعصية، ولا معصية العبد تقطع إحسان الرب، فمن يكشف الكربات إلا الله تعالى؟ ومن يغيث اللهفات إلا الله؟ ومن يجيب الدعوات إلا الله تعالى؟

✽ أعطى العبد قبل أن يسأله فوق ما يؤمله، يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، يحب الملحين في الدعاء، ويغضب على من لا يسأله.

- يستحي من العبد حيث لا يستحي العبد منه، ويستتره حيث لا يستر العبد نفسه، ويرحمه حيث لا يرحم العبد نفسه.

✽ يا عبد الله! أهل الدنيا يعاملونك لكي **يربحوا منك**، والله تعالى يعاملك لكي **تربح منه**؛ فالدرهم بعشرة أمثاله إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بواحدة، وهي أسرع شيء محوًا.

✽ فهو تعالى أحق من شكر، وأحق من ذكر، وأحق من عبد، وأحق من حمد، وأنصر من ابتغي، وأراف من ملك، وأجود من سئل، وأوسع من أعطى، وأرحم من استرحم، وأكرم من قصد، وأعز من التَّجىء إليه، وأكفى من توكل عليه، أرحم بعبد من الوالدة بولدها، وأشد فرحًا بتوبة عبده التائب من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا ينس من الحياة ثم وجدها.

✽ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ رَجُلٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ دَوِيَّةٍ مَهْلَكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ فَأُضْلِلَهَا فَخَرَجَ فِي طَلَبِهَا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي أَضَلَلْتُهَا فِيهِ فَأَمُوتُ فِيهِ فَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ فَغَلَبَتْهُ عَنْهُ فَاسْتَيْقَظَ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ فَقَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ.» [أصله في صحيح البخاري مختصرًا ٦٣٠٨ ومسلم ٢٧٤٧]

ثَانِيًا : الحب في الله والبغض في الله:

✽ من المعلوم أن أحب الأشياء إلى العبد هي نفسه وحياته، ولكن إذا آمن العبد وصدق إيمانه، أصبح حب الله عنده أعظم من حبه لنفسه وحياته.

- ومن صدق إيمانه، أحب ما يحبه الله تعالى - وهو الإيثار وأهله - ، وكره ما يكره الله تعالى - وهو الكفر وأهله - كرهاً أشد من كرهه للإلقاء نفسه في النار، ولو خيّر بين

حياته وبين الكفر، لا يختار أن يُقذف في النار، ولا يكفر؛ لأن حبه لربه تعالى أشد من حبه لنفسه وماله وولده.

✽ فنحب الرسل، والأنبياء، والصديقين، والشهداء، وأئمة الدين، والملائكة، وكل الصالحين بحب الله لهم، وكلما قويت محبة الله في قلب العبد، قويت محبته لأوليائه ونصرته لهم وبغضه لأعدائه وجهاده لهم، فمن أحب في الله، وأبغض في الله، وأعطى الله، ومنع الله، فقد استكمل الإيمان.

✽ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ.»

[حسن: رواه أحمد ٤٨٨/٣، وابن أبي شيبة ٣٤٣٣٨، والطبراني في صحيح الجامع ٢٠٠٩-٨٨٣، والصحيحة ٩٩٨]

✽ وقال ابن مسعود - مرفوعاً - : «فَإِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِسْلَامِ الْوَلَايَةُ فِيهِ، الْحُبُّ فِيهِ

وَالْبُغْضُ.» [رواه ابن أبي شيبة ٣٢١، والطبراني ٣٧٦، وابن أبي عاصم في السنة ٧٠، والطبراني في الكبير ١٠٥٣١، والبيهقي في الشعب ٩٠٦٥]

✽ ومن عادى في الله ووالى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك.

✽ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أَحَبُّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضُ فِي اللَّهِ، وَوَالٍ فِي اللَّهِ، وَعَادٍ فِي اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا تُنَالُ وَلَايَةَ اللَّهِ إِلَّا بِذَلِكَ؛ وَلَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعَمَ الْإِيمَانَ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ؛ وَصَارَتْ مُوَاخَاةُ النَّاسِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُجْزِي عَنْ أَهْلِهِ شَيْئًا.»

[رواه ابن المبارك في الزهد ٣٥٣، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٣٩٦، والعدني في الإيمان ١٢٨، وابن أبي الدنيا في الإخوان ٢٢]

ولا يجد رجل طعم الإيمان، وإن كثرت صلواته وصيامه، حتى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس اليوم في أمر الدنيا، وذلك ما لا يجزي عن أهله شيئاً يوم

القيامة. [رواه ابن المبارك في الزهد ٣٥٣ وابن أبي الدنيا في الإخوان ٢٢]

✽ فَإِنَّ الْبُغْضَ فِي اللَّهِ أَمْرٌ مَلَاظِمٌ لِلْحُبِّ فِي اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْمَحَبَّ يَحِبُّ مَا يَحِبُّهُ

محبوبه، ويبغض ما يبغضه محبوبه، ويوالي من يواليه محبوبه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه، ويبغض لبغضه، ويأمر بأمره، وينهى عما نهى عنه.

- فمن أحب الله المحبة الواجبة وجب عليه أن يبغض أعداءه، وأن يحب ما يحبه -

سبحانه - من جهادهم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي

سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَنٌ مَرْمُوضٌ﴾ [الصف: ٤]

١ - يجب على العبد محبة ما يحبه الله من الطاعة:

✽ ومحبة الله تستلزم محبة طاعته؛ فإنه تعالى يحب من عبده أن يطيعه، والمحبة يحب ما يحبه محبوبه، فتوجب محبة الله تعالى الإتيان بما أوجب من الفرائض، وكلما زادت المحبة، أتى العبد بالنوافل، وإذا كره العبد ما يكره الله، كف عن المحارم، وكلما قويت الكراهة لما يكرهه الله، كف عن المكروهات.

فمتى امتلأ القلب بحب الله وتعظيمه، محاذ ذلك من القلب حب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من هوى نفسه وشهواته؛ إلا ما يريد منه مولاه.

- وإذا حقق العبد التوحيد التام، لم يبق في قلبه محبة لغير الله، ولا كراهة لغير ما يكرهه الله، فلا تنبعث جوارحه إلا بطاعة الله.

✽ فإنما تنشأ الذنوب من محبة ما يكرهه الله أو كراهة ما يحبه الله، وسبب ذلك هو تقديم هوى النفس على محبة الله وخشيته.

٢- ويجب على العبد محبة من يحبه الله من الطائعين:

١- حب رسول الله ﷺ :

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]

فإذا أمر الله بحب رسول الله ﷺ وطاعته طاعةً مطلقة، أحببنا رسول الله ﷺ ؛ لأمر الله بذلك، فيكون الله ورسوله أحب إلى المؤمن مما سواه، بل لا يؤمن أحد حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه، وولده، ووالده، والناس أجمعين.

✽ قال رسول الله ﷺ : «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.» [صحيح البخاري ١٥ ومسلم ٤٤]

✽ ولا يؤمن العبد حتى يكون رسول الله ﷺ أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه؛ فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «يا رسول الله لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، قَالَ عُمَرُ : «فَأَنْتَ الْآنَ، وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الآنَ يَا عُمَرُ.» [صحيح البخاري ٦٦٣٢]

وقال الله تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]

✽ فحق النبي ﷺ أعظم من حق الآباء، والأبناء، والناس أجمعين؛ فهو الذي أنقذنا الله به من النار، وهدانا به من الضلال، فكل طرق الجنة مغلقة إلا طريقه ﷺ، ألا يستحق من هدانا إلى الجنة أن نحبه وننصره، وننصر سنته ونذب عن شريعته ﷺ؟!

٢- حب الصحابة رضي الله عنهم :

وإذا علمنا أن الله تعالى يحب صحابة رسوله ﷺ، وأنه تعالى رضي عنهم، أحببناهم لحب الله لهم.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعِلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]

٣- حب الصالحين :

ويجب حب أهل الإيمان والطاعة لأجل طاعتهم؛ لأن الله يحبهم ويجب طاعتهم. ✽ ومما ذكر الله من عبادتهم.

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨]

✽ ومما ذكر من ثوابهم.

قال الله تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥]

فالمؤمنون جميعهم من أول الخليقة إلى آخرها إخوة متحابون، وإن تباعدت أنسابهم، وتناعت أوطانهم، وإن امتدت أزمانهم، وبخاصة أمة نبينا محمد ﷺ يقتدي آخرهم بأولهم، ويدعو بعضهم لبعض، ويستغفر بعضهم لبعض.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]

وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُنْفِقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]

- أي نقتدي بمن سبقنا من الصالحين، ويقتدي بنا من بعدنا.

✽ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ

وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً.» [حسن: رواه الطبراني في مسند الشاميين ٢١٥٥ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٦٠٢٦]

قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]

٤- حب الملائكة:

✽ ونحب الملائكة لحب الله لهم؛ لداومتهم على الطاعة، ولحبهم واستغفارهم للمؤمنين.
قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]

٣- حب الأزمنة والأماكن الفاضلة:

- والأزمنة الفاضلة مثل شهر رمضان، وليلة القدر، والعشر الأوائل من ذي الحجة، ويوم عرفة.
- والأماكن الفاضلة مثل مكة، والمدينة، والمسجد الحرام، والمسجد النبوي، وسائر المساجد، فيجب حب كل ذلك.

✽ قال رسول الله ﷺ: «أَحُدُّ جَبَلٍ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ». [صحيح البخاري ١٤٨٢ ومسلم ١٣٩٢]

ثالثاً : المحبة الطبيعية:

✽ وهي المحبة الفطرية، كمحبة الوالدين، والزوجة، والأبناء، والمال، والطعام، والشراب.
- وهذه المحبة يجب على المسلم أن يروضها؛ حتى توافق الشرع.
وهذه المحبة الطبيعية يمكن أن تتحول بالنية الصالحة من عادة إلى عبادة.
١- فإذا سمع العبد أمر الله تعالى ببر الوالدين وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، اجتهد في برهما؛ لأمر الله بذلك.
٢- وإذا سمع قول رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»

[صحيح : رواه الترمذي ٣٨٩٥، وابن ماجه ١٩٧٧، والدارمي ٢٣٠٦ وصححه الألباني في الصحيحة ٢٨٥]

اجتهد في بذل أنواع المودة والرحمة وحسن الخلق لزوجته وأهله، لأمر النبي ﷺ بذلك.
٣- وإذا سمع قول رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» [صحيح البخاري ٨٩٣ و٢٤٠٩، ومسلم ١٨٢٩]، اجتهد في نصح أولاده، ورعايتهم، وتأديبهم، وتعليمهم الفرائض وما يجنبهم سخط الرحمن، فأصبح حبه لهم عبادة ينال عليها الأجر من الله تعالى.

❁ وهذه المحبة الطبيعية إن أعانت على طاعة، كانت طاعة مثلها، وإن ارتكب المعاصي والمحرمات؛ لكي يحصلها، أصبحت معصية مثلها.

- وليحذر العبد أن تزداد المحبة الطبيعية عن حدها؛ فتقلب معصية، فإن الله قد أنكر على أقوام أنهم آثروا حب أهليهم وأزواجهم وأموالهم ومساكنهم أكثر من حب الله ورسوله ﷺ والجهاد في سبيله، وأمر نبيه ﷺ أن يتوعدهم، وسباهم بالفاسقين.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]

❁ أما إذا كان الآباء والأهل ممن يعاند شريعة الله، فيجب عدم موالاتهم، وتجب البراءة منهم، وقطع المودة إليهم؛ حتى يرجعوا.

قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]

وميزان الاعتدال:

١- صلة الأبوين الكافرين والإحسان إليهما.

❁ فقد جاءت أم أسماء - وهي كافرة - تطلب صلة ابنتها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ، فاستأذنت رسول الله ﷺ في ذلك، فقال: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ.» [صحيح البخاري ٢٦٢٠، ومسلم ١٠٠٣]

٢- ولكن يجب عدم طاعتهم في الكفر والمعاصي مطلقاً.

- كما يجب بغض الكفر الذي هم عليه.

- قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: ٨]

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]

رابعاً : المحبة لأجل عرض الدنيا:

انقلبت الموازين:

✽ أما الآن فقد أصبحت موالاة الناس ومودتهم لأجل الدنيا، وأصبح حبهم وبغضهم لها، وأصبح عطاؤهم ومنعهم بسببها، ومن أجل المنافسة عليها وعلى شرفها، وأصبح غضبهم ورضاهم لأجل ظلٍ قليلٍ زائلٍ فانٍ، إن لم يرتحلوا هم عنه، ارتحل هو عنهم.

✽ فمن كانت عنده زينة من لعاعة الدنيا... وَالْوَهْ، وإن كان عدوًّا لله ولرسوله ﷺ ولدين المسلمين، وأما إن لم يكن عنده شيء من متاع الدنيا، عادوه، وضايقوه، واحتقروه لأدنى سبب، وإن كان وليًّا لله ولرسوله ﷺ.

فإننا لله وإنا إليه راجعون! تركوا موالاة الأولياء، ثم داهنوا الأغنياء، ولم يكن ولاؤهم لأئمة الدين، وإنما جعلوا الولاء لأصحاب الدنانير.

- فإذا كان يوم القيامة، انقطعت بينهم الصلات، وانقلبت مودتهم التي كانت لغير الله عداوات، وكفر بعضهم ببعض، ولعن بعضهم بعضاً، وتبرأ بعضهم من بعض، فخانتهم المودة أحوج ما كانوا إليها حين احتاجوا، ولو لحسنة تنجيهم من عذاب أليم، فما وجدوا قريباً شفيقاً، ولا صديقاً حميماً، فقد انزلق جميعهم في دركات الجحيم.

قال الله تعالى عنهم: ﴿فَالنَّارُ مِنْ شَفِيعِينَ﴾ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿الشعراء: ١٠٠-١٠١﴾

قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]

✽ فإن الله قضى -وقضاؤه محكم لا يرد- بأن ينقطع يوم القيامة كل سبب وصلة ووسيلة كانت في الدنيا لغيره سبحانه.

خامساً: المحبة الشركية:

﴿ هي محبة المخلوق كحب الخالق، سواء كان هذا المخلوق صالحاً أو طالحاً. قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] ﴾ ومنها محبة أصحاب القبور. وإن كانوا من الأولياء الصالحين. يحبونهم كحب الله، ويدعونهم في قضاء الحاجات، ويجعلون لهم النذور والهبات. - وليعلم العبد أن حبهم كحب الله عبادة، ودعاءهم عبادة، والنذر لهم عبادة، وكل هذا لا يجوز، وهو من الشرك الأكبر.

﴿ فالشرك في المحبة هو أصل الشرك في العبادة. ﴾ ومنها: محبة الكبراء، والرؤساء، والكهان، يحبونهم كحب الله، ويتبعونهم على عكس أمر الله، فيحلون لهم ما حرم الله، ويحرمون عليهم ما أحل الله، وهذا أصل الكفر.

﴿ ومنها: موالاته الكافرين ومحبتهم؛ لأجل كفرهم، أو على رغم كفرهم. - فمن الولاء الواجب محبة المؤمنين لأجل إيمانهم. - ومن البراء الواجب بغض الكافرين، وعدم موالاتهم ومحبتهم ونصرتهم؛ لأنها من النفاق والظلم والضلال، وتحبط الأعمال، وتبرأ ذمة الله من فاعلها، ويحشره الله مع من أحب من الكفار يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهٗ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وقال الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعَبًا مِّنَ الَّذِينَ ءَاتَوْا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥٧]

وقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣]

٢. الخوف من الله

بحث الخوف من الله يتضمن :

أولاً: ما الخوف من الله؟

ثانياً: الخوف هو مقتضى الإيمان بأسماء الله وصفاته.

ثالثاً: الخوف شرط قبول العمل وشرط الإيمان.

رابعاً: تفاوت الناس في خوف الله تعالى .

خامساً: الأسباب الجالبة لخوف الله تعالى .

سادساً: ميزان الاعتدال.

سابعاً: أنواع الخوف من الله تعالى.

ثامناً: فضل خوف الله تعالى وثمرته.

تاسعاً: جزاء الخوف من الله تعالى .

عاشراً: أنواع الخوف.

حادي عشر: الإكراه.

ثاني عشر: الجُبْن.

أولاً: ما هو الخوف من الله؟

الخوف هو تألم القلب بسبب توقع عقاب الله في المستقبل، بسبب عدم كف النفس عن المعاصي.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]

ثانياً: الخوف هو مقتضى الإيمان بأسماء الله وصفاته

- خوف الله تعالى من مقتضيات الإيمان بأسمائه تعالى **القهار**، وذو الجبروت، **والقادر**، **القدير**، **المقتدر**، وسريع الحساب.
- وهو من آثار الإيمان بأسمائه تعالى **العزیز**، **العظیم**، **القوي**، **المتين**، **العليم**.
- فهو **العزیز** الذي يعذب من أشرك به.
- وهو **المتكبر** الذي يقصم من تكبر عليه أو على خلقه.
- وهو **العليم** الذي يعلم خائنه الأعين وما تخفي الصدور.
- وهو **القادر** الذي يقدر على أن يطبق الأرض على من عصاه.
- وهو **القاهر** الذي قهر الظالمين والجبابرة والفراعين.
- فهل بعد ذلك ينام مشرك أو يضحك طاغوت؟! أو يأمن مسرف أو يسعد بالكبائر صعلوك؟!

- وهو **مقلب القلوب** وخالق أفعال العباد، لا يشاء العبد إلا بعد مشيئته سبحانه، ولا يريد إلا بعد إرادته، فَخَوْفُ ذلك قلوب المخبتين، وَأَرْقَ جفون القائمين، وأدمع عيون التائبين، ورفع أكف الداعين أن **يحسن لهم الخواتيم**، وألا يقلب قلوبهم من الطاعة إلى فعل الغافلين.

ثالثًا: الخوف شرط قبول العمل، وشرط الإيمان

١- الخوف شرط الإيمان.

قال الله تعالى: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]
وقال الله تعالى: ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]
وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]
- فيه الدليل على أن من لم يخف الله، فليس بمؤمن، وفيه وجوب الخوف من الله وحده.

٢- فمن زال الخوف من قلبه تمامًا زال الإيمان من قلبه تمامًا.

- وإن قل الخوف، قل الإيمان.
- وإن زاد الخوف من الله، زاد الإيمان في قلب العبد.
✽ قال النووي: «من قال: لا أخاف القيامة؛ كفر.» [روضة الطالبين ١٠/٦٧]

٣- ولا يقبل الله أي طاعة خلّت من الخوف منه.

- فمن عبد الله بغير خوف، ردت عليه عبادته؛ لأنه ليس بمؤمن.

٤- ولا يجوز أن يقول الإنسان: إنه يعبد الله «لا طمعًا في جنته ولا خوفًا من ناره».

قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ طُلُفٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ طُلُفٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ [الزمر: ١٦]
فمن ذا الذي يخوفه الله تعالى ثم لا يخاف، ويدّعي بعد ذلك أنه مؤمن بل ومن صالحي المؤمنين؟!
- فمن قال: لا أخاف الله ولا أخاف القيامة، لا يكون مؤمنًا بالقرآن العظيم الذي فيه تخويف للعالمين.

٥- ومن قال لا أخاف الله فقد رفع نفسه فوق منزلة الأنبياء والملائكة

الأنبياء ﷺ والملائكة المقربون خوفهم من الله على قدر عظيم.
قال الله تعالى عن الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]
وقال الله تعالى: ﴿وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣]
وقال الله تعالى عن الأنبياء ﷺ: ﴿وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾

[الأحزاب: ٣٩]

وقال الله تعالى مخبراً عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧]

- فهو يخاف الخزي يوم القيامة، وهو من أولي العزم من الرسل، فكيف يخاف إبراهيم خليل الرحمن، ولا يخاف من تلبس بالعصيان؟!

وقال الله تعالى مخبراً عن نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ

عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]

قال رسول الله ﷺ: «فَوَاللَّهِ إِنِّي لَمِنْ أَعْلَمِهِمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً».

[صحيح البخاري ٦١٠١ و٧٣٠١ ومسلم ٢٣٥٦]

فإذا كان هذا خوف رسولنا محمد ﷺ، فكيف يأمن غيره؟!

- فمن ادعى عدم الخوف من الله تعالى، فهو على نهج مخالف لرسولنا ﷺ، وليس من أتباعه.

٦- وزوال الخوف من القلب يتضمن الأمان من مكر الله وهذا لا يكون من مؤمن أبداً.

قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]

٧- الله تعالى نهى عن الخوف مما سواه.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦ - ٥٧]

وقال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ

يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦]

قال ابن القيم: والمعني أن الذين تدعونهم من دون الله من الملائكة والأنبياء الصالحين يتقربون إلى ربهم، ويخافونه ويرجونه، فهم عبيده كما أنكم عبيده، فلماذا تعبدونهم من دونه، وأنتم وهم عبيد له؟؟ [طريق الهجرتين ٢٨٢]

رابعاً: تفاوت الناس في خوف الله تعالى

الخوف الواجب والخوف المستحب:

١- تفاوت الناس في خوف الله تعالى

- فمن الناس من يخاف الكفر، ولكنه لا يستحضر عقاب المعصية، فيقع فيها.
- ومن الناس من خوفه من الله يمنعه من فعل الحرام.
 - ومنهم من يمنعه خوفه من الله من فعل المكروه.
 - ومنهم من يدفعه خوفه من الله إلى فعل الواجبات.
 - ومنهم من يخاف الله جدًّا، فيدفعه خوفه إلى فعل ما يقدر عليه من النوافل والمستحبات، وتجده يبكي كلما ذكر الآخرة، وهذا أكمل الخوف.

وإنما كان خوف المقرين أشد لعلمهم بصفات عظمة الله تعالى ما لا يعلمه غيرهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]

٢- وبعضهم يخاف الناس أكثر من خوفه من الله.

- أو يخاف من عدوه، ولا يجد عنده من التوكل ما يدفع به ذلك الخوف.
- ولكي ينجو من أذى عدوه، فإنه يطيعه فيما يأمره به، فيقع في المحرمات.
- وربما يأمره عدوه بالكفر، فيكفر خوفاً منه، فيفعل ما يغضب الله، أو ما يخرج به من دائرة الإسلام، عياداً بالله!

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

- فيُرضي أعداء الله بسخط الله؛ حتى يأمنهم ويأمن أذاهم، فيكون جزاؤه الخوف الشديد والفرع في الدنيا والآخرة، فإن الله قد يقلب قلوبهم عليه في الدنيا فيتلفونه بعد أن يأخذوا منه غرضهم، فهم أيضاً لا يحتاجون إلى أولياء جبناء ضعفاء خائنين، وهو يعلم مصير نفسه، فبعد أن يداهنهم يهون عليهم جدًّا؛ فيظل في رعبٍ شديدٍ في الدنيا، أما في الآخرة، فإنه يقدم على ربه قدوم العبد الأبق على سيده الغاضب، قدوم من أعرض وأسرف، ولم يرفع إلى ملكٍ جبارٍ منتقم، لا ينسى فعل أعدائه بأوليائه.

خامساً: الأسباب الجالبة لخوف الله تعالى

إذا علم العبد ما سيقدم عليه من أهوال، وجب عليه أن يتخذ الخوف جُنة من هذه الأخطار.

فينبغي على المؤمن أن يخاف من:

أولاً: يخاف من وقوفه بين يدي ربه للحساب.

ثانياً: ويخاف مقام ربه ﷻ وعظيم قدره.

ثالثاً: ويخاف من العقاب على ذنوبه، ومن وعيد الله الذي يلحق أهل الإعراض عنه.

أولاً: المؤمن يخاف وقوفه بين يدي ربه للحساب:

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]

وقال الله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]

✽ فإذا تفكر العبد في حال الناس يوم القيامة أصابه خوفٌ عظيم، فإن الشمس التي تبتعد عن الأرض الآن ١٤٩.٦٠٠.٠٠٠ كيلو متر أي: ما يعادل ثلاثة وتسعين مليون ميل، تدنو من الخلائق حتى تكون منهم بمقدار ميل واحد، فانظر إلى هذا الحر العظيم، ولا توجد شربة ماء، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وقد كان يشق عليهم في الدنيا صيام يوم واحد.

✽ فانظر إلى أهل الموقف أذلاء، ضعفاء، قد تبرأ الأخلاء من بعضهم، وتبرأ المتبوعون من أتباعهم.

✽ وهم مع ذلك حفاةً عراةً غرلاً غير مختونين، ومن شدة خوفهم وقلقهم لا ينظر بعضهم إلى بعض، قد انهارت قواهم تماماً، حتى انكبوا على وجوههم، لا يستطيعون أن يقفوا، فيصيب وجوههم ما في الأرض من شوكٍ وأذى، قد عجزت أيديهم أن تدفع عنهم، وأرجلهم أن تحملهم، وهم على هذا الحال سنين طوال.

✽ ثم يُؤْتَى بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها.

قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣]

✽ قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُجْرُونَهَا» [صحيح مسلم ٢٨٤٢] - حوالي خمسة آلاف مليون ملك - يحجزون جهنم، وصوت غيظها عليهم من بعيد يقطع الأفئدة، وهنا تسقط كل البشرية على ركبها.

❁ و ١٠٥ دعاء الأنبياء عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَهَا: «اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ» [صحيح البخاري ٨٠٦ ومسلم ١٨٢]

قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]

❁ ثم تحييء الملائكة صفوفًا صفوفًا في مشهدٍ رهيبٍ؛ استعدادًا للحدث العظيم، وهو مجيء الجبار ﷻ لفصل القضاء.

❁ ثم تخيل عندما ينادى عليك يوم القيامة: «فلان بن فلان! هلمَّ للحساب والعرض على الجبار».

. **فما ظنك بالعاصي؟!** إنه لا يستطيع أن يقوم من مكانه، وَيَزِرُقُ وجهه، ويُسأل، فلا يستطيع أن يجيب، **فتنطق يده ورجلاه** وفرجه بمعاصيه، فيريد أن يهرب، فينظر عن يمينه، فلا يجد إلا عمله، وينظر عن شماله، فلا يجد إلا عمله، وينظر أمامه، فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة.

❁ قال رسول الله ﷺ: «فَيَنْظُرُ أَيَّمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ؛ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ.» [صحيح البخاري ٧٥١٢، ومسلم ١٠١٦]

❁ ثم يوبّخه الله تعالى، ويفضحه على رؤوس الخلائق؛ بمناقشته في سوء عمله. ألم يستعن بقوة الله على معصيته؟! ألم يستعن برزق الله على الصدِّ عنه؟! ألم يستخف بلقاء الله؟! ألم يستهن بنظر الله إليه في الدنيا وهو على المعصية؟!

❁ ثم **يؤتى كتابه بشماله** من وراء ظهره، ويُطلبُ منه أن يقرأه، وكيف له ذلك؟! فيغضب الجبار غضبًا عظيمًا، ويلعنه، ويقول: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠]

❁ ويروى أن الله يَنْظُرُ إِلَى عَبْدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ غَضَبَانُ، فَيَقُولُ: خُذُوهُ، فَيَأْخُذُهُ مِائَةُ أَلْفِ مَلَكٍ وَيَزِيدُونَ، فَيَجْمَعُونَ بَيْنَ نَاصِيَّتَيْهِ وَقَدَمَيْهِ غَضَبًا لِعُصْبِ اللَّهِ، فَيَسْحَبُونَهُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى النَّارِ، فَالنَّارُ عَلَيْهِ أَشَدُّ غَضَبًا، فَيَسْتَغِيثُ بِشَرْبَةِ مِنْ مَاءٍ، فَيُسْقَى شَرْبَةً يَسْقُطُ مِنْهَا لَحْمُهُ وَعَصْبُهُ، ثُمَّ يُرْكَسُ فِي النَّارِ، فَوَيْلٌ لَهُ مِنَ النَّارِ.

- ويروى أَنَّهُ يَتَقَلَّبُ فِي أَيْدِيهِمْ إِذَا أَخَذُوهُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَرَحُّونِي؟ فَيَقُولُونَ: وَكَيْفَ تَرَحُّمُكَ وَلَمْ يَرَحْمَكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؟

- ويروى أَنَّهُ لَا يَلْقَى شَيْئًا إِلَّا دَقَهُ، فيقول: مالي ومالك.

[رواه ابن المبارك في الزهد ٨٣/٢، وابن أبي الدنيا في صفة النار ٢٣٩]

فيبتدريه هذا العدد الهائل من الملائكة، يأخذون هذا العبد الآبق الذي بارز الله بالمعاصي، هذا يأخذه من يده، وهذا يأخذه من رجله، وهذا يضع الأغلال في عنقه، فيكاد يتمزق جسده، ويؤخذ من أمام الله تعالى، فترى أين يذهبون به؟! إنها نارٌ تلظى، وحممٌ تفور، وملائكة تُعذب كل كفور، فيُلقي في جهنم، فيظل يهوى فيها سبعين سنة لا يجد لها قعرًا.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢] أي: أدخلوها من فمه، وأخرجوها من دبره، اشووه في جهنم على هذه الهيئة؛ كما تشوى الذبيحة في الدنيا. فيا أخي! هل بعد ذلك تقترف الذنب؟! نعوذ بالله من حال أهل النار.

✽ أما المؤمن، فإن الله تعالى يُدنيه منه، ويرخى عليه ستره، ثم يُدكِّره ذنبه، حتى إذا ظنَّ أنه هالك، قال الجبار ﷻ: «سَرَّتْهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ». [صحيح البخاري ٢٤٤١ ومسلم ٢٧٦٨]، اذهب يا عبدي، لا أفضحك قد غفرت لك.

✽ فهي - والله - الفرحة الكبرى، والسرور الأعظم، يوم ترحل عن جهنم. ✽ ولكن ألا تكفي هذه اللحظة في حصول الخوف للمؤمن؟! فإن لحظات الخوف قبل حصول ستر الله لا تساوي الدنيا بجميع شهواتها وملذاتها؛ فانتبهوا يا أولي الألباب.

ثانيًا: المؤمن يخاف مقام ربه وعظيم قدره :

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]

وقال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]

والله تعالى مدح المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧]

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [الأنبياء: ٤٩]

١ - فالمؤمنون يخافون ربهم لا طلاعه عليهم، وعلمه التام بأعمالهم.

٢ - ويخافون من قدرته عليهم، وعدم خروجهم عن مشيئته، وأنه الذي يدبر جميع شئونهم، فهو قيوم السموات والأرض.

٣ - ويخافون من حسابه لهم، وأنه لن يذر نقيراً ولا قطميراً ولا ذرةً من شيء حتى يحاسب عباده عليها، فهو القائم على كل نفس بما كسبت.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]

ثالثاً: والمؤمن يخاف من عاقبة ذنبه :

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧]
وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: ١٣]
وقال الله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ [الزمر: ١٦]

✽ فالمؤمن يرى ذنبه كالجليل يكاد أن يقع عليه، أو أن صاعقة من السماء ستنزل عليه بشؤم ذنبه، ويظلم قلبه، ويسود ما حوله إذا فعل الذنب، ويندم قلبه، وتدمع عينه بعد الذنب، فيسارع إلى ربه بالتوبة والاستغفار.
✽ أما المنافق، فإنه لا يرى ذنبه إلا كالذباب وقع على أنفه، فأشار إليه بيده، فأطاره، ولا يشعر بوخز ضميره بعد الذنب.
- فيظل يزكي نفسه، وهو يعلم تدنسه بنجاسات الذنوب، ورغم وقوعه في الذنب يرى أنه يستحق أعلى الدرجات.

✽ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ: بِهِ هَكَذَا».، قَالَ أَبُو شَهَابٍ [أحد رواه الحديث]: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ» [صحيح البخاري ٦٣٠٨]

سادساً: ميزان الاعتدال في الخوف

- ❁ لا ينبغي أن يبلغ الخوف بالعبد مبلغاً يقعده عن العمل.
- ❁ وإنما ينبغي لمن اجتهد في عبادته أن يعبد الله بالحب والخوف أو الخوف والرجاء؛ فهما جناحا العبادة، وأرجى أسباب القبول.
- ❁ فمن عبد الله بالحب وحده، فهو زنديق منافق.
- ❁ ومن عبد الله بالخوف وحده، فهو حروري من الخوارج.
- وهم الذين يأسوا من رحمة الله، وأخرجوا الناس من الإيمان بالمعاصي.
- ❁ ومن عبد الله بالرجاء وحده، فهو مرجئ.
- وهم الذين قالوا: إنه لا يضر بعد الإقرار بالتوحيد ذنب، وادّعوا أن الله لا بد أن يغفر كل الإصراف في الذنوب، مادام العبد قد نطق بالشهادتين.
- ❁ ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء، فهو المؤمن الموحد.
- قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]
- ❁❁ وخوف الله يدفع العبد إلى الخوف من مكر الله تعالى، فلا ينبغي للمؤمن أن يأمن مكر الله أبداً.
- لكن عدم الأمن من مكر الله تعالى يجب أن يقترن بحسن الرجاء فيه، وعدم القنوط من فضله واليأس من رحمته، سبحانه.

سابعاً: أنواع الخوف من الله تعالى واستكمال درجاته

من صدق خوفه من الله تعالى حقق أنواع الخوف الثلاثة:

١- **الخشية**. ٢- **الوجل**. ٣- **الرهبته**.

- خوف الله تعالى من أجل العبادات، وهو شرط الإيمان، وهو من أسباب قبول الأعمال.
- فمن خاف الله، لم يجترأ على معصيته؛ خوفاً من عظمته وبطشه، وخوفاً من وعيده لمن أقام على مخالفته، وخوفاً من فضيحته أمام خلقه يوم مساءلته ووزن عمله.
❀ ولن يجترأ عبدٌ على معصية ربه إلا عند غفلة قلبه، وغشاوة بصره، وارتفاع الخوف عن قلبه، فإن عاد إلى رشده، وأفاق من سكره، حجزه الخوف عن سوء فعله.
١- **والخشية هي خوف العلماء؛** فهم أعلم الناس برب السماء وأشدهم له خشية.
- ولعلمهم أشفقوا على أنفسهم، فإن لم يعاملهم برحمته، أهلكهم، وإن لم يتفضل عليهم، عذبهم.

٢- **والوجل هو خوف الطائعين،** فهم أدرى بعيوب عملهم؛ كم كان فيه من الرياء، والعجب، والمن، ورؤية النفس، وخلاف السنة، والغفلة؟!
- فهل بعد ذلك يقبله على نقصه؟ فإن قبله، فلكرمه، وإن رده، فلعدله.
٣- **والرهبته هي خوف المسرفين،** فمن أفاق من جرمه، لم يجد إلا المفر من عطبه، والهرب من شؤمه، والنجاة من عقاب ربه.
- فلم يجد أقوى من الله يحتمي به، فإذا هو ربه الذي فر منه.
- وإذا به كلما فر منه، فر إليه.
- وكلما هرب من عذابه، اقترب من ثوابه.
- وكلما ابتعد من سخطه، دنا من رضاه.
- فلم يجد إلا طاعته ملجأً، وثوابه مآلاً، وجنته مهرباً، ورحمته متسعاً.

أولاً: الخشية:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]

١- **ما هي الخشية؟**

١- **الخشية هي خوف مقترن بعلم ومعرفة.**

- عِلْمٌ بجلال الله وقدرته، وهذا العلم يدعو إلى الخشوع، والخضوع، والانكسار لله تعالى .
قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]

- فالعلماء هم الذين يعلمون أن الله تعالى إذا غضب لا يقوم لغضبه شيء .
وكلما ازداد علم العبد بربه، ازداد خشيةً لعظمته وعلوه وقدرته وقهره ومراقبته .
قال الله تعالى مخبراً عن المؤمنين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٧]
وما ذلك إلا لعلمهم بعظمة ربهم، فالمؤمن يشفق على نفسه وعلى أهله من عذاب الله ومن موقفه بين يدي الله للحساب غداً .

وقال الله تعالى مخبراً عن المؤمنين: ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ [الطور: ٢٦]
فهم إذا كانوا في أهلهم يتسامرون، ثم ذكروا عقاب الله وما أعده للمعرضين،
وتذكروا الحساب والمساءلة، خافوا سوء الحساب، وخافوا الحساب العسير، ولم
يأمنوا من مكر الله؛ لما يعلمون من استدراجه لأعدائه وانتقامه منهم، فزال عنهم
الفرح بالخلان، وفرعوا إلى الله الرحمن، وقاموا إلى طاعة الملك الديان .
✽ قال ابن مسعود رضي الله عنه: « ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم بالخشية . »

[رواه أحمد في الزهد ٨٦٧، وابن حبان في روضة العقلاء ٣٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٣١، وابن بطة في الخيل ١/ ٣٤، وابن

عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٤٠١]

فكل علم لم يورث صاحبه خشية، فهو وبال على صاحبه يوم القيامة، وإنما العلم
النافع هو الذي يورث الخشية والحب لله تعالى والقيام بفرضه والانقياد لأمره .

٢- الخشية هي خوف مقترن بتعظيم الله ومحبته تعالى .

٣- والله تعالى حذر عباده المؤمنين أن يخشوا الكفار والظالمين، وأن يتركوا الجهاد
خوفاً منهم .

قال الله تعالى: ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٣]

٢- ثمرة الخشية :

١ - الخشية تدفع العبد إلى الاجتهاد في الطاعات والمساورة في الخيرات؛ لما يجد من
اطمئنان قلبه بقربه من ربه .

فتجد أكثر الناس خشيةً لله أكثرهم له طاعة، وأعظمهم له حباً .

فإن خشية الله قد أحرقت مواطن الشهوة في قلوبهم، فانقطع طلبهم لهوى أنفسهم،
ولم يبق إلا بحثهم عن مراد خالقهم .

٢- والخشية تجعلك تخاف ألا تقبل منك طاعتك، فهل أمنت أن عملك قد خلا من الرياء، أو من طلب الدنيا، أو من العجب بالعمل، أو المن به على الله أو على خلقه؟

٣. الخشية سبب لإتمام نعم الله تعالى بالمغفرة والأجر والوقاية من النار

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]
وقال الله تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨]
وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَآتِيَنَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]
وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]
وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧]، فكان جزاؤهم ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٥]
وقال الله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [٦١] ﴿فَمَنْ لَّهُ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ [الطور: ٢٦ - ٢٨]
وقال الله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ [المائدة: ٢٣]
من نعم الله عليهما أن رزقهما مرتبة الخوف منه تعالى ، فلم يخافوا غيره من البشر.

٤. الخشية طريق الفوز يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]

٥. العلماء هم أخشى الناس لله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]
✽ إن قوة محاسبة النفس ومراقبة الله ﷻ ناتجة عن قوة الخوف من الله، وقوة الخوف ناتجة عن قوة العلم بالله تعالى ، والعلم هو:
١ - العلم بالله تعالى وأسمائه الحسنی وصفاته العليا.
٢ - والعلم بعيوب النفس وشهواتها.
٣ - والعلم بعقاب الله تعالى للمعرضين عنه.

٤ - والعلم بشدة عذاب النار وأهوالها.

❁ فإن أخوف الناس أعرَفهم بنفسه وبربه، فمن عَرَف نفسه، عَرَف كيف يزجرها، ومن عَرَف ربه، عَرَف عَظَمته، ومن عَرَف عَظَمته، أُنِيَ يعصيه؟
- والذين عَرَفوا أنفسهم وعَرَفوا ربهم هم العلماء الربانيون.

❁ وإنما أَمِنَ الناس لجهلهم وقسوة قلوبهم .

❁ وإن الخوف قد منع النبي ﷺ أن يضحك مِلءَ فيه، وأمرَضَ المبشرين بالجنة، وجعل على وجه بعض الصالحين خطين أسودين من البكاء.
❁ قال رسول الله ﷺ: « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحِحَّتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ».

[صحيح البخاري ٤٦٢١ ومسلم ٢٣٥٩]

٦. كيف تصل إلى الخشية؟

تصل إلى الخشية :

- ١ - بترك المعاصي، والقيام بالواجبات.
 - ٢ - وتذكر القيامة، والموت، والجنة، والنار.
 - ٣ - ثم ترحم الخلق، ليرحمك الخالق.
 - ٤ - ثم تكثر من البكاء من خشية الله.
 - فمن ذاق حلاوة البكاء من خشية الله، لن تمسه النار.
- ❁ قال رسول الله ﷺ: « عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ».

[حسن رواه الترمذي ١٦٣٩ وابن أبي عاصم في الجهاد ١٤٦ والبيهقي في شعب الإيمان ٧٧٥ وصححه الألباني في الصحيحة ٢٦٧٣]

❁ قال رسول الله ﷺ: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ».

[صحيح البخاري ٦٦٠ و١٤٢٣ ومسلم ١٠٣١]

❁ ولا تجد أكثر البكائين إلا من الطائعين، وهم لم يبكوا لعظم الذنب، وإنما بكوا لمعرفتهم بعظمة الرب.

فلم يكن البكاء من كثرة الذنوب، إنما كان البكاء من صفاء القلوب .

الكون كله يخشى الله تعالى

٧. كيف تصل إلى الخشية ؟

قال الله تعالى عن خشية الجارة: ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]
وقال الله تعالى عن خشية الجبال: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشَعًا
مُتَّصِدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]

ثانيًا: الوجل؛

الوجل هو ارتجاف قلب المؤمن خوفًا ألا تُقبل حسناته وألا تغفر سيئاته.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمَ قُلُوبِهِمْ وَجِلَّةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]
هو العبد يعمل الصالحات، ويخاف ألا يُتقبل منه، فقلبه مرتجف خائف؛ لأنه
إلى الله راجع، وسوف يُسأل عن عمله، وهو لا يجد عمله يصلح للعرض على الجبار،
فهو أدرى بعمله، ولا يعرف باطن عمله إلا الله، ولا يعرف عيوبه الخفية إلا هو
سبحانه، وهذه العيوب لا بد ستظهر يوم القيامة.

- فوا سواتاه إن لم يقبلني ربي، ليت أمني لم تلدني إن لم يرحمني ربي.

❁ سألت عائشة بنت الصديق رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ
مَاءً تَوْأَمَ قُلُوبِهِمْ وَجِلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَجِعُونَ﴾ أهو الرجل الذي يزني ويسرق ويشرب
الخمير؟ قال رسول الله ﷺ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ! وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ
وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ.»

[حسن: رواه الترمذي ٣١٧٥ وابن ماجه ٤١٩٨، وأحمد ٤٢٠٤ / ٤٦٥ / ٢٥٧٠٥ وصححه الألباني في الصحيحة ١٦٦٢]

❁ قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ مِنِّي سَجْدَةً وَاحِدَةً، أَوْ
صَدَقَةً ذَرَاهِمَ وَاحِدَةٍ، لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ، أَتَدْرِي مِمَّنْ يَقْبَلُ اللَّهُ؟
﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

[ذكره ابن عبد البر في التمهيد ٢٥٦/٤، وابن عسك في تاريخ دمشق ١٤٣/٣١، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٢١٩/١]

❁ وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: لو أضمن أن الله تعالى قبل مني
ركعة، لكنت بالموت من المسرورين.

- فهل الإمام علي رضي الله عنه لم يرض عن عمله ليلة الهجرة حين بات في فراش النبي
ﷺ وعرض نفسه للقتل، فهل يظن أن الله لم يقبلها؟

- هل الإمام علي عليه السلام لم يرض عن عمله يوم فتح خيبر، حين قتل رؤساء يهود، وفتح الله عليه؟ هل يظن أن الله لم يقبلها؟

✽ لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّأْيَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». [صحيح البخاري ٣٠٠٩، ومسلم ٢٤٠٦]

- ويوم بدر ويوم الخندق ويوم ... ويوم ...

✽ أين أنت من ذلك؟ وأي أعمالك رضيت عنه؟ وأي أعمالك ظننت أن الله تعالى

قد قبله؟ فاطمأن قلبك لذلك وركنت له وضمنت الجنة!!

✽ ولا يحصل الوجل إلا لمن داوم على ذكر الآخرة، كالأنبياء عليهم السلام.

- فهذا نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام يقومان بأعظم عمل على وجه الأرض، ألا وهو بناء الكعبة ورفع قواعدها، وهما لا يراها أحداً أبداً؛ حتى يخافا على عملهما من الرياء، ومع ذلك يقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]

✽ فالانشغال بقبول العمل قد أخذ قلبهما.

✽ والخوف من حبوط العمل قد أرجف فؤادهما.

✽ والنظر في نقص العمل قد أنساهما فضلهما.

ثالثاً: الرهبة؛

قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠]

والرهبة خوف مع هرب، ففيها تعظيم لله، وفرار منه إليه.

فأنت تفر من تخاف إلى من هو أقوى منه ليؤمّنك، ومن أقوى من الله لتفر إليه؟! فهو الذي يجبر، ولا يجار عليه، فاجعل فرارك كله إليه، سبحانه.

قال الله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]

- فالؤمن يفر من سخط الله إلى مرضاته.

- ويفر من معصيته إلى طاعته.

- ويفر من عقوبته إلى ثوابه تعالى.

• فإنك إن خفت شيئاً، فررت منه، إلا الله، فإنك إذا خفت منه، فررت إليه.

• لأنك لا تشعر باطمئنان القلب وقرة العين إلا بالقرب منه وعند طاعته، سبحانه.

ثامناً: فضل الخوف، وثمرته

❁ فضل كل شيء يكون بقدر إيعاقته على الوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

باب فضل الخوف يتضمن:

- ١ - التشبه بالملائكة في خوفهم من الله تعالى .
- ٢ - التشبه بالأنبياء ﷺ في خوفهم من الله تعالى .
- ٣ - إذا اكتمل خوف الله في قلب العبد، زال من قلبه خوف كل من سواه.
- ٤ - الله تعالى جعل الأمن لمن آمن به وخافه.
- ٥ - خوف الله من أسباب سعادة العبد في الدارين .
- ٦ - خوف الله يدفع إلى طاعته.
- ٧ - خوف الله يزيد الإيمان.
- ٨ - خوف الله سبب النجاة في الدنيا والآخرة.

١ - التشبه بالملائكة في خوفهم من الله تعالى:

❁ والمؤمن بخوفه يتشبه بالملائكة الذين يخافون ربهم من فوقهم .
قال الله تعالى عن الملائكة : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠]
قال الله تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ [الرعد: ١٣]

٢ - التشبه بالأنبياء ﷺ في خوفهم من الله تعالى:

والمؤمن بخوفه من ربه يتشبه بالأنبياء ﷺ الذين كانوا أعلم الناس بربهم تعالى .
قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾

[الأحزاب: ٣٩]

قال الله تعالى : ﴿ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]

❁ فعلمهم بعظمة الله هو الذي دفعهم إلى خوفه.

قال نوح ﷺ : ﴿ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٢]

وقال يعقوب عليه السلام: ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]

وقال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦]

يعنى أعلم من صفات الله ما يستوجب خوفه وحبه ما لا تعلمون أنتم ذلك.

٣- إذا اكتمل خوف الله في قلب العبد زال من قلبه كل خوف من سواه:

قال الله تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ [الأنعام: ٨١]

- فإذا عرف العبد عظمة ربه، هابه، وخشاه، وخاف منه، وصغر في عينيه كل المخلوقين، فلم يعد يرى أحداً منهم لضالته في نظره، فكيف يخافه أو يخشاه، وهو لا يعظم إلا مولاه !!؟

٤- الله تعالى جعل الأمن لمن آمن به وخافه:

قال الله تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١]
وأجاب الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]

فالمؤمنون هم أصحاب الأمن في الدنيا والآخرة.

الأمن في الدنيا:

المؤمنون هم الآمنون في الدنيا؛ لأن الخوف من الشيطان ومن أوليائه قد انقطع من قلوبهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

يعني يخوفكم من أوليائه، أو يخوفكم بأوليائه.

- فالمؤمن لا يعبأ بذلك، ويرى أن ما في يد أعداء الله من أسباب القوة والظلم إنما كان بمشيئة الله، فالله قدر ذلك، وقدر أن يستغلهم الشيطان في تخويف المؤمنين امتحاناً لهم.

- فالمؤمن لا يرى بطشهم أنه فعلهم في الحقيقة، وإنما يرى أنه بإذن الله وعلمه، فيطمئن لذلك.

- فإن كان هذا من فعل الله وقدره، فما سبب الخوف؟ فإن أسوأ ما في الأمر أن يقتلوه.

- وإن قتله شهادة، وهي التي يحب، وإنها - والله - الكرامة التي طالما سألها العبد ربه

في سجوده عند السحر، وفي صيامه يوم الهجر، وعند منصرفه من رجم الحجر.
 - فكيف يخاف من عدوه، وهو لن يصل إلى موعود ربه إلا بمخاصمته؟ فيجعله ذلك أكثر شراسة في مواجهته، وأكثر شجاعة في مقاتلته، وأكثر إقدامًا في مجابهته.
 - وكل ذلك لا يقربه من أجله؛ بل يقربه من نصره.

الأمْن في الآخرة :

وهل الأمن إلا يوم الفزع؟

✽ فأهل المحشر في هولٍ عظيمٍ، وخطبٍ جسيمٍ، حفاةٌ عراةٌ تحت أديم شمسٍ حارقة، قد شغلهم الفزع عن كل مرتع، وقد كان فساقهم في الدنيا ينتظرون كل شاردة أو واردة، أما اليوم، فالكلاء مباح، والعري فُضّاح، ولكن هيهات ثم هيهات، فمن بلغ منه الذعر ذلك المبلغ، فإنه ينسى أنه عريان، وينسى أن النساء حوله عرايا.
 - إنه ينظر إلى أعلى، يحدق البصر إلى السماء، ينتظر قضاء الجبار، قد فَعَرَ فاه، وجَفَّ لسانه، وانشق حلقه، فلا رواء، ولا شربة ماء، وإنما اللحظات تمر ساعات، والساعات تمر سنوات.

✽ أما المؤمن، فإنه في روح وريحان، وفي كنف رب غير غضبان، قد أظلم تحت ظله في أمانٍ أبدي، وظلٍ سرمدي، وألبسهم من حُلل الإيمان، وأسبغ عليهم الرضوان، وجعل على رؤوسهم التيجان.

فبكم تشتري ظل ذلك اليوم؟ وكم تبذل لتحصل على الطمأنينة في ذلك اليوم؟
 - الثمنُ دمةٌ خوفٍ من الله، حيث لا يراك أحدٌ، ووجلٌ قلبٍ أن يراك حيث نهاك، واضطرابٌ فؤادٍ إذا وسوس لك الخوان بأي غدرةٍ أو نظرةٍ أو خيانةٍ لأمان.

٥- خوف الله من أسباب سعادة العبد في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦]، فخوف الله ﷻ مرتبط برجائه.

- ١- فمن خاف من الله، رجاه، ومن خاف من غيره، هجاه، وما ظنَّ الخير في لقيه.
- ٢- ومن خاف من الله، أحبه، لما يرجو الخير في لقيه، فالعبد يخافه، لينال وعده، وينجو من وعيده.

٣- ومن خاف من سوى الله، كرهه وأبغضه، وتوقع الأذى منه، فهرب منه

واضطرب قلبه، وتعس وشقي، وركبته الأمراض، ولم يهنأ بطعام ولا منام.
٤- ومن خاف من الله، هرب إليه، واطمأن به وبجواره، فأدخل ذلك أنواع السعادة والسرور إلى قلبه، والتلذذ بنعيم قربه.

- ومن خاف من سوى الله، هرب منه.

٥- وأما من قال: أنا أعبد الله لا خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، فهذا زنديق؛ كذب بالقرآن العظيم، ورد الأمر على رب العالمين، فإن الله أمرنا أن ندعوه خوفاً وطمعاً، وهذا الزنديق لا يريد أن يفعل ذلك، فكيف يدعي الإيمان، وهو يكذب القرآن؟! **٦- والله يغضب على من لا يخافه، ويغضب على من لا يرجوه.**

٦- خوف الله يدفع إلى طاعته:

١- من خاف شيئاً هرب منه، ومن خاف الله، هرب إليه، وخضع له، وترك الكبر، وأحرق الخوف شهوات قلبه.

٢- فالخوف يقود العبد للاستعداد لما يخافه يوم القيامة، فيلزم الطاعة، ويكف عن المعصية؛ حتى ينجو من العذاب.

٣- فالخوف ليس بكثرة الدموع، وإنما الخوف فعل ما يصلح الدنيا والدين، ناتج عن كمال معرفة رب العالمين.

٤- خوف الله يدفع العبد إلى تحسين العمل؛ لأن الله مُطَّلِع عليه، ولا يعرف آفات عمله الباطنة غيره تعالى، فمن يَطَّلِع على الرياء والعجب والمن والغرور غيره؟ فخوف الله هو الدافع للعبد على إخلاص العمل وترك محبطاته.

- وخوف الله يجعل العبد يتحرى السنة، ويباعد عن البدعة؛ فتحرى السنة من أسباب قبول العمل، وهو من الفرار إلى الله، فالْمُؤْمِنُ يترك أهواء النفس، ويفر إلى مراد الله تعالى ومحابه.

٧- خوف الله يزيد الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ

إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]

❀ فقد كان فعل المؤمنين أنهم لم يخشوا عدوهم، بل ازدادوا خشية لربهم، فزاد إيمانهم.

✽ فخوف الله من أعظم عبادات القلوب، وازدياد الخوف في قلب المؤمن يعني زيادة العبادة، وزيادة العبادة تعني زيادة الإيمان.

✽ **فالإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.**

- **ومواطن الشدة** التي يتزعزع فيها إيمان أهل الزيف هي نفسها المواطن التي يزداد فيها إيمان أهل الإيمان.

✽ **فأهل الإيمان يذكرون بطريقة غير طريقة الناس.**

- فالله يبتلي عباده بأن يجعل لأولياء الشيطان زينة وأموالاً وعُدة في هذه الدنيا.

• فيأتي الشيطان ليخوف الناس منهم، **فيخافهم أهل الزيف**؛ لأن قلوبهم متعلقة بالأرض، ولا تعرف إلا ما فيها من أسباب مادية محسوسة، فيروا أيديهم صغراً خاويةً منها، ويروا اجتماع تلك الأسباب عند الكفار، فيوقنوا بالبوار، فيسبعوا دينهم ويوالوا الكفار.

• أما أهل الإيمان، فإنهم يؤمنون أن القوة والعزة لله جميعاً، فيرتفعون بذلك عن الأرض وحضيضها، وإنما يرتفعون بآيات الله.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]

فالمؤمنون يرون أن ما في أيدي الأعداء قليلاً، ويرون ما عند الله كثيراً، **ويرون أن الأمر كله لله**؛ فهو الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ويرون أن نواصي الكفار بيده؛ فيعظم توكلهم، ويزداد إيمانهم حين يضعف إيمان الناس.

- وإن هذا الخوف الجليل قد يقع للمؤمنين، بل للأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

- قال موسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ [طه: ٤٥]

يعني: يخافان من فرعون، فنهاهما الله تعالى عن ذلك الخوف، وأخبرهما بطريقة التخلص منه، وهي **استحضار معية الله**.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]

فمن استحضر معية الله، ارتفعت نفسه عن الأرض، ورآها صغيرة هي وكل من عليها أمام عظمة الله، ورأى أقوياءها ضعفاء أمام قوة الله، ورآها لعباً ولهوّاً أمام حكمة الله، فرأى أسلحتهم لعباً، ورأى أن تخطيطهم هو أمام جبروت الله تعالى.

• **فوقوع ذلك الخوف ابتداءً في قلب المؤمن لا يضره، ولكن يضره إذا استمر**

فيه، ويذهبه التوكل.

﴿ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ.» ﴾ [صحيح: رواه أبو داود ١٥٣٧، والنسائي في السنن الكبرى ٨٥٧٨، وأحمد ١٠٣٦٢، ٣٢/٤٩٣، ١٩٧١٩ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١٥٣٧]

فالمؤمن قد يخاف قوماً، ولكن بلجونه إلى الله يتحول هذا الخوف إلى ثبات.

٨- خوف الله سبب النجاة في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿ فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٤]

﴿ فمن انتقاد، وقاد، ومن خافه، أنجاه، ومن هرب إليه، آواه، ومن توكل عليه، كفاه. ﴾
 ﴿ فانظر لما حدث للمسلمين بعد موقعة أحد، إنها الجراح، والألم، وقتل الإخوان، وفراق الأحباب، وذهاب الأصحاب، ورغم ذلك يدعوهم نبيهم ﷺ للنهوض إلى غزوة حمراء الأسد، ماذا يفعلون والجراح مازالت تثغب دمًا؟ ولا بد من الاستجابة لله ورسوله ﷺ. ﴾

- ولكن ما الذي يدفعهم للاستجابة؟

﴿ إنه الخوف من الله، وصدق التوكل عليه. ﴾

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]
 فالله يعلم ما بهم من قرح، وهو الألم الشديد والجراح، ولكن هذا أفضل توقيت لزيادة الإيمان ورفع الدرجات.

قال الله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]

وقال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَبَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ فما زادوا على أن قالوا: ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]
 - ها هو صدق التوكل على الله تعالى، الذي أذهب عنهم خوف عدوهم رغم مصائبهم وجراحهم.

فكان جزاؤهم قول الله تعالى: ﴿ فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ ﴾

[آل عمران: ١٧٤]

- فألقى الله الخوف والرعب في قلوب أعدائهم، ففروا، وانتصر المسلمون بدون خسائر، وبدون قطرة دم واحدة، فانظر إلى نعمة الله وفضله أن كتب لهم ذلك الأجر العظيم بمجرد صدق النية.

- فأصبح خوف الله في البداية هو سبب نجاتهم في النهاية، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

٩- الخوف من الله سبب التمكين في الدنيا؛

قال الله تعالى: ﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]

تاسعاً: جزاء الخوف من الله تعالى

١- سكنى أعلى الجنة؛

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١]

وقال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: ٤٦] وهما جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما.

١- فمن حقق الخوف من الله، رزقه الله منازل السابقين، ورفعته في عليين، وهذا أعلى المقامات؛ لأن الله تعالى قال بعد ذلك: ﴿وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: ٦٢]، وهما جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، فدل ذلك على أن مقام الخوف هو مقام المقربين.

٢- فكلما ازداد صلاح المؤمن، ازداد خوفه من الله، وازدادت رهبته في قلبه؛ لأنه يخشى أن يفقد قربه من ربه، وكلما ازداد قربه، ازداد خوفه أن يفقد القرب، ويظل كذلك حتى يصل إلى الأمان الكامل يوم دخول الجنة وسماع قول الملك ﷻ: ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨]

٢- النجاة من النار؛

جزاء الخوف هو الأمان التام يوم الفزع، ثم الفوز برضى الرحمن وبظله، يوم لا ظل إلا ظله، والنجاة التامة من النار؛ فلا تمسه أبداً.

﴿قال رسول الله ﷺ: «لَا يَلْجُ النَّارَ رَجُلٌ يَكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُحَانُ جَهَنَّمَ﴾ [صحيح: رواه الترمذي ١٦٣٣، والنسائي ٣١٠٨،

وأحمد ١٦/ ٣٣٠/ ١٠٥٦٠، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٢٦٩، والمشكاة ٣٨٢٨]

فطوبى لمن صحت له دمة واحدة من خشية الله.
 ﴿ قال رسول الله ﷺ : «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحَرُّسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.» [حسن : رواه الترمذي ١٦٣٩ وابن أبي عاصم في الجهاد ١٠٨ والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٣٢ وصححه الألباني في الصحيحة ٢٦٧٣]

٣- جزاء خوف الله التمكن والنصر :

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَتُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَتُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَن خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ [إبراهيم: ١٣-١٤]

١- فجعل الله تعالى جزاء خوف مقامه ووعيده، النصر والتمكن في الدنيا.
 - وكلما ازداد المؤمن خوفاً من مقام ربه وخوفاً من وعيده، كلما اقترب من النصر والتمكن.
 ٢- فمن خاف الله، أخاف الله منه كل شيء، ومكّن له في الأرض، وورقه الأمن بعد الخوف.

٣- وإذا أخلص العبد خوفه لله، أعطاه الله ما يرجو، وفوق ما يرجوه، وأمنه من مخاوف الدنيا والآخرة.

٤- ومن لم يخف الله في الدنيا، أخافه الله من كل شيء، حتى وإن أحاط نفسه بالجنود والحراسات، فإذا كان يوم القيامة، أصبح في فرعٍ عظيم، جزاء إعراضه عن طاعة أرحم الراحمين .

٤- من حقق الخوف، كان مستجاب الدعوة:

قال الله تعالى: ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ [إبراهيم: ١٥]

- فمن حقق الخوف، واستكمل الإيمان، كان مستجاب الدعوة، فإن طلب من الله الفتح والنصر، خابت أمام دعوته قوة كل جبار عنيد.
 قال الله تعالى مخبراً عن شعيب عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٨٩]
 يعني: احكم بيننا، وإذا حكم الله بين العباد، حكم للمؤمنين وأهلك الظالمين.

عاشراً: أنواع الخوف

أنواع الخوف من الله هي:

أولاً: خوف الله.

ثانياً: الخوف المحرم.

ثالثاً: الخوف الشرطي.

رابعاً: الخوف الطبيعي

خوف العبادة:

أولاً: خوف الله :

- خوف الله شرط قبول العمل وشرط الإيمان، وهو الخوف المشروع.

- وخوف الله يستلزم عدم الأمن من مكر الله، وإن الأمن من مكر الله سببه العجب بالنفس، وعدم معرفة قدر الله تعالى .

- وميزان الاعتدال أن يرافق الخوف من الله رجاءه، وعدم القنوط أو اليأس من رحمته تعالى.

- لأن اليأس من رحمة الله إساءة ظن بالله، وإنَّ قطع الرجاء في الله جهلٌ بسعة رحمته وجوده.

✽ ويستحب أن يغلب الخوف حال صحة العبد وقوته، وأن يغلب الرجاء حال مرض العبد واقتراب موته.

ثانياً: الخوف المحرم:

١ - الخوف المحرم هو أن يخاف العبد من أذى بعض الناس، فيترك ما يجب عليه من الواجبات، أو يفعل ما يحرم عليه من المحرمات.

- وإنه يحرم إرضاء الناس بسخط الله، فلا يكن حال العبد كمن فر من ألم ساعة إلى ألم الأبد، ولكن يجب على العبد أن يلتمس رضا الله ولو سَخِطَ عليه الناس.

✽ قال رسول الله ﷺ : «مَنْ التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ» . [صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه ٢٧٦ والقضاعي في مسنده ٥٠٠، ٤٩٩ وصححه لغيره الألباني في الصحيحة ٢٣١١]

- ٢- فإن المناق يفر من إحراج الناس له، فيوافقهم، ولا يبالي أيوافقهم في طاعة أو معصية.
- وإن المؤمن لا يبالي بسخط الناس، وما يخشاه هو سخط الله تعالى فقط.
- ٣- وربما جعل الله تعالى فائدة في سخط الناس على العبد عندما يرضى الله تعالى عنه؛ لأن العبد بذلك لا يلتفت إلى الناس، ولا يرجوهم، فكيف يؤملهم وهم يسخطون عليه؟! فتقطع بذلك مادة الرياء، ولا يبقى إلا إخلاصه لله، فيثبت أجره.

ثالثاً: الخوف الشرطي:

- ١- وهو أن تجعل لله ندّاً تخافه، كما تخاف الله بالغيب.
- ٢- وهو خوف سري، يتقرب به العبد إلى من يخافه بالغيب.
- ٣- وهو خوف باطن، يدعو العبد لطاعة باطنية.
- ✽ ومن أمثله الخوف الشرطي: أن يخاف من صاحب القبر أن يغضب عليه إذا ترك تعظيمه.
- أو يخاف من وثن أن يصيبه بما يكره، فيقصده بأنواع الطاعات من النذر والذبح والطواف؛ حتى يرضيه، وهذه الطاعات لا ينبغي أن يقصد بها غير الله تعالى .
- أو يخاف من طاغوت أن يؤذيه؛ فيداهنه على حساب دينه، فيطيعه على ما أحل وحرّم على عكس مراد الله تعالى .
- وهذا كله من الشرك الأكبر.**

- ومنه خوف الجن الذين يسميهم أسياداً، فيذبح لهم، ويسجد لهم، ويهين المصحف خوفاً منهم، والجن غيب، والتقرب إليهم بالذبح والسجود كفر.
- ✽ لذلك لا ينبغي تخويف الأولاد من عفاريت الجن.

- بل يجب أن نربي أولادنا على الشجاعة، لا على الخوف، ونبين لهم أن الجن مخلوقات ضعيفة عاجزة، وهي التي تخاف من مؤمني بني آدم، وتسلك طريقاً غير طريقهم.
- أليس إذا سلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجأ، سلك الشيطان فجأ آخر؟ فالشيطان يخاف من عمر رضي الله عنه ومن أهل الإيثار، فكيف تخاف منه وهو الذي يخاف منك؟

✽ قال رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ غَيْرَ فَجِّكَ». [صحيح البخاري ٣٢٩٤ و٣٦٨٣ و٦٠٨٥ ومسلم ٢٣٩٦]

(غير فجك تعني: طريق غير طريقك)

رابعاً: الخوف الطبيعي:

✽ هو الخوف من أسيد، أو من عدو، أو من الغرق، وهذا ليس خوف عبادة.
- ووقوع هذا الخوف في القلب لا يضر ابتداءً، وقد يقع في قلوب الأنبياء عليهم السلام والأولياء، لكن يذهب الله بصدق التوكل؛ فلا يستقر في القلب.

قال الله تعالى مخبراً عن موسى وهارون عليهما السلام عندما ذهبا إلى فرعون: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ [٤٥: ٤٦] ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [٤٦: ٤٧] وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا خاف قومًا قال: «اللهم! إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ.» [صحيح: رواه أبو داود ١٥٣٧، والنسائي في السنن الكبرى ٨٥٧٧، وأحمد ١٠٣٦٢، وأبو داود ٤٩٣ / ١٩٧١٩ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١٥٣٧]

✽ وإذا استقر الخوف الطبيعي في القلب، وأدى لفعل محرم، كان خوفًا محرماً.
- كأن يفر يوم الزحف، وهو معه ما يكفي من السلاح والعدد؛ فهذا الخوف أدى إلى فعل محرم، فأصبح خوفًا محرماً.

✽ قال النبي صلى الله عليه وآله: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ.» [صحيح البخاري ٢٧٦٦ و٦٨٥٧ ومسلم ٨٩]

✽ ومن الخوف الطبيعي أن يخاف ممن يهدده بسلاح، وربما يدفعه الخوف إلى أن يطيعه، ولكن يجب عليه أن يكره ذلك، وأما إذا رضي وفعل شيئاً محرماً، كان خوفًا محرماً.
✽ فإذا فعل الكفر إرضاءً لمن يخافهم بدون إكراه، كان الخوف كفرًا.
فإذا أمره عدوه بالسجود مثلاً، فأطاعه راضياً، كان خوفًا شركياً.

الخوف الطبيعي يذهب به التوكل:

خوف العدو خوف طبيعي، لكن استمراره محرم في قلب المؤمن، وعلاجه صدق التوكل على الله، فليحرص المؤمن على زيادة توكله؛ ليزول خوفه من عدوه.
قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٤]
فأذهب هذا التوكل على خالقهم كل خوف من قلوبهم.

حادي عشر: الإكراه

والمكروه معذور.

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]

- لكن ليس كل خوف يُعد إكراهًا.

- فإن من شروط الإكراه:

- ١ - أن يكون الإكراه فيه تلف معتبر للنفس، أو العرض، أو المال.
- ٢ - أن يكون المكروه قادرًا على فعل ما يهدد به.
- ٣ - أن يغلب على ظنه أن التهديد سيقع .
- ٤ - أن يكون الأذى فوريًا، فلو كان التهديد لأجل، لم يقع الإكراه.
- ٥ - أن يعجز الإنسان عن التخلص منه، ولو بالفرار .

مثال الإكراه غير المعتبر :

أن يظل المسلم طوال عمره مرتعدًا خائفًا أن يعرف الظالمون اسمه أو عنوانه أو مكان عمله، فيؤذونه، فيمنعه ذلك الخوف من صلاة الجماعة، وطلب العلم، والدعوة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

- فيجب، ويظل مرعوبًا إذا دعاه أحد الظالمين لسؤاله ساعة من الزمان، فيظل طوال عمره خائفًا، فيمتنع طوال عمره من الأعمال الصالحة؛ خوفًا من مساءلة تلك الساعة.

ثاني عشر: الجبن

الجبن مذموم، وهو من الأخلاق الرذيلة، وهو أن يخاف العبد بلا سبب أو من سبب ضعيف؛ مثل أن يخاف من الظلام، أو من الفئران، أو من ضرره يسير.

- وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجبن.

✽ قال رسول الله ﷺ: «اللهم! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ»

[صحيح البخاري ٢٨٢٣، ومسلم ٢٧٠٦]

٣. الإخلاص

بحث الإخلاص يتضمن :

أولاً: ما هو الإخلاص؟

ثانياً: الإخلاص مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى .

ثالثاً: الإخلاص شرط قبول العمل.

رابعاً: تفاوت الناس في تحقيق الإخلاص.

خامساً: الأسباب الجالبة للإخلاص.

سادساً: فضل الإخلاص.

سابعاً: علامات المخلصين.

ثامناً: جزاء الإخلاص.

تاسعاً: الرياء.

عاشراً: درجات الرياء.

حادي عشر: ما يتعلق بالرياء من حب المدح وكره الذم.

ثاني عشر: من الشرك إرادة الإنسان الدنيا بعمله.

ثالث عشر: إرادة العلو.

أولاً: ما هو الإخلاص؟

❁ **الإخلاص:** هو إفراد الله بالقصد في قولك، وفعلك، وسكونك، وحركتك، وسرك، وعلايتك، وفي حياتك كلها، تبتغي بذلك رضا الله والدار الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]

وقال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]

وقال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]

❁ **والإخلاص:** هو تصفية الأقوال والأعمال من كل إرادات النفس سوى الله تعالى .

إرادات النفس الفاسدة المضادة للإخلاص هي:

١ - إرادة العجب . ٢ - ومراعاة الناس . ٣ - وإرادة الدنيا .

❁ قال رسول الله ﷺ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ . » [صحيح البخاري ١ ومسلم ١٩٠٧]

❁ والإخلاص ضده الرياء وهو أن تطلب مدح الناس .

❁ والإخلاص عزيز جداً؛ لأنه ليس للنفس فيه حظ ولا نصيب .

❁ فلا تكن أمام الناس قديساً ، وفي الخلوات إبليساً .

أهمية النية والإخلاص:

❁ إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه، وإلا فهو مردودٌ على صاحبه .

- وكل عمل ابتغيت به مدح الناس، فهو عمل حابط ليس له ثواب، بل عليه عقاب .

- حتى الأعمال التي ابتغيت بها وجه الله والناس معاً ، فهي مردودة، فإن الله

أغنى الشركاء عن الشرك، ومن أشرك في العمل معه غيره، تركه وشركه .

❁ قال رسول الله ﷺ : « يقول الله سبحانه وتعالى: أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ ،

مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشُرَكَهُ » . [صحيح مسلم ٢٩٨٥]

حتى في الأقوال التي لم تقصدها:

- لا تقل: هذا لوجه الله ولك، أو هذا لله والرحم، فإن الله لا يقبل شريكاً معه في

القصد، وإن كان حسناً، فلا يصح أن تكون مخلصاً بقلبك مشركاً بلسانك.

الاحتساب

- ❁ الاحتساب هو فعل الأمر، وترك النهي؛ رجاء الثواب من الله تعالى .
- ❁ الاحتساب هو الإيمان بالله آمراً وناهياً، وقبول الأمر والنهي في الحاضر، وعقد العزم على التزامه في المستقبل، ثم رجاء ثواب الطاعة وخوف عقاب المعصية.
- ❁ ومنه قول رسول الله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». [صحيح البخاري ٣٨، ومسلم ٧٦٠]
- ❁ وقول رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». [صحيح البخاري ١٩٠١]

ثانياً: الإخلاص مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى

- الإخلاص هو مقتضى الإيمان بأسماء الله، الواحد، الأحد، الصمد، الخالق.
- ومن آثار ولوازم الإيمان بأسماء الله تعالى الإله والرب والملك.
- فهو الذي خلق الخلق بلا معين ولا مشير، وهو مالكهم وملكهم، مالكهم الذي يملكهم، وملكهم الذي يتصرف فيهم كيف يشاء، وهو ربهم الذي يرببهم وينعم عليهم بنعمه الدنيوية ليعمروا الأرض، وبنعمه الأخروية وهدايتهم؛ ليسكنهم الجنة.
- فاستحق بذلك أن يوجهوا له كل أنواع العبادة، ولا يشركوا معه غيره، ولا يدعوا معه غيره، ولا يستغيثوا في الكربات بغيره.
- فهو الواحد المتفرد في ذاته، وفي صفاته، وفي أفعاله، وفي أحكامه، فكما لم يشاركه أحد في خلق الخلق، كذلك لا يصح أن يشاركه أحد في الحكم بينهم.
- قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]
- فلا تشرك معه أحد في الطاعة أو توجيه العبادة.

ثالثًا: الإخلاص شرط صحة العمل وشرط صحة الإيمان

- ١- الإخلاص شرط الإيمان
- ٢- الإخلاص شرط لصحة العمل وشرط قبوله.
- ٣- الإخلاص واجب في كل الأعمال وعكسه الرياء والشرك والنفاق.
- ٤- الإخلاص شرط في كل أركان الإيمان .
- ٥- الفرق بين الرياء والشرك والنفاق.
- ٦- ما هي شروط العمل الصالح.

١. الإخلاص شرط الإيمان

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦]

٢. الإخلاص شرط لصحة العمل، وشرط قبوله.

﴿والشرك يحبط العمل، مهما كان العمل، ومهما كان المشرك. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]

٣. والإخلاص واجب في كل الأعمال وعكسه الرياء والشرك والنفاق

- فالإخلاص واجب في أعمال الجوارح، وعكسه الرياء؛ وهو الشرك الأصغر.
- والإخلاص واجب في أعمال القلوب، وعكسه الشرك الأكبر.
- والإخلاص واجب في الاعتقاد، وعكسه النفاق وهو الكذب في قول الشهادة.

١. الإخلاص في عمل الجوارح

هو إفراد الله بالقصد في العبادات والطاعات الظاهرة وعدم رؤية المخلوقين .
﴿ والإخلاص في أعمال الجوارح عكسه الرياء وهو الشرك الأصغر، وهو أكبر الكبائر، وهو غير مخرج من الملة.
﴿ والرياء هو أن يتنغي بعمله الظاهر غير الله تعالى أو يتنغي الخالق للأجر والمخلوق للذكر.

✽ والرياء يفسد العمل الذي هو فيه ويحبطه، كبيراً كان أو صغيراً، ويبطل ثوابه، ويزيله كأن لم يفعله، ويستوجب العقاب لتسويته المخلوق مع الخالق في القصد.

✽ والرياء لا يكون إلا في طاعات الجوارح، فلا يكون إلا في الأقوال والأعمال التي تظهر للناس.

٢. والإخلاص في عمل القلب

هو أفراد الله بالحب والخوف والتوكل والرجاء وغيرها من عبادات القلوب.

✽ والإخلاص في عمل القلب، عكسه الشرك الأكبر وهو توجيه هذه العبادات لغير الله تعالى، كأن يحب المخلوق كحب الله تعالى أو يخافه بالغيب وعلى البعد، أو يتوكل عليه ويعتمد عليه بقلبه.

- ومن وجه أحد هذه العبادات لغير الله فهو مشركٌ شركاً أكبر، ولا ينفعه إن وجه بعضها لله تعالى أو لا، فإن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك، لا يقبل إلا ما كان له خالصاً.

- والشرك الأكبر ينقل عن الملة، ويبطل التوحيد، وينقض الإيمان.

٣. والإخلاص في الاعتقاد

هو الصدق في قول: "لا إله إلا الله"، وهو التوحيد.

- وهو شرط في صحة الشهادتين، وشرط في صحة الإيمان، وشرط في صحة الاعتقاد.

- والإخلاص في الاعتقاد عكسه النفاق، وهو عدم الصدق في قول (لا إله إلا الله)، كمن يقولها بلسانه يرأي بها الناس أو يطلب بها الدنيا، فيقولها بلسانه ولا يعتقدها بقلبه.

قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]

- أو كمن يظهر الإيمان والتصديق واليقين، ويبطن عكسه من الشك والريبة، والتردد، والإنكار، والتكذيب، والرد، والإباء، والإعراض، والجحود، والاستحلال، وهذا يفسد أصل الاعتقاد، وهو مخرج من الملة.

الإخلاص عكسه الرياء والشرك والنفاق

✽ فالإخلاص يضاده الرياء؛ وهو أن يعمل العمل الصالح في الظاهر ويقصد به غير الله في الباطن، والرياء يقع في الأعمال الظاهرة.

✽ والإخلاص يضاده الشرك الأكبر، وهو أن يعمل العمل من أركان الإيمان لغير الله، أو يعمل له تعالى ولغيره معاً، وهو يقع في أعمال القلوب الباطنة.

❁ **والإخلاص يضاده النفاق**، وهو أن ينطق بالشهادتين بلسانه بغير تصديق قلبه، فيكون كاذباً في نطقه للشهادتين.

٤. والإخلاص واجب في كل أركان الإيمان

❁ **والإيمان أربعة أركان**: قول القلب، وقول اللسان، وفعل القلب، وفعل الجوارح.

❁ **والإخلاص عكسه الرياء.**

١- **فإن وقع الرياء في قول اللسان** وهو عدم إقرار القلب لما نطق به اللسان من الشهادتين، فهو **النفاق**، وهو الكذب في النطق بالشهادتين.

- سواء نطق الشهادتين لمصلحة دنيوية، أو لدفع ضرر، أو تقرباً من المسلمين، فهذا كله من الرياء؛ لأنه طلب المخلوق بالعمل، وليس طلب الخالق العظيم.

❁ **والإخلاص في قول الشهادتين يناقض أيضاً بالشك**، وهو غير الرياء.

٢- **وإذا وقع الرياء في عمل اللسان والجوارح** من الذكر أو الصلاة أو الزكاة أو غيرها.

- فيزين العمل ويظهره أمام الناس، ابتغاء المنزلة في قلوبهم، أو رجاء النفع منهم. فهو **الشرك الأصغر**، وهو من الكبائر، وهو يحبط العمل الذي هو فيه، لكن لا يحبط غيره، ولا يخرج من الملة.

٣- **أما قول القلب وعمله، فلا رياء فيه** لأنه لا يتصور أن يفعل الإنسان الطاعة في الباطن وهو يبتغي بها غير الله، فما الفائدة ولم يطلع عليه أحد.

- أما ادعاء فعل طاعات الباطن وإخبار الناس بذلك وهو لم يفعلها، فهذا من الكذب وليس من الرياء.

❁ **لكن قول القلب وعمله قد يقع فيه الشرك المناقض للإخلاص**، وهذا الشرك من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

❁ **ومثال وقوع الشرك في قول القلب:**

أن يؤمن العبد بالملائكة مثلاً، وهذا من قول القلب واعتقاده الصحيح. ثم يدعوهم من دون الله، فهذا **اعتقاد كفري**، وهو من **الشرك الأكبر**. وهو يبطل الاعتقاد الصحيح، ويحبطه، ويوجب العقاب، ويستوجب الخلود في النار.

❁ **ومثال وقوع الشرك في عمل القلب:**

- كأن يخاف الله مثلاً، وهذا من عمل القلب الصحيح. ثم يخاف غيره من المخلوقين بالغيب، وعلى البعد، كأن يخاف من الولي المزعوم المقبور

إن لم يزر قبره وينذر له أو يذبح له أو يهدي إليه أو يسجد عند قبره، فيخاف إن لم يفعل ذلك أن يصيبه بمكرهه، فهذا اعتقاد كفري، وهو من **الشرك الأكبر**.
وهو يطل الاعتقاد الصحيح، ويحبطه، ويوجب العقاب، ويستوجب الخلود في النار.
- وهو يطل عمل القلب بخوف الله تعالى، ويناقضه، وينقضه، فيصبح كأنه لم يخف الله أبدًا، وهذا كفر.

٥. الفرق بين الرياء والشرك والنفاق

١. الرياء

✽ هو تزين ما ظهر للمخلوقين من عبادة الله وطاعته تقريبًا إليهم، وطلب المنزلة عندهم، أو رجاء الثناء منهم، أو طلب الدنيا التي بأيديهم.
✽ فهو ربما لم يطلب المخلوقين بالعمل ابتداءً، وإنما طلب ثواب الله في الآخرة.
ثم زين عمله وحسنه عندما رآه المخلوقين تقريبًا إليهم وابتغاء متاع الدنيا عندهم.
- فهو يطلب ثواب الخالق وثناء المخلوقين معًا.
- والرياء لا يكون إلا فيما يظهر من العمل أمام الناس، فلا يكون إلا في العبادات والطاعات الظاهرة.
- وكل عمل أو جزء من عمل دخل فيه الرياء، فهو حابط الأجر ومستحق العقاب عليه.
- لكنه يُجزء عن صاحبه، ويسقط عنه الواجب، ولا يحتاج هذا العمل إلى إعادة.
- ومن الناس من يراني في الصلاة كلها، أو في ركعة كاملة، أو في سجدة، أو في تسبيحة، فتحبط ولا يحبط غيرها؛ لأن الله تعالى لا يقبل شريكًا له في العمل.
- فإن قاوم وسواس الشيطان وتاب من فوره ورجع، تاب الله عليه، وثبت أجر عبادته.
- وإن أتم صلاته مرئيًا ثم دخل عليه الندم بعد الفراغ منها، فإن الله تعالى يقبل التوبة من كل شيء، حتى من الشرك.
- والذي يُعفر هو ذنب الرياء، ولكن ثواب العمل هل يثبت أم لا؟ هذا في علم الله تعالى.

٢. الشرك

✽ هو قصد المخلوقين والتوجه إليهم بعبادة لا يُبتغى بها إلا الله تعالى.
- سواء ابتغى ببعض عمله الخالق تعالى، أم لم يبتغ الله تعالى في كل عمله.

- فالمشرك غالباً ما يبتغي الخالق تعالى ببعض عمله، ويبتغي المخلوقين ببعض العمل.

❁ **والشرك يحبط جميع العمل وإن كان أكثره خالصاً لله.**

❁ **والشرك يكون في العبادات الظاهرة والباطنة.**

- ومن الشرك في العبادات الظاهرة: السجود للقبر تعظيماً لصاحبه.

- ومن الشرك في العبادات الباطنة: خوف صاحب القبر أن يصيبه بأذى إن لم يسجد له ويدعوه.

❁ **والمشرك عمله كله حابط لا أجر له، بل عليه وزر الشرك.**

- وهو كافر، لا يوزن له عمل يوم القيامة، ويستحق العقاب على الشرك.

٣. النفاق

❁ هو إظهار بعض الاعتقادات الصحيحة أو أداء بعض العبادات الظاهرة شكلياً إن كان في جمع من المسلمين، وترك العبادة إن خلا من الناظر إليه.

- وهو لا يؤدي العبادة على الوجه الصحيح بأركانها.

- وهو لا يبتغي الخالق تعالى بفعلها، وإنما يبتغي دفع ضرر أو جلب نفع بظاهر فعلها.

- والمنافق كافر، لا عمل ولا إيمان له.

الخلاصة

❁ **المنافق لا يقر لله بالتوحيد ولا يعظمه ولا يأتي من العبادة إلا صورتها خوفاً من المسلمين.**

❁ **بينما المرائي يقر لله بالتوحيد ويعظمه لكنه يريد ثناء الناس مع**

ثواب الله على العبادة.

❁ **لكن المشرك يعظم الخالق تعالى وفي نفس الوقت يعظم معه غيره**

من المخلوقين ويؤدي بعض العبادات للمخالق وبعضها للمخلوقين.

❁ **والمرتد كان قد أقر لله بالتوحيد، لكنه ناقض توحيده بشعبة أو**

أكثر من شعب الكفر، ولا يشترط أن يأتي بها جميعاً، وقد يظل عنده شيئاً

من شعب الإيمان، لكنها لا تنفعه بعدما أبطل إيمانه بالكفر أو الشرك.

٦. ما هي شروط العمل الصالح؟

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ❁

[الكهف: ١١٠]

فالعَمَل الصالح المتقبل له شرطان :

١- الإخلاص : ألا يبتغي بعمله إلا وجه الله تعالى وثوابه.

٢- الاتباع : ألا يتبع في عمله إلا رسول الله ﷺ.

✽ والعمل الصالح لابد أن يسبقه صحة الإيمان بالله :

١- فلو كان يقصد ولياً يدعوهُ عند الشدائد، ويذبح له، وينذر له، أو يظن أن بيده جلب النفع أو دفع الضر؛ **لكان مشركاً ولفسد عمله كله**، حتى إن ابتغى ببعض عمله الله تعالى، واتبع فيه رسول الله ﷺ.

٢- ومن نبذ شرع الله، وتحاكم إلى القوانين الوضعية، واعتقد أنها خيرٌ من شرع الله تعالى أو تساويه؛ فهذا قد أشرك مع الله غيره في التحاكم، فحبط عمله كله، ولم يُقبل منه، وإن كان عمله مثل طاعات الثقلين الجن والإنس.

رابعاً: تفاوت الناس في تحقيق الإخلاص

الإخلاص يكون في كل شيء؛ في العبادات، والعادات، والأقْدار.

١- النية في العبادات :

✽ ومن صح إخلاصه، لم يرَ المخلوقين أثناء الطاعة، فهو لا يرى إلا الخالق العظيم، وثوابه وعقابه، فيشغله ذلك عن كل ما هو دونه.

٢- النية في العادات :

✽ ومن صدق إخلاصه، تحولت العادات عنده إلى عبادات.

- فتجده ينام؛ ليستيقظ لصلاة الفجر نَشِيطاً، فأصبح نومه عبادة.

- وتجده يأكل؛ ليتقوى على المشي إلى المساجد، فأصبح أكله عبادة يؤجر عليها.

- وتجده يتزوج؛ يريد أن ينجب من سيكون خليفة المسلمين، أو مجدّد القرن، أو قائد المسلمين؛ مثل « صلاح الدين »، فيقضى شهوته، وتكون له طاعة، ويكون عناء رعاية الطفل وتربيته والنفقة عليه من الأعمال الصالحة، وفي ميزان حسناته يوم القيامة.

٣- النية في الأقدار :

✽ كأن تُلجَّ على الله أن يرزقك الشهادة في سبيله، أو يرزقك الحج كل عام، فإنك

تدرك الثواب - ولو لم تُحَصِّل العمل - إن عَلِمَ الله صدق إخلاصك.

٤- لا تصح النية الحسنة في المعصية:

✽ يعنى: لا يجوز أن تبني مسجدًا بihal حرام مغتصب، أو تطعم فقيرًا بihal مسروق، ولا يجوز أن تغتاب أحدًا لتُطَيِّب قلب السامع.

✽ فالمعصية لا تؤثر فيها أي نية طيبة، والنية الحسنة لا تغير المعصية عن كونها حرامًا وظلمًا.

- وإن نية الخير بالمعصية من معاندة الشرع.

✽ أما إذا نوى العاصي عدة مقاصد خبيثة بفعله، فإن وزره يتضاعف.

يجب أن نتعلم النية :

✽ فتجارة النيات هي تجارة العلماء.

✽ قال رسول الله ﷺ: «وَأِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى». [صحيح البخاري ١، ومسلم ١٩٠٨]

- يعني جزاؤه عند الله بقدر ما نوى من أشياء صالحة في العمل الواحد.

١- فإذا ذهبت تصلي، فأسبغ الوضوء، واحتسب أن تسقط خطاياك مع ماء الوضوء.

٢- وسمَّ الله قبل الوضوء.

٣- وتشهَّد بعد الوضوء، واحتسب أن يحبك الله تعالى، وأن تُنادى من أبواب

الجنة الثمانية يوم القيامة.

٤- ثم سر إلى المسجد؛ لتصلي الجماعة.

٥- واحتسب على الله في كل خطوة تخطوها للمسجد أن تكتسب بها حسنة

جديدة، وتخط عنك سيئة قديمة، ويرفعك الله بها درجة.

٦- وأن تكون كل خطوة إلى الصلاة بأجر صدقة حتى ترجع إلى بيتك.

٧- فأكثر الخطى.

٨- وانتخب المسجد الجامع البعيد.

٩- وانو أن تُؤدِّن بنفسك، واحتسب أن أجر ذلك هو دخول الجنة، وأن تأتي يوم

القيامة من أطول الناس أعناقًا، فتكون من أشرف الخلق عند الله تعالى .

- ١٠- أو تردد خلف المؤذن.
- ١١- ثم صلّ على النبي ﷺ، وسل الله له الوسيلة؛ حتى يشفع لك يوم القيامة.
- ١٢- وانو في الطريق أنك إن وجدت جاهلاً، علّمته، وإن وجدت ضالاً، أرشدته، وإن وجدت عاصياً، قوّمته، فتأخذ أجرهم وأجر دالّتهم على الخير.
- ١٣- وانو أنك إن وجدت مسلماً، سلّمْتَ عليه، وصافحته؛ حتى تسقط خطاياهما.
- ١٤- وإن وجدت عاطساً، شَمَّمْتَه، بأن قلت له : يرحمك الله.
- ١٥- وإن وجدت جنازة، صليت عليها، واتبعتها، فتأخذ قيراطين من الأجر.
- ١٦- وإن وجدت أذى في الطريق، أزحته، تكون لك صدقة، وتكون قد حققت شعبة من شعب الإيمان.
- ١٧- وانو أن تصلي في الصف الأول؛ لتدرك الفضيلة.
- وأن تدرك تكبيرة الإحرام؛ لتدرك الثواب، وساو الصف؛ لتأخذ الأجر.
- ١٨- وإن وجدت صفّاً منقطعاً وصلته؛ يصلك الله برحمته.
- ١٩- وانو أن تُسَبِّحَ بعد الصلاة، وتحمّد الله، وتكبره ثلاثاً وثلاثين، تحتسب أن تغفر خطاياك.
- ٢٠- وانو أن تقرأ آية الكرسي؛ حتى لا يكون بينك وبين دخول الجنة إلا الموت.
- ٢١- وانو أن تُعلِّمَ إخوانك مسألة في الدين، وأن تبلغ عن النبي ﷺ ولو آية، فتأخذ أجور كل من اتبعك، واتبع من اتبعك.
- ٢٢- وانو أن تتفقّد إخوانك، فتزور مريضهم، فتحفك الملائكة.
- وتعين فقيرهم، فتكون في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله.
- وتقضي حاجة المحتاج، يقضي الله تعالى حاجتك.
- وتنفس كربة المكروب، تحتسب أن ينفس الله عنك كربة من كربات يوم القيامة.
- وانو ترك الذنوب في بيت الله وأثناء سعيك للصلاة حيّاً من الله تعالى؛ فإن صدقت الله، وقبل حسنتك، يسر لك بعدها حسنات، ويسر لك مباحة الذنوب ماحييت.
- ❀ ألا ترى أنك إذا عدت إلى بيتك أو عملك بعد هذه الصلاة، عدت بربح عظيم لم يربحه إلا من فعل مثلك، حتى وإن لم تفعل بعضاً مما سبق، ولكن ثبت لك أجره

كله إن عقدت العزم على فعله، وأخلصت لله في ذلك.

✽ فهل بعد ذلك تخرج من بيتك قبل أن تقف بين يدي ربك وتجدد نيتك؟

أدلت ما سبق من الفقرات:

١- إسباغ الوضوء:

✽ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَعَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلِّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلِّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَسَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يُخْرِجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ». [صحيح مسلم ٢٤٤]

٢- التسمية قبل الوضوء:

✽ قال رسول الله ﷺ: «لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ».

[حسن: رواه الترمذي ٢٥، وابن ماجه ٣٩٨، وأحمد ٣٨/٢٧٢/٢٣٢٣٦، وحسنه الألباني في الإرواء ٨١]

٣- التشهد بعد الوضوء:

✽ قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغُ أَوْ فَيَسْبِغُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ». [صحيح مسلم ٢٣٤]

✽ وفي رواية يزيد على التشهد بقوله: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، واجْعَلْنِي مِنَ

الْمُتَطَهِّرِينَ». [حسن: رواه الترمذي ٥٥ وحسنه الألباني لغيره في تمام المنة ٩٦، ٩٧]

٤- صلاة الجماعة:

✽ قال رسول الله ﷺ: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَى صَلَاةِ الْفَرْدِ بِسَبْعٍ وَعَشْرِينَ

دَرَجَةً». [صحيح البخاري ٦٤٥ ومسلم ٦٥٠]

٥- المشي للمسجد:

✽ قال رسول الله ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعَشْرِينَ ضِعْفًا وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا

خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ
اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَهَرَ الصَّلَاةَ». [صحيح البخاري ٤٧٧ و ٦٤٧ واللفظ ٢١١٩]

٦- كل خطوة صدقة؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ». [صحيح البخاري ٢٩٨٩ ومسلم ١٠٠٩]

٧- فأكثر الخطى؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَطَهَّرَ الرَّجُلُ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ يَرَعَى الصَّلَاةَ كَتَبَ لَهُ كَاتِبَاهُ أَوْ كَاتِبُهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الْمَسْجِدِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَالْقَاعِدُ يَرَعَى الصَّلَاةَ كَالْقَانِتِ، وَيُكْتَبُ مِنَ الْمُصَلِّينَ مَنْ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ».

[صحيح رواه أحمد ٢٨ / ٦٤٨ / ١٧٤٤٠ والرويانى ٢٣١ وابن خزيمة ١٤٩٢ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢٩٨]

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خُطْوَاتُهُ إِحْدَاهُمَا تُحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً». [صحيح مسلم ٦٦٦]

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَاحَ إِلَى مَسْجِدٍ جَمَاعَةٍ، فَخُطُّوَتَاهُ: خُطْوَةٌ تَمْحُو سَيِّئَةً، وَخُطْوَةٌ تَكْتُبُ حَسَنَةً، ذَاهِبًا وَرَاجِعًا».

[حسن رواه ابن حبان في صحيحه ٢٠٣٩، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان ٢٠٣٧]

٨- المسجد البعيد؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى».

[صحيح البخاري ٦٥١ ومسلم ٦٦٢]

٩- الأذان؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». [صحيح مسلم ٣٨٧]

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ، جَنَّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». [صحيح البخاري ٦٠٩ و ٣٢٩٦ و ٧٥٤٨]

❁ قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَبَاسٍ». [صحيح رواه

أبو داود ٥١٥، والنسائي ٦٤٥، وابن ماجه ٧٢٤، وأحمد في مسنده ١٦ / ٢٧ / ٩٩٣٥، وصححه الألباني في المشكاة ٦٦٧]

١٠- التردد خلف المؤذن؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ

الله أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ». [صحيح مسلم ٣٨٥]

١١- الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ». [صحيح مسلم ٣٨٤]

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». [صحيح البخاري ٦١٤ و ٤٧١٩]

١٢- الدلالات على الخير

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ». [صحيح مسلم ١٨٩٣]

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا». [صحيح مسلم ٢٦٧٤]

١٣- المصافحة:

❁ قال رسول الله ﷺ: « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ اتَّقَيَا فَأَخَذَا حَظَّهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَخْضُرَ دُعَاؤُهُمَا ، وَلَا يُفَرِّقَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا حَتَّى يَغْفِرَ لَهُمَا ».

[حسن: رواه أحمد ١٩/٤٣٥، والبخاري ١٢٤٥١، والبيهقي ٢٠٠٤ وأبو يعلى ٤١٣٩، وصححه الألباني في الصحيحة ٥٢٥]

❁ قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا لَقِيَ أَخَاهُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُمَا ذُنُوبُهُمَا، كَمَا يَتَحَاتُّ الْوَرَقُ الْيَابِسُ مِنَ الشَّجَرِ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، وَإِلَّا غُفِرَ لَهُمَا وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبُهُمَا مِثْلَ زَيْدِ الْبَحْرِ ». [حسن لغیره: رواه الطبراني في المعجم الكبير ٦١٥٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/٤٧٣، ٨٩٥٠]

❁ قال رسول الله ﷺ: « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ

يَفْتَرَقَا». [حسن : رواه أبو داود ٥٢١٢ والترمذي ٢٧٢٧ وأحمد ٥١٧/٣٠، ٥١٨، ٥٥٧، ٦٢٩/١٨٥٤٧، ١٨٥٤٨، ١٨٥٩٤،

١٨٦٩٩، وحسنه لغيره الألباني في الصحيحة ٥٢٥]

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا لَقِيَ الْمُؤْمِنَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَصَافَحَهُ، تَنَاثَرَتْ خَطَايَاهُمَا، كَمَا يَتَنَاثَرُ وَرَقُ الشَّجَرِ.»

[حسن : رواه الطبراني في الأوسط ٢٤٥ وابن وهب في الجامع ٢٥٠ وحسنه لغيره الألباني في الصحيحة ٥٢٦]

١٤- تَشْمِيتُ الْعَاطِسِ

❁ قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ (أَوْ الْمُقْسَمِ)، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ. وَنَهَانَا: عَنْ خَوَاتِمِ (أَوْ عَنْ التَّخْتَمِ) بِالذَّهَبِ، وَعَنْ الشَّرْبِ بِالْفِضَّةِ، وَعَنْ الْمِيَاثِرِ، وَعَنْ الْقَسِيِّ، وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ، وَالِاسْتَبْرَقِ، وَالِدِّيَابِجِ». [صحيح البخاري ٦٢٢٢]

١٥- شُهُودُ الْجَنَائِزِ:

❁ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ قِيلَ وَمَا الْقِيرَاطَانِ قَالَ مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ».

[صحيح البخاري ١٣٢٥ ومسلم ٩٤٥]

١٦- إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ:

❁ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ». [صحيح مسلم ٣٥]

❁ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». [صحيح البخاري ٢٩٨٩ ومسلم ١٠٠٩]

١٧- الصَّلَاةُ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ:

❁ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ».

[صحيح : رواه أبو داود ٦٦٤، وابن ماجه ٩٩٧، وأحمد في مسنده ١٨٦١٦ ٣٠/٥٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير

وزيادته ١٨٤١ ١/٣٧٦، وفي صحيح الترغيب ٤٩١]

❁ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ يَتَنَاسَرُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَا سَتَهُمُوا». [صحيح البخاري ٢٦٨٩، ٦٥٣، ٦١٥ ومسلم ٤٣٧]

❁ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ

النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرْهَاهُ أَوْهَاهُ. [صحيح مسلم ٤٤٠]

١٨- وصل الصفوف:

❁ قال رسول الله ﷺ: « وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ. »

[صحيح: رواه أبو داود ٦٦٦ والنسائي ٨١٩ وابن خزيمة ١٥٤٩ والحاكم ٣٣٣/١ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٦٧٢]

١٩- التسبيح بعد الصلاة:

❁ قال رسول الله ﷺ: « مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ. » [صحيح مسلم ٥٩٧]

❁ قال رسول الله ﷺ: « مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ. » [صحيح البخاري ٦٤٠٥، مسلم ٢٦٩١]

٢٠- قراءة آية الكرسي دبر الصلاة:

❁ قال رسول الله ﷺ: « مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ. » [صحيح: رواه النسائي في عمل اليوم والليلة ١٠٠ والرويان ١٢٦٨ والطبراني في المعجم الكبير ٧٥٣٢ والأوسط ٨٠٦٨ ومسند الشاميين ٨٢٤ وصححه الألباني في الصحيحة ٩٧٢]

٢١- تعليم الدين:

❁ قال رسول الله ﷺ: « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً. » [صحيح البخاري ٣٤٦١]

❁ قال رسول الله ﷺ: « فليُبلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ رُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ. » [صحيح البخاري ١٧٤١]

❁ قال رسول الله ﷺ: « نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفَظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ رُبَّ حَامِلٍ فَقْهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ. »

[صحيح رواه أبو داود ٣٦٦٠، والترمذي ٢٦٥٦، وابن ماجه ٢٣٠، وأحمد في مسنده ٢١٥٩٠/٣٥/٤٦٧، وابن حبان في

صحيحه ٦٨٠، وصححه الألباني في التعليقات الحسان ٦٧٩/٢/١٢٢]

٢٢- تفقد الإخوان:

❁ قال رسول الله ﷺ: « مِنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. » [صحيح مسلم ٢٦٩٩]

❁ قال رسول الله ﷺ: « إِنْ ظَلَّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقْتُهُ. » [حسن: رواه أحمد ٢٩ / ٥٧٩ /

١٨٠٤٣، ٣٨ / ٤٧٥ / ٢٣٤٩٠، وابن زنجويه في الأموال ١٣٢١ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ٨٧٢]

❁ قال رسول الله ﷺ: « كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ. »

[صحيح: رواه أحمد ٢٨ / ٥٦٨ / ١٧٣٣٣ وابن المبارك في الزهد ٦٤٥ وأبو يعلى في مسنده ١٧٦٦ وابن خزيمة ٢٤٣١ وابن حبان

٣٣١٠ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٨٧٢]

❁ قال رسول الله ﷺ: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ:

اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ أَمْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ

اللَّهُ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ». [صحيح البخاري ٦٦٠ و ١٤٢٣ و ٦٤٧٩ و ٦٨٠٨ و مسلم ١٠٣١]

خامساً : الأسباب الجالبة للإخلاص والمعينة على تحقيقه

✽ التفكير في عظمة الله ووحدانيته.

وَأَنَّى للمخلوق أن يتفكر في عظمة خالقه، سبحانه؟! وهو لا يستطيع أن يدرك حقيقة هذه العظمة، فعقله مخلوق محدود لا يستطيع أن يحيط علماً بعظمة خالقه **القادر، الواسع، العظيم،** سبحانه.

- وإنا نتفكر في عظمة مخلوقاته؛ لنستدل بها على عظمة خالقها سبحانه.
- فإن تفكرت في عظمة السماوات والأرض، وأن بين السماء الأولى والأرض مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، وسمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام.
قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]

✽ قال رسول الله ﷺ: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلا كدراهم ألقيت في فلاة من الأرض، وما الكرسي في العرش إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض.» [تفسير ابن عطية ٥٠٨/١، وتفسير القرطبي ٢٠٤/٤، وتفسير الثعالبي ١٠٧/٢]

✽ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ وَالَّتِي تَلِيهَا وَبَيْنَ الْأُخْرَى مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَّمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالسَّمَاءِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ السَّمَاءِ، وَاللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ.»

[صحيح: رواه الدارمي في الرد على الجهمية ٨١، وابن خزيمة في التوحيد ٢٤٢-٢٤٤، والطبراني في الكبير ٨٩٨٦، ٨٩٨٧، وأبو الشيخ في العظمة ٥٦٥/٢، ٦٨٨-٦٨٩، ١٠٤٧/٣، وابن بطة في الإبانة الكبرى ١٢٨، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٦٥٩، والبيهقي في الأساء والصفات ٨٥١، ٨٥٢، وأورده ابن القيم في اجتاع الجيوش الإسلامية ٢/٢٥٤، وصححه]

قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

✽ ثم تفكر في حملة العرش من الملائكة الكرام، ما بين طرف أذن أحدهم إلى عنقه مسيرة سبعمائة سنة، فلو كان يأكل، ولو كانت الأرض طعاماً، لكانت لقمة واحدة.

قال الله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]

✽ قال رسول الله ﷺ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ

إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةٍ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعَ مِائَةِ عَامٍ .»

[صحيح رواه أبو داود ٤٧٢٧، والطبراني في الأوسط ١٧٠٩ و ٤٤٢١، وأبو الشيخ في العظمة ٧٣١ / ٢ و ٩٤٨ / ٣، وأبو نعيم في الحلية ١٥٨ / ٣، والبيهقي في الأساء والصفات ٨٤٦، وابن طهمان في مشيخته ٢١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٦٢ / ١٢ وابن كثير في تفسيره ٤٠ / ٤١٤ وعزاه الحافظ في الفتح ٦٦٥ / ٨ لابن أبي حاتم وصححه، وصححه الألباني في الصحيحة ١٥١]

❁ شتان بين خالق ومخلوق، شتان بين عابد ومعبود، شتان بين قاصدٍ ومقصود.

- فيا مغبون كيف تترك **العلي** وتقصد الدني؟ كيف تترك **الغني** وتقصد الفقير؟!

كيف تترك **القوي** وتقصد الضعيف؟! كيف تترك **العليم** وتقصد الجاهل؟! كيف

تترك **الحكيم** وتقصد السفیه؟ كيف تترك **السلام** وتقصد اللئام؟!

- هذه والله الصفقة الخاسرة، والتجارة البائرة، والبيع المغبون، والبدل الظلوم.

سادساً: فضل الإخلاص

١- الإخلاص سرُّ بين العبد وربه:

✽ قال الجنيد: الإخلاص سرُّ بين الله وبين العبد، لا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ فَيَكْتُبُهُ، وَلَا شَيْطَانٌ فَيُفْسِدُهُ وَلَا هَوًى فَيَمِيلُهُ.

[أورده القشيري في رسالته ٣٦١/٢ والقرطبي في تفسيره ١٤٦/٢ وابن القيم في مدارج السالكين ٩٢/٢]

٢- الشيطان لا يقدر على غواية المخلصين:

الشيطان يدخل للناس في كل عمل، ومن كل وجه، وبكثير من الحيل، ولا ينجو من كل ذلك إلا المخلصين.

قال الله تعالى مخبراً عن إبليس: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٣١) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ✽ [الحجر: ٣٩-٤٠]

وقال الله تعالى مخبراً عن إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ✽ [ص: ٨٢-٨٣]

٣- القرآن الكريم تتعاضده آياته بقدر ما فيها من التوحيد والأمر بالإخلاص:

ألا تعلم أن سورة الإخلاص من أعظم سور القرآن؟ وهى تعدل ثلثه؛ لأجل ما فيها من التوحيد وما تحض عليه من الإخلاص.

✽ قال رسول الله ﷺ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قالوا: وكيف يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». [صحيح مسلم ٨١١]

٤- الإخلاص سبب لحب الله للعبد:

✽ كان رجلاً يؤم الناس على عهد رسول الله ﷺ، وكان يقرأ في كل ركعة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ✽، فلما سأله لماذا يقرأها، فقال: لأنه يحبها؛ لأن فيها صفة الرحمن، فقال: رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبها».

✽ بعث النبي ﷺ رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ✽ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: فأخبروه أن الله

يُحِبُّهُ.» فهذا الرجل أحب صفة الله فأحبه الله. [صحيح البخاري ٧٣٧٥ ومسلم ٨١٣]

*** والله يحب المحسنين في العبادة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥ / المائدة: ١٣]

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨ / المائدة: ٩٣]

- والإخلاص هو أساس إحسان العبادة.

- لأن إحسان العبادة هو الإخلاص والاتباع.

٥- الإخلاص سبب للنجاة من العذاب:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ۝٣٨ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩﴾ إِلَّا

عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ [الصافات: ٣٨ - ٤٠]

قال الله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ۝٧٢﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ

[الصافات: ٧٣ - ٧٤]

قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُحْضَرُونَ ۝١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ [الصافات: ١٢٧ - ١٢٨]

٦- الإخلاص سبب لنيل شفاعته الرسول ﷺ:

﴿ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،

خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ ، أَوْ نَفْسِهِ . » [صحيح البخاري ٩٩ و ٦٥٧٠]

٧- الإخلاص سبب لصرف السوء عن العبد:

قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]

٨- المخلصون ينزهون الله عن النقائص:

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۝١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ [الصافات: ١٥٩ - ١٦٠]

٩- النية تضاعف أجر العامل المخلص:

﴿ فرب عمل قليل تعظمه النية ، ورب نية تحل محل العمل .

﴿ فمن الواجبات ما لا يسقط حتى تعقد فيه النية؛ كالغزو في سبيل الله، فتكفي

فيه النية عند عدم الاستطاعة.

- فالواجبات تسقط بالعذر، والنية لا تسقط بالعذر؛ لأنه ليس فيها عدم استطاعة.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ». [صحيح مسلم ١٩٠٩]

❁ أصحاب الأعداء يدركون ثواب الطاعات كاملة، تمامًا كأصحاب العزائم إذا صدقت نيتهم، فيكتب للضعيف أجر الجهاد، ويكتب للمريض أجر صلاة الجماعة، ويكتب للفقير أجر الصدقة، فيرتفع بالنية إلى أعلى المنازل.

❁ فانظر إلى أهمية النية؛ فإنها ترفع العامل المخلص إلى درجات لم يبلغها عمله.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاِدِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ». [صحيح البخاري ٤٤٢٣]

- كان ذلك في غزوة تبوك حيث لم يملك الفقراء والضعفاء مالاً يبلغون به أو راحلة يسافرون عليها أو سلاحاً يقاتلون به.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بَنِيَّتُهُ، فَاجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَجْطِئُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بَنِيَّتُهُ، فَوَزْرُهُمَا سَوَاءٌ». [صحيح: رواه الترمذي ٢٣٢٥، وابن ماجه ٤٢٢٨، وأحمد ١٨٠٣١، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٢٤]

١٠- الإخلاص سبب إجابة الدعوات:

❁ قال القائد قتبية بن مسلم العالم العابد المجاهد قائد الجبهة الشرقية لبلاد المسلمين يوم فتح كابل عاصمة أفغانستان: [لِأَصْبَحَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ أَشَدَّ عَلَى الْكُفَّارِ مِنْ أَلْفِ شَابٍ طَرِيرٍ وَسَيْفٍ شَهِيرٍ] (والطيرير هو الشاب القوي الذي يحمل السيف صلتًا على الكفار). [عيون الأخبار ٢٠٤٨ والمجالسة وجواهر العلم ١٨١١ سير إعلام النبلاء ٦/ ١٢١]

- ومحمد بن واسع هو إمام المسلمين رحمه الله وشيخ الإمام البخاري، كان يصلي

بالليل، فيرفع إصبعه في التشهد، فيقول به : أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فإذا جاء النهار وكانت الحملة على الكفار، وحى الوطيس، رفع ذلك الإصبع إلى السماء، وأقسم على رب الأرض والسموات، إلا منحتنا أكتافهم، فينهزم الكافرون مدبرين، ويعطوا ظهورهم للمسلمين، فتكون فيهم الملحمة، ويكثر فيهم السبي والإسار، فإذا كان وقت تقسيم الغنائم، وجدوا محمداً بن واسع في خيمته يتململ ويبكي، فهو أقل في عين نفسه من أن يستجيب الله له، وهو ما جاء إلا طلباً للشهادة، فمد الله في أجله، وما جاء يطلب ديناراً ولا درهماً، وإنما جاء يطلب للدين نصراً، وللإسلام مجداً.

فإذا دخل المسلمون الديار، ومصرفوا الأمصار، وبنوا المساجد في الأقطار، وعمروها بالطاعات والأذكار، كان أول الدعاة إلى ربه **الغفار**. وإذا زال الطغاة، وهُزمت الفئة الباغية، وخُلي بين الناس والداعية، فسمعوا منه البيان، وتلى عليهم القرآن، دخلوا في دين **الرحمن**، وخضعوا **للوّاحد الديان**، وما وزنوا شيئاً بالإيمان.

- فسبحان من جَمَعَ فيهم صفتين؛ فكانوا المجاهدين، وكانوا الرهبان.
- وتمت كلمة ربك بالإحسان، فالحمد لله **الوهاب المنان**، وله الشكر عظيم الشأن.
❁ والإخلاص كان سبب نجاة الثلاثة، أصحاب الغار من الموت.
❁ قال رسول الله ﷺ : « انْطَلَقَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوْوَا الْمَيْتَ إِلَى غَارٍ. فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ. فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَتَأَيَّ بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرْخَ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لهُمَا غُبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتَيْقَاطَهُمَا، حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غُبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَأَنْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا

عَنْ نَفْسِهَا، فَاُمْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السَّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عَشْرِينَ وَمِائَةً دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُحِلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَقْضِيَ الْحَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الثَّالِثُ اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءً، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَشَمَرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَأَقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْسُونَ. [صحيح البخاري ٢٢٧٢، ومسلم ١٠٠]

سابعاً: علامات المخلصين

١- المخلص يخاف من الرياء دائماً، ولا يرى نفسه قد أتم إخلاصه أبداً؛

✽ فتجده يجمع نيته وإخلاصه قبل العمل، ويظل وجلاً أثناء العمل، خائفاً من خَطَرَةِ الرياء، ثم يكون خائفاً بعد العمل، شاكاً في قبوله.

- وهذا الخوف وهذا الشك في القبول من علامات الإخلاص التي يُرجى معها قبول العمل، ويُرجى أن يُكفَّرَ بها خاطر الرياء إن ورد على العمل، والعبد لا يعلم.

٢- المخلص يتهم نفسه بالتقصير دوماً؛

المخلص لا يرى نفسه قد وُفِّيَ بحق الله عليه أبداً.

٣- المخلص يحرص على إخفاء حسناته قدر الاستطاعة؛

- ويحرص كل الحرص على أن يكون له خبءٌ من عمل صالح لا يطلع عليه أحد أبداً.
✽ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبَاءٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ

فَلْيَفْعَلْ. [صحيح: رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١١/ ٢٦٣، وابن المبارك في الزهد والرقائق ١١٠٩، وابن الجعد في مسنده ٦٨٢، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٤٦٢٥، ٣٤٧٥١، وأبو داود في الزهد ١١٢، والنسائي في الكبرى ١١٨٣٤، وابن الأعرابي في معجمه ١٢٤٠، والشهاب في مسنده ٣٤٣، والحافظ في تاريخ بغداد ١١/ ٢٦٢ مرفوعاً، وصححه الضياء موقوفاً في المختارة ٨٨٣، وصح رفعه وصححه الألباني في الصحيحة ٢٣١٣]

- فتجد لصدره أزيزاً من البكاء في صلاته، قد بَلَكَ لحيته بدموعه، ولا يشعر به من بجواره.
- وتجد لا يبطأ طي رأسه من الخشوع رياءً، فالخشوع في القلب، وليس في الرقبة.
- وتجد إذا سمع الموعظة يخشع قلبه، فإذا سالت دموعه على خديه، مسحها، وقال: ما أشدَّ الزكام.

كان أيوب السخيتاني في مجلس فجاءته عبرة فدخل يتمخط فيقول: ما أشدَّ الزكام. [رواه ابن الجعد في مسنده ١٢٤٦ وأحمد في العلل ١/ ٤٠٥/ ٨٣٧]

٤- المخلص لا يتأثر برؤية الناس له:

- من تم إخلاصه، لم ير المخلوقين؛ لأن انشغاله بمراقبة ربه، واستحضاره لعظمته قد حجب عن عينيه رؤية من هو دونه.

٥- المخلص لا يتأثر بمدح الناس له:

المخلص يستوي عنده مدح الناس وذمهم على عمله، فثناء المخلوقين عليه ليس بشيء عنده، وثناؤهم لا يؤثر في قلبه، ولا يدفعه لتحسين عمله، وهو لا يطلب مدحهم أصلاً، ولا يتطلع إليه.

٦- المخلص لا يتأثر بفساد الناس:

- المخلص لا تقل طاعته إذا فسد الناس، فهو ليس إمعة يسير تبعاً لهم، وإنما هو يتبع إماماً واحداً هو رسول الله ﷺ، فلا يؤثر فيه إن كان من حوله على طاعة أو معصية.
- وإنما تسره طاعتهم، لما فيها من نجاة أنفسهم، وتحزنه معصيتهم؛ لما فيها من هلاكهم.

ثامناً: جزاء الإخلاص

١- دخول الجنة من أول وهلة:

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ؛ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ». [صحيح البخاري ٦٤٢٢]

❁ قال رسول الله ﷺ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ! قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ! قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثَلَاثًا، قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ؛ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا، قَالَ: إِذَا تَتَكَلَّمُوا». [صحيح البخاري ١٢٨ ومسلم ٣٢]

❁ قال رسول الله ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ». [صحيح البخاري ٩٩ و٦٥٧٠]

❁ قال رسول الله ﷺ: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ بَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ». [صحيح البخاري ٤٤]

٢- مغفرة الذنوب:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤]

❁ فالشرك يحجب المغفرة، والإخلاص يستوجبها .

- والله تعالى يغفر كل شيء حتى الكبائر، لمن شاء سبحانه بشرط عدم الإشراك بالله تعالى.

٣. صلاح الدنيا:

من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين صالحي عبادته، وأصلح له أهله وذريته.

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكِرُونَ ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

- وإصلاح ما بينك وبين الله هو الإخلاص.

تاسعاً: الرياء

بحث الرياء يتضمن:

- ١- ما هو الرياء؟
- ٢- خطورة الرياء.
- ٣- الرياء يبطل ثواب العمل، ويوجب العقوبة.
- ٤- ما هي محبطات الأعمال؟
- ٥- ما أسباب الرياء؟
- ٦- علاج الرياء.
- ٧- لا يجوز ترك العبادة خوفاً من الرياء.
- ٨- إظهار العمل.

١- ما الرياء؟

- ١- الرياء عكس الإخلاص.
- ٢- الرياء: هو إظهار العبد للعبادة وتزينها بقصد رؤية الناس لها، يريد أن يحمده عليها، ويشنوا عليه بها.
- ✽ والرياء: هو انشغال العبد برؤية الناس لعمله عن إحساسه برؤية الله تعالى لعمله ونيته .

• فينشغل بالتودد لهؤلاء المخلوقين والتزين لهم، وينشغل بما يُعَظَّم منزلته عندهم، ليكون له العلو عليهم، ثم يتساهل فيما دون ذلك من العبادات التي لم يطلعوا عليها، وهذا أصل الفساد والنفاق.

• فتصبح حركاته كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس؛ يرجو مدحهم ويخاف ذمهم، وهذا من المهلكات.

٣- الرياء: هو طلب رؤية الناس. والسمعة: هي طلب سماع الناس لما يتلو من القرآن والوعظ، ويدخل في ذلك أن يتحدث الرجل بما عمله في السر، طلباً لمدح الناس له.

٢. خطورة الرياء:

❁ الرياء أخطر إرادات النفس الأمارة بالسوء.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ قَالُوا: يَا رَسُولَ

اللَّهِ، وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ.» [صحيح: رواه أحمد ٢٣٦٣٠، ٢٣٦٣٦، وصححه الألباني في الصحيحة ٩٥١]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا الشَّرْكَ، فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ.»

[حسن: رواه أحمد ١٩٦٠٦، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب ٣٦]

٣. الرياء يحبط العمل ويوجب العقوبة:

١- الرياء هو شرك السرائر ... وهو الشرك الخفي ... وهو الشرك الأصغر.

٢- من أشرك مع الله أحداً في العمل، تبرأ الله منه، وتركه للذي أشركه معه؛

ليأخذ منه أجره وثواب عمله، فهل ترى إذا كان يوم القيامة هل يعطيه شيئاً؟

❁ قال رسول الله ﷺ: « يَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ يُجَازِي الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ : اذْهَبُوا عَلَىٰ إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً.»

[صحيح رواه أحمد ٢٣٦٣٠، ٢٣٦٣٦ وصححه الألباني في الصحيحة ٩٥١]

٣- والمشرک والمرائي يستحقان العقوبة من الله؛ لأن الله تعالى له كمال

الغنى، ولا يرضى أن يكون له في عبده شريك.

❁ قال الله تعالى في الحديث القدسي: «أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ، وَمَنْ عَمِلَ

عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرَكَهُ.» [صحيح مسلم ٢٩٨٥]

٤- والرياء يحبط العمل الذي هو فيه، ويمحو ثوابه.

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]

٤. ما هي محبطات الأعمال؟

محبطات الأعمال تكون قبل العمل وأثناء العمل وبعد العمل:

١- محبطات قبل العمل:

- وهي الرياء، والسمعة، وإرادة الدنيا بالعمل.

- والرياء قد يقع أثناء العمل.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ﴾ [النساء: ٣٨]

٢- محبطات أثناء العمل :

- وهي مخالفة السنة وعدم اتباع النبي ﷺ .
﴿ قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ. »

[صحيح البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨]

٣- محبطات بعد العمل :

- وهي المن بالعمل على الله تعالى وعلى عباده.
قال الله تعالى: ﴿ يَمْئُونُ عَلَيْكَ أَنْ أُسْلِمُوا قُلَّ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ
لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]

قال الله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُ أَسَدَقْتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ [البقرة: ٢٦٤]
- ورفع الصوت على رسول الله ﷺ في حياته ﷺ، والتقدم بين يديه ﷺ بعد مماته
ﷺ بأن يقدم قوله أو قول غيره على قول رسول الله ﷺ يفتى بغير الشرع وهو يعلم،
فيحبط ما سبق له من العمل.

قال الله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢]

٥. أسباب الرياء؟

١- حب لذة المحمدة والمنزلة والجاه في قلوب الخلق .

٢- أن ينفي المرائي عن نفسه صفة الكسل عن العبادة.

٣- المرائي يريد أن يصفه الناس بالتدين.

- كأن يصلي المرائي مع المجتهدين في التراويح، أو يصوم معهم الاثنين والخميس؛
حتى ينسبوه إلى التدين، فهو يفر من ألم الذم إذا ظهر منه خلاف الطاعة، وهذا لو
خلا بنفسه، لم يفعل من تلك النوافل شيئاً.

٤- نيل حظوظ الدنيا والطمع بما في أيدي الناس.

- فربما أظهر المرء العلم والعبادة؛ ليحبه الناس، ويعطوه من أموالهم، أو يزوجه

من بناتهم، وهذا المرائي طلب متاع الدنيا بطاعة الله.

٥- معصية الله.

- فربما أظهر المرء التقوى والورع؛ لكي يأتئنه الناس على زكواتهم - مثلاً - فيأخذ منها لنفسه ما يريد بغير حق، وهذا المرائي جعل إظهار طاعة الله سلباً إلى معصيته.

٦. علاج الرياء:

١- ألا يسترسل العبد مع وسواس الرياء؛ فإنه من الشيطان.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]

٢- ويستعيز بالله من الشيطان.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦]

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ⑥ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨]

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]

❀ قال رسول الله ﷺ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمَزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ». [حسن: رواه أبو داود ٧٧٥ والترمذي ٢٤٢ وابن ماجه ٨٠٤ وأحمد ١١٤٧٣ وحسنه لغيره الألباني في إرواء الغليل ٥١/٢]

❀ قال رسول الله ﷺ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». [صحيح: رواه أبو داود ٤٦٦ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٤٨٥]

٣- أن يستحضر عظمة الله في قلبه؛ ليهون عليه أمر المخلوقين.

- فيعود إلى الإخلاص، فيسلم له عمله، ولا يضره ما حدث له من وسواس الرياء.

- ثم ليحزم أمره، ويعظم نظر الله إليه، ولا يأبه بنظر المخلوقين.

- فإن الله تعالى إذا رأى طاعته، وقبلها منه، فأى فائدة في رؤية غيره؟

- وإن شكره الله على طاعته، هان عليه ذم الناس له؛ فإن ذم الناس لن يُغضبه إلى الله أبداً.

- ويستحضر غضب الله على من طلب بطاعته ثواباً من غيره.

- ويستحضر ذلة المخلوق الذي يرائيه إذا وقف بين يدي ربه للحساب.

٤- أن يتفكر الشخص في نفسه: كيف يطلب بطاعة الله مراعاة عبدٍ ضعيف لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؟

- وكيف خدعه الشيطان وأوهمه أن العباد يملكون من مصالحه أكثر مما يملك الله تعالى؟!

- فكيف يرفع قدر العبد فوق قدر ربه العظيم؟!

٥- وكيف يستبدل ثواب الإخلاص في الآخرة بطمع دنيوي في أناس غالبًا ما سيخذلونه؟!

- وكيف يرضى بحبوط عمله مقابل رجاء كاذب، وأمل فاسد في الناس؟!

- قد يخطئ ذلك الأمل، وقد يصيب.

- فإن منعوه أصابته الخيبة، وإن وعدوه، أصابته الذلّة لهم، وإن أعطوه، أصابته

الإهانة لمنهم عليه.

٧. لا يجوز ترك العبادة خوفًا من الرياء:

✽ هذا من أكبر الخطأ، وموافقة للشيطان، وتركٌ للخير .

✽ قال الفضيل بن العياض: «تَرَكُ الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ، وَالْعَمَلُ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ، وَالْإِخْلَاصُ أَنْ يُعَافِيَكَ اللَّهُ مِنْهُمَا.» [رواه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٩٥ والبيهقي في شعب الإيمان ٦٤٦٩]

✽ قال الفضيل بن العياض: «تَرَكُ الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ، وَالْعَمَلُ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ، وَالْإِخْلَاصُ أَنْ يُعَافِيَكَ اللَّهُ مِنْهُمَا.» [رواه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٩٥ والبيهقي في شعب الإيمان ٦٤٦٩]

✽ فمن وجد في نفسه نشاطًا إلى الطاعة فلا يتركها، ثم ليدفع خاطر الرياء إذا ورد عليه، ويلزم قلبه الحياء من الله إذا وسوس إليه الشيطان أن يستبدل رضاه برضا المخلوقين.

٨ إظهار العمل:

١- الإظهار للاقتداء:

✽ الله تعالى أمر أنبياءه ﷺ بإظهار العمل؛ حتى يقتدي بهم الناس، فمن

ظن أنه في محل القدوة، ويُقتدى بعمله، فليحذُ حذوهم.

✽ ولكن ليراقب العبد قلبه، فربما يُقتدى به فعلاً، لكن قد يدخل قلبه من

الرياء الخفي ما يجعله يشتهي التجميل بالعمل لكي يُحمد عليه، فليحذُ رخداع نفسه،

وليؤثر السلامة، وإن السلامة في إخفاء عمله، والسلامة لا يعدلها شيء.
❁ قال إبراهيم بن أدهم: « مَا صَدَقَ اللَّهُ عَبْدٌ أَحَبَّ الشُّهُرَةَ ».

[رواه البخاري في التاريخ الكبير ٤/ ٣٦٣ وابن أبي الدنيا في العزلة ١٣٧ وأحمد في الزهد ٢٢٤٠ وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٣١]

٢- إظهار العمل الماضي؛

❁ العبد قد يتحدث بالعمل بعد الفراغ منه؛ ليرغب الناس في مثله، ولكن ليحذر أي زيادة أو مبالغة في وصف العمل.

- ولا ينبغي له أن يجترئ على الحديث عن عمله، إلا إذا شعر أن ذلك لن يؤثر على إخلاصه.
- ولا ينبغي له أن يُقَدِّم على ذلك إلا إذا صغر الناس في عينه، واستوى عنده مدحهم وذمهم.

٣- وإن المخلص يخاف من الرياء الخفي، فيجتهد في إخفاء عمله الصالح أشد من اجتهداه في إخفاء سيئاته؛ رجاء أن يَحْلُصَ عمله من الرياء لينال حسن الجزاء.

٤- ظهور بعض العمل قد يدل على حسن نظر الله للعبد.

- قد تظهر بعض طاعات العبد رغم اجتهداه في إخفائها، فيشيع خبر الخير بين المسلمين، فيُسَرُّ بذلك، وهذا السرور غير مذموم؛ لأن العبد يستدل بإظهار الله تعالى لعمله على حسن صنيع الله تعالى به، فقد أظهر جميل فعله وستر القبيح، فيكون فرحه بحسن نظر الله تعالى له، لا بحمد الناس له.

٥- وربما يقتدي الناس بالعبد، فيتضاعف أجره، فيأخذ مثل أجور من اتبعه.

ولا ينقص من أجور العاملين شيئاً.

- فيفرح برؤية الناس يطيعون الله مثله.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً». [صحيح مسلم ٢٦٧٤]

- وعلامة إخلاص هذا العبد أن يكون فرحه لإقبال الناس على الطاعة، سواء كانوا يقتدون به أو يقتدون بغيره، فيكون فرحه لا اجتهد الناس في الطاعة لا لثنائهم عليه.
- ويزداد فرحه إذا كان هو السبب في طاعتهم؛ لما يرجوه من ثوب الله تعالى على اتباعهم له.

عاشراً: درجات الرياء

✽ الرياء يحبط العمل الذي هو فيه صغيراً كان أم كبيراً.

١- إن كان الرياء في أصل الاعتقاد أبطله، وهو النفاق الأكبر:

- الرياء في أصل الإيمان والشهادتين، هو أن ينطق بالشهادتين يرائي الناس، وقلبه ليس مطمئناً بالإيمان، فيحبط الرياء النطق بالشهادتين، فكأنه لم يقلها، وكأنه لم يدخل في الإسلام؛ فالإخلاص شرط في صحة الشهادتين وفي صحة الإيمان والاعتقاد.

قال الله تعالى: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦]
وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧]

٢- وإن كان الرياء في أصل عبادة من العبادات، أحبطها:

- كمن يطلب مدح الناس على العمل، ولا يريد وجه الله ابتداءً؛ كمن يرائي في حضور الجمع والجماعات والحج وبر الوالدين، فيفعل ذلك ليس رغبة في ما عند الله من الثواب، وإنما خوفاً من ذم الناس إذا لم يفعل تلك الطاعة، فهذا خوفه من ذم الناس أعظم عنده من خوفه من عقاب الله.

٣- وإن كان الرياء في جزء من العبادة، أحبط ذلك الجزء:

✽ إذا كان أصل العمل لله، ثم طرأت عليه نية الرياء : فإن كان هذا خاطراً ودفعه الإنسان، فإنه لا يضره، أما إذا استرسل معه، فإن عمله كله لا يبطل، ويجازى بأصله نيته الأولى، ويحبط الجزء من العمل الذي وقع فيه الرياء.

• مثل أن يتغنى وجه الله بالعمل في البداية، فيراه الناس أثناء العمل، فيدخل في قلبه طلب مدحهم، فيُحَسِّن من صلاته من أجلهم، وهذا يحبط الجزء من العمل الذي حدث فيه الرياء، أما إذا دفع ذلك الخاطر، فإنه لا يضره.

• ومن كان هذا حاله، فإنه يكسل عن النوافل إن كان وحده، وينشط فيها ويحسنها إذا كان أمام الناس، فيطيل الركوع والسجود والقراءة في الصلاة أمام الناس.

- عجباً لهذا المرائي الذي يُقدم المخلوقين على خالقه العظيم.

٤- ربما يرائي العبد وهو في بيته، يصلى وحده، وليس معه أحد:

ورياؤه أن يتمنى أن يراه الناس، وربما إذا أصبح، حدثهم بعمله البارحة، فينقل عمله من ديوان السر إلى ديوان العلانية، وربما يغضب عليهم إذا لم يمدحوه بما يحدثهم من عمله.

٥- الرياء الخفي :

هو أن يجتهد العبد في الطاعات، ولا يحسنها أمام الناس، ولكن يفرح إذا اطلعوا على طاعته، وتذهب مشقتها عن نفسه، ويجب أن يوقروه لذلك، ويشنوا عليه، وكل ذلك لالتفات قلبه إلى الناس، وهذا النوع لا يسلم منه إلا الصديقون.

❁ وأما إذا حمّد الرجل على أعماله الصالحة بغير أن يطلب ذلك من الناس، فتلك عاجل بشرى المؤمن في الدنيا .

❁ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ». [صحيح مسلم ٢٦٤٢]

❁ فمن عمل عملاً فاطلع عليه الناس، فأعجبهم، واقتدوا به، فهذا لا يعتبر رياءً. ❁ وقد كان النبي ﷺ يخاف على أصحابه الرياء رغم أنهم سادات الأولياء، ورغم قوة إيمانهم وعلمهم، أكثر من خوفه عليهم من فتنة الدجال، فكيف لا يخاف على من هو دونهم في العلم واليقين؟!

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ يُجَازِي الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا عَلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً.»

[صحيح: رواه أحمد ٢٣٦٣٠، ٢٣٦٣٦، وصححه الألباني في الصحيحة ٩٥١]

حادي عشر: ما يتعلق بالرياء من حب المدح وكره الذم

المرائي يحب المدح :

- ١- لأنه يؤدي إلى شعور الممدوح بكمال نفسه، وهذا منشأ كل فساد .
- ٢-ولأنه يؤدي إلى شعور الممدوح بأنه يملك قلب المادح الذي يمدحه، وهذا يغري الممدوح بأن يستخدم المادح فيما يهوى.

كراهية الذم :

✽ والناس تكره من يذمهم، وربما كان في الذم النجاة .

والذم له ثلاثة أحوال:

- ١- من يذمك وهو صادق يرجو النصيح لك، فهذا قد أهدى إليك عيبك، فيجب أن تفرح به، وتنشغل بإزالة الصفة المذمومة، وإن كراهية هذا الذم من الجهل بما يُنتفع به.
- ٢- من يذمك وهو صادق وقصده الفضيحة لك، فإنما قد نبهك لمساوئ الأخلاق المهلكة، وإصلاح العيوب من أسباب السعادة، والإنسان لا يعرف عيبه إلا من قول عدوه، فكلامه نعمةٌ عليك وجناية منه على دين نفسه، فلا تغضب من شيء انتفعت به أنت، وتضرر به هو.
- ٣- من يذمك وهو كاذب في اتهامه لك، وأنت بريء من هذا الذم.

فتفكر:

- ١- قد تكون بريئاً من هذا العيب، لكن هناك عيوباً أخرى فيك قد سترها الله عليك، فاشكر الله الذي لم يُطلعه عليها.
- ٢- من اغتابك أو بهتك بما ليس فيك، فقد أهدى إليك حسناته، ومن مدحك، فقد قصم ظهرك، فانظر بأيها يحق لك أن تفرح؛ بهدية الحسنات أم بقصم الظهر؟
- ٣- هذا المسكين جنى على نفسه، وتعرض لعقاب الله، فهذا يستحق أن ترثي لحاله البائسة، لا أن تغضب عليه.

❁ وعمومًا فإنك إن استغنيت عن أحد، فإن ذمه لا يؤثر فيك، وإن حزنك بذمه دليل افتقارك إليه، فدعك منه، وافتقر إلى الغني الحميد، فهو كافيك عن كل من هو دونه.

- ولكن البشر، ومنهم الأنبياء ﷺ، يحزنون عند تكذيبهم أو رميهم بالردائل، وما زالت هذه سنة الله في ابتلاء الدعاة والصالحين، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.
قال الله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتُوا لِلَّهِ يَبْجَحِدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣]

❁ نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة فقال رسول الله ﷺ: « تَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ قَالَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ » [صحيح مسلم ٢٥٨٩]
❁ قال رسول الله ﷺ لرجل مدح صاحبه: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ ».
[صحيح البخاري ٢٦٦٢ و٦٠٦١ ومسلم ٣٠٠٠] وفي رواية: «وَيْحَكَ قَصَمْتَ ظَهْرَهُ.»

علاج حب المدح وكره الذم:

❁ العلاج الصحيح مبني على التشخيص الصحيح للمرض:
- السبب الذي يجعل الممدوح يحب المدح ويكره الذم هو أن المدح يجعل الممدوح يشعر بكمال نفسه، والشعور بكمال النفس يهلك صاحبه.

ولعلاج حب المدح يجب أن يتفكر الممدوح في الصفة التي مدح من أجلها:

١ - فلو كان المدح من أجل صفة دنيوية فانية مثل المال، أو جاه المنصب، فإنها لا تستحق المدح؛ لأن هذه الصفة إلى زوال، والدنيا كلها إلى فناء، وهو نفسه لا يدري متى يلقي ملك الموت، فالفرح بالمدح على الدنيا من قلّة العقل.

٢ - وإن كانت الصفة التي يمدح من أجلها صفة أخروية؛ مثل: نبوغه في العلم الشرعي، فهذا يستحق المدح فعلاً، لكنه لا يدري ما يُختم له به، وهل سيموت على هذا العمل الصالح أم يتحول قلبه، فيجب أن يكون على وجل لا على فرح.

٣ - وإن كانت الصفة التي يمدح بها كذباً ليست فيه، فإن فرحه بالمدح على ما ليس فيه من علامات الجنون.

٤ - وإن كان سبب المدح هو احتياج المادح للممدوح، فإن صاحب العقل الرشيد يغمه ذلك، ويكرهه، ويغضب له، ويدفعه ذلك لأن يكره دنو نفس المادح.

- ثم يرجع إلى نفسه هو؛ يفتش فيها، فيرى أن ما يستوجب الذم أكثر مما يستوجب المدح. لكن المادح لا يعلم إلا ظاهره، ولو علم شيئاً من باطنه الذي لا يعلمه إلا الله لذمه، بل وذمه كل الخلق، ولما استطاع أن يخرج إلى الجمع والجماعات من حيائه إذا أطلع الناس على شيء من قبيح سريره.

❀ قال محمد بن واسع: «لو أن للذنوب رجلاً ما جلس إلى منكم أحد».

[الورع لأحمد بن حنبل ٤٩٢، والآداب الشرعية والمنح المرعية ٣/ ٤٥٤]

مثال لحب المدح المهالك ومثال لكرهية الذم المهلكة:

حب المدح المهالك:

- فمن الأسباب التي منعت أبا جهل من الإسلام هو طلب التزين في قلوب الخلق، فهو أراد أن تكون النبوة لنفسه؛ حتى يعلوها على الناس، ويكون له قدر في قلوبهم، فأما إذ أصبح غيره نبياً فإنه لن يؤمن بالنبى؛ غيره منه وحسداً له.

كره الذم المهالك:

- الذي منع أبا طالب من الإسلام هو خوفه مذمة الناس من أمثال أبي جهل، فخاف أن يذموه إذا أسلم؛ لأنه بإسلامه يحقر من شأن آبائه بتركه لدينهم، فلو كان يعظمهم، ما ترك دينهم، فقال لرسول الله ﷺ عند موته: «لَوْلَا أَن تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ يَقُولُونَ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقَرَّرْتُ بِهَا عَيْنَكَ» [صحيح مسلم ٢٥]، يقصد شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله التي كان يود أن يقر بها عين رسول الله ﷺ لولا مخافته المذمة من قومه.

ثاني عشر: من الشرك إرادة الإنسان الدنيا بعمله

❁ وهذا غير الرياء.

- فإن المرائي يطلب المدح ممن يرائيهم بعمله، لكن طالب الدنيا لا يطلب مدح الناس؛ فهو لا يأبه بنظر الناس إليه، فعنده من الغنى والرياسة ما لا يحتاج معه التصنع للناس، وهو في ذات الوقت لا يبتغي الله والدار الآخرة بعمله، لكنه يعلم من سنن الحياة أن من أنفق المال للفقراء، اتقى بذلك حسدهم، وحفظ ماله وعياله، ودامت النعمة له.

- وهذا لا همة له في طلب الجنة والهرب من النار، إنما همته الدنيا ورياشها.

- فعمله لأجل الدنيا، لا لأجل الله، لذلك هو حابط لا ثواب عليه، وهو من الشرك.

❁ أما المؤمن الذي عمل البر يبتغي به وجه الله، فإن الله سيجازيه به في الدنيا سعة رزق، وطول عمر، ويصرف عنه البلاء، ويرزقه ميتة سوية، ثم يشبه الثواب الأعظم في الآخرة.

❁ ينبغي لمن يسعى في حوائج الناس وتعليمهم العلم أن يبتغي ثواب الله فقط دون ابتغاء شكر من أحد أو مكافأة، أو حمد، أو ثناء؛ فإن ذلك يحبط الأجر.

عامّة الرياء وطلب الدنيا يكون في الأعمال الظاهرة

فإن العبادات نوعان : باطنية وهي عمل القلب، وظاهرة وهي العبادات القولية، والبدنية، والمالية.

❁ وأعظم العبادات القولية : حفظ القرآن وتعليمه للناس.

- وأعظم العبادات البدنية : الجهاد في سبيل الله حتى الموت.

- وأعظم العبادات المالية : إنفاق المال في أوجه البر.

- والنبي ﷺ أخبر أن من فعل هذه العبادات العظيمة يبتغي مدح الناس أو يبتغي الدنيا، كان أول من تسعّر بهم النار يوم القيامة.

❁ قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيٌّ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى

أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. [صحيح مسلم ١٩٠٥]

❀ وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.» [رواه الترمذي ٢٣٨٢ وابن خزيمة ٢٤٨٢ وابن حبان ٤٠٨ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢٢]

❀ أما المجاهد يبتغي نصره الدين والغنيمة معاً، فهذا ينقص من أجره بقدر طلبه للدنيا، ويعطى من الأجر بقدر طلبه للآخرة.

❀ ومن جاهد، يبتغي الغنيمة فقط، أو من هاجر يبتغي الزواج فقط، فهذا لا شيء له.

❀ أما الحاج يبتغي العبادة والتجارة، فهذا يتم أجره إذا أتم نسكه؛ إذا تاجر في غير وقت العبادة الواجبة.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٨]

ثالث عشر: إرادة العلو

❁ إرادة العلو من الإرادات الفاسدة، وهي آفة أهل الدنيا وأهل الدين.

- وأساسها طلب المدح والمنزلة في قلوب الناس.

١- أهل الدنيا:

- أهل الدنيا يحبون أن يوصفوا **بصفات الدنيا**، ويحبون أن يقال لهم: الملك، أو الرئيس، أو الوزير، أو الغني الذي يملك من الثياب والطعام والمسكن والمركب كذا وكذا.

- فهم يتسابقون فيما يجمعونه من زهرة الدنيا، ويحبون أن يرى الناس ما يجمعونه منها؛ ليتكبروا به عليهم، فإن فرعون لم يكن يريد إلا أن يبصر الناس ملكه وغناه والأنهار التي تجري من تحته.

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَتَقَوَّمُ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]

- وقارون كان يحب الزينة، ويجب أن يراه قومه عليها.

قال الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [النقص: ٧٩]

٢- أهل الدين:

- بعض أهل الدين يحبون أن يوصفوا **بصفات التدين**، ويحبون أن يقال لأحدهم: العالم، أو الشيخ، أو الداعية، أو قارئ القرآن، أو المجاهد الشجاع، أو المحسن الكريم، وهؤلاء أول من تُسعر بهم النار إذا طلبوا الدنيا بالدين، وأرادوا بالأعمال الصالحة عرض الدنيا الزائل.

١- من علامات الإصابة بمرض العجب بالنفس وإرادة العلو أن تجد الرجل يحب تعظيم الناس له، **فيأمر الناس بذلك**.

❁ قال رسول الله ﷺ: «العزُّ إزارُهُ، والكبرياءُ ردأُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَدْبُهُ».

[صحيح مسلم ٢٦٢٠]

٢- ومن أهل الدين من **يحب قيام الناس له** دون أن يأمر به، وهذا الحب يزل به

إلى دركات العجب ومنزلة الكبر - عياداً بالله - التي تزل به في النار.

❁ قال رسول الله ﷺ : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ

النَّارِ.» [صحيح : رواه الترمذي ٢٧٥٥ وأبو داود ٥٢٢٩ وصححه الألباني في المشكاة ٤٦٩٩]

٣- وإن بعض أهل الفضل **ليكون متجرداً من طلب التعظيم**، لكن الناس يعظمونه لفضله وعلمه، **فيعتاد ذلك من الناس ويشق عليه أن يتركوا تعظيمه** في بعض الأحيان، كأن يخاطبوه باسمه دون الألقاب مثل فضيلة الشيخ ، أو ساحة الفقيه، أو العلامة فلان.

- ألا يعلم هذا الشيخ أن عامة نداء الصحابة رضوان الله عليهم لبعضهم البعض كان بالأسماء والكنى دون الألقاب؟ وإنما كانت الألقاب لأمر المؤمنين ونحوه فقط.

- يجب الانتباه إلى أن المذموم هو تطلع القلب لتعظيم الناس.

- أما توقير الناس لأهل العلم والفضل، فهو من الإجلال الذي يؤمر به المسلم.

❁ قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ».

[حسن رواه أبو داود ٤٨٤٣ وحسنه الألباني في المشكاة ٤٩٧٢]

- فالمنهي عنه ليس إجلال أهل العلم والفضل، بل تعلق أولئك الصالحين بإجلال الناس لهم.

- وحذار أن يفتح ذلك باباً للأصاغر أن يتناولوا على الأكابر، ويشككوا في نياتهم بأنهم يحبون التوقير والتعظيم، فليس هذا غرض النصح وسببه، وإنما غرض النصح، إصلاح القلوب، لا هدم رموز الدين.

٤- وإن العبد الذي يحب العلو، ويريد تعظيم الناس له، إنما سببه نفسه الدنيئة التي رضيت بثناء المخلوق دون ثناء الخالق العظيم.

٥- وقد يُظهر بعض التجار شيئاً من الأعمال الصالحة أو يتشبه بهيئة الصالحين لكي يثق الناس به، ويقبلوا على الشراء منه؛ لأنه متدين، وهذا يجعل الدين سلماً إلى الدنيا.

فبئس ما صنع! وبئس ما يجد يوم القيامة!

٤ . التوكل

بحث التوكل يتضمن:

أولاً: ما هو التوكل؟

ثانياً: أركان التوكل.

ثالثاً: التوكل هو مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى .

رابعاً: التوكل هو عبادة الله بكل أسمائه الحسنی.

خامساً: التوكل شرط الإيمان.

سادساً: تفاوت الناس في التوكل على الله.

سابعاً: التوكل كان سلاح الأنبياء ﷺ .

ثامناً: الأسباب المعينة على التوكل.

تاسعاً: علامة صدق التوكل.

عاشراً: الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل.

حادي عشر: فضل التوكل.

ثاني عشر: جزاء التوكل.

ثالث عشر: أنواع التوكل.

رابع عشر: الفرق الضالة في التوكل (الانحراف في باب التوكل).

أولاً: ما هو التوكل؟

- التوكل هو صدق اعتماد القلب وتعلقه بالله ﷻ في تحصيل ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره.
- وهو الأمل في الله تعالى ، وقطع الأمل في المخلوقين، والاكتفاء به سبحانه عما سواه.
- وهو رجاء الله لتحصيل الخير ودفع الضر.
- وهو حسن الظن بالله أنه سيقدر للعبد ما ينفعه، ويدفع عنه ما يضره.
- وهو اليقين بأن الله سيقضي لعبده ما ينفعه.
- وهو الثقة في قدرة الله التامة على تحصيل النفع ودفع الضر.
- وهو الثقة في حكمة الله البالغة، وفي حسن عاقبته في قضائه وقدره.
- وهو التفويض لله تعالى في أمر المعاش وأمر الجزاء.
- وهو الرضا بقضاء الله لعبده في كل قدره.

ثانياً: أركان التوكل هي:

- ١ - اليقين في تفرد الله تعالى في تصريف كونه.
- ٢ - الاكتفاء بالله تعالى .
- ٣ - التعلق بالله.
- ٤ - الاعتماد على الله.
- ٥ - الثقة في نصر الله وقدرته.
- ٦ - حسن الظن في الله.
- ٧ - الأمل في الله.
- ٨ - الرجاء في الله.
- ٩ - التفويض إلى حكمة الله وإلى علمه تعالى.
- ١٠ - الرضا عن قضاء الله.

١- التوكل هو اليقين في تفرد الله تعالى في تصريف كونه:

قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْيَحْيَى الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]

وقال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧]

وقال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]

✽ **التوكل** هو شهود ملكوت الله، وأنه هو **المتصرف وحده** في سجاواته وأرضه، وأن مشيئته هي النافذة في كل ذرات كونه.

- **التوكل هو اليقين** أن الأمر كله لله وحده، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فهو

سبحانه وحده **المعطي المانع، الخافض الرافع، المعز المذل، الضار النافع.**

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ

مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرِّيَّ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ

هُنَّ مُمَسِّكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]

✽ **التوكل** هو شهود أن **نواصي الخلق بيد الله**، إن شاء قلب قلبهم عليك أو

أذهب عقولهم عنك، أو قطع أفئدتهم فانقطع أثرهم وفعلهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦]

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]

٢- التوكل هو الاكتفاء بالله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١، النساء: ١٣٢، النساء: ١٧١، الأحزاب: ٣، الأحزاب: ٤٨]

وقال الله تعالى: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥]

وقال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]

٣- التوكل هو التعلق بالله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿التوبة: ١٢٩﴾

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]

٤- التوكل هو الاعتماد على الله تعالى؛

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

وقال الله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾

[هود: ٨٨]

٥- التوكل هو الثقة في نصر الله وقد رته وحكمته؛

قال الله تعالى: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾

[الأعراف: ٨٩]

وقال الله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ

مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ

الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]

وقال الله تعالى: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٥) وَنَجِّنَا

بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥-٨٦]

٦- التوكل هو حسن الظن بالله تعالى؛

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]

❀ لا يتحقق التوكل إلا بحسن الظن بالله، فلا بد أن تحسن الظن بالله؛ حتى تتوكل

عليه، فلا بد أن تظن أن الله سيحفظك ويعطيك.

❀ والعبد لن يتوكل على من يسيء الظن به.

- فلا بد أن تحسن الظن بالله؛ حتى تفوض الأمر إليه.

- ولا بد أن تشهد رحمته؛ حتى ترجو الخير منه.

- ولا بد أن تشهد أنه لا يخلف الميعاد وأنه أصدق قيلاً، وأنه أصدق حديثاً،

حتى تثق به تعالى .

- **حسن الظن بالله** هو اليقين أنه لم يقدر شيئاً إلا لمنفعة العبد.

❁ ومن أحسن الظن بالله، **لا يتعجز ولا ييأس** إذا تأخرت عليه الإجابة، بل يقول: «لا بد أن تأخير الإجابة هو الخير لي، ولو كان في ما أطلبه خيراً لي لأعطانيه ربي».

❁ **وحسن الظن يورث الرضا** بقضاء الله وتديره.

❁ **وحسن الظن يورث اليقين** أن اختياره لك أحسن من تدبيرك لنفسك؛ فتشغل بما يرضيه، وتترك تدبير الأمور إليه سبحانه.

❁ **حسن الظن بالله يورث الثقة** برحمته لا بعملك.

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ» [صحيح البخاري ٥٦٧٣ ومسلم ٢٨١٦]

- فكان رسول الله ﷺ لا يتوكل على عمله، ولا يثق به، ولا يعتمد عليه، بل كان يتوكل على الله، ويثق برحمته، ويحسن الظن به، ويرجوه أن يتقبل عمله، رغم أنه قد كَمَلَ العمل، وأتى بأفضل ما جاء به مخلوق ﷺ.

سوء ظن المجرمين؛

ما هو سوء الظن بالله؟

المجرم يظن أن الله تعالى يمكن أن يعينه على المعصية؛ فيدعو الله، ويطلب منه أن يعينه على مخالفته، وهو يظن بذلك أنه يتوكل عليه، فمن الناس من يتوكل على الله، ليسرق، أو لينال حراماً، ويطلب منه الستر، وهو يعصيه، يجعل ذلك توكله، ويثق أن الله سيسير المعصية له.

٧- التوكل هو الأمل في الله تعالى؛

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]

٨ التوكل هو الرجاء في الله تعالى؛

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّاهُ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩]

الرجاء في الله هو الطمع في إحسانه وعطائه والاستبشار والرغبة في جوده وفضله.

وإنك لن تتوكل على الله تعالى إلا إذا رجوته، وطمعت في إحسانه، ورغبت في

فضله، فتوكل عليه لتحصيل ذلك الإحسان والفضل.
 قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
 الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]

٩- التوكل هو كمال التفويض إلى الله تعالى وإلى حكمته؛

قال الله تعالى: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]
 ﴿التوكل هو كمال الطمأنينة بتدبير الله تعالى .
 ﴿التوكل هو الوثوق في حكمة الله البالغة، وفي حسن تقديره لعبده.
 ﴿فإن حدث ما تكره، قلت: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]
 أو قلت: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]
 ﴿فمن كمل تفويضه لله، استوى عنده الضيق والسعة، والفقر والغنى، والصحة
 والمرض؛ لأن كل ذلك من قضاء الله، فرضي بجميع ذلك، وحمد الله على كل قضائه.
 ﴿وكل ذلك من عمل القلب، وهو لا ينافي عمل الجوارح بدفع قدر الفقر بقدر
 السعي لطلب الرزق، وبدفع قدر المرض بقدر التداوي.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي
 عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]

١٠- التوكل هو الرضا عن قضاء الله تعالى؛

﴿الرضا عن اختيار الله، هو عدم التسخط على قدره.
 قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]
 - يعني: يؤمن بأن القدر من عند الله تعالى، فيوقن بذلك، ويستسلم لقضاء الله، ويصبر،
 ويحتسب ما أصابه، ويرضى به، فإنه إن آمن بذلك هدى الله قلبه، وعوضه عما فاتته من
 الدنيا هدى في قلبه، وبقيناً صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذه منه، أو خيراً منه.
 ﴿روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: يعني يهدي قلبه لليقين، فيعلم أن
 ما أصابه لم يكن لم يخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.
 ﴿قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

[أخرجه الطبري في "التفسير" ٢٨/ ٨٠، والبيهقي في السنن الكبرى ٧١٣٣، وفي "شعب الإيمان" ٩٥٠٣]

ثالثًا: التوكل هو مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى

❁ التوكل هو مقتضى الإيمان باسم الله الوكيل.

- ومن أثر الإيمان بأسماء الله تعالى الكافي، والكفيل، والحسيب.

- ومن لوازم الإيمان بأسمائه تعالى العليم، والخبير، والقدير، والرحيم،
والحكيم، واللطيف.

- فهو الذي يكفي من توكل عليه، ويتكفل به، وينجيه من كل شر، فهو حسبه، لا
يرجو العبد أحدًا بعده.

- وهو العليم بأحوال عبده، ومن سعة علمه يقسم له ما ينفعه بحكمته.

- وهو الخبير بعباده، يلطف بهم من حيث لا يشعرون، ويوصل ذلك اللطف بقدرته.

- وهذا من موجبات رحمته، ورحمته تعالى وسعت كل شيء.

- والله تعالى اختص برحمة التوفيق والنصر المتوكلين عليه من عباده.

❁ فالتوكل هو عبادة الله بكل أسمائه.

- فإن كانت كل عبادة قلبية هي عبادة الله بأسماء معينتها، فإن عبادة

التوكل تفضل عليها جميعًا بأنها عبادة الله تعالى بكل أسمائه.

- ولذلك كان صدق التوكل على الله تعالى هو أعظم أعمال العباد.

- وكان جزاء التوكل على الله هو سكنى أعلى درجات الجنة ودخولها

بغير سابقة حساب.

رابعاً: التوكل هو عبادة الله بكل أسمائه الحسنی

✽ أعظم ما يعين العبد على التوكل هو العلم ببعض صفات الوكيل الذي تتوكل عليه.

فهو الواحد الأحد

✽ من علم أن للكون إلهاً واحداً، لم يتوكل إلا عليه.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ ④ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿[الصافات: ٤ - ٥]

✽ من علم أنه واقف بين يديه هو وعدوه، لم يدهن عدوه.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾

[إبراهيم: ٤٨]

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ

الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]

وهو الملك

✽ ومن علم أن ملك هذا الكون واحد، وضع حاجته بين يديه.

قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١]

✽ فهو الذي يؤتي الملك من يشاء. فلا تعلق طلب التمكين إلا عليه.

قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ

وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]

✽ ولا يحكم بين عباده غيره، فيا ويل من باع دينه لعدوه !!

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ آمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]

وقال الله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج: ٥٦]

وهو الصادق

✽ الله تعالى لا يخلف وعده، فثق في قوله.

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦]

وهو الوفي

﴿اللَّهُ تَعَالَى سَيَنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِينَ؛ فَلَا تَتَرَجَّعْ عَنْ نَصْرَتِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾﴾

[إبراهيم: ٤٧]

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَذِيُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]

﴿اللَّهُ تَعَالَى سَيُوفِي لَكَ أَجْرَكَ فَلَا تَتَرَدَّدْ فِي التَّضَحُّيَةِ مِنْ أَجْلِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّعَ إِيمَنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]

وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١]

وهو الحميد

﴿فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْحَمْدِ عَلَى كُلِّ قَضَائِهِ لِعَبْدِهِ، وَمَادَامَ قَضَاؤُهُ كُلَّهُ خَيْرًا

لِعَبْدِهِ، فَلَمَّاذَا لَا يَفُضُّ لَهُ عِبْدُهُ فِي كُلِّ أَمْرِهِ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤]

وقال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦]

فهو الحميد على كل قضائه في ملكوت سماواته وأرضه وكل قضاءٍ قضاه لعبده.

وهو الحق

﴿فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْوَلَايَةُ إِلَّا لَهُ وَالتَّوَكُّلُ إِلَّا عَلَيْهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤]

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِالْحَقِّ، فَكَانَ تَصْرِيفُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ، وَكَانَ ابْتِلَاءُ الْإِنْسَانِ بِالْحَقِّ، فَلَا تَرْجُ الْفَرْجَ إِلَّا مِنْهُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥، الأحقاف: ٣]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ﴾ [الدخان: ٣٨]

وقال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

﴿وهو الذي يرجع إليه عباده ليجزيهم بما كانوا يعملون﴾، فلا تعلق قلبك بغيره.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقَّ﴾ [الأنعام: ٦٢]

وقال الله تعالى: ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقَّ﴾ [يونس: ٣٠]

﴿وهو الذي سيظهر الحق، وينصر أهله؛ فتوكل على الله، لتكون منهم.

قال الله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨٢]

وقال الله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧]

وقال الله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨]

وقال الله تعالى: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الشورى: ٢٤]

وقال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]

﴿وان كنت على يقين بأن وعد الله حق، فاطمئن له، وخذ بالأسباب إليه.

قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الروم: ٦٠ / غافر: ٥٥ / غافر: ٧٥]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [لقمان: ٣٣ / يونس: ٥٥ / فاطر: ٥ / الحج: ٢٢ / الأحقاف: ١٧]

﴿والله أنزل كتابه بالحق، فتوكل على الله، واتبعه، فإن العاقبة الجنة.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨]

وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٦]

﴿والله يهدي المؤمنين للحق؛ فتوكل عليه؛ لتكون من أهل الهداية.

قال الله تعالى: ﴿فَهْدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]

﴿والله ينصر المؤمنين بالحق؛ فتوكل على الله لتكون منهم.

قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣]

وقال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]

﴿والمؤمنون يطلبون النصر على قومهم بالحق، فكن على يقين بنصرهم.

قال الله تعالى مخبراً عن شعيب عليه السلام: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]

وقال الله تعالى لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ [سبا: ٢٦]

﴿والكفار كذبوا بالحق لما جاءهم، فثق أن الله سينصر المؤمنين عليهم.

قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [الأنعام: ٥]

وقال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [ق: ٥٠]
 ❀ والكفار يكرهون الحق، ففضوض الأمر إلى الله في النصر عليهم.
 قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٨]
 وقال الله تعالى: ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠]

وهو القهار

❀ فتوكل أيها العبد على الواحد القهار، واترك التعلق بالأنداد.
 قال الله تعالى: ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]
 ❀ والله تعالى خلق العباد وأفعالهم، برهم وفاجرهم، وأعداءه من خلقه هم وأفعالهم، فلا تعلق قلبك إلا به في دفع ضرهم.

قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]
 ❀ وإن كان الله سبحانه سيحاسبهم وحده، فلماذا ينشغل العبد بغيره؟
 قال الله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]
 قال الله تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]

وهو الحي

❀ فإن كان الله تعالى له الحياة الكاملة، فلماذا يتعلق العبد بمن يموت؟
 قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]

وهو الغني

❀ وإن كان الله هو الغني، فلماذا يتعلق العبد بالفقراء المربوبين؟
 قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]
 ❀ والله تعالى قادر على أن يبديد كل هذه البشرية، فلماذا يتوكل العبد على غيره؟

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣]
 ❀ وإن كان الله يملك كل شيء وهو الكريم، فلماذا يطلب العبد من أي شحيح غيره لا يملك شيئاً؟

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]

وهو الواسع

❁ وإن كان الملك يؤتيه الله من يشاء، فلماذا تخشى غيره؟

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]

❁ إن كان الفضل والعطاء بيد الله وحده، فلماذا لا تحسن به الظن؟

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣]

وهو الحكيم

❁ إن كان الله هو الذي يقلب القلوب بحكمته، فلماذا لا تفوض أمرك له؟

قال الله تعالى: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]

❁ وإن كان النصر من عنده، فلماذا لا توقن بحسن عاقبته؟

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَتَصْرُؤًا لِّمَن عِنْدَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]

❁ وإن كان جنود السماوات والأرض في قبضته فلماذا لا تثق في قدرته؟

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧]

❁ وإن كان ابتلاؤه ليحسن عاقبتك، فلماذا لا تتعلق برحمته؟

قال الله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧]

❁ ومن حكمته أرسل لك المخذلين ليختبرك، فدعهم وتوكل عليه.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ أَلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ

وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَابْتَهِ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]

❁ وإن كانت المقادير بيد الله وحده، فلماذا لا ترجوه؟

قال الله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ

بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]

❁ وإن كان الله يقهر عباده بكلمته كن، فلماذا لا تفوض أمرك؟

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]

❁ وان كان لا يملك الجنة إلا هو، فلماذا لا تسعى لنيل رضاه ؟

قال الله تعالى: ﴿نَزَعَ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]

❁ فإذا قضى لك ما تكره، فأيقن أنه أراد بك الخير وأنت لا تعلم.

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]

وهو الخبير

❁ وان كان يعلم ما يصلحك من الرزق، فاسأله أحسنه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠]

❁ وان كان يعلم خبايا عملك، فتوكل عليه لتحسنه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]

❁ وان كان لا يملك أجلك إلا هو، فلا تتردد في نصرته؛ فإنها لن

تدنيك من أجلك.

قال الله تعالى: ﴿وَلَنُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١]

❁ وان كان كل شيء بقدر، فلترض عن قضائه وقدره.

قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ وَاللَّهُ

خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣]

❁ وان كان الله لا يفوته شيء، فثق بعلمه وحكمته.

قال الله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]

وهو العليم

❁ والله تعالى يسمع دعاء عباده حين يتوكلون عليه، وهو أعلم بهم،

ويعلم كيف يكفيهم من أعدائهم الكافرين.

قال الله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]

❁ والله يقضي ما شاء من ذلك بحكمته البالغة. فثق في حكمته تعالى .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [النمل: ٧٨]

❁ والله يعلم ما في قلوب عباده وما فيها من صدق التوكل أو الرياء.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١]

﴿وَاللَّهُ يَعْطِي الْمَلَكَ وَالتَّمَكِينَ لِمَنْ أَرَادَ. فَتَيَقِّنْ مِنْ حَسَنِ عَاقِبَتِهِ.﴾

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]

﴿وَاللَّهُ يَمُنْ بِفَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ. فَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِاللَّهِ.﴾

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣]

﴿وَاللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَرِيدُ. فَلَا يَتَعَلَّقْ قَلْبُكَ إِلَّا بِهِ تَعَالَى .﴾

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ﴾

[العنكبوت: ٦٢]

﴿فَلَا تَشْغَلْ نَفْسَكَ بِمَنْ أَعْرَضَ عَنِ التَّسْلِيمِ لَهُ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَ، وَلَا

تَفْرَحْ بِمَا هُوَ آتٍ. وَفُوضِ الْأَمْرَ إِلَيْهِ، سُبْحَانَهُ.﴾

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]

﴿وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُضِيعُ طَاعَاتِ عِبَادِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ الْمُتَّقِينَ الصَّادِقِينَ.﴾

فَارْجُ حَسَنَ جَزَائِهِ.﴾

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٥]

﴿وَأَنْتُمْ تَرِيدُونَ الْمُنَافِقِينَ لِيُقَاتِلُوا مَعَكُمْ، وَاللَّهُ لَا يَرِيدُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا

خَرَجُوا مَعَكُمْ زَادُوكُمْ خَبَالًا لَا نَصْرًا وَاقْبَالًا. فَدَعِهِمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ.﴾

قال الله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ

يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧]

﴿وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ كُلَّ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.﴾

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ

الْصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨]

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مِيعَادَ مَوْتِكُمْ سَوَاءَ قَاتَلْتُمْ أَوْ قُودْتُمْ فِي بَيْوتِكُمْ.﴾

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَنْ يَسْتَجِيبُ فَيَسْمَعُهُمُ الْهَدَايَةَ، وَمَنْ يَعْرِضُ، فَيَعْرِضُ عَنْهُمْ، وَلَا

يَسْمَعُهُمُ الْهَدَى.﴾

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾

[الأنفال: ٢٣]

وهو السميع

❁ وان كان الله يسمع دعاءك، فثق في إجابته بقدرته وحكمته.

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤]

❁ وان كان الله يعلم سريرتك، فحسنها، وارجه أن يبلغك الدرجات.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]

❁ وان كانت قدرته تعالى تامّة، فاجعل رجاءك فيه تاماً.

قال الله تعالى: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بُعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨]

وهو العزيز

❁ هو الذي يعز من توكل عليه ويرحمه.

قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧]

❁ ومن عزته ينصر من توكل عليه.

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مِنْ نِصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤]

❁ وهو الذي يملك خزائن السماوات والأرض. فثق في غناه وقدرته تعالى .

قال الله تعالى: ﴿أَمْعِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [ص: ٩]

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧]

❁ والعباد لم يقدره حق قدره. فثق أنت في قوته تعالى .

قال الله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤]

وهو القدير

❁ هو الذي لا يعجزه شيء، فلا تتعلق بغيره.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤]

❁ وهو القادر على أن يبيد خضراءهم، ويأتي بخلق جديد، فاطمئن به.

قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ

قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]

❁ وهو القادر على نصر المؤمنين. فثق في وعده تعالى .

قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]

وهو القوي

❁ فهو القوي الغالب، فهل تتركه وتذهب للمغلوبين ؟ !

قال الله تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١]

وهو الجبار

❁ هو الذي يجبر قلوب عباده المنكسرين المتوكلين عليه، ويجبر الظالمين على أن يفعلوا ما أراد، فما يفعلونه كان مشيئته قبل أن تكون مشيئتهم فاجعل تعلقك به.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠]

وهو الغالب

❁ إن كان الله تعالى لا يغالبه شيء، ففوض إليه أمرك.

قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١]

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ جُنَدْنَاهُمْ لَغَلِبُونَ ﴾ [الصفات: ١٧٣]

وهو الأعلى

❁ إن كان الله هو الحق وكل الأنداد باطلت، فلماذا لا تعتمد عليه وحده ؟ !

قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]

❁ وإن كان الحكم له في الدنيا والآخرة، فلماذا لا تجعل تعلقك به ؟ !

قال الله تعالى: ﴿ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢]

وهو الكبير

❁ وإن كان الله يعلم كل شيء، فأحسن سريرتك له؛ لتنال سرورك عنده.

قال الله تعالى: ﴿ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٩]

وهو الرحمن

❁ وإن علمت أنه الرحمن، فأحسن الظن به.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [الملك: ٢٩]

❁ وإن علمت أنه الرحمن، فأحسن عبادته؛ لتنال إحسانه، ومن عبادته التوكل عليه.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]
وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾

[مريم: ٩٦]

وهو الرحيم

﴿فَإِنْ كَانَ اللَّهُ رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّاذَا لَا تَتَعَلَّقُ بِهِ؟﴾
قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]

وهو الرؤوف

﴿وَمَنْ رَأَفْتَهُ هَذَاكَ بِغَيْرِ سَابِقَةٍ مِنْكَ، فَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ، لَتَنَالَ مَا تَطْلُبُهُ مِنْهُ.﴾
قال الله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩]
﴿وَاللَّهُ لَا يَرِيدُ أَنْ يُعَذِّبَ عِبَادَهُ، فَاجْعَلْ رَجَاءَكَ فِيهِ تَعَالَى.﴾
قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]

وهو الودود

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، لَتَحْصِيلِ الْوُدِّ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ.﴾
قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]

وهو الشكور

﴿فَإِنْ كَانَ اللَّهُ شَكُورًا، فَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ، لِيَزِيدَ ثَوَابَكَ.﴾
قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣]

وهو التواب

﴿فَإِنْ كَانَ تَوَابًا، فَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ، لِيَتُوبَ عَلَيْكَ.﴾
قال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]
وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [التوبة: ١٠٤]
﴿فَإِذَا أَسْرَفْتَ فِي الذُّنُوبِ فَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ لِيَتُوبَ عَلَيْكَ.﴾
قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]
﴿وَاللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكَ، فَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ، لَتَحْصِيلِ التَّوْبَةِ.﴾
قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]

وهو الغفور

❁ وإن علمت أن ربك غفور، فسارع بالتوبة، وتوكل عليه، لتحصيل المغفرة.
قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠]

وهو الولي

❁ لا تتخذ من دون الله ولياً تحبه وتنصره، فهذا يناقض حب الله والتوكل عليه.

قال الله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [الشورى: ٩]

❁ ومن والى الله، لم يوال أعداءه. فهذا يناقض التوكل عليه.

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١]

❁ الله ينصر من تولاه. فاجعل ولايتك له وتوكل عليه.

قال الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]

❁ فإن واليت الله فلا بد أن تتوكل عليه في معاداة أعدائه.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]

❁ وكفى بولاية الله سبباً للنصر. شك في قدرته.

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]

❁ فإن توليت الولي لم يضرك كثرة أعدائك، فثق في كفايته لك.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]

وهو النصير

❁ لا بد لك من ربك النصير، ينصرك على عدوك وعدوه، فتوكل عليه.

قال الله تعالى: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]

وقال الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بَرِيلًا هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]

وقال الله تعالى: ﴿فَتَأْوِيكُمْ وَآيِدُكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ [الأنفال: ٢٦]

وقال الله تعالى: ﴿فَإَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]

وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ

كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥]

❁ لا تياس من كثرة المكذبين لك، وتوكل على الله.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾ [يوسف: ١١٠]

❁ ادعُ إلى الله، وتوكل عليه. فإنه ناصرك.

قال الله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٧]

❁ انصر لله فإنه ناصرك. وفوض الأمر إليه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]

وقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصَرُّوْا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]

❁ إن الله سيهزم عدوك، فاجعل اعتمادك عليه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُفْتَلِكُوكُمْ يُلَاقِكُمْ كَمَا لَا تَدْبَارُكُمُ لَا يَنْصُرُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]

❁ وإن دين الله ظاهر بك أو بغيرك. فتوكل عليه أن يكون نصر

الدين على يديك.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]

❁ فتوكل على الله، فأنت لا تعلم بمن ينصرك.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٤ / الفتح: ٧]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]

وهو المنجي

❁ الله تعالى ينجي عباده من كرب الدنيا، فتوكل عليه.

قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُجِيبُكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ [الأنعام: ٦٤]

❁ فمُر بالمعروف وانه عن المنكر، وتوكل على الله، فالله ينجيك.

قال الله تعالى: ﴿فَوَقَّهٗ اللَّهُ سَبِغَاتٍ مَّامَكُرُوا﴾ [غافر: ٤٤]

وقال الله تعالى: ﴿أُنَجِّنَا الَّذِينَ يَهْتَوُونَ عَنِ السَّوْءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥]

❁والله ينجي المتقين. فاجعل رجاءك فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَبُخِيَ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾ [الزمر: ٦١]

وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [مريم: ٧٢]

❁والله ينجي المؤمنين. فاجعل ثقتك في الله، وفوض إليه أمرك.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنبِئْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنُتَّقُوا﴾ [النمل: ٥٣]

وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نَجَّيْ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[يونس: ١٠٣]

وهو الفتاح

❁الله يفتح بالنصر على المؤمنين، فتوكل عليه.

قال الله تعالى: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾

[الأعراف: ٨٩]

❁لا يوهنك تجمع الناس عليك؛ فالله ناصرك إن توكلت عليه.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا

وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]

وهو الهادي

❁فإن كان الله هداك إلى سبيل الإيمان في الدنيا وهو سبيل الجنة في

الآخرة، فما يصرفك عن التوكل عليه؟

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَى مَا

ءَاذَيْنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]

❁فإن كان الله هو الهادي، فتوكل عليه، لتحصيل هداة.

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَهُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠]

وقال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ مِنْ مُّضِلٍّ﴾ [الزمر: ٣٧]

وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]

وهو القريب

❁ فإذا استشعرت قربه ونصره، فتوكل عليه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]
وقال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ
الْأَرْضِ أَئِلَهَ مَعَهُ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُوت﴾ [النمل: ٦٢]

وهو الكافي

❁ وإن كان الله كافيك عما سواه، فلا تلجأ إلا إليه.

قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]
❁ اجعل التقوى زادك، وتوكل عليه، يجعل لك مخرجاً.
قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]

وهو الحسيب

❁ بلغ دعوة ربك، وتوكل عليه، ولا تخش الناس.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى
بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]
وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]

وهو الحفيظ

❁ فإن كان الله حافظك، فتوكل عليه ولا تخش المخلوقين.

قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]
وقال الله تعالى: ﴿وَيُرْسِلْ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١]
وقال الله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ
حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]

❁ إن كنت تثق بأن الله يدافع عنك حين تدعو إليه، فمن تخشى؟

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]
❁ إن خشيت على ذرتيك، فاعمل صالحاً، وفوض أمرهم إلى الله.
قال الله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ
فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]

وهو اللطيف

﴿فَإِذَا عَلِمْتَ لَظْفَهُ بِكَ، دَفَعَكَ ذَلِكَ لِلتَّوَكَّلِ عَلَيْهِ.﴾

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]

وهو المجيب

﴿فتوكل على من يجيبك إذا التجأت إليه.﴾

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَعِظُوا نَمْرُوتُوبُوا إِلَيَّ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]

وهو المغيث

﴿وان كان الله هو المغيث، فلماذا لا تجعل تعلقك به؟﴾

وقال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]

قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ نَدْعُونَهُ نَضْرَعُأَ وَخَفِيَّةَ﴾ [الأنعام: ٦٣]

وهو المستعان

﴿أعلم أنك لن تحقق التوكل عليه إلا بمعونته.﴾

قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]

وقال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]

وهو الكريم

﴿فإن علمت أنه كريم، فكيف لا ترجوه؟﴾

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]

وهو البر

﴿فإن بلغ من بره ما ترى، فلماذا لا تتعلق به؟﴾

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السُّمُورِ ﴿٧٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٧-٢٨]

﴿وسارع إليه واجعل رجاءك فيه لتنال ما عنده﴾

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

قال الله تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤]

وهو الوهاب

﴿فتعلق به، لكي يهبك الثبات على دينه﴾

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهْبًا لَّنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾

[آل عمران: ٨]

﴿وتعلق به، لكي يهبك من فضله في الدنيا والآخرة﴾

قال الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]

وهو المنعم

﴿وان كانت النعم كلها من الله فهل تتعلق بغيره؟﴾

قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]

﴿واطلب منه تمام النعمة. اجعل رجاءك فيه﴾

وقال الله تعالى: ﴿وَبُيُتُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦]

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩]

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقان: ٢٠]

وهو الخالق

﴿فإن علمت أنه الذي خلقك وخلق عمالك، ألا ترجوه ليحسن لك عمالك؟﴾

واعلم أن رجاءك من خلقه.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]

﴿والله خلقك ليختبر طاعتك وتوكلاك﴾

قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

وهو الرازق الرزاق

❁ وان كان هو الرزاق لا رازق غيره، فلا تثق إلا فيه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]

❁ وان كان الرزق في السماء، فثق أنه لن يمنعه أحد.

قال الله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣]

وقال الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]

وهو الشافي

❁ وان كان هو الشافي، فلا تتعلق بالطبيب المداوي.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]

وهو المدبر

❁ وان كان هو المدبر، فثق في حسن تدبيره.

قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]

❁ والله سخر لك كل شيء، فاعتمد عليه.

قال الله تعالى: ﴿الْمَرْتَنَ اللَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ﴾ [الحج: ٦٥]

وهو المقدر

❁ وان كان كل شيء بقدره، فارض به، فإنه من عنده.

قال الله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المزملات: ٢٣]

وقال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نُقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]

❁ وان كان الموت من قدر، فلن يكون إلا إذا قدره الله.

قال الله تعالى: ﴿لَنَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُنْزِلَ إِلَيْكُمْ الْمَوْتَ﴾ [الواقعة: ٦٠]

وهو الوارث

❁ الله تعالى وعد المؤمنين بالتمكين ووراثة الأرض، فتوكل على الله

ولتكن منهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨]
 وقال الله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ
 وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [إبراهيم: ١٤]
 وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥]
 وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
 كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
 خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]

وهو المهيمن

❁ فإن كان الله هو المهيمن على الكون، فهذا يدفعك إلى اليقين في
 حسن تقديره لك.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا
 رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]
 وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]

وهو المحيط

❁ وإن كان الله محيطًا بكل شيء، فثق بنصره.
 قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨]
 وقال الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦]
 ❁ وإن كان الله محيطًا بالكافرين ثق أنه لن يصلح منهم إلا ما شاء.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]
 وقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠]

وهو الحكم

❁ فإن امتثلت لله الحكم، فلن يضيعك. إذا توكلت عليه.
 قال الله تعالى: ﴿أَفَعَيِّرَ اللَّهُ أَتَعْنِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]

وقال الله تعالى: ﴿إِن الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]

وقال الله تعالى: ﴿إِن الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]

وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]

وهو القيوم

❁ فإن كان عباده لا يقومون إلا به تعالى ، فلماذا لا تجعل كل رجاءك

فيه تعالى ؟!

قال الله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

وقال الله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]

❁ وإن كان يقوم على حساب عباده، فتوكل عليه في تحسين عملك.

فهو مطلع على خباياه.

قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]

❁ وإن كان عدوك لا يقوم بأمر نفسه، ولا يقوم إلا بما أقدره الله فارض

بقضائه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْيَنَهُ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: ٢٥]

وهو الشهيد

❁ وإن كان الله شهيداً على عملك، فكفى به وكيلاً.

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]

وقال الله تعالى: ﴿كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف: ٨]

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]

❁ أليست الشهادة في سبيل الله هي أقصى مبتغاك، ولن تصل إليها إلا

بالتوكل عليه ؟!

- قال الله تعالى في اصطفاء الشهداء: ﴿وَلْيَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ

شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]

- وقال في أجرهم: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩]

- وقال في إكرامه لهم يوم القيامة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]

وقال الله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]

﴿سبحان الله العظيم.

- وكان القرآن كله جاء في التوكل.

- وكان الله تعالى أعلمنا بأسمائه لكي نحقق التوكل عليه.

﴿فمن عبدَ الله بأسمائه كلها فقد حقق التوكل.

- ولن يحقق عبدُ التوكل، حتى يعبد الله بأسمائه كلها.

﴿ومن عبدَ الله تعالى بأسمائه كلها، فقد أتم إحصاءها، فاستحق موعود ربنا

وبشارة نبينا ﷺ في الجنة بقدر إحصائه لها.

﴿ومن عبدَ الله تعالى بأسمائه كلها فقد أتى بأعلى عبادة يمكن أن

يأتي بها مخلوق فجزاءه أعظم نعيم يمكن أن يتنعم به مخلوق.

ألا وهو الأمن يوم الفزع ﴿وَهُمْ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]

- والشربة عند الحوض في ظل، وأمن، وكسوة، وتيجان، وحلل الإيمان.

- عزوا عند خالقهم فرفعهم على منابر الإكرام.

- وكانوا في ضيافة أكرم رسول من بني الإنسان ﷺ، في زمرة أهل الإيمان المقربين

السابقين المحسنين المتوكلين.

- فإذا فتح باب الجنة الأيمن؛ كانوا أول الداخلين، قبل نصب الميزان،

وضرب الصراط، ونزول أرحم الراحمين للقضاء بين العالمين.

﴿اللهم اجعلنا منهم، وكل من اجتهد ليلحق بهم، وتشبه بهم في عملهم،

واتباعهم لنبيهم ﷺ.

خامساً: التوكل شرط الإيمان

﴿والتوكل على الله شرط إيمان العبد، فمن توكل عليه كفاه، ومن توكل على غيره، أخزاه، ومن توكل على غيره، فقد عبد من توكل عليه، وأشرك بالله.﴾

﴿الله تعالى جعل التوكل عليه شرطاً في الإيمان وركناً فيه.﴾

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]

فهذه الجملة الشرطية معناها: التوكل شرط صحة الإيمان، فمن كان مؤمناً، فلا بد أن يتوكل على الله، ومن لم يتوكل على الله، فليس بمؤمن.

والله تعالى حصر وصف الإيمان الكامل في ثلاث صفات للمؤمنين، منهم المتوكلين.

﴿فمن خلا من هذه الصفات الثلاثة، فليس بمؤمن كامل الإيمان.﴾

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]

وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢ / آل عمران: ١٦٠ / المائدة: ١١]

التوبة: ٥١ / إبراهيم: ١١ / المجادلة: ١٠ / النعائين: ١٣]

﴿بل الله تعالى جعل التوكل عليه شرطاً في صحة الإسلام.﴾

قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]

﴿فمن كان مؤمناً، فلا بد أن يتوكل على الله، ومن لم يتوكل على الله

بالكلية، انتفى إيمانه بالكلية.﴾

﴿ومن نقص توكله، نقص إيمانه، والعكس صحيح، فمن اكتمل توكله، اكتمل إيمانه.﴾

﴿والله تعالى نهى المؤمنين أن يتوكلوا على غيره.﴾

قال الله تعالى: ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ دُونِي وَكَيْلًا﴾ [الإسراء: ٢]

﴿قال سعيد بن جبیر: «التوكل على الله جماع الإيمان.»﴾ [أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ١ / ٣٦١ وابن أبي

شيبه في مصنفه ٦ / ٧٦ وأبو نعيم في الحلية ٤ / ٢٧٤ و ١٠ / ٧٠ والبيهقي في شعب الإيمان ٢ / ٤٧٣ وابن أبي الدنيا في التوكل على الله ١ / ٤٧]

حتى مجرد اللفظ

﴿فيحرم أن يقول الرجل لآخر: «توكلت على الله وعليك»، بل لا يتوكل إلا على

الله وحده.﴾

حتى قولهم: «توكلت على الله ثم عليك» فخطأ، بخلاف قوله: «ما شاء الله، ثم شئت»، فإن الله أثبت المشيئة للعبد، ولم يثبت التوكل إلا عليه سبحانه.

❁ نهي رسول الله ﷺ أن يقول: «توكلت على الله وعليك».

❁ قال الشيخ السدحان: قول توكلت على الله ثم عليك لا يجوز، لأن التوكل عبادة قلبية. [فوائد من شرح كتاب التوحيد ١١١]

❁ قال عبد الملك القاسم: «ويحرم قول توكلت على الله ثم عليك؛ لأن المخلوق ليس له نصيب من التوكل، فإن التوكل تفويض الأمر والالتجاء بالقلب، والمخلوق لا يستحق شيئاً من ذلك». [الشرح الميسر لكتاب التوحيد]

❁ قال صالح آل الشيخ: فالتوكل على المخلوق فيما يقدر عليه شرك خفي، ونوع شرك أصغر، والتوكل على المخلوق فيما لا يقدر عليه المخلوق - وهذا يكثر عند عباد القبور والمتوجهين إلى الأولياء والموتى - هو شرك يخرج من الملة.

❁ سئل الشيخ محمد بن إبراهيم عن قول توكلت على الله وعليك: فقال لا يجوز لأنه عمل قلبي. [فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١ / ١٧٠]

سادساً: تفاوت الناس في التوكل على الله

✽ ويتفاوت العباد في مراتب التوكل تفاوتاً عظيماً.

فمنهم من يتوكل على الله، لتحصيل غفارة، ومنهم من يتوكل على الله، لتحصيل إمارة، ومنهم من همته كسرتان، ومنهم من همته قصران.
وأعظمهم توكلًا من كان توكله لتحصيل درجات الجنة، والفردوس الأعلى منها.

١ - التوكل يزيد وينقص:

✽ قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا». [صحيح: رواه الترمذي ٢٣٤٤ وابن ماجه ٤١٦٤، وأحمد ٣٧٠/٣٧٣،

وصححه الألباني في الصحيحة ٣١٠]

✽ فمن الناس من يتوكل على الله حق توكله، ومنهم من توكله ناقص، وهذا يعني أن التوكل يزيد وينقص.

✽ والطيور لا تدخر طعامًا في أعشاشها، فتبيت طاعمة، وتصبح جائعة، ليس عندها شيء، فتغدو طلبًا للرزق خِمَاصًا، بطونها فارغة، فترجع وتروح بطانًا، شبعانة بطونها ممتلئة، فهي تنام مطمئنة على غَدِها، رغم أنه ليس عندها شيء من الطعام تدخره للغد، يعني ليس عندها سبب مادي تعتمد عليه، لكن عندها حق التوكل على الله، الذي هو أعظم من كل الأسباب المادية.

✽ وبعد فتح خيبر كان النبي ﷺ يدخر قوت سنة، لكنه كان لا يمسكه، وكان ينفقه كله قبل أن تمر السنة، حتى أن الضيف كان يأتيه ﷺ ويقول: «إني مجهد» يعني شديد الجوع والتعب، فيبعث النبي ﷺ إلى بيوت أزواجه كلهن ﷺ، فلا يجد شيئًا إلا الماء، فيطلب من أبي طلحة ﷺ أن يستضيف ذلك الرجل.

- وكان يمر الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ولا يوقد في بيوت النبي ﷺ نار، فلا يأكلون لحماً ولا حتى خبزًا إلا ما كان من هذا التمر فقط، رغم أن النبي ﷺ كان يدخر قوت سنة، لكنه كان ينفقه كله ﷺ.

- بأبي أنت وأمي يا رسول الله!!

❁ لذلك من ضعف التوكل سعي الناس الحثيث في طلب الرزق بحجة تأمين المستقبل، يبذلون لذلك أعمارهم وأعراضهم ودينهم، ولا يأتيهم إلا ما قُدِّرَ لهم، وما كان ينبغي لهم إلا أن يجمعوا في الطلب.

٢- التوكل على الله في طلب الرزق؛

❁ التوكل هو اليقين برزق الله، وإن من ضعف اليقين أن تذم الناس على ما لم يؤتك الله، أو أن تحمدهم على ما آتاك الله من الرزق، فيتعلق قلبك بالأسباب، وتنسى المسبب. ❁ واعلم أن رزق الله لا يجلبه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره. - ولن ينفعك في الرزق اجتماع الناس معك لتحصيله، ولن يضرّك اجتماعهم عليك لمنعك إياه، وكراهيتهم لرزق الله لك.

- فتوجه إلى الله بالطلب وأعرض عنك رغب.

- ولا تتملق هذا الغني، أو تخاف من هذا الرئيس في حجب رزق الله عنك. - وأجمل في طلب الرزق، ولا تجعله يستغرق كل وقتك، أو كل اهتمامك. ❁ قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ قَدْ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حُرِّمَ. » [صحيح: رواه ابن ماجه ٢١٤٤ بلفظ أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، ورواه ابن حبان

٣٢٤١، ٣٢٣٩ والحاكم ٤/٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٥/٤٣٤، ٤٣٥ وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب ١٦٩٨]

٣- وأعظم التوكل ما كان في أمر الآخرة؛

- وأفضل التوكل على الله ما كان لصالح دين العبد، ودين غيره، وهدايتهم، وزيادة إيمانهم وعلمهم، وما كان لنصرة الدين، وإعلاء كلمته، وظهور الإسلام، ولإتمام الدعوة إلى الله، ولتحقيق الجهاد في سبيل الله.

- وأعلى التوكل ما كان لدخول الجنة والنجاة من النار.

- وأعظمه ما كان لدخول الفردوس الأعلى من الجنة.

- فإن الصادق يعمل لنيل الفردوس أعمالاً تلقى بهذا المقام، ثم يتوكل على الله ويستعين به، لتحصيل ذلك المراد من بلوغ أعلى الدرجات.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣]

❁ فأعظم التوكل ما كان **للثبات على الدين** حتى الممات، فقد كان هذا طلب الأنبياء عليهم السلام.

قال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]
❁ وقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يطلب الثبات على الدين؛ ليعلم أمته ذلك، وهو سيد الأولين والآخرين، فما بالكم بالمقصرين؟!

❁ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ.» [صحيح مسلم ٢٦٥٤]
- فسبحان مقلب القلوب الذي يقلب قلوب أعدائه؛ ليصبحوا من أتباعه، فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه ظل يحارب المسلمين، ويعرض عن الإسلام عشرين سنة، ثم قلب الله قلبه لاتباع سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، فانضم لركب المؤمنين، فلما صدق حبه الله وتوكله عليه، رفعه الله، فجعله سيفه الذي سلطه على الكافرين، فيا ويح أم خالد كيف ربح خالد؟! وبم سينادي بعد وفاته حين تُنقل روحه من سماء إلى سماء؟ سينادونه بأحب أسمائه إليه وإلى الله « سيف الله »، فيالفوز خالد حين يُنادى بهذا الاسم في السماء! وما ظنكم بالله تعالى حين يردُّ عليه سيفه في القيامة، كيف سيلقاه بأنواع الكرامة؟!

- فاللهم ثبت قلوبنا على طاعتك، واجعل خير عمرنا آخره، وخير أيامنا يوم نلقاك. آمين.

٤- الله تعالى يغار على قلوب عباده؛

❁ الله تعالى يحب أن يتعلق قلب عبده به وحده، فإذا انشغلت قلوب أحبائه بغيره من أمور الدنيا والمباحات، أخذ تلك الأشياء منهم؛ حتى لا ينشغلوا بها عنه، سبحانه، فيتموا بذلك توكلهم على ربهم، ويجعل ذلك سبباً لفوزهم.

❁ فنبى الله إبراهيم عليه السلام حين تعلق قلبه بولده إسماعيل عليه السلام، أمره الله بذبحه، فامثل إبراهيم عليه السلام للأمر، وتمَّ توكله، فرد الله عليه ولده.

❁ ونبي الله يعقوب عليه السلام تعلق بحب ابنه يوسف عليه السلام، فأخذه الله منه، فرضي بقضاء الله، وتمَّ توكله عليه، فردَّ الله يوسف عليه السلام إليه أكمل ما يكون الرجال، في أتم أبهة وجمال، وعزة وصلاح حال، وعزٍ لا يخطر على بال، ومملكٍ لم تبلغه الآمال.

سابعاً: التوكل كان سلاح الأنبياء ﷺ

قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١١-١٢]

✽ فالتوكل كان سلاح إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار.

- والتوكل كان سلاح إبراهيم عليه السلام حين ترك ولده الوحيد الرضيع في صحراء لا زرع فيها ولا ماء ولا واقٍ من السباع.

- والتوكل كان سلاح إسماعيل عليه السلام حين أسلم رقبتة للسكين.

- والتوكل كان سلاح لوط عليه السلام حين جاء قومه ليفعلوا الفاحشة بأضيافه.

- والتوكل كان سلاح نوح عليه السلام حين كفر به قومه، وحين بني السفينة على اليابسة.

- والتوكل كان سلاح هود عليه السلام حين عاداه قومه.

- والتوكل كان سلاح صالح حين عقر قومه الناقة.

- والتوكل كان سلاح يونس عليه السلام حين بلعه الحوت.

- والتوكل كان سلاح أيوب عليه السلام حين فقد ماله وذريته وأصابه المرض.

- والتوكل كان سلاح يوسف عليه السلام حين أُلقي في البئر، وحين أُوصل عليه باب السجن.

- والتوكل كان سلاح يعقوب عليه السلام حين فقد ولديه.

- والتوكل كان سلاح موسى عليه السلام حين أدركه جيش فرعون.

- والتوكل كان سلاح هارون عليه السلام حين عبد قومه العجل.

- والتوكل كان سلاح عيسى عليه السلام حين أحاط الجند بالدار.

- والتوكل كان سلاح زكريا عليه السلام حين بلغ من الكبر عتياً ولم يرزق بالذرية.

- والتوكل كان سلاح نبينا محمد ﷺ حين كان في الغار.

- والتوكل كان سلاح أصحاب نبينا محمد ﷺ حين اجتمع عليهم عدوهم.

١- نبي الله نوح عليه السلام :

نوح عليه السلام توكل على الله في عدم وصول إيذاء قومه له

قال الله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]

ومعنى الآية : قال نوح عليه السلام لقومه : إن كان عظم عليكم إقامتي بينكم وتذكيري لكم بالله، فإني لن أكف عنكم، ولن أبالي بكم، سواء عظم عليكم ذلك أم لا .
- ثم اجتمعوا أنتم ومن أشركتموهم بالله من آلهتكم، وافعلوا ما تقدرون عليه، ولا تؤخروني ساعة واحدة، فإني لا أخاف منكم؛ فإنكم لستم على شيء .
- فإنكم على باطل وإن كنتم تزعمون أنكم محقون، وإني اكتفيت بالله رب العالمين .

٢- نبي الله هود عليه السلام :

هود عليه السلام يرد على إعراض قومه وتهديدهم له بالتوكل على الله

قال الله تعالى عن قوم هود عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٣-٥٦]

- فإن هود عليه السلام، لما آذاه قومه وتوعدوه، قال لهم: ﴿فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾ يعني إني أتحداكم، فاجتمعوا على إيذائي ولا تؤخروا الإيذاء، ولا تعطوني أي مهلة .
ثم قال: ﴿إِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ وما قال ذلك إلا لثقتة بالله تعالى .
وقال: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾

- فهو يشهد أنه على الحق، وأن الله هو الذي أمره بهذا الحق، وأن الله يملك نواصي أعدائه، وهو الذي أخذ بنواصيهم؛ ليعادوه أو ينصروه، على وجه الابتلاء للرسول .
- وإن الله لن يضيع رسوله؛ لأنه هو الذي أمره بتبليغ الرسالة .

٣- نبي الله إبراهيم عليه السلام :

إبراهيم عليه السلام توكل على الله لتحقيق البراءة من الكفر

قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبْنَيْهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكُمْ وَمَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْءٌ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [المتحنة: ٤]

الله تعالى أمر المؤمنين بعداوة الكافرين، ومصارمتهم، ومجانبتهم، والتبرؤ منهم، ومفارقتهم، ماداموا على كفرهم.

ثم أمر المؤمنين بالتوكل عليه لتحقيق البراءة من الكفار وعداوتهم، وأمرهم بالتفويض له، واللجوء والتضرع إليه؛ **ليجنبهم مضار تلك العداوة**، ثم أمرهم أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ رَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [المتحنة: ٥]

- يعني: لا تعذبنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندك.

- فإنهم إن انتصروا علينا، افتتنوا بنصرهم، وظنوا أنهم على الحق، و عذبونا، ففتنونا عن ديننا.

- وإن أصابنا عذاب من عندك، افتتن بعضنا، وشمت عدونا فينا، وقالوا : ما عذبوا إلا لأنهم مخطئون ضالون.

✽ قال قتادة : لا تظهرهم علينا، فيفتنوا بذلك، يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحق

هم عليه، واختاره ابن جرير. [الطبري في تفسيره ١٢/ ٢٥١، ٢٢/ ٥٦٩]

٤- نبي الله شعيب عليه السلام :

شعيب عليه السلام توكل على الله في إبلاغ الرسالة لقومه

قال الله تعالى عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٧﴾ [هود: ٨٧-٨٨]

قال قوم شعيب عليه السلام له: هل صلاتك تأمرك ألا نعبد غير الله وألا نطفف الميزان؟! - ثم استهزأوا به، وقالوا: إنك أنت الحليم الرشيد، يعنى: كيف تأمر بهذه الأوامر وأنت ذو العقل الراجح، فإنه لفرط انغماسهم في المعاصي جعلوا المعروف منكراً والمنكر معروفاً، فأنكروا عليه أن يأمرهم بالمعروف؛ لأنهم يرونه منكراً، فهم جعلوا الشرك وتطفيف المكيال هو المعروف، وجعلوا التوحيد وعدم ظلم الناس في الموازين منكراً. - فقال يا قومي: أنا على بصيرة مما أقول لكم والله قد رزقني العلم والنبوة، وإني لن أنهاكم عن شيء وأفعله سرّاً، وسأجتهد في إصلاحكم قدر استطاعتي، ولن يوفقني إلا الله، الذي توكلت عليه في جميع أموري.

توكل نبي الله شعيب عليه السلام على الله في النجاة من الكفار:

قال الله تعالى مخبراً عن نبيه شعيب عليه السلام: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَاحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]

فإن قوم شعيب قد توعدوه هو والمؤمنين معه بالإخراج والنفي من بلادهم إن لم يعودوا إلى الشرك الذي هو دين قومهم. - فكان سلاح المؤمنين هو التوكل على الله في دفع أذى الكفار، وفي طلب الفتح من الله بينهم، وبين المشركين، والله تعالى إذا فتح بينهم نصراً الأبرار، وهزم الفجار.

٥- نبي الله يعقوب عليه السلام:

يعقوب عليه السلام توكل على الله في عدم وصول حسد الناس لأولاده

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ بِهِ﴾ [يوسف: ٦٧]

قال يعقوب عليه السلام هذا القول عندما أرسل بنيه العشرة مع بنيامين شقيق يوسف عليه السلام إلى مصر، فخاف عليهم العين والحسد؛ لأنهم كانوا ذوى جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء.

- ثم قال: إن هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضائه، فإن الله إذا أراد شيئاً، فإنه لا يخالف ولا يُمانع، سبحانه.

٦- نبي الله موسى عليه السلام:

- إن التوكل الحق لا يظهر إلا في المواقف العصيبة، وإن الله تعالى يحب أن يرى صدق التوكل عليه من أوليائه، فيبتليهم؛ ليخرجوا أفضل ما عندهم من العبادة والتوكل، فيجازيهم عليه بما أعد لهم من كرامته، وما كانوا ليبلغوا تلك الدرجات لولا أن ثبتهم على طاعته.

قال الله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ [النور: ٣٨]

١- توكل نبي الله موسى عليه السلام على الله زمن الاستضعاف:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقُومُ إِن كُنتُمْ آمَنُتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤ - ٨٥]

ظهر موسى عليه السلام داعياً إلى الله تعالى ونبيّاً رسولاً يحدد دين آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليه السلام، فكان إماماً في بني إسرائيل، والتفوا حوله، وذلك قبل أن تنزل التوراة عليه في التيه في سيناء، وكان أشد شيء عليهم هو إيذاء فرعون وجنده للمؤمنين من أبناء يعقوب عليه السلام، وهو نبي الله إسرائيل عليه السلام، وهم أهل موسى عليه السلام.

- فأمرهم موسى عليه السلام بالتوكل على الله في دفع إيذاء الفرعون، فكان التوكل أول سلاحهم وأعظمه، فإن الله كافٍ من توكل عليه وحافظه.

قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]

فالإمكانات غير متكافئة، فالمؤمنون ضعفاء مراقبون ليس لديهم سلاح يدافعون به عن أنفسهم.

- وبيوتهم تُفْتَش دورياً للبحث عن الأمهات الحوامل لرصدهن؛ حتى يحددوا ميعاد الولادة، فإن ولدن ذكوراً، قتلوهن عاماً بعد عام.

- وإن فرعون قد منعهم من تقلد أي مناصب في دولته؛ حتى لا تكون لهم أدنى قوة يدافعون بها عن أنفسهم، ولم يُقَرَّب أحداً منهم إلا ما كان من قارون، فإن الفرعون قربته إليه ليستفيد من ثرواته، وليستفيد قارون من سلطة الفرعون في تنمية هذه الثروة بالوسائل السيادية، لا بوسائل التراضي التي جعلها الله شرطاً في حِلِّ جمع الأموال.

- وهم ممنوعون من الانضمام لجيش الفرعون، وممنوعون من حيازة أي سلاح يدافعون به عن أنفسهم.

- وممنوعون من التجمع، سواء هذا التجمع بغرض الوعظ الديني، أو التفكير في كيفية الخلاص من الفرعون، أو إعداد أنفسهم لمواجهة والدفاع عن أنفسهم ونسائهم أمام انتهاكات جنود الفرعون.

قال الله تعالى: ﴿وَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧]

- ولذلك أمرهم الله تعالى أن يجعلوا بيوتهم قبلته؛ أي متقابله، فهو أقل درجات الاجتماع.

- أو معناها أن يجعلوها في اتجاه القبلة، حتى إذا كانوا في الصلاة وفاجأهم جنود الفرعون ودخلوا عليهم بيوتهم لم يلحظوا أنهم في عبادة وهي الصلاة.

- أو معناها: أكثروا من الصلاة في بيوتكم حتى يرفع الله عنكم ذلك البلاء. ﴿قال ابن عباس رحمهما الله: «وَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً»﴾ قال: أمروا أن يتخذوها

مساجد. [تفسير ابن كثير ٢٨٩/٤ وتفسير الطبري ٢٥٥/١٢، وتفسير ابن أبي حاتم ١٩٧/٦ وزاد المسير ٣٤٥/٢]

- فلم يكن شيء أرجى لهم من التوكل على الله في دفع ذلك الأذى الذي لا يستطيعون دفعه بالأسباب المادية الأرضية.

- وبعد صدق التوكل سألوا ربهم النجاة، فقالوا: ﴿وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٦]، فكان توكلهم على الله في أن ينجيهم من الطاغية وأعوانه.

﴿واذا رجعنا إلى قارون نجده عند اقترابه من بلاط الفرعون لم يحافظ على انتمائه إلى الطائفة المؤمنة من بني إسرائيل، بل تبرأ منهم، حتى يقربه الفرعون، ولم يكتف بالتبرؤ منهم، بل بغى عليهم.﴾

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦]

- ودائماً نجد هذه الخيانة ممن يُتَظَر منه البر، فبدلاً من أن يواسي بماله أهله الفقراء من بني إسرائيل، نجده قد شح بماله، وبغى عليهم؛ حتى لا يطمعوا في بره، ويكون أقصى طمعهم هو مسالته وعدم إيذائه لهم.

- وإمعاناً في الظلم نجد أن قارون ترك موالاة المؤمنين، ووالى الكافرين؛ ليزداد حظه من الدنيا، ولو بعداوة الدين.

- ألا يخشى من سار على خُطَى قارون أن يكون مصيره نفس مصيره؟! فإن الله خسف به وجعله عبرة للمعتبرين.
قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١]

٢- توكل نبي الله موسى ﷺ يوم المحنة الكبرى وانشقاق البحر.

✽ بعد ما صلب فرعون السحرة الذين آمنوا، بدأ ينكل بالمؤمنين، ففر أصحاب موسى ﷺ من فرعون، حتى إذا بلغوا البحر، أدركهم فرعون وجنوده، فانقطعت بهم الأسباب، وأيقنوا أن أمرهم إلى تباب، فالبحر أمامهم وجيوش فرعون خلفهم.
- وأرعبهم جيش فرعون وكل تلك الخيول الفارهة، وكل تلك السيوف اللامعة، وكل تلك العربات المتطورة، وهم لا يملكون شيئاً من هذا العتاد.
- وهنا علا صوت الأطفال بالصراخ والشيوخ بالدعاء، والعجائز بالصياح، وبلغت القلوب الحناجر، وظنوا بالله الظنوناً.
- أما نبي الله موسى ﷺ، فقد كان في شأن مختلف، كان في طمأنينة تامة بالله، وثقة كاملة بموعود الله.

فإن الله تعالى قال لموسى ﷺ: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أُنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥]
فوعده أن ينجيه من فرعون وأن ينصره عليه، وموسى ﷺ كان يثق ثقة تامة بوعد الله.
- واستمرت مطاردة جنود الفرعون لبني إسرائيل.
- حتى إذا بلغ الكرب منتهاه، وبلغ الهول مداه، قال أصحابه: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]
- فقال موسى ﷺ: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، فانفلق البحر، ونجوا.
- فموسى ﷺ كان يتحدث عن نفسه، ويوقن بنصر الله له هو، ويشعر بالغربة حتى بين قومه بني إسرائيل، فكان يشعر أنه في وادٍ وهم في وادٍ آخر، فقال: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ [الشعراء: ٦٢]، ولم يقل إن معنا ربنا.

- فموسى ﷺ كان يعلم أن الله معه؛ لأن الله تعالى لما أرسله هو وأخاه هارون إلى فرعون، قال لهما: ﴿إِنِّي مَعَكُمَا﴾ [طه: ٤٦]، فقال موسى ﷺ: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ [الشعراء: ٦٢]
- بينما قال نبينا محمد ﷺ في محنة الغار: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] ، فنسب

المعية له ولأمته ﷺ.

- فهل كان موسى ﷺ متوقفاً على النص والعلم الذي بلغه من الله تعالى ؟ حين قال له : ﴿فَلَا يَصْلُونَ إِلَيْكُمْ﴾ ولم يقل له تعالى : (فلا يصلون إليكم؟!) أم أنه كان يرى أن قومه لا يستحقون هذه المعية لما علمه من ضعف إيمانهم، حتى قبل أن يقولوا : ﴿يُمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]؟ الله تعالى أعلم.

٣- توكل نبي الله موسى ﷺ على الله زمن التيه في سيناء.

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣]
وبعد محنة فرعون دخل موسى ﷺ ببني إسرائيل سيناء، ثم أمرهم الله تعالى بدخول بيت المقدس، فنكثوا، وتعللوا بأن فيها قوم عمالقة أقوياء لا يستطيعون قتالهم.
- فقام فيهم رجلان، أحدهما يوشع بن نون الذي أصبح نبياً بعد موت موسى وهارون عليهما السلام.

- وكان هذان الرجلان قد أنعم الله عليهما بنعمة العبادات القلبية، فكانا يخافان الله تعالى ، ويتوكلان عليه.

- فأمرهما الرجلان أن يمثلوا لأمر الله، وأخبروهم أنهم إن توكلوا على الله ودخلوا على العماليق أبواب مدينتهم، فإنهم سينتصرون ويغلبون.
- ولكن بني إسرائيل أبوا طاعة الله، ونكلوا عن الجهاد في سبيله، فعاقبهم الله بالتيه في سيناء أربعين سنة، حتى نشأ جيل آخر عاش حياة الصحراء الخشنة، وشب على التقوى والتوكل على الله، وحب الجهاد في سبيل الله، فاتصروا على العماليق الجبارين.

٧- نبي الله محمد ﷺ :

١- توكل نبينا ﷺ في دفع أذى الكفار:

أما نبينا ﷺ لما أدركه الكفار هو وأبو بكر رضي الله عنهما في الغار، قال له : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

فموسى ﷺ أثبت معية الله لنفسه، فقال : ﴿إِنَّ مَعَ رَبِّي﴾ [الشعراء: ٦٢]
ونبينا ﷺ أثبت معية الله لمن تبعه من أمته، فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

- اللهم إنا نشهدك أنا نحب نبينا حباً فاق حب كل مخلوق، وإنا اشتقنا أن نراه، فاجمع بيننا وبينه عند حوضه، فنكون ممن شملتهم في أول شفاعاته في دخول من لا حساب عليهم إلى الجنة، ليكونوا أول فوج الداخلين.

❁ اللهم اجعلنا منهم بمنك وكرمك يا عزيز يا غفور.

٢- التوكل على الله في طلب النصر:

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩) ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٩ - ١٦٠]

معناها: يا محمد، إذا شاورتهم، ثم عزمت على أمر، فتوكل على الله في تنفيذه، واستعن بالله عليه، وفوض الأمر إليه، ثم توكل على الله لتحقيق النصر، فإن النصر من عند الله.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَئِنْ لَمْ يَنْصُرُوا لَنَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]

٣- التوكل على الله في دفع كيد الكافرين:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦١) ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦١ - ٦٢]

معناها: يا محمد، إن طلبوا الصلح، فصالحهم، وإن كانوا يقصدون بذلك الخديعة، ليستعينوا بالهدنة على الإعداد لحربك، فإن الله كافيك وناصرك ومؤيدك.

٤- التوكل على الله في تبليغ دعوة الله:

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١]

معناها: يا محمد، إن تولوا عنك، فأعرض عنهم، واحلم عليهم، ولا تؤاخذهم، ولا تكشف أمرهم، وأيضاً لا تخفهم، وتوكل على الله، واستمر فيما أنت عليه من الحق، وكفى بالله ولياً وناصرًا ومعيناً لمن توكل عليه.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ

رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿التوبة: ١٢٩﴾

معناها : يا محمد، إن تولوا عن ما جنتهم به من الشريعة العظيمة المطهرة الشاملة الكاملة.
- فقل : حسبي الله؛ يعني : الله كافيني؛ لأنه رب العرش الذي تحته كل المخلوقات، فهو قاهرهم بقوته، ومحيط بهم بعلمه ومشئته.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]

معناها : يا محمد، إن الله لا يخفى عليه أمر الذين يكذبونك، وإن الله سيجازيهم بذلك في الآخرة، فاستمر في دعوتك، وتوكل على الله؛ فإن الله كافيك.

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿الرعد: ٣٠﴾

معناها : يا محمد، إنا أرسلناك لتبلغ رسالة الله؛ كما أرسلنا الرسل إلى الأمم قبلك، فإن كذبك قومك، فقد كذب الكفار رسلك من قبل، فلك فيهم أسوة حسنة.
- وكما أوقعنا بأسنا ونقمتنا بالمكذبين قبلك، فليحذر قومك من تكذيبك؛ فإن تكذيبهم لك أشد من تكذيب غيرك من الرسل.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا

مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]

فانظر يا محمد، كيف نصرنا رسلنا وجعلنا العاقبة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة.
- وإذا كفروا بالله، فقل : هو ربي، أنا مؤمن به، فوضت له أمري؛ لأنني سأرجع إليه يوم القيامة، فيحاسبني على ما أمرني.

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ

عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿الفرقان: ٥٨﴾

معناها : يا محمد، إن عصاك الناس، وظاهروا الله بالذنوب، فاتخذوا الشيطان وليًا ونصيرًا، فاتبعوه على معصية الله، فإنهم سيزولون ويموتون، فتوكل على من لا

يموت، سبحانه، الذي خلق كل شيء؛ فهو ربه ومالكة ومملكه المتصرف فيه، فافزع إليه، والتجئ إليه، واستمر في دعوتك؛ فإنه ناصرك ومؤيدك.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢١٦) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقْلُبَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٦-٢١٩]

معناها: يا محمد، إن عصاك قومك، فترأ من الشرك الذي هم عليه، واستمر في الدعوة، وتوكل على الله في إبلاغها، واستعن على أذاهم بالصلاة؛ فإن الله حافظك وناصرك، ويكفي أنه يرى قيامك في الصلاة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ [الزمل: ٢٠]

وقال الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨]

✽ قال ابن عباس رحمهما الله يعني: الصلاة.

وقال: «قيامك وركوعك وسجودك». [تفسير الطبري ١٧/٦٦٦]

وقال: «وأنت مع الساجدين وتقوم وتقعده معهم». [تفسير الطبري ١٧/٦٦٨]

✽ قال عكرمة: يري قيامه وركوعه وسجوده. [تفسير الطبري ١٧/٦٦٦]

✽ قال مجاهد: «أيها كنت». [تفسير الطبري ١٧/٦٦٦]

✽ قال قتادة: مع المصلين [تفسير الطبري ١٧/٦٦٧]

إلا يكفي قول الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]

الآية السابعة:

قال الله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ (٧٩) ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الْأَصْمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ﴾ (٨٠) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٧٩-٨١]

معناها: يا محمد، توكل على الله في إبلاغ الدعوة، ولا يضررك من خالفك ممن كتب الله عليه الشقاوة، وحققت عليه كلمة الكفر.

- فأنت لن تسمع من أصممه الله عن سماع الهدى.

- إنك لن تُسمعَ سَمَاعَ الهداية إلا لمن أذن الله له في سماع الهدى.
- وإنه لن يبصرَكَ من أضلهم الله، فأعمى بصيرتهم، فأصبح عمى بصيرتهم أشد من عمى أبصارهم.

٥- التوكل على الله في تحكيم شرعه:

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝﴾ [الأحزاب: ١ - ٣]

معناها: يا محمد، لا تطع الكافرين فيما يشرعونه ويحكمون به، بل حتى لا تسمع لهم ولا تستشرهم، واتبع أمر الله و وحيه؛ فهو **العليم** بما يصلح كونه وعباده، **الحكيم** في كل أفعاله وأقواله وأوامره، وتوكل على الله في إنفاذ شريعته وتبليغ دعوته، وكفى بالله ناصرًا ومؤيدًا لمن توكل عليه.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذُنَهُمْ تَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝﴾ [الأحزاب: ٤٨]

معناها: يا محمد، دعك من الكفار والمنافقين، وأعرض عنهم فيما يطلبونه منك معارضا لشرع الله، ولا تؤذهم أو تعاقبهم لذلك، واصفح عنهم، وتجاوز عنهم، ووكل أمرهم إلى الله، فإنه الذي سيتولى عقابهم في الدنيا والآخرة، واستمر في إبلاغ دعوتك، وتوكل على الله، وكفى به ناصرًا ومعينًا.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝﴾ [الملك: ٢٩]

معناها: يا محمد، قل: إننا آمننا بربنا **الرحمن**، وتوكلنا عليه في جميع أمورنا، فإذا جاء يوم القيامة، ووجدتم الله حاكم ذلك اليوم، فستعلمون من كان في ضلال مبين، فإنه سينعم على أهل طاعته، ويعذب أهل الإعراض عنه.

وقال الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ۝﴾؛ لأن الكفار كانوا ينكرون اسم الله **الرحمن**؛ لأنهم

كانوا يفسرون صفة الرحمة بالضعف، وإنما رحمة الرحمن عن قوة تامة، وقدرة شاملة، وعزة، وغلبة، ولذلك لم يقبلوا من رسول الله ﷺ أن يكتب يوم الحديبية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وقالوا: ما الرحمن؟

وقال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]

٦- التوكل على الله في عبادته:

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿[المزمل: ٨-٩]

معناها: يا محمد، أكثر من ذكر الله، وانقطع له، وتفرغ لعبادته، وتوكل عليه لتحقيق ذلك.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧) ﴿وَالِلَّيْلِ فَارْجُبْ﴾ [الشرح: ٧-٨] فإذا فرغت من مهامك، فانصب له؛ لتكون فارغ البال عند عبادته، فهو رب المشرق والمغرب وخالق السماوات والأرض المستحق للعبادة وحده.

فكما أفردته بالعبادة، فأفرده بالتوكل، فلا تستعن إلا به على عبادته.

قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]

٧- التوكل على الله في الإيمان بالقدر:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]

معناها: يا محمد، قل عند مجادلة المنافقين: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، فنحن تحت مشيئة الله وقدره، وهو مولانا وسيدنا وملجؤنا، ونحن متوكلون عليه، وهو حسبنا وكافينا.

٨- صدق توكل الصحابة رضي الله عنهم:

١- التوكل على الله في حرب الكفار:

في غزوة الأحزاب جاء مقاتلو الكفار ليحاصروا المسلمين في المدينة من فوقهم ومن أسفل منهم، وبلغ بالمسلمين الجوع، والبرد، والتعب، وقلة النوم كل مبلغ، وزاد عليهم النصب، وهددهم اليهود الأنذال في نسائهم بالعطب، وهموا أن يغدروا

بالحرمان، ويهتكوا العرض، ويلوثوا النسب، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وبلغت القلوب الحناجر، وزلزلت النفوس، وزاد عليها الوصب.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۝۱۰ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝۱۱ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝۱۲﴾ [الأحزاب: ١٠-١٢]

فلم يفعل أصحاب محمد ﷺ فعل يهود، وييسوا من الله المعبود، بل ازدادوا إيماناً وتسليماً، فأعطاهم الرحمن قرة عين وبقيناً.

قال الله عنهم: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۝ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٢٢]

فأمر الله جنداً واحداً من جنده - وهي الريح - فعمت عيون الكافرين، وذرت الرمال في وجوه الظالمين، وكفأت قدور الفاسقين، وقلعت خيام الخاسرين، وأنهت الحرب لصالح المسلمين.

- رغم أن الله تعالى قد أرسل جبريل عليه السلام في كتيبة هائلة من ملائكته، وقد كان ملك واحد منهم قادراً على أن يكفأ عليهم الأرض، أو يصمهم بصيحة، أو يحصبهم برمية.

- لكن الله تعالى أراد ما هو أفضل عاقبة من ذلك، أراد أن يمحص قلوب أحبابه؛ ليظهر مكنونها من روائع الإيمان به ودرجات التوكل عليه.

فِيَحْصُلُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ قَدَرًا مِنَ الْحَسَنَاتِ تَثْقِلُ بِهِ الْمَوَازِينَ وَتَطْيِشُ بِهِ الْكِفَاتِ، وتعلو به الدرجات، فإذا قرَّبهم منه في أعلى جنته، جعل فضله السابق عليهم سبباً لنيل كرامته.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝﴾ [آل عمران: ١٧٣]

٢- التوكل على الله في دفع أذى الكفار:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ آنَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝﴾ [المائدة: ١١]

❁ فمن توكل على الله كفاه الله ما أهمه ، وحفظه من شر الناس وعصمه.

❁ ويروى في ذلك: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ مَنْزِلًا وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِصَاهِ يَسْتَظِلُّونَ تَحْتَهَا، وَعَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ سِلَاحَهُ بِشَجَرَةٍ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَهُ فَسَلَّهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: " اللَّهُ " ! قَالَ الْأَعْرَابِيُّ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : " اللَّهُ " ! قَالَ : فَشَامَ الْأَعْرَابِيُّ السَّيْفَ ، فَدَعَا النَّبِيَّ ﷺ أَصْحَابَهُ فَأَخْبَرَهُمْ خَبَرَ الْأَعْرَابِيِّ ، وَهُوَ جَالِسٌ إِلَى جَنْبِهِ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ . [صحيح البخاري ٤١٣٩ ومسلم ٨٤٣]

٣- التوكل على الله في دفع أذى ضعفاء الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّجَوَّى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُبَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة: ١٠]

فإذا كنتم ثلاثة فلا يتكلم اثنان في السر بصوت منخفض دون الثالث، فإن ذلك يحزنه، فإذا شعر الثالث بما يؤذيه، فليتعوذ من الشيطان وليتوكل على الله، فإنه لا يضره بإذن الله.

❁ قال رسول الله ﷺ : «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزَنُهُ.» [صحيح البخاري ٦٢٩٥ ومسلم ٢١٨٤]

❁ قال رسول الله ﷺ : «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ.» [صحيح مسلم ٢١٨٣]

٤- التوكل على الله في الاستعانة به على طاعته:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (١٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن: ١٢ - ١٣]

- هذا خبر بمعنى الأمر ومعناه : وحدوا الله بطاعته، وتوكلوا عليه ليعينكم على طاعته.

❁ قال الزهري: مِنْ اللَّهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ.

[صحيح البخاري معلقاً ١٥٤/٩، ورواه البخاري في خلق أفعال العباد ٧٦/١، وابن حبان في صحيحه ١٨٦، ١/٤١٤]

٥- التوكل على الله في تحكيم شرعه:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ [الشورى: ١٠]

معناها : أي اختلاف يقع بين البشر يجب أن يكون حكمه إلى الله تعالى ، فهو الذي خلق البشر ، وهو أعلم بما يصلحهم ، ولا يملك أن يشرع لهم غيره ؛ لأنه لم يخلقهم غيره ؛ فهو مالکهم الذي يملكهم ، ومَلِكُهم الذي يتصرف فيهم ، ويحكم بينهم .
قال الله تعالى : ﴿ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اطِيعُوْا اللّٰهَ وَاَطِيعُوْا الرَّسُوْلَ وَاُوْلٰى الْاَمْرِ مِنْكُمْ فَاِنْ نَّزَعْنٰمْ فِىْ شَيْءٍ فَرُدُّوْهُ اِلَى اللّٰهِ وَالرَّسُوْلِ اِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَّاَحْسَنُ تَاْوِيْلًا ﴾ [النساء: ٥٩]

ثامناً: الأسباب المعينة على التوكل

❁ كيف يتحقق التوكل؟

١- اعتقاد أن المتوكل عليه عظيم:

قال الله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]

❁ فسبب التوكل على الله أنه حي لا يموت ، ومن سواه يموتون ، وأنه الآخر ، فليس بعده شيء .

- فمن توكل على غيره ، انقطع رجاءه فيه بانقطاعه ، وفنى اعتماده عليه بفنائته ، وكيف ينفعه ، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، وحتى أجله ليس بيده ؟ فلا يعرف متى ملك الموت يأتيه ؟ وإذا أتاه لا يعرف كيف يتقيه ؟
- ومن توكل على الله ، كفاه ، وللبر هداة ، وعن الناس أغناه .

٢- العلم بصفات الله :

❁ فلا يتحقق التوكل إلا بعد أن يعلم العبد صفات مولاه ، ويوقن أن الأمر كله بيد الله ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

- فالله وحده المعطي المانع ، وهو وحده الضار النافع ، والله وحده الخافض الرافع ، وهو وحده القابض الباسط ، وهو وحده المعز المذل .

❁ فلا يملك القدرة التامة إلا هو ، ولا يملك العلم التام إلا هو ، ولا يعلم

مصالح عبادته إلا هو، ولا يعلم كيف يصلون إلى منافعهم إلا هو، ولا يقدر أن يوصل منافعهم إليهم إلا هو.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]

﴿فينبغي التوكل على الله لأنه العزيز الحكيم.﴾

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَابْتَغِ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]

- فهو يقضي ما يشاء بحكمته، وينفذ قضاءه بعزته، فهو لا مغالب له سبحانه.

- والإيمان بعزة الله وحكمته يقتضي الثقة في أن الله سينصر المؤمنين، ولكن الله يقدر

ذلك بحكمته في كيفية وتوقيت لا يعلمه إلا هو، ثم يتم نصره لعباده بمقتضى عزته.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلَسَطَمِيقًا لِّقُلُوبِكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ

اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]

وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧]

﴿وينبغي التوكل على الله لأنه خبير بعباده.﴾

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾

[الإسراء: ٣٠]

وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمَادًا وَهِيَ تَمُرمُ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ

شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]

وقال الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۚ

وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣]

فهو تعالى خبير بما يصلحهم من الأرزاق، خبير بما يصنعه بهم، خبير بما يقدره

عليهم من الابتلاءات بالخير والشر، وكل ذلك لمنفعتهم.

- ألا يدعوك ذلك إلى أن تتوكل عليه، وتطمئن إليه، وتفوض أمرك كله إليه؟!

٣- اليقين في وعد الله:

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦]

وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمْ

الْجَنَّةَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ
وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿[التوبة: ١١١]

اليقين بما وعد الله بأن **العاقبة للمتقين** هو الذي يدفع العبد للتوكل على الله،
وللصبر في مواجهة الباطل وأعداء الدين.

- واليقين بأن **العاقبة للمحسنين** هو الذي يدفعه للتوكل على الله، وإحسان
عبادته في الدنيا؛ رجاء وعده الصادق في الآخرة.

٤- صلاة الاستخارة من أعظم ما يحقق التوكل؛

أمرنا رسول الله ﷺ أن نقول هذا الدعاء في صلاة الاستخارة عند بداية كل أمر مهم :
❁ كان النبي ﷺ يعلم أصحابه ﷺ الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من
القرآن فإذا هم بالأمر يركع ركعتين ثم يقول : «اللهم إني أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ
بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ
عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي -
أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي
وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ،
وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمَّى حَاجَتَهُ» [صحيح البخاري: ٦٣٨٢ و ٧٣٩٠]

- والعبد بهذا الدعاء يتبرأ من حوله وقوته، ويركن إلى حول الله تعالى وقوته،
ويستسلم لمشيئته، ويثق بعلمه وحكمته، فهو أعلم بما يصلح عبده، ويعلم أي الأقدار
خيرًا لعبده، ويوقن بقدره الله التامة على إنفاذ ذلك القدر، ثم يرجو فضله العظيم
لإصلاح دنياه وآخرته، ثم يتوكل على الله في أن يرزقه الرضا بقضائه.

تاسعاً: علامة صدق التوكل

❁ علامة صدق التوكل هي :

عدم الاطمئنان عند وجود الأسباب، وعدم الجزع عند فقدائها.
- فالاطمئنان بالسبب والركون إليه من ضعف التوكل، وإنما ينبغي ألاّ يطمئن قلب العبد إلا بمسبب الأسباب سبحانه.

صدق التوكل ناتج عن العلم بأسماء الله وصفاته:

صدق التوكل ناتج عن اليقين بصفات العظمة، والجلال، وصفات القدرة، وصفات العلم والسمع، وصفات بره بعباده ورحمته بهم، وصفات جوده وواسع عطائه وإكرامه لأوليائه، وصفات ملكه وإحكام تصرفه في خلقه، وحكمته البالغة وأنه ما خلق شيئاً عبثاً، وأنه سيجازي المحسن بالجنة، وسيجازي المسيء بالنار، وأنه صادق الوعد، وأنه يملك نواصي عباده، وأن قلوبهم بين إصبعيه تعالى يقلبها كيف يشاء.

❁ فسلم قلبك للوكيل وفوض أمرك له سبحانه، ووقع عقد الوكالة، وقل :

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران : ١٧٣]

❁ فإذا استقر ذلك في قلب العبد، لم يلتفت إلى غير الله، ولم يرَ إلا فعل الله في قضائه وقدره، وفي تصريف مخلوقاته، وتقليب قلوب عباده، ولم يتعلق قلبه بالأسباب؛ لأنها مخلوقة، وإنما يتعلق قلبه بالخالق العظيم، ولميرِ النفع والضرر يصله من المخلوقين، بل رأى أن الله هو الذي خلق العباد وخلق أفعالهم، فلم يتعلق قلبه بغير الله تعالى .

❁ لذلك ترى المؤمن يزداد أملاً، ويشتد توكله كلما انقطعت الأسباب، وضائق السبل، وبطلت الحيل.

- وترى ضعيف الإيمان إذا ازداد الكرب، يقل توكله، ويقنط من رحمة الله، ويأس من روح الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عاشراً: الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل

١- ينبغي على المؤمن أن يبذل جهده في فعل الأسباب النافعة، ولا يعتقد أنها تنفع إلا بمشيئة الله.

✽ قال ابن القيم : «وسر التوكل وحقيقته: هو اعتماد القلب على الله وحده؛ فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها؛ كما لا ينفعه قوله: توكلت على الله، مع اعتماده على غيره، وركونه إليه، وثقته به، فتوكل اللسان شيء، وتوكل القلب شيء آخر». [الفوائد ١٦٤]

٢- فترك الأخذ بالأسباب طعنٌ في الشرع، والاعتقاد في الأسباب طعن في التوحيد.

✽ قال ابن القيم : «من أنكر الأسباب، لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه : قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها». [مدارج السالكين ٢/ ١٢٠]

٣- ينبغي على العبد ألا يجعل عجزه توكلًا، ولا توكله عجزًا - بالأخذ بالأسباب - ويدعي أن هذا توكلًا، إنما هذا هو التواكل.

٤- وترك التكسب ليس من التوكل.

- فصحيح أن الرزق مكان تقديره في السماء، لكن مكان وقوعه في الأرض.

قال الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات : ٢٢]

- فلا يستطيع أحد أن يقطعه، أو حتى يوصله؛ لأنه في السماء.

٥- وشدة الأخذ بالأسباب لا تنافي التوكل؛ كمن يلبس الدرع في الحرب، وكمن يشد عقال البعير قبل أن يدخل المسجد ليصلي.

٦- والتوكل هو الأخذ بالأسباب، ثم الاعتماد على الله لتحقيق المطلوب.

٧- والتوكل ذاته من أعظم الأسباب النافعة، بل هو أنجحها.

٨- فالتوكل يضع البذر في الأرض، ثم يتوكل على الله في خلق الزرع، ومن لم يبذر البذر، وانتظر أن يخلق الله النبات، فمجنون قطعًا.

- والمتوكل يتزوج، ويتوكل على الله في إنجاب الذرية، ولكن من ادعى التوكل على

الله في طلب الذرية ولم يتزوج، فهذا لا عقل له.

✽ قال ابن القيم : «التوكل هو الأخذ بالأسباب، وكما له بالتوكل على الله، وهذا كتوكل الزارع الذي شق الأرض وألقي فيها البذر، فتوكل على الله في زرعه وإنباته، فهذا قد أعطى التوكل حقه». [زاد المعاد ٢ / ٣٣١]

٩- **فالواجب على العبد هو الأخذ بالأسباب**، ليحصل على ثواب السعي، لكن لا يعتقد أن للأسباب تأثيرًا بذاتها في حدوث المقدور، الذي لا يحدث إلا بقدره الله الغالبة ومشيتته النافذة، لا بالأسباب.

١٠- وملاك ذلك أن يعتقد المسلم أن تحقيق المطلوب كان بقدر الله وإرادته ومشيتته، وإنما السبب كان وسيلة، والوسيلة لا تغني شيئًا بذاتها، إلا أن يكون الله تعالى هو الذي قدر لها تأثيرها من النفع أو الضرر.

الأنبياء جميعاً أخذوا بالأسباب:

فالأخذ بالأسباب واجب، والاعتقاد في الأسباب أنها تنفع بذاتها شرك.

✽ ومن الأسباب ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، ومنها ما هو مباح.

١- فالأنبياء تاجروا، وعملوا، وتكسبوا من عمل أيديهم، منهم التاجر، وراعي الغنم، والحداد، والحائك، والتجار، ولم يتركوا طلب الرزق، ولم يقولوا : هذا توكل.

٢- والنبي ﷺ حارب وعليه درعان؛ ليكون قدوة لنا.

٣- والنبي ﷺ عند الهجرة ذهب في عكس الاتجاه إلى الجنوب، رغم أن المدينة شمال مكة؛ ليذهب بعيداً عن أعين المشركين، وجعل قطيعاً من الغنم يسير خلفه حتى يخفي آثار أقدامه ﷺ، رغم أن الله تعالى قادرٌ على أن يكفيه كل ذلك، ويرسل له البراق ليأخذه إلى المدينة؛ كما أرسله إليه ليأخذه إلى بيت المقدس، ولكنه لم يفعل ذلك؛ ليعلمنا الأخذ بالأسباب.

ترك الأخذ بالأسباب طعن في الشرع :

✽ لأن سُنَّة النبي ﷺ هي الأخذ بالأسباب، وترك الأخذ بالأسباب هو ترك السُنَّة.

✽ ومن ادعى أنه يسعه ترك الأسباب وترك التكسب، وأن الله سيرزقه من حيث

لا يحتسب، فدعواه ترك الأخذ بالأسباب باطلة؛ لأنه إذا جاءه الطعام، احتاج أن يرفعه إلى فمه ويمضغه، وهذا أخذٌ بالأسباب. فلماذا يترك بعضها، ويفعل البعض؟! وما ذلك إلا لأنه ترك الصعب أو الشاق من الأسباب، وأخذ السهل منها، وسبب ذلك هو الكسل، وليس التوكل، ومن فعل ذلك، فهو مدعٍ للتوكل، وليس صادقاً فيه.

✽ وهو عندما ادعى التوكل على الله، وترك الأخذ بالأسباب، إنها توكل على شخص آخر يأتيه بالرزق والصدقة، وهذا في الحقيقة توكل على غير الله إذا ركن قلبه إليه.

الأخذ بالأسباب واجب، وإن كان السبب لا يتناسب مع المسبب.

قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ [الشعراء: ٦٣]

- فكانت النتيجة ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]

قال الله تعالى لمريم: ﴿وَهَزَيَ إِلَيْكَ الْجَنَّةَ﴾ [مريم: ٢٥]

- فكانت النتيجة: ﴿سُقِطَ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]

✽ فما تفعل عصا في بحر متلاطم؟ وما تفعل يد امرأة ضعيفة قد وهنتها الولادة في

نخلة شامخة؟

- الله تعالى لا يريد من عباده إلا الاستجابة له، وهو تعالى أمرهم بأعمال قليلة، لا ترمز إلا إلى مسارعتهم في طاعته، سبحانه، ثم أعطاهم على تلك الأعمال الضعيفة أعطيات عظيمة.

- والله تعالى لا يريد إلا قلبك، فإن توكلت عليه، وفوضت أمرك إليه، وسارعت إلى طاعته بما تملك من أسباب ضعيفة، أعطاك ما لا يتناسب مع فعلك، وما لا يتناسب مع الأسباب التي أخذت بها.

حادي عشر: فضل التوكل

١- الله تعالى وكيلٌ على كل شيء:

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢]
وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢ / الزمر: ٦٢]

٢- التوكل وسيلة لنيل سائر عبادات القلوب:

✽ قال ابن القيم: منزلة التوكل قبل منزلة الإنابة؛ لأنه يتوكل في حصولها، فالتوكل وسيلة والإنابة غاية. [مدارج السالكين ١ / ١٣٤]

✽ فالعبد يتوكل على الله لبلوغ الدرجات المستحبة من حب الله وخوفه والإخلاص له وتقواه وشكره والتوبة إليه.
- فمن حقق ذلك فبسبب صدق توكله على الله، فمحا الله عنه كل ذنب، وأدخله الجنة بغير حساب.

٣- ارتباط التوكل بأعمال الإيمان كلها:

✽ الله تعالى جعل التوكل قرين الهداية، وقرين العبادة، وقرين الإسلام، وقرين الإيمان، وقرين التوبة، وقرين النصر، وقرين الحفظ، وقرين الصبر.
- فالتوكل صفة لازمة للمؤمنين، فهم يتوكلون على الله في كل أمور دينهم ودنياهم.

١- التوكل قرين الإسلام:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]

٢- التوكل قرين الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]
وقال الله تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦]
وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

[النحل: ٩٩]

٣- التوكل قرين الهداية:

قال الله تعالى مخبراً عن المؤمنين: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢]

٤- التوكل قرين العبادة:

قال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]
وقال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْوَحْيِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]

٥- التوكل قرين التوبة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]

٦- التوكل قرين الإنابة:

قال الله تعالى مخبراً عن نبيه شعيب عليه السلام: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨ / الشورى: ١٠]

٧- التوكل قرين الصبر:

قال الله تعالى مخبراً عن المؤمنين: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢ / العنكبوت: ٥٩]

٨- التوكل قرين النصر:

قال الله تعالى مخبراً عن نبيه شعيب عليه السلام: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]

٩- التوكل قرين الدعوة إلى الله:

قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي إِيَّائِي اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]

٤- ارتباط التوكل بأسماء الله تعالى:

الفتاح / العزيز / الحكيم / الحي / الرحيم / الرحمن.

قال الله تعالى: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾

[الأعراف: ٨٩]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأَنْفَال: ٤٩]

وقال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]

وقال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧]

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩]

٥- الله تعالى أمر نبيه ﷺ بالتوكل عليه:

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]

وقال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ٨١ / الأنفال: ٦١ / الأحزاب: ٣ / الأحزاب: ٤٨]

وقال الله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩ / النمل: ٧٩]

٦- الله تعالى أمر المؤمنين أن يتوكلوا عليه:

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢ / آل عمران: ١٦٠ / المائدة: ١١،

التوبة: ٥١ / إبراهيم: ١١ / المجادلة: ١٠ / التغابن: ١٣]

وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]

وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧ / الزمر: ٣٨]

٧- الشيطان ليس له سلطان على المتوكلين:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

[النحل: ٩٩]

٨- الله تعالى يحب المتوكلين، ويحب توكلهم عليه:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

٩- التوكل يضاعف ثواب العمل:

التوكل وسيلة لنيل العبادات الظاهرة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأَنْفَال: ٢]، فذكر الله المؤمنين، ثم مدحهم بخوفهم منه وتوكلهم عليه - وهي عبادات القلوب - ثم ذكر الصلاة والزكاة - وهي عبادات الجوارح - فقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

[الأَنْفَال: ٣]

- فذكر الله التوكل قبل الصلاة والزكاة في الآيات؛ لأنه إن سبقت نية التوكل على نية العبادات الظاهرة من الصلاة و الزكاة، تضاعف أجرها.
قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤]

- فيتضاعف أجر المصلي إن ذهب يصلي متوكلاً على الله، ويتضاعف أجر المزكي إن عزم على الزكاة متوكلاً على الله تعالى ، ويزيد الأجر كلما زاد التوكل.

١٠- من حقق التوكل دخل الجنة بغير حساب؛

أخبر النبي ﷺ أن من أتمه سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فخاض الناس فيهم، فقال بعضهم: «لعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ»، وقال آخرون: «لعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئاً»، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

[صحيح البخاري ٥٧٥٢ و ٥٧٠٥ و ٦٤٧٢ و ٦٥٤١]

١- فهم لا يسترقون.

- يعني : لا يطلبون الرقى من غيرهم من الصالحين.
- فإن قلوبهم من كمال تعلقها بالله لم تطلب النفع من سواه، حتى وإن كان هذا الطلب جائزاً، حتى إنهم لا يطلبون الدعاء الديني من الصالحين، فقلوبهم لا ترى فاعلاً إلا الله العظيم، ولا ترى بعده شيئاً من المخلوقين، فكأنهم عدمٌ أو غير موجودين.
- لكنهم يرقون أنفسهم، ويطلبون من الله ما ينفعهم، ويدعونه لأنفسهم لنيل خير الدنيا ودرجات الآخرة، وهذا لا ينافي التوكل، بل إنه من كمال التوكل ألا يتعلق القلب إلا بالله.

❁ وهم لا يرقون غيرهم بكلام لا يعرفون معناه، فربما يكون فيه شرك، وإنسا ينفعون إخوانهم بالرقى الشرعية، ويدعون لهم.
❁ قال رسول الله ﷺ : «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» [صحيح مسلم ٢١٩٩]

٢- ولا يتطيرون.

- فهم لا يتشاءمون بغير سبب شرعي؛ لأن تعلق القلب بالمخلوقين في حزنه

وفرحة من ضعف التوكل واليقين.

٣- ولا يكتون.

- لأن الكي من أنواع التداوي المكروهة، والنبي ﷺ لم يكتو، لكنه أذن في الكي، وجعله آخر العلاج.
- وهذا لا ينفي أن تكون هناك أنواع كثيرة من الطب مباحة، وفعلها النبي ﷺ، ولم ينه عنها، وهي مباحة على الصحيح، وليس من الأولى تركها.

١١- الله تعالى يكفي من توكل عليه:

قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]
وقال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٣]
وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨]
وقال الله تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١]
وقال الله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٣٢، النساء: ١٧١، الإسراء: ٦٥]
وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]
وقال الله تعالى: ﴿أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢]
وقال الله تعالى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]
- من توكل على الله أحسن الله عاقبته وحفظه.

- فهذا يعقوب عليه السلام، شعر أن أبناءه، إخوة يوسف عليه السلام، أرادوا أن يمكروا بأخيهم، فلم يجد إلا التوكل على الله، فقال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]
فكان حفظ الله ليوسف عليه السلام - وهو بعيد عن أبيه يعقوب عليه السلام - أتم وأعظم من حفظ أبيه يعقوب عليه السلام له .

✽ أما من لم يتوكل على الله، فسيظل يحتاط لنفسه من المهالك، ويختار لها كل سبب هالك، دون التزام بالشرع، وسيهلك في أودية الدنيا، ويتعلق قلبه بشعابها؛ لأنه يظن أنه لو التزم بالشرع سيضيع؛ فهو يظن أن الشرع سيمنعه من الأخذ بالأسباب، فيسيء الظن بالشرع، ويسيء الظن بمن شرعه جل وعلا، ويظن أن الله سيتركه، وأن عدوه سيدمره، وهذا من سوء ظنه بالله.

ثاني عشر: جزاء التوكل

✽ عبادة التوكل هي عبادة الله بكل أسمائه.

- ولتحقيق التوكل كاملاً ينبغي أن يعبد العبد ربه بكل أسمائه، ومن عبد الله بكل أسمائه، أخذ أعلى جزاءه تعالى، وهو دخول الجنة بغير حساب، ودخول أعلى الجنة، وهو الفردوس الأعلى.

- وكلما كمل توكل العبد، كلما عبدَ الله بأسماء أكثر، فاستحق ثواباً أكثر.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦]

✽ ومن كَمَلْ توكله دخل الجنة لأول وهلة، وكان من السبعين ألفاً الأوائل،

الذين يدخلون الجنة بلا سابقة عذاب ولا مناقشة حساب.

✽ قال رسول الله ﷺ: «قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بَغَيْرِ حِسَابٍ» ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يَبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ الْقَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَخَرَجَ، فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.» [صحيح البخاري ٥٧٠٥ و ٥٧٥٢ و ٦٥٤١ مسلم ٢٢٠]

✽ وفي رواية: «فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ.» [صحيح مسلم ٢٢٠]

✽ فتخيل نفسك في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، منهم أربعون سنة ينتظرون فصل القضاء، وقبل بدء الحساب يدخل المتوكلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، ينعمون على الأرائك في القصور مع الحور عشرات الآلاف من السنين، ولما يفرغ أهل المحشر من الحساب بعد، وإن كان هذا الجزاء والنعيم في هذه المدة من السنين كافياً والله، فيا لفوز المجدين، ويا للسعادة المشمرين، ويا لنعيم المتوكلين!

✽ أما في الدنيا، فإن الجزاء من جنس العمل، فمن صدق توكله على الله، كان الله حسبه وكافيه، فلو كادته السموات والأرض ومن فيهن، لجعل الله لهن بينهن مخرجاً، وكفاه وأعطاه قبل أن يسأله، واستجاب له قبل أن ينطق لسانه بدعائه.

ثالث عشر: أنواع التوكل

١. التوكل الصحيح:

- هو اعتماد القلب على الله ورجاؤه والثقة فيه، لتحقيق ما يرجوه العبد من جلب النفع ودفع الضرر، وهو تفويض الأمر إليه، والرضا بقضائه، فهو المتصرف في خلقه وحده، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذا هو التوكل الواجب.

٢. التوكل المحرم:

- هو التوكل على ذي سلطان في تحصيل ما يقدر عليه من متاع الدنيا أو دفع الأذى، وهذا لا يجوز؛ لأنه يعتمد بقلبه عليه، وهذا شرك أصغر.

٣. التوكل الشركي:

- هو التوكل على أصحاب القبور والطواغيت في طلب النصر- والرزق والشفاء، وما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، وهذا شرك أكبر.

٤. التوكيل:

- هو أن يُوكل من يستطيع في أن يفعل له ما يريد من مصالح الدنيا والآخرة، ثم يعتمد بقلبه على الله في تحصيله، وهو مباح.

رابع عشر: الفرق الضالة في التوكل

١- القدري:

- وهو الذي يدعى أن أفعاله تتم باختياره، وأن الله تعالى لا يعلمها إلا حين يفعلها.
- فكيف يصح لهذا توكل في أمر الدنيا، أو في أمر الآخرة، أو في أمر الهداية، أو في أمر الرزق، وهو يرى نفسه فاعلاً، ولا يرى أن الله خلق فيه الفعل؟!
- فكيف يطلب المعونة أو يتوكل على من لا يساعده، وهو ينسب عبادته لنفسه لا لتوفيق الله له؟!

٢- الجبري:

وهو الذي لا يرى لنفسه اختياراً، ويرى أن الله تعالى هو الذي خلق فيه الطاعة والمعصية جبراً، بدون اختيار منه.
- وهذا ليس له عبادة أصلاً؛ لأنه يرى أن الله تعالى هو الذي أجبره على العبادة وأنها ليست من كسبه، وأنه لم يؤدها باختياره.
- فكيف يدعى أنه يعبد ربه، أو أنه يتوكل عليه، وهو يقول: إن الله تعالى هو الذي أجبره على كل شيء بغير اختيار منه؟!
- فهذا لا يرى لنفسه فعلاً أو إرادة، فعلى ماذا يطلب التوكل؟!
❀ والناجي من ذلك من حقق قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٤]

- فاستعان بالله على طاعته، وتوكل عليه لبلوغ جتته، ورأى أن فعله للطاعة من نعم الله عليه وتوفيق الله له، فكان وسطاً بين الغالي والجافي، وبين المفرط والمفريط.
قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهؤلاء هم أهل السنة.

٥. التوبة والإنابة إلى الله

بحث التوبة يتضمن :

أولاً: ما هي التوبة؟

ثانياً: التوبة هي مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى .

ثالثاً: التوبة شرط الإيمان.

رابعاً: الله تعالى أمر عباده بالتوبة.

خامساً: التوبة واجبة.

سادساً: أهمية التوبة.

سابعاً: تفاوت الناس في التوبة.

ثامناً: الأسباب الجالبة للتوبة والمعينة عليها.

تاسعاً: فضل التوبة.

عاشراً: جزاء التوبة.

حادي عشر: علامة صدق التوبة.

ثاني عشر: شروط قبول التوبة.

ثالث عشر: أنواع التوبة.

رابع عشر: أنواع التائبين.

خامس عشر: التسوية بالتوبة.

سادس عشر: خطورة المعاصي.

سابع عشر: سوء الخاتمة وأسبابه.

أولاً: ما هي التوبة؟

✽ التوبة هي العودة إلى الله، وترك المعصية، والندم عليها، والعزم على عدم العودة إليها.

١- التوبة من أعمال القلوب:

✽ التوبة أولها عمل قلبي، قال رسول الله ﷺ: «الندم توبة.»

[صحيح: رواه ابن ماجه ٤٢٥٢ وأحمد ٣٧/٦/٣٥٦٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٨٠٢]

- **الندم** من أعمال القلوب، **والعزم** على عدم العودة إلى الذنب من أعمال القلوب، لكن يلزم الإقلاع عن الذنب الذي يفعله، وهو من عمل الجوارح.
- والندم يكون على ما مضى من الذنب.
- والعزم يكون في المستقبل ألا يفعل الذنب.
- الإقلاع يكون في الحاضر وهو ترك الذنب وإن كان متلبساً به.

٢- ما هي توبة الله تعالى؟

توبة الله تعالى هي إذنه لعبده بالتوبة، وتوفيقه لها، ثم قبول توبته، وإثابته عليها.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨]

✽ توبة الله هي مقتضى اسمه تعالى التواب.

٣- ما هي مغفرة الله تعالى وعفوه؟

- ✽ **مغفرة الله** هي ستر الله لذنب عبده في الدنيا والآخرة، وعدم المؤاخذه عليه، وإسقاط العقوبة عنه، والوقاية من إقامة الحد في الدنيا، وعذاب النار في الآخرة.
- فإذا أسقط العقاب، وجب الثواب، فيضاعفه الله له.
- ✽ **وأما العفو**، فهو إسقاط اللوم على الذنب، الذي هو أكثر من إسقاط العقاب.
- وهو محو أثر الذنب، فإن المغفرة تسقط العقوبة، ولكن يبقى أثر الذنب في النفس، وهو ذل المعصية الذي يكسر قلب العاصي، ويشعره بالمهانة والوحشة.
- المهانة؛ لأنه يشعر بفقدان مروءته بفعل الذنب، ويشعر بقربه من الفساق والأراذل.
- والوحشة؛ لأنه يشعر بالبعد والتجافي عن الله تعالى وعن الصالحين من عباده.

❁ والعفو يزيل ذلك كله.

قال الله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]
❁ والتوبة تشمل جميع ذلك؛ فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له.
❁ قال رسول الله ﷺ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ».

[صحيح: رواه ابن ماجه ٤٢٥٠، والبيهقي ٢٠٣٤٧، وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" ٣٠٠٨]

- مغفرة الله هي مقتضى اسمه تعالى الغفور الغفار الغفار.

قال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِيبْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]

٤- توبة العبد بين توبتين للرب تبارك وتعالى؛

❁ الله تعالى يتوب على عباده قبل توبتهم له، ولولا ذلك لم يتوبوا.

فتوبة العبد تقع بين توبتين للرب تبارك وتعالى، الأولى توبة إذن وهداية وتوفيق،
والثانية توبة قبول.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ١١٧]
وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨]

٥- والله يحب التوابين؛

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

٦- رحمة الله الودود؛

الله تعالى يتودد إلى عباده بالنعيم، رغم تبغضهم إليه بالذنوب.

١- الله تعالى لا يَقْطَعُ المسرفين من رحمته.

- وهو تعالى ينزل في ثلث الليل الأخير، ويقرب من عباده؛ ليقرب إليهم التوبة،

فيجيب الداعين، ويعطي السائلين، ويغفر للمستغفرين، ويقبل توبة التائبين.

❁ قال رسول الله ﷺ: «يُنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» [صحيح البخاري ١١٤٥ و٧٤٩٤ ومسلم ٧٥٨]

❁ وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ يُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ هَلْ مِنْ تَائِبٍ هَلْ مِنْ سَائِلٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ. » [صحيح مسلم ٧٥٨]

٢- واللّٰه تعالى يتقرب إلى عبده ما لا يتقرب عبده إليه.

❁ قال الله تعالى في الحديث القدسي: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً.»

[صحيح البخاري ٧٥٣٦ و٧٤٠٥ ومسلم ٢٦٧٥]

٧- واللّٰه تعالى يريد أن يتوب على عباده: بقضائه الشرعي:

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ الَّذِي فِيكُمْ وَيُخَذِّبَ لَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦]
قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]

٨- الذنب وقع بقدر الله وقضائه الكوني:

١- الله تعالى هو الذي خلق العباد وخلق أعمالهم.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفافات: ٩٦]

٢- واللّٰه تعالى جعل الأعمال الطيبة للطيبين من عباده، وجعل الأعمال

الخبیثة للخبیثین من عباده.

قال الله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦]

٣- واللّٰه أعلم بقلوب عباده، ومن تصلح له الطاعة، ومن تصلح له المعصية.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]

٤- واللّٰه يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعد له.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]

٥- واللّٰه تعالى فاوت بين أفعال عباده في الطاعة والمعصية، لئيبثليهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥]

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]

ثانيًا: التوبة هي مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى

❁ التوبة هي مقتضى الإيمان باسمه تعالى التواب.

- وهي من آثار ولوازم الإيمان بأسمائه تعالى العفو الغفار الغفور واسع المغفرة.
- فهو الذي يوفق عباده للتوبة، ثم يقبلها منهم، وهو تعالى يحب التائبين، ويفرح بتوبتهم، ولا يقطع توبته عنهم، رغم إسرافهم في المعاصي، ولا يغلق باب التوبة، حتى يصل العبد إلى باب الموت، أو تطلع الشمس من مغربها.
- والأولى بالعبد أن يتوب توبة نصوحًا، ينصح فيها نفسه بآلا يعود إلى الذنب.
- ويجب عليه أن يتوب على الفور، ولا يسوف، وينبغي له أن يكثّر من التوبة.

ثالثًا: التوبة شرط الإيمان

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]

❁ الإنسان يقع في الشرك، وهو لا يدرى:

- والشرك أكبر الكبائر.

- ولا بد للشرك من توبة، وإلا فإن الله تعالى لا يغفره.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]

❁❁❁ ومن لم يتب أبدًا، مات مشركًا.

❁ قال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشَّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ».

[حسن: رواه أحمد ٣٢/٣٨٣/١٩٦٠٦ وابن أبي شيبة ٦/٧٠/٢٩٥٤٧ وحسن لغيره الألباني في صحيح الترغيب ٣٦]

❁ قال رسول الله ﷺ: اللهم أني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا

أعلم. [أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٧١٦، وصححه الألباني في صحيح الأب المفرد ٢٦٥]

فالنبي ﷺ كان يستغفر الله لما قد يقع فيه من الشرك، وهو لا يعلم، وهذا لا يقع منه ﷺ كونًا ولا شرعًا.

- ولكن هذا إعلام للأمة أن أحدهم قد يقع في الشرك وهو لا يعلم، فوجب عليه الاستغفار والتوبة من ذلك، فإذا لم يتب أبداً، مات مشركاً.
- فلا يتخيل أن يوجد مسلم موحد لم يتب، ولو مرة في حياته.

رابعاً: الله تعالى أمر عباده بالتوبة

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]
وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ [المائدة: ٧٤]
وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحریم: ٨]

خامساً: التوبة واجبة

✽ التوبة واجبة على جميع البشر من جميع الذنوب، وهي واجبة على الفور، وفي جميع الأوقات.

- والله تعالى ما أنزل الكتب ولا أرسل الرسل إلا لدعوة الناس للتوبة من الشرك والكفر والذنوب والغفلات.

١- التوبة واجبة على الفور:

✽ يجب أن يتوب الإنسان من جهالات الذنوب على الفور ومن قريب.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ١٧]

وقال الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]

وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩]

- العاقل إذا أذنب تأسف، والجاهل إذا أذنب تفلسف.

٢- التوبة واجبة على الدوام:

- ١- فإن الإنسان لا يخلو من معصية.
 - ٢- وإن خلا منها، فلا يخلو من الهم بالمعصية بالقلب.
 - ٣- فإن خلا منها، فلا يخلو من وسواس الشيطان بالمعصية.
 - ٤- فإن خلا منها، فلا يخلو من الغفلة أو التقصير في العمل الصالح، أو في طلب العلم النافع من العلم بالله وأسمائه الحسنی وصفاته العلی وكيفية عبادته وتوحيده.
- ❁ قال رسول الله ﷺ: « إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِثَّةَ مَرَّةٍ. »
- [صحيح مسلم ٢٧٠٢]

- ❁ قال رسول الله ﷺ: « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً. » [صحيح البخاري ٦٣٠٧]
- ❁ قال طلق بن حبيب: « إِنَّ حُقُوقَ اللَّهِ تَعَالَى أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَقُومَ بِهَا الْعِبَادُ، وَإِنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَلَكِنْ أَصْبَحُوا تَائِبِينَ، وَأَمْسُوا تَائِبِينَ. »
- [أورده ابن المبارك في الزهد ٣٠٢، وأبو نعيم في الحلية ٦٥/٣]

- ❁ وقال رجل لحاتم الأصم: « مَا تَسْتَهِي؟ »، قَالَ: « أَشْتَهِي عَافِيَةَ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ، قُلْتُ لَهُ: « أَلَيْسَتْ الْأَيَّامُ كُلُّهَا عَافِيَةً؟ »، قَالَ: « إِنَّ عَافِيَةَ يَوْمِي أَنْ لَا أَعْصِي اللَّهَ فِيهِ. »
- [أورده البيهقي في الشعب ٦٨٥٨، وأبو النعيم في الحلية ٨٣/٨]

٣- التوبة واجبة حتى من الذنوب التي أقلعت عنها:

❁ فإن الذنوب التي أقلعت عنها لا تغتفر إلا إذا تبت منها.

١- فالله تعالى لا يغفر لمن مات على الشرك مطلقاً.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ ❁ [النساء: ٤٨]

٢- أما من مات مصرّاً على الكبائر، فإن الله تعالى يغفرها لمن يشاء، أو لا

يغفرها، ويعذبه بها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ❁ [النساء: ٤٨]

٣- أما من تاب، فإن الله يتوب عليه، ويمحو ذنبه، أو يبدله حسنات.

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبْدِلُ اللَّهُ

سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ ❁ [الفرقان: ٧٠]

٤- والصغائر تكفرها الصلاة والصيام والحج والعمرة.

❁ قال رسول الله ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ». [صحيح مسلم ٢٣٣]

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرُفْثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». [صحيح البخاري ١٥٢١، ١٨١٩، ١٨٢٠، ومسلم ١٣٥٠]

- فهذه الأعمال الصالحة تكفر الصغائر، أو الذنوب التي لا يشعر بها الإنسان، أما الكبائر، فلا بد لها من توبة؛ حتى تمحى.

٤- الكبائر لا تسقط بالتقادم؛

❁ فالذنوب التي نسيتها، لم ينسها الله ﷻ، ولن تمحى من الصحائف إلا بالتوبة.

قال الله تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]

٥- التوبة واجبة من كل الذنوب؛

- ١- من الكفر والشرك.
- ٢- من الكبائر.
- ٣- من الصغائر.
- ٤- من الغفلات.

اللَّهُ تعالى دعا كل عباده إلى التوبة؛

٦- التوبة واجبة على كل البشر

١. الله تعالى دعا فرعون إلى التوبة؛

وهو الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]

قال الله تعالى لموسى و هارون ﷺ: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ [طه: ٤٣-٤٤]

٢. ودعا اليهود إلى التوبة؛

الذين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]

فقال الله تعالى في الآية بعدها: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٥]

٣- ودعا النصارى إلى التوبة:

الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]

والذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]

فقال الله تعالى في الآية بعدها: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ [المائدة: ٧٤]

٤- ودعا الكفار إلى التوبة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٨]

٥- ودعا المشركين إلى التوبة:

قال الله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٣]

٦- ودعا المنافقين إلى التوبة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [١٤٥] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا ﴿[النساء: ١٤٥ - ١٤٦]

٧- ودعا من كتم شيئا مما أنزل من البينات والهدى إلى التوبة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [١٥٩] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿[البقرة: ١٥٩ - ١٦٠]

٨- ودعا أصحاب الكبائر وكل المسرفين بالذنوب إلى التوبة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]

٩- واللّه تعالى دعا المؤمنين للتوبة:

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]

- فالله تعالى لم يطلب التوبة من الفاسقين والكفار فقط، بل طلبها من المؤمنين أيضا.

قال الله تعالى: ﴿أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

ولم يقل : أيها المذنبون أو أيها الفاسقون، فهذا دليل على أن المؤمنين يحتاجون إلى التوبة على الدوام؛ لما في أعمالهم من نقص عن التمام، وما في أوقاتهم من غفلة عن ذكر ذي الجلال والإكرام، مما يغلبهم عليه الشيطان.

- ثم إن الشيطان قد يغلب بعض المؤمنين على شهوة ومعصية، فيزينها لهم، وليس

كلهم عنده من اليقين ما يدفعها.

- أو يغلب عليهم **بشبهة وشرك**، وليس كلهم عندهم من العلم ما يدفعها.

❀ وَمَنْ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَمْ يَتَلَبَسْ بِشَهْوَةٍ أَوْ شُبْهَةٍ، فَلَا بَدَّ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ.

٧- توبة النبي المعصوم ﷺ:

- وقد كان النبي ﷺ يتوب في اليوم مائة مرة، وهو المعصوم عن تعمد المعصية، والمعصوم في تبليغ الرسالة.

- والنبي ﷺ كان يتوب من لحظة فتور بالنسبة لغيرها من اللحظات، مع أنه ﷺ

كان في كل أحواله أقرب إلى الله من جميع خلقه، وربما كان يتوب من النسيان أو فعل خلاف الأولى؛ كأن يفعل طاعة، وكان يستطيع أن يفعل أكبر منها.

❀ وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

[صحيح مسلم ٢٧٠٢]

❀ فانظر: إن رسول الله ﷺ كان يستحضر في عقله مائة مرة أنه قد

قَصُرَ في حق الله، فيستغفر ويتوب لذلك.

- فإن كان هذا هو حال المعصوم ﷺ فهل يظن أن أنه ينجو إلا أن يفني نفسه في العبادة.

❀ قال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ

مَرَّةٍ» [صحيح مسلم ٢٧٠٣]

❀ وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «رَبِّ

اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

[صحيح: رواه أبو داود ١٥١٦، الترمذي ٣٤٣٤، وابن ماجه ٣٨١٤، وصححه الألباني في الصحيحة ٥٥٦]

❀ ومن قال: أنا لا أعصى الله، فقد زكى نفسه، وتزكيت النفس معصية؛ فإن

الله لم يعصم إلا الملائكة.

٨- توبة الأنبياء عليهم السلام:

قال آدم عليه السلام وزوجه بعد معصيتهما بأكلهما من الشجرة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ

لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]

وقال نوح عليه السلام: ﴿وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]

وقال يونس عليه السلام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]

سادساً: أهمية التوبة

﴿التوبة أول طريق الهداية، وينبغي أن تكون آخره، بل وآخر كل الطاعات.﴾

١- الله تعالى أمر نبيه المعصوم وخير خلقه ﷺ بالتوبة بعد إتمام أعظم مهمة وهي إبلاغ الرسالة إلى الناس.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر]
فماذا بعد أمر الله تعالى لنبيه ﷺ بالتوبة والاستغفار؟
فهل بعد ذلك يترك التوبة عبدٌ صالح؟

٢- الله تعالى أمر عباده المؤمنين بالتوبة:

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]

٣- التوبة سبب للاتصاف بالإيمان وأخوة الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦]
وقال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَتُكُمْ فِي الدِّينِ ۖ وَنُفُصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١]

٤- التوبة سبب لتوبة الله على العبد:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠]
وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩]

٥- التوبة سبب لمغفرة الذنوب:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]

وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٥]

٦- ترك التوبة ظلم؛

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]

تَرَكَ التوبة ظلم والعبد ظلوم، وإن أكثر أهل النار من المسوفين للتوبة، فإن "سوف" جندٌ من جنود إبليس.

❁ وإن الذنوب تمنع الرزق، عكس البر الذي يطيل في العمر، ويمنع ميتة

السوء.

❁ قال رسول الله ﷺ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ.»

[حسن: رواه الطبراني في المعجم الكبير ٨/ ٢٦١ وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب ٨٨٩]

سابعاً: تفاوت الناس في التوبة

✽ التوبة من المعاصي فريضة، ومما سواها فضيلة.

التوبة تجب من كل المخالفات:

١- الكبائر ٢- والصغائر ٣- والغضلات.

١- التوبة من الكبائر:

١- الكبائر هي كل ذنب توعد الله عليه بالنار، أو بالعذاب، أو باللعنة، أو يغضبه تعالى، أو نفى الإيثار عن فاعله، أو تبرأ منه رسول الله ﷺ، أو قال: ليس منا من فعل كذا.

٢- والكبائر ليست سبعين فقط، وإنما عددها يقترب من السبعمائة. ✽ قال ابن عباس رضي الله عنهما: الكبائر إلى السبعمائة أقرب من السبعين غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار. [أثر صحيح: رواه ابن جرير الطبري في تفسيره

٨/ ٢٤٥/ ٩٢٠٧ وابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٩٣٤ والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٧١٥٠]

٣- ومن الكبائر: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس بغير حق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والفرار يوم الجهاد، وإتهام النساء الصالحات بالفجور، والزنا، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، واليمين الغموس، التي يأكل بها حق غيره. ✽ قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِكَبِيرِ الْكَبَائِرِ؟» ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ - أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. [صحيح البخاري ٢٦٥٤، ٥٩٧٦، ٦٢٧٣، ٦٩١٩، ومسلم ٨٧]

٢- التوبة من الصغائر:

✽ إذا كانت الكبائر كسيل ماء منحدر، فإن الصغائر كقطرات ماء متوالية تقع على حجر، فلا بد أن تؤثر فيه.

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُهَا الذُّلُّ إِدْمَانَهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عَصْيَانُهَا

[البيتان لابن المبارك في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٣٠، والخلية ٨/ ٢٧٩، وشعب الإيمان ٩/ ٤٢٢]

من الأسباب التي تعظم بها الصغائر:

١- أن يستصغر العاصي الذنب.

- فكلما استعظم العبد الذنب، صغر عند الله، وكلما استصغره، عظم عند الله.
- وإنما يستعظم المؤمن الذنب، لعلمه بجلال الله، فإذا نظر إلى عظمة من يعصيه، رأى الصغيرة كبيرة، لعظمة من يعصيه، سبحانه وتعالى .
- فالمؤمن يرى ذنبه كالجبل يكاد أن يقع فوقه، والمنافق يرى الذنب كذباب وقف على أنفه، فأطاره.

❁ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ : بِهِ هَكَذَا».. قَالَ أَبُو شَهَابٍ أَحَدُ رَوَاهُ الْحَدِيثُ : «بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ» [صحيح البخاري ٦٣٠٨]

ومن الناس من يرى المعاصي هينة، وهي عند الله عظيمة.

قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]

كُنْ مِثْلَ مَا شِ فَوْقَ أَرْضٍ الشَّوْكَ يَحْدَرُ مَا يَرَى
لَا تَحَقَّرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

[البيتان لا بن المعتز: أوردته البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٤٣٢ ومحاضرات الأدباء ٢/ ٤١١، والتبصرة لابن الجوزي ١/ ٣٤١]

٢- أن يفرح بالذنب.

❁ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يَا صَاحِبَ الذَّنْبِ، لَا تَأْمَنَّ مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِ، وَلَمَّا يَتَّبِعِ الذَّنْبَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَلِمْتَهُ.

فَإِنَّ قَلَّةَ حَيَاتِكَ مِمَّنْ عَلَى الْيَمِينِ وَعَلَى الشَّامِلِ، وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ، أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَمِلْتَهُ.

وَضَحِكُكَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ.

وَفَرْحُكَ بِالذَّنْبِ إِذَا ظَفَرْتَ بِهِ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ.

وَحُزْنُكَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا فَاتَكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا ظَفَرْتَ بِهِ.

وَخَوْفُكَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا حَرَّكَتْ سِتْرَ بَابِكَ وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ وَلَا يَضْطَرِبُ فُؤَادُكَ مِنْ نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَلِمْتَهُ.

وَيَحَاكُ، هَلْ تَدْرِي مَا كَانَ ذَنْبُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَابْتَلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْبَلَاءِ فِي جَسَدِهِ
وَذَهَابِ مَالِهِ؟ إِنَّمَا كَانَ ذَنْبُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ اسْتَعَانَ بِهِ مَسْكِينٌ عَلَى ظُلْمٍ يَدْرُوهُ عَنْهُ،
فَلَمْ يُعِنِّهِ، وَلَمْ يَأْمُرْ بِمَعْرُوفٍ وَيَنْهَ الظَّالِمَ عَنْ ظُلْمٍ هَذَا الْمَسْكِينِ، فَابْتَلَاهُ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ». [حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٣٢٤ وذم الهوى لابن جوزي ١٨١]

٣- أن يجاهر بالذنب، أو يفضح نفسه به بعد ما يأتيه.

❁ قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَاقِلٌ إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ». [صحيح البخاري ٦٠٦٩ ومسلم ٢٩٩٠]

٤- أن يكون المذنب عالماً يُقْتَدَى بِهِ.

- فكما تتضاعف حسنات العالم إذا اتبعه الناس على الخير، كذلك تتضاعف سيئاته
إذا اتبعوه على الذنوب.
- وإن العالم الذي يُقْتَدَى به لو رآه الناس في الصف الأخير في الصلاة مسبوقاً، فإنه
يسقط من أعينهم، ويشعرون أنه لا يعمل بعلمه.

٣- التوبة من الغفلات:

❁ من كانت عنده جوهرة نفيسة، وضاعت منه، عَظُمَ حزنه عليها.
- فإن كان ضياعها بسبب غفلته، وتسبب ضياعها في هلاكه، اشتد بكاءه عليها.
❁ واعلم أن كل نَفْسٍ من أنفاسك جوهرة هي أعلى من الجواهر.
- وإذا خرج النَّفْسُ ضَاعَ إلى الأبد، ولا يُسَمَحُ لك باسترداده واستدراكه، وإنما تُعْطَى
غيره، فإن أضاعته كذلك لحق بالسابق.
- فإن استعملته في الطاعة، أمكن أن يوصلك إلى سعادة الأبد في الجنة، فأى سعادة أفضل
من سعادة الجنة؟! وأي جوهرة أعلى من ساعات عمرك التي توصلك إلى الجنة؟!
❁ فأى ربح إن عَمَرْتَهَا بالطاعة؟! وأي خسارة إن أضاعتها بالغفلة؟!
❁ فإن كنت لا تبكي على مصيبة الغفلة، فتلك مصيبة الجهل التي هي أكبر من الغفلة.
- فإن كنت تدري أن خسارتك سببها إغراءك عن طاعة ربك، فتلك مصيبة.
وإن كنت لا تدري أن خسارتك سببها غفلتك، فمصيبتك بالجهل أعظم من غفلتك.
فإن كنت تدري فتلك مصيبة وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم

ثامناً: الأسباب الجالبة للتوبة والمعينة عليها

❁ الذي يدفع إلى التوبة هو :

- ١- خوف العقاب على الذنب.
 - ٢ - وخوف مقام العبد بين يدي الرب تبارك وتعالى .
 - ٣ - والشوق إلى الله وإلى طاعته.
 - ٤- العلم بجلال الرب وعظمته.
- ❁ العلم بعظمة من تعصيه يصرفك عن الذنب؛ لأن الذنب جرأة على مخالفته، وسبب لاستحقاق غضبه، والإبعاد عن واسع رحمته.
- فيا من تستهين بالمعصية كيف تستهين بعظمة من تعصيه؟!

تاسعاً: فضل التوبة

١- التوبة سبب لنزول البركات من السماء:

قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَن أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣]

قال الله تعالى عن نبيه هود عليه السلام: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]

قال الله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]

٢- التوبة سبب لإجابة الدعاء:

قال الله تعالى عن نبيه صالح عليه السلام: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]

٣- التوبة سبب لتنزل الرحمة:

قال الله تعالى عن نبيه شعيب عليه السلام: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]

٤- التوبة سبب لتحصيل الأجر العظيم:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦]

٥- التوبة سبب الفلاح:

قال الله تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]
وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧]

فإن الناس فريقان قاتب مفلح، أو ظالم مفسد.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]

٦- التوبة سبب لمحبة الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

٧- الله تعالى يشرح بتوبة التائبين:

✽ قال رسول الله ﷺ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتُوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَانْقَلَبَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَأْسِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ.» [صحيح مسلم ٢٧٤٧]

٨- التوبة سبب لمنع العقاب:

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]

عاشراً: جزاء التوبة

١- اعلم أن يوم قبول الله لتوبتك، هو خير يوم طلع عليك منذ ولدتك أمك:

❁ قال رسول الله ﷺ لكعب بن مالك رضي الله عنه حين تاب الله عليه: «أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ.» [صحيح البخاري: ٤٤١٨ ومسلم ٢٧٦٩]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ.» [حسن: رواه ابن ماجه ٤٢٥٠ والطبراني في المعجم الكبير ١٠/١٥٠ وحسنه لغیره الألباني في صحيح الترغيب ٣١٤٥]

٢- التوبة سبب لتبديل السيئات حسنات:

❁ ومن إكرام الله لك أنه يبدل سيئاتك التي تبت منها إلى حسنات، إن كانت التوبة نصوحاً. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]

٣- التوبة سبب للنجاة من النار:

قال الله تعالى في دعاء حملة العرش للمؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]

وقال الله تعالى في الكافر الذي يفعل الكبائر: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [٦٩] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٦٩ - ٧٠]

٤- التوبة سبب لدخول الجنة

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحریم: ٨]

وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٠]

حادي عشر: علامة صدق التوبة

علامة صدق التوبة هي العمل الصالح بعد التوبة:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَدِيقًا فَلْيَكُ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ

حَسَنَاتٍ﴾ الفرقان: ٧٠

ثاني عشر: شروط قبول التوبة

والتوبة مقبولة من كل الذنوب حتى الكفر والشرك إذا استكملت شروطها الأربعة.

✽ شروط قبول التوبة :

- ١ - الندم على المعصية.
- ٢ - الإقلاع عن الذنب في الحاضر.
- ٣ - العزم على عدم العودة إلى الذنب في المستقبل.
- ٤ - رد المظالم للعباد إن كان الذنب في حق المخلوقين.

١ - الندم على المعصية:

- هو ألم وحرقة في قلب المذنب بعد الذنب.
- وهو توجع القلب عند شعوره بالبعد عن الرب.
- وهو حزن على التفريط في حق الله يدفع العين للبكاء من خشية الله.
- ✽ فمن علم أن العقوبة نازلةٌ بعزيرٍ لديه، اشتدت مصيبتُهُ، وأي عزيز أعز عليك من نفسك؟! وأي عقوبة أشد من النار؟! - فمن علم أنه سيعذب بذنبه في النار، اشتد ندمه على جهله، واشتدت حسرته على ضياع فرصته.

٢ - الإقلاع عن الذنب في الحاضر:

- ✽ فمن أكثر من الاستغفار، ولم يقلع عن الذنب، فإنما يغش نفسه، وهو ليس بتائب.

٣- العزم على عدم العودة إلى الذنب في المستقبل:

❁ وهذا أصعبها، وهو الذي يحتاج إلى عزيمة كبيرة، فاستعن على ذلك بشيئين :

١- **استعن على عدم العودة للمعاصي بدعاء الله، والإلحاح عليه، واللجوء إليه، وشدة الافتقار له، والاستعانة به على أن يرزقك توبة نصوحًا.**

قال الله تعالى عن الذين يعقدون العزم على عصيانه في مستقبل الأيام : ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَنُ لِيَفْجَرَأَمَامَهُ﴾ [القيامة: ٥]

٢- **استعن على عدم العودة للمعاصي بصحبة الصالحين، فإنهم يذكرونك بالله، وينافسونك في الطاعة والإقبال على الله، ويسارعون إليه، ورؤيتهم تذكرك بالله.**

- فدعك من أصحاب السوء، وأرض السوء، وأماكن السوء والمعاصي.

قال الله تعالى عن المؤمن يتحدث إلى صديق السوء : ﴿قَالَ تَأَلَّهْ إِنَّ كِدْتَ لَتُرِيدُنِي﴾ [الصفات: ٥٦]

قال الله عن الرجل الذي أطاع صديقه، فأورده جهنم : ﴿يَوَلِّتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَنِ خَذُولًا ﴿

[الفرقان: ٢٨ - ٢٩]

قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨]

وقال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ عَمَلًا نَجِسًا لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿ [الزخرف: ٣٦ - ٣٧]

❁ قال رسول الله ﷺ عن عالم بني إسرائيل عندما نصح العاصي قال : «انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء.» [صحيح البخاري ٣٤٧٠ ومسلم ٢٧٦٦ واللفظ له]

٤- رد المظالم للعباد إن كان الذنب في حق المخلوقين:

فلا تُقبلُ التوبة إن لم ترد المال المغتصب حتى لو بكيت الدهر كله، فإن ظلم العباد ديوان لا يترك الله منه شيئًا.

❁ قال رسول الله ﷺ : «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا، مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، وَقَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ بِصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطِي هَذَا

مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ. [صحيح مسلم ٢٥٨١]

❁ واعلم أن الذنب في حق النفس « بينك وبين الله » أقرب إلى العفو، والذنب في حق العبد أقرب إلى المؤاخضة، فالرب كريم والعبد شحيح.

ثالث عشر: أنواع التوبة

١- التوبة النصوح:

❁ هي التوبة الشاملة من كل الذنوب، صغيرها وكبيرها، سرّها وعلايتها، ذنوب في حق النفس، وذنوب في حق الخلق.

❁ وهي التوبة التي تنصح صاحبها، فتمنعه كلما أراد أن يعود إلى المعصية.

- وهي العزم الأكيد ألا يعود إلى ذنب أبداً، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٢- توبة اللسان:

❁ المطلوب توبة القلب لا توبة اللسان فقط.

- فقد كان النبي ﷺ صادقاً في توبته يستحضرها بقلبه، لا يكررها بلسانه فقط.
- فمن استغفر أو تاب بلسانه، ولم يستحضر ذلك بقلبه، فتوبته ناقصة.
- ومثله من استغفر، ولم يشهد أنه مقصر في حق الله، فاستغفاره باطل.
- وأبشع منه من استغفر، وهو يفعل الذنب، أو مصرّ عليه، لم يعزم على تركه.

إنما التوبة نية:

٣- توبة العاجز:

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

[صحيح البخاري ٥٤١ و ٢٥٢٩ و ٣٨٩٨ و ٥٠٧٠ و ٦٦٨٩ و ٦٩٥٣ و مسلم ١٩٠٧]

❁ الأعمال يجب أن تسبقها النية، والتوبة عمل قلب وجوارح، فيجب أن تصح فيها النية، وأن تكون خالصة لله تعالى .

❁ فمن ترك الذنب لكبر سنه، أو لضعف بدنه، أو لأنه لا يستطيع فعله.

- أو لأنه لا يملك المال الكافي لفعل الذنب.
- أو لأن الذنب يضر بصحته، وينقل له الأمراض المعدية والفيروسات الفتاكة التي تصيبه إذا فعل الذنب.
- أو لأن الذنب ييطل وجهه عند الناس؛ لأن الناس يكرهون نجاسات الذنوب. فهو لا يجهر بالذنب، حتى لا يفقد مصالحه عند الخلق.
- ❁ فكل هذه الأسباب تمنع صحة التوبة وتفسد نية التوبة.
- ❁ إنما التوبة أن تترك الذنب ابتغاء وجه الله.

٤- التوبة المردودة:

- ١- باب التوبة مفتوح لكل البشر حتى تطلع الشمس من مغربها.
- ❁ قال رسول الله ﷺ: « مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ. » [صحيح مسلم ٢٧٠٣]

متى ترد التوبة؟

التوبة غير مقبولة إذا طلعت الشمس من مغربها

- فإذا جاءت علامات الساعة وطلعت الشمس من مغربها، أغلق باب التوبة.
- قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]
- فحينها لا يقبل إيمان الكافر ولا توبة العاصي.
- ❁ وقال رسول الله ﷺ: « فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ، آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ﴾ [صحيح البخاري ٤٦٣٥ و ٤٦٣٦ ومسلم ١٥٧]

فلا يقبل من العبد عمل صالح إذا لم يكن عاملاً به قبل ذلك:

- فإذا كان العبد يعمل صالحاً، جاز له أن يستمر فيه ويقبل منه، وإن لم يكن يعمل صالحاً لم يقبل منه العمل الصالح أو التوبة.
- قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكُفِّرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [غافر: ٨٤ - ٨٥]

٢- وباب التوبة مفتوح لكل إنسان حتى يغفر، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة حين يرى ملائكة الموت.

❁ وهنا لا تُقبل توبة التائب بعد ما أضاع زمن الإمهال.

التوبة غير مقبولة إذا حضر الموت:

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَرْ». [حسن: رواه الترمذي ٣٥٣٧،

الأنعام: ١٥٨ وابن ماجه ٤٢٥٣، وأحمد ١٣٢/٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٩٠/٥، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ٣١٤٣]

❁ فلا تقبل التوبة عند انتهاء الدنيا، أو انتهاء حياة الإنسان.

رابع عشر: أنواع التائبين

أتبع السيئة الحسنة، تمحها:

١- توبة المسرف المفرط

١- ينبغي للتائب أن ينظر في ما فاتته من الفرائض، وما فاتته من الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، فيجتهد لتعويض ذلك.

٢- ثم يُفتش عن كل معصية صدرت منه منذ بلوغه، فيجتهد أن يقابلها بحسنه تناسبها من نوعها وبقدرها، فيكفر عن سماع الأغاني بسماع القرآن، ويكفر عن شرب الخمر مثلاً بعمل سبيل ماء بارد للعطشان.

٣- أما الذنوب في حق العباد:

١. فإنه يرد مظالم الأموال من السرقة والخيانة إلى أصحابها أو ورثتهم، فإن لم يقدر على ردها جميعاً، فليكثر من الحسنات يستعد بذلك لما سيؤخذ منه يوم القصاص لأصحاب الحقوق؛ لأنه إذا لم تكف حسناته ستوضع عليه من سيئاتهم بقدرها.

❁ قال رسول الله ﷺ: «فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ

خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ». [صحيح مسلم ٢٥٨١]

❁ فإن لم يذكر ممن غصب المال، فليصدق به عن صاحبه الذي لا يعلمه، فيكفي أن الله يعلمه.

٢- فإن كانت الجناية في الوقوع في الأعراض والغيبية، فليذكرهم بخير كما ذكرهم بالشر، ويحسن إليهم، ويستحلهم من الذنب ما استطاع؛ بأن يطلب منهم أن يسامحوه من غير أن يؤغروا قلوبهم بذكر ما اغتابهم به.

- وعليه الاستكثار من الحسنات يستعد لسلبها منه؛ لأنه لا ينجو إلا برجحان الحسنات على السيئات.

٣- إن كان لا يتذكر المظالم وأصحاب الحقوق، فإنه يُكفّر عن إيذاء الناس بالإحسان إلى الضعفاء، ويكفر عن غصب المال بالصدقة من الحلال، حتى يُخرج قدر الحرام من ماله.

٤- أما إن كانت الجناية في القتل، فليدفع الدية إلى ولي المقتول.

٥- ولا يفضح نفسه بغير ذلك من الذنوب التي عليها الحدود، بل عليه أن يستر نفسه، ويتوب توبة نصوحًا، فلا يتحدث عما فعل من الزنا وغيره من الفواحش، بل يغض البصر، ويحرص على عفة نفسه والبعد عن المحارم.

التوبة من الشرك:

• وإن التوبة من الشرك جعل الله لها شروطًا، وهي إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، حتى تتم لهم أخوة المؤمنين في الدين.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]

٢- توبة الكافر الحربي:

❁ وقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ».

[صحيح: رواه أحمد ٢٩/ ٣٦٠/ ١٧٨٢٧ وصححه الألباني في إرواء الغليل ١٢٨٠]

❁ قال ابن تيمية: «إن الحربي إذا أسلم، لم يؤخذ بشيء مما عمله في الجاهلية، لا من

حقوق الله، ولا من حقوق العباد من غير خلاف نعلمه». [الصارم المسلول على شاتم الرسول ١٥٣]

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]

❁ قال أناس لرسول الله ﷺ : يا رَسُولَ الله أَنْتَ أَخَذَ بِمَا عَمَلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟
قَالَ : «مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُؤْخَذْ بِمَا عَمَلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ
أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ». [صحيح البخاري: ٦٩٢١ ومسلم ١٢٠]

❁ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَأْمُرْ بِقَتْلِ وَحْشِي قَاتِلِ حِمْزَةِ ﷺ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ.
❁ قال ابن تيمية : لو أسلم الحربي وبيده مال مسلم قد أخذه من المسلمين بطريقة
الاعتنام، كان له ملكًا ولم يردّه إلى المسلم الذي كان يملكه عند جماهير العلماء.
- لأنه خرج عن ماله المسلم في سبيل الله، ووجب أجره على الله.
- وقد غفر الله لأخذه بإسلامه ما فعله في دماء المسلمين وأموالهم، فلا يضمّنه بالرد
إلى ماله.

- كما لا يضمّن ما أتلفه من النفوس والأموال، ولا يقضي ما تركه من العبادات.
- لأن كل ذلك كان تابعًا للاعتقاد، فلما رجع عن الاعتقاد، غفر له ما تبعه من
الذنوب، فصار ما بيده من المال لا تبعه عليه فيه، فلم يؤخذ منه كجميع ما بيده من
العقود الفاسدة، التي كان يستحلها من ربا وغيره.

- لأن المشركين كانوا يغصبون من المسلمين الشيء الكثير من الكراع والسلاح وغير
ذلك، وقد أسلم عامة أولئك المشركين، فلم يسترجع النبي ﷺ من أحدٍ منهم مالا مع
أن بعض تلك الأموال لا بد أن يكون باقيا. [الصارم المسلول على شاتم الرسول ١٥٤]
قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهْجَرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر: ٨]

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الحج: ٤٠]
❁ قال ابن تيمية : فبين الله سبحانه أن المسلمين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق
حتى صاروا فقراء بعد أن كانوا أغنياء.

- ثم إن المشركين استولوا على تلك الديار والأموال، وكانت باقية إلى حين فتح مكة، وقد
أسلم من استولى عليها في الجاهلية، ثم لم يرد النبي ﷺ على أحد منهم أخرج من داره بعد
الفتح والإسلام دارًا ولا مالا، فإنه قيل للنبي ﷺ يوم الفتح: أَلَا تَنْزِلُ مَتْرَكَكَ مِنَ الشَّعْبِ؟
قَالَ : وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مَتْرَلًا؟. [صحيح البخاري ١٥٨٨ و٣٠٥٨ و٤٢٨٢ ومسلم ١٣٥١]

- وذلك لأن عقيل بن أبي طالب عم النبي ﷺ بعد الهجرة استولى على دار النبي ﷺ ودور كل من أخوته الرجال والنساء.

- وكانت للنبي دار ورثها من أبيه، وبها وُلد، وكانت له دار ورثها هو وولده من خديجة عليها السلام، وفيها بنى بها.

وكان عقيل بن أبي طالب أخذ مسكنه الذي ولد فيه، وأما بيت خديجة، فأخذه معتب بن أبي لهب، وكان أقرب الناس إليه جواراً، فباعه بَعْدُ من معاوية.

❀ وسأله المهاجرون أن يرد عليهم أموالهم التي استولى عليها أهل مكة، فأبى ذلك ﷺ، وأقرها بيد من استولى عليها قبل إسلامه.

❀ وكلم عبد الله بن جحش رضي الله عنه النبي ﷺ في داره التي أخذها أبو سفيان فباعها، فقال له رسول الله ﷺ: ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها داراً خيراً منها في الجنة؟ فقال: بلى، فقال الرسول ﷺ: ذلك لك.

[السيرة النبوية لابن هشام ٤٩٩/١ والصارم المسلول لابن تيمية ١٥٩]

❀ قال ابن تيمية: وجعل النبي ﷺ ما أخذه منهم الكفار بمنزلة ما أصيب من ديارهم وما أنفقوه من أموالهم.

- وتلك دماءٌ وأموالٌ اشتراها الله، وسلمت إليه، ووجب أجرها على الله، فلا رجعة فيها.

- وذلك لأن المشركين يستحلون دماءنا وأموالنا، وأصابوا ذلك كله استحلالاً، وهم آثمون في هذا الاستحلال، فإذا أسلموا، جَبَّ الإسلام ذلك الإثم، وصاروا كأنهم ما أصابوا دمًا ولا مالاً، فما بأيديهم لا يجوز انتزاعه منهم.

- وإن الحربي لو عقد عقدًا فاسدًا من ربا، أو بيع خمر، أو خنزير، أو نحو ذلك ثم أسلم بعد قبض العوض، لم يحرم ما بيده، ولم يجب عليه رده.

- ولو لم يكن قَبْضُهُ، لم يجوز له أن يقبض منه إلا ما يجوز للمسلم. [الصارم المسلول على شاتم الرسول ١٦١]

خامس عشر: التسويف بالتوبة

١- التوبة واجبة من قريب (على الفور)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء: ١٧

٢- سبب تسويف التوبة هو طول الأمل

✽ قال ابن عمر رضي الله عنهما: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَصْحَابِ الْقُبُورِ». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: «إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.» [صحيح البخاري ٦٤١٦]

✽ سئلت إحدى الصالحات: كيف أصبحت؟ قالت: أصبحنا أضيافاً منيخين بأرض غربة، ننتظر متى نُدعى فنجيب. [إحياء علوم الدين ٤/ ٤١٥]

٣- بادر قبل أن تغادر

- الدنيا دار ابتلاء وامتحان ، وفي أي لحظة قد يتم سحب ورقتك وانتهاء وقتك، فمن الحكمة أن تشغل بملء ورقتك بالحسنات ، ولا تشغل بورقة غيرك.

٤- لا تطع الشيطان

الشيطان يقول : افعل هذه الجريمة ، وإنها آخر جريمة تفعلها، وتتوب بعدها، وتكون من الصالحين.

قال إخوة يوسف: ﴿أَقْبِلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ يوسف: ٩

٥- من ترك المبادرة بالتوبة، كان بين خطرين:

١- أن يأتيه المرض أو الموت؛ فلا يجد متسعاً من الوقت للتوبة، فيقدم على الله بقلب غير سليم؛ فلا ينجو.

٢- أن يمد الله في أجله، وهو مقيم على المعصية، فتتراكم ظلمة المعاصي على قلبه، حتى يصير راناً وطبعاً لا يقبل المحو؛ فلا يقدر على التوبة.

فإن العبد إذا أذنب ذنباً، نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب واستغفر صقل قلبه ورجع كما كان، وجاء نور الطاعة يمحو ظلمة المعصية وسوادها.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِّتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ». [حسن: رواه الترمذي ٣٣٣٤ وابن ماجه ٤٢٤٤ والنسائي في

عمل اليوم والليلة ٤١٨ وأحد ١٣/ ٣٣٣/ ٧٩٥٢ وحسنه الإلباني في صحيح الترغيب ١٦٢٠ و٢٤٦٩ و٣١٤١]

ماذا يحدث للعبد إن لم يتب

□ إن لم يتب العبد، تراكت على قلبه ظلمة الشهوات، وصارت راناً وأصبح من الصعب صقلها.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]

□ وإذا تجمع «الران»، صار «طبعاً» فهل يقبل الطبع على القلب المحو؟

قال الله تعالى: ﴿وُطِّعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧]

قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [الحل: ١٠٨]

□ ثم يصير «الطبع»، «ختماً»، فيختم على قلبه، فلا يقبل الهداية.

قال الله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةً﴾ [البقرة: ٧]

□ ثم يصير (الختم) (فضلاً) فهل ترى يمكن أن يفتح بعد ذلك؟!

قال الله تعالى: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]

□ ثم يجعل الله في أسماعهم (وقراً) يمنعهم من سماع الهدى.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا

فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧]

□ ثم يمنع الله عنهم (فهم) ما يسمعون.

قال الله تعالى: ﴿هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]

□ ثم يجعل الله على قلوبهم (غشاوة) حتى لا يروا آيات الهداية.

قال الله تعالى: ﴿وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣]

ثم (يعمي) أبصارهم عن رؤية الحق.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]

ثم (يزيع) الله قلوبهم؛ فلا تجد لهم سبيلاً للعودة إلى الهداية.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]

ثم يجعل الله بينهم وبين الصالحين (حجاباً)؛ فلا يخاطبهم ولا يقبلوا

مواظمتهم.

قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥]

ثم يحجبون عن ربهم الرحيم في الآخرة، فلا يرونه.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]

فهؤلاء لا يؤمنون أبداً مهما أرسل الله إليهم آيات الهداية.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [الأنعام: ٢٥]

نعوذ بالله العظيم وسلطانه القديم من حال أولئك.

التسويق بالتوبة سببه الحُجُب على القلب؛

والحُجُب التي تحول بين القلب وبين الله عشرة: -

الأول : حجاب التعطيل والكفر، وهو أغلظها.....

الثاني : حجاب الشرك، وهو أن يعبد مع الله غيره...

الثالث : حجاب البدعة القولية؛ الاعتقادية كحجاب أهل الأهواء...

الرابع : حجاب البدعة العملية؛ كحجاب أهل السلوك المبتدعين في طريقهم.

الخامس : حجاب أهل الكبائر الباطنة؛ كحجاب أهل الكبر والعجب الرياء.

السادس : حجاب أهل الكبائر الظاهرة، وهؤلاء حجابهم أرق وأخف.....

السابع : حجاب أهل الصغائر..

الثامن : حجاب أهل الفضول والتوسع في المباحات.

التاسع : حجاب أهل الغفلة عن استحضار ما خلقوا له.

العاشر : حجاب السالكين المنشغلين عن السير إلى المقصود. [موسوعة فقه القلوب ٢/ ١٣٨٠-١٣٨١]

انقض عقد الإصرار

❁ فيجدر بالمؤمن ألا يصِر على المعصية، ويتوب مباشرةً بعدها، وقبل أن تكتبها الملائكة.
- وينبغي للمؤمن ألا يعقد النية على المعصية في المستقبل، وألاً ينو أن يفعل غداً من المعاصي كذا وكذا، حتى لا يكون مَنَّ قال الله تعالى فيهم: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة: ٥]

علاج الإصرار على المعاصي

❁ سبب الإصرار على المعاصي هو الغفلة، والشهوة.
-والغفلة لا بد أن يطلها **بالعلم**.
-والشهوة لا بد أن يطفئها **بالصبر**.
وهذا المرض موطنه القلب، وعلاجه عند أطبائه، وهم العلماء الربانيون.

علاج الشهوة:

❁ الشهوة علاجها **الصبر** عنها، ولا يدوم الصبر إلا **بالخوف**، ولا يتحقق الخوف إلا **بالعلم**؛ العلم بعظمة من تعصيه، والعلم بشده الموقف بين يديه.
❁ وأول تحصيل العلم حضور مجالس العلم، فيتعلم فيها وعيد الله لأصحاب المعاصي؛ فيخاف أن يلحقه العقاب، فيسهل عليه الصبر.

علاج الغفلة:

الغفلة علاجها الانتباه، ومن انتبه إلى حاله، تاب من تفريطه.
❁ ولا تتم التوبة إلا **بالعلم**، **والندم**، **والعزم**.
- **العلم** بخطورة الذنب، **والندم** على الذنب، **والعزم** على عدم العودة إلى الذنب.
- فإن لم يعلم أن الذنب هو سبب البعد عن الرب، لم يندم على الذنب، ولم يتوجع على سلوك طريق البعد، وإذا لم يتوجع، لم يرجع.
❁ فيصبح العلم علاج ذلك جميعاً، وتوفيق الله قبل ذلك كله.

سادس عشر: خطورة المعاصي

مرض القلب بالمعاصي أشد من مرض البدن بالحمى؛

١- لأن مريض القلب بالشهوات لا يدري أنه مريض، فهو لا يشتكي من وجع، بل يستلذ بالمعصية.

٢- ولأن نهاية مرض القلب غير مُشاهدة في الدنيا، فمريض البدن نهايته الموت، لذلك يجتهد الناس في علاجه قبل فواته.

- أما مريض القلب، فنهايته جهنم، والناس لا ترى هذه النهاية في الدنيا، لذلك قلَّ الاجتهاد في اعتزال ذلك المريض والبعد عنه والابتعاد عن مرضه، وهو المعاصي.

٣- ولأن الطبيب قد مَرَضَ في هذا الزمن، فإن الداء هو حب الدنيا، والطبيب أصابته هذه العدوى، فصعب عليه علاج غيره؛ إذ لم يستطع علاج نفسه.

٢- اعلم أن الذنوب حجابٌ عن المحبوب، وهو الله تعالى؛

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُونَ﴾ [المطففين: ١٥]

❁ فمن عقوبة المعصية أنها تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة، أو تقطعه عن السير تمامًا، فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة، هذا إن لم تُردّه عن وجهته إلى ورائه.

- فالذنوب يحجب السالك، ويقطع الطريق على السائر إلى الله.

- والقلب إنما يسير إلى الله إذا كان سليماً، فإذا مرض بالذنوب، ضعفت قوته، فإذا تكاثرت عليه الذنوب، زالت القوة، وانقطع عن الله انقطاعاً يبعد تداركه، إلا برحمة الله.

٣- والعاصي يُرفع عنه لقب الإيمان أثناء فعله للذنوب؛

- فلا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن.

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَتَّبِعُ مَهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَتَّبِعُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» [صحيح البخاري: ٢٤٧٥ و ٥٥٧٨ و ٦٧٧٢ ومسلم ٥٧]

٤- والذنوب كلها جهالات؛

❁ والعاصي جاهل حين عمل الذنب.

- جاهل بعظمة ربه.

- وجاهل بعظمة الموقف بين يديه للحساب.

- وجاهل بشدة عذاب جهنم الذي توقعه فيه المعصية.

- وجاهل بروعة نعيم الجنة الذي تبعده عنه المعصية.

- وجاهل بما يصلح شأنه في الدنيا الذي تصرفه عنه المعصية.

❁ قال قتادة : «أجمع أصحاب رسول ﷺ أن كل من عصى الله، فهو جاهل، عمداً

كان أو لم يكن». [تفسير الطبري ٥٠٧/٦، وتفسير البغوي ٥٨٦/١، وابن كثير ٢٣٥/٢، واللباب في علوم الكتاب ٢٤٩/٦]

قال الله تعالى عن الأمانة : ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] يعنى

جاهلاً عن عظمة حمل الأمانة.

وقال الله تعالى للمؤمنين : ﴿فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

[الحجرات: ٦] يعنى أن تصيبوا قوماً بظلم بأن تتهموهم بما ليس فيهم، وهو الذنوب، والجهالة

من الجهل بحقيقة حالهم.

وقال الله تعالى في وصف المؤمنين : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]

يعنى إذ خاطبهم السفهاء، وهم الجاهلون أصحاب القول السيئ، رد عليهم المؤمنون بالمعروف.

وقال موسى ﷺ لقومه : ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]

والجاهل هو المستهزئ بباطل؛ لأنهم قالوا لموسى ﷺ : ﴿أَتُنْخِذُنَا هُزُؤًا﴾ [البقرة: ٦٧]

وقال يوسف ﷺ لأخواته : ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُ يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ

جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩] يعنى : ظالمون معتدون جاهلون بفداحة ما فعلتم.

وقال الله تعالى لنوح ﷺ حينما طلب من الله تعالى أن ينجي ابنه الكافر : ﴿إِنِّي

أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] فالجاهلون في الدعاء هم المعتدون الذين

يسألون الله تعالى ما لا ينبغي لهم، أو ما لا يحق لهم.

وقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]

والجاهلون هم أصحاب القول السفیه؛ لأن مجادلة السفهاء تشعر الناظر بأن الجميع متساوون.

وقال الله تعالى لنبية محمد ﷺ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] يعني لا تحزن على كفر قومك ، ولا تتحسر عليهم ، ولا تجزع من شدة إعراضهم عن الهدى ، فإنه لا يحزن هذا الحزن إلا الجاهلين بقدر الله تعالى.

وقال رسول الله ﷺ للكفار: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُوَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]

- فالجاهلون هم المشركون الذين ساووا آلهتهم الباطلة بالله تعالى.

❁ فالجهالات في القرآن هي الجهالة بحق الأمانة ؛ وهو عدم حفظها.

- والجهالة بحق المخلوقين ؛ وهو اتهامهم بما ليس فيهم.

- والجهالة هي مخاطبة الناس بالسيء من القول ، ومنه الشتم والاستهزاء بالناس.

- والجهل يكون في الأفعال ، وهو كل أنواع الإيذاء للغير.

- والجهل في الدعاء ؛ وهو الدعاء بما لا يحق.

- والجاهلون هم السفهاء والمجادلون بالباطل ، وبغير علم ، وهم الجاهلون بقدر الله تعالى ، فيجزعون عند البلاء.

- وأعظم الجاهلين هم المشركون بالله تعالى.

٥- إبليس هو أول عاصي وسبب المعاصي؛

❁ كل مرتكب لمعصية زجر الله عنها ، فإنما أغواه إبليس ، أو نفسه الأمارة ، والله تعالى لم يستثن من الغواية والجهالة إلا عباده المخلصين.

قال الله تعالى حاكياً عن إبليس: ﴿ قَالَ فِعْرَئِكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ

مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿ [ص: ٨٢-٨٣]

❁ وإن الله تعالى قد قسم أتباع إبليس في المعاصي إلى سبعة أجزاء ، وهي عدد أبواب جهنم ، وجعل لكل باب منهم جزءاً معلوماً.

قال الله تعالى: ﴿ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر: ٤٤]

سبب المعاصي؛

٦- لماذا يذنب العبد؟

١- هو الاغترار بحلم الله؟ فإن الله لا يعجل العقوبة للمذنب بل يمهله لكن لا يمهله.

٢- لأن العقاب ليس بحاضر وإنما مُغِيب في الآخرة ، فيقع العبد في الذنب بسبب

جهله بنهاية أمره ، أو عدم رؤيته تعجيل العقوبة في الدنيا.

٣ - ولأن المذنب يُمنّي نفسه بأنه سيتوب بعد الذنب، فيقع في الذنب بسبب التسويف، وطول الأمل.

٤ - ولأن المذنب يغلب عليه الرجاء، ويقل عنده الخوف؛ فيرجو عفو الله، ولا يدفعه إلى ذلك إلا أمانى الغرور.

-والله تعالى يمكن أن يعفو عنه، لكن الأولى أن يستعد ليوم الرحيل.
- ومثله كمثّل رجل أنفق ماله كله، حتى عاش هو وعياله فقراء، ولم يسعَ لطلب الرزق وانتظر أن يرزقه الله كنزاً في الصحراء، وهذا ممكن، لكن هذا الرجل يسميه الناس: **الأحمق**.

٧- كيف ترجو بره، وأنت مقيم على معصيته؟

❁ قال الحسن البصري: إن قومًا ألتهم أمانى المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة، يقول: إني أحسن الظن بربي، وكذب، لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل. [رواه ابن أبي الدنيا في الوجل والتوثيق بالعمل ٢]

٨- يا صاحب الأمل الطويل؛

١. **لعل أجلك قبل أملك**، فإذا جاء أجلك، فلن يمهلك الله حتى تتوب.
٢ - وإن أمهلك الله، فربما لا تقدر على التوبة، أو لا تُوفِّق لها.
فمثل هذا كمن ذهب يقتلع شجرة، فوجد لها تنقلع إلا بمشقة، فقال: أواخرها سنة، وما عِلِمَ أن الشجرة كلما بقيت زاد رسوخها، وأنه كلما طال عمره، زاد ضعفه.
❁ فكلما أَّخر التوبة، ازداد تعلقه بالمعصية، وازدادت فتنته بها، وكلما زاد الران على قلبه والطبع والختم، وكلما صُعِبَ عليه ترك المعصية والبعد عنها، وكلما ضعف إيمانه، واختل يقينه، حتى ما يستطيع أن يقلع عن الذنب الصغير، فضلاً عن الغي الكبير.

٩- الإسراف؛

❁ فمن أسرف على نفسه في الذنوب، وانغمس فيها، وجد الشيطان فيه فريسة سهلة، فأغواه بأنواع المعاصي، فكلما فرغ من معصية، أغواه بمثلها أو أكبر منها، فأتاها، وكلما اقتحم باب معصية، فُتِحَ له باب معصية أخرى.

- ثم يأتيه الشيطان بعد المعصية ليُقنِطَهُ من رحمة الله ويُبَيِّنَ له مدى خسارته، وكيف أن سيئاته طغت على حسناته، وأنه مهما فعل، فلن يُغفر له.
قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ نُصَبِّهِمْ سِتَّةً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]
- وهنا يكره العمل الصالح، وتثقل عليه التوبة، ويختل توحيده، فإن لم تدركه رحمة الله، مات على الإصرار على المعاصي، فهلك إلا أن يعفو الله عنه.

١٠- رحمة الله بالعاصي:

- وبعد كل هذا الإعراض فإن الودود الرحيم لا يتركه، بل يدعوه بمقتضى اسمه الغفور الرحيم أن يرجع إليه، يرجع إلى رحمته ومغفرته.
- ويدعوه إلى عدم القنوط من رحمته، أو اليأس من روحه تعالى .
قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]
وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطْ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ ۖ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]
وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْسَوْا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]

١١- الله تعالى خلق النار لتطهير الذنوب:

✽ واعلم أن الله ما خلق النار إلا لتمحيص الذنوب وعقاب الشرك.

والعاصي يستوجب أن يُنقى بقدر سيئاته في النار إلا أن :

١- تدركه رحمة الله، فيكون ممن استثناهم من العذاب.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦]

٢- أو تدركه شفاعت الشافعين.

✽ قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ وَيَجْرِمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ فَيَأْتُوهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا قَالَ

أَبُو سَعِيدٍ فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ بَقِيَّتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتَحَشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ». [صحيح البخاري ٧٤٣٩ ومسلم ١٨٣]

٣- أُوَيَقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ فِي الدُّنْيَا ، فَلَا يَعَذَّبُ بِالْكَبِيرَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً فِي الْآخِرَةِ.

❁ قال رسول الله ﷺ : «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا تَزْنُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ، وَلَا تَأْتُوا بِبَهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ ، مَنْ وَفَى فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ». [صحيح البخاري ١٨ و ٣٨٩٢ و ٤٨٩٤ و ٦٧٨٤ ومسلم ١٧٠٩]

❁ قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أَصَابَ فِي الدُّنْيَا ذَنْبًا فَعُوقِبَ بِهِ فَاللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَّ عُقُوبَتَهُ عَلَى عَبْدِهِ ، وَمَنْ أَذْنَبَ فِي الدُّنْيَا ذَنْبًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَاللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِي شَيْءٍ قَدْ عَفَا عَنْهُ». [حسن : رواه ابن ماجه ٢٦٠٤ والترمذي ٢٦٢٦ وأحمد ٢ / ١٦٥ / ٤٦٢ وقال الترمذي حسن غريب]

٤- أُوَيَخْفِضُ عَنْهُ بِمَا يَصِيبُهُ مِنَ الْمَصَائِبِ الْمَكْفُورَةِ لِلذُّنُوبِ.

❁ قال رسول الله ﷺ : «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يَشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ». [صحيح البخاري ٥٦٤١ ومسلم ٢٥٧٣]

والله تعالى خاطب أمثال هؤلاء بقوله تعالى : ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]

سابع عشر: سوء الخاتمة وأسبابه

١- سوء الخاتمة سببه الإصرار على المعاصي وعدم التوبة منها:

- ولا يكون ذلك إلا إذا تسلط الشيطان على العبد عند الموت؛ فيَحُولُ بينه وبين التوبة.
 وإنها يكون تسلط الشيطان على من داوم على طاعته وعصيان ربه تعالى .
 قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩]

٢- سوء الخاتمة سببه الطبع على القلب:

والطبع على القلب سببه:

١- اتباع الهوى:

قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]

٢- التكبر:

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]

٣- الظلم:

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس: ٧٤]

٣- وسوء الخاتمة سببه الجور في الوصية:

- فيأتيه الشيطان، ويزين له الباطل، ويمنعه من الرجوع عن المظالم في الوصية.
- ❁ وإنها تسلط الشيطان ذو الكيد الضعيف على العبد لضعف قلبه، وضعف إيمانه.
- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]
- ولم يُضَعِفِ إيمان العبد إلا ظلمة المعاصي المطفئة لنور الإيمان.
- فإن الإيمان يقوى بالطاعة، ويضعف بالمعصية.
- وسبب المعاصي هو حب الدنيا.
- فدفعه حب الدنيا والركون إليها إلى فعل تلك المعاصي في سبيل تحصيل شهواتها.

٤- سوء الخاتمة سببه ضعف الإيمان:

- لأن ضعف إيمانه يؤدي إلى ضعف حبه لله، الذي يزداد ضعفه إذا جاءت سكرات الموت.

❁ فمن مات محباً لله، قدم عليه قدوم المسافر المحسن المشتاق، فيلقاه ربه بالفرح، والسرور، والإكرام، والروح، والريحان.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ٨٨ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩]

- ومن مات ضعيف الحب لله مصرّاً على مخالفته، قدّم على الله قدوم العبد الآبق على سيده، فيساق إليه قهراً، فبماذا تظن أن يلقاه مولاه؟!!!

٥- سوء الخاتمة سببه حب الدنيا:

- فإذا استشعر العبد فراق الدنيا، ورأى أنه سيخسر كل ما جمعه منها، فيتسخط قلبه لذلك، فيزداد تسلط الشيطان عليه أكثر وأكثر عياداً بالله.

- فطالما عصى الله ليجمع ذلك المال من الحرام، والآن ستركه كله، فكيف يرجو الإحسان ممن طالت مخالفته له؟ فييأس من رحمة الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦- سوء الخاتمة سببه البدع :

والبدع تأتي بالشبهات، فإن لم يكن عنده علم يدفعها به، احتار في أودية الشبهات، وضاع فيها.

- فيؤدى ذلك إلى الشك أو الجحود لأمر من أمور الدين.

- أو الاعتقاد في صفات الله وأفعاله خلاف الحق، وخلاف عقيدة أهل السنة.

فإذا انكشف الغطاء عند الموت، وعاین ملائكة الموت، وظهر له بطلان بدعته، ورأى بطلان معتقده، ورأى عمله على أساسها ضائعاً؛ فيقنط من رحمة الله، وييأس من روح الله عياداً بالله.

٧- وسوء الخاتمة سببه الاعتراض على قدر الله:

- فيعترض على الله في قضائه له بالموت، فيسخط على قدر الله وفعله به، ولا يرضى بقضائه.

❁❁❁ وإذا عرفت خطر سوء الخاتمة، فاحذر أسبابها، وأعد ما يصلح لذلك من ترك البدع، والبعد عن المعاصي، وإياك وتسويف التوبة، وعليك بالاستعداد للموت؛ فإن العمر قصير، وأنت لا تعرف متى ينتهي، فما أنت إلا في امتحان، ولا تدري متى ينتهي الوقت، وتسحب منك ورقة الإجابة.

- والإنسان يموت على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه.

٦. التقوى

✽ بحث التقوى يتضمن:

- أولاً: ما التقوى؟
- ثانياً: التقوى من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته.
- ثالثاً: التقوى شرط الإيمان.
- رابعاً: الله تعالى أمر عباده بالتقوى.
- خامساً: العلم أساس التقوى.
- سادساً: ما الذي نتقيه؟
- سابعاً: أهمية التقوى.
- ثامناً: تفاوت الناس في التقوى.
- تاسعاً: ما يعين على تحصيل التقوى؟
- عاشراً: فضل التقوى.
- حادي عشر: جزاء التقوى.
- ثاني عشر: الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على عقوبة الشهوة.
- ثالث عشر: الهوى عكس التقوى.

أولاً: ما هي التقوى؟

اعلم بارك الله في دينك وزاد في يقينك أن:

- ١- التقوى هي: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله.
- وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله.
- ٢- التقوى هي: العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً.
- فتعمل الطاعات إيماناً بالله ورجاءً لثوابه، وتترك المعاصي إيماناً بالله وخوفاً من عذابه.
- ٣ - قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿حَقُّ تَقَاتِهِ﴾ التقوى هي: أن يطاع فلا يعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر.
[الزهد والرفائق لابن المبارك ٢٢، والزهد لأبي داود ١٤٥، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧٢٢]
- ٤- التقوى هي: الالتزام بطاعته خوفاً من عقوبته.
- ٥- التقوى هي: أن تأخذ وقايتك من سخط الله ﷻ بفعل طاعته واجتناب معصيته.
- ٦- التقوى هي: أن تترك ما تهوى لما تخشى.
- ٧- التقوى هي: ألا يفترقك حيث أمرك، ألا يجدك حيث نهاك.
- ٨- التقوى هي: الخوف من الجليل، والعمل بالتزليل، والاستعداد ليوم الرحيل.
- ٩- التقوى هي: أن تنزه نفسك عن أن ينشغل قلبك عن ربك ﷻ.

ثانياً: التقوى من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى

- ✽ التقوى من مقتضيات الإيمان باسمه تعالى المؤمن.
- فهو الذي آمن عباده المتقين من عقابه في الدنيا والآخرة، ويسر لهم الإيمان به.
- ✽ التقوى من لوازم الإيمان باسمه تعالى الهادي.
- فهو الذي هداهم لطاعته، وثبت أقدامهم على سبيله ومحبه.
- ✽ وهو أهل أن يتقيه عباده، وهو تعالى أهل أن يغفر لمن اتقاه.
- فهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

ثالثاً: التقوى شرط الإيمان

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مُمِينٌ﴾ [المائدة: ٥٧]
وقال الله تعالى: ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مُمِينٌ﴾ [المائدة: ١١٢]

رابعاً: الله تعالى أمر عباده بالتقوى

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]
وقال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]

الجمع بين الآيتين

قال بعض المفسرين: إن آية التغابن ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ نسخت آية آل عمران ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ وقال بعضهم: إن الآية الأولى ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ نزلت عظام الأمور ، كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم بالعدل.
✽ والصواب أن الآية الأولى نزلت في عبادات القلوب ، والآية الثانية نزلت في عبادات الجوارح.

الدليل الأول: من قواعد الشرع أن: الأوامر الإلهية منوطة بالاستطاعة.

✽ لذلك الآية الأولى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ نزلت في عبادات القلوب؛ لأنها ليست منوطة بالاستطاعة.

- فهي لا تستلزم مشقة بدنية، ولا نفقة مالية، ولا شجاعة قلبية.

- فهي فيها إكراه على تركها.

- ولا يمنع العبد الصالح من الترقى في عبادات القلوب مانع من زوجة، أو ولد، أو فقر، أو غنى، أو قوة، أو ضعف، أو شجاعة، أو جبن.

✽ والآية الثانية ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ نزلت في عبادات الجوارح؛ لأنها

منوطة بالاستطاعة.

- فعبادات الجوارح مدارها على وجود العافية البدنية، والمال اللازم للنفقة، وزوال

الموانع من الخوف والمرض وغيره.

- فالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحكم بالعدل، تستلزم وجود العافية في البدن، ووجود النفقة، وأمن الطريق، وإعداد العدة، ومدارسة العلوم الشرعية، وكل ذلك لا يتيسر لكل أحد. - فكان التكليف بقدر الاستطاعة، والله تعالى أعلم.

❁ قال رسول الله ﷺ : إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ. [صحيح البخاري ٧٢٨٨ ومسلم ١٣٣٧]

الدليل الثاني: سياق الآيات

الله تعالى قال بعد الآية الأولى ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ❁ ، وهذا اعتقاد قلبي، فدل على أن المقصود بالتقوى هنا "عمل القلب".
والله تعالى قال بعد الآية الثانية ﴿وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا﴾ ❁ وهذه عبادات جوارح، فناسب أن تكون الآية قبلها يقصد بها عبادات الجوارح أيضاً، والله تعالى أعلم.

خامساً: أساس التقوى العلم

فبالعلم يعرف العبد ما يتقيه؟ وكيف يبتعد عن سخط مولاه وباريه؟ وكيف ينال ثوابه وما يرضيه؟

❁ فكيف يتقي من لا يدري ما الذي يتقيه؟!

فإن لم تدرس العلم، أكلت الربا، وأنت لا تدري، وظلمت الناس، وأنت لا تدري، وجهلت كيفية الطهارة، ففسدت عليك صلاتك، وأنت لا تدري.
اللهم اهدنا سواء السبيل، واغفر لنا ما كان من التقصير، و أدخلنا الجنة برحمتك وبشفاعة البشير النذير ﷺ!

سادساً: ما الذي نتقيه؟

نتقي سخط الله، ونتقي النار، ونتقي سوء الموقف يوم القيامة، ونتقي المحارم.

١- نتقي سخط الله:

تقوى الله هي خشيته وهيبته واتقاء سخطه.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦]

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]

وقال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٤١]

٢- نتقي النار:

وهي محل عقوبة الله.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]

وقال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]

٣- نتقي سوء الموقف يوم القيامة:

يوم القيامة هو يوم غضب الجبار على من عصاه.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]

وقال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨]

٤- نتقي المحارم:

❁ قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ.»

[حسن: رواه الترمذي ٢٣٠٥، وأحمد ١٣/٤٥٨/٨٠٩٥، وحسنه لغيره الألباني في الصحيحة ٩٣٠]

سابعاً: أهمية التقوى

- ١ - الله تعالى لا يقبل الأعمال بدون التقوى.
- ٢ - الله تعالى أمر عباده بالتعاون لتحقيق التقوى.
- ٣ - وجوب الحرص على تحصيل التقوى.
- ٤ - التقوى هي وصية الله للعالمين.
- ٥ - التقوى هي وصية النبي ﷺ لأُمَّته.
- ٦ - التقوى هي وصية كل الرسل ﷺ لأقوامهم.
- ٧ - التقوى هي وصية أئمة الدين للأمة.

١ - الله تعالى لا يقبل الأعمال بدون التقوى:

❁ قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لأن أَسْتَيْقِنَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَقَبَّلَ مِنِّي صَلَاةَ وَاحِدَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]

[تفسير ابن كثير ٨٥ / ٣ وأورده السيوطي في الدرر المنثور ٥٦ / ٣]

"وإنها" أداة حصر، فكان المعني : أن الله تعالى لا يتقبل أعمال العباد إلا من اتقاه بعمله، فأخلص له فيه، واتبع رسول الله ﷺ.

٢ - الله تعالى أمر عباده بالتعاون لتحقيق التقوى:

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]

❁ البر هو الإحسان إلى الخلق، وفي هذا رضاهم.

- والتقوى هي إحسان العبادة للخالق، وفي هذا رضاه سبحانه.

❁ قال الماوردي: «من جمع بين رضى الله تعالى ورضى الناس فقد تمت سعادته وعمَّت

نعمته». [أدب الدنيا والدين ١٨٣]

❁ وأوجه البر تكون على حسب الطاقة، ويجب أن يتعاون جميع المسلمين لعمل ما يستطيعون من البر؛ فالعالم يعلم الناس، والغني يكفيهم بماله، والشجاع يزود عن أعراضهم، فيصبح المسلمون كالجسد الواحد.

❁ قال رسول الله ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ تَكَافَأُوا دِمَائِهِمْ، يَسْعَىٰ بَذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ

أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ.» [صحيح: رواه أبو داود ٢٧٥١، وابن ماجه ٢٦٨٥، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٢٢٠٨]

❁ **يحرم التعاون على الإثم والعدوان**، فيحرم أن تعين من يصنع المحرمات كالخمر والدخان، ويحرم العمل معه، ويحرم نقلها، وحملها، وبيعها.

- ويحرم أن تعين من يفعل المحرمات أي شيء؛ كأن تصلح ما تهدم من مصنعه، أو تصلح له وسيلة نقله، أو تنقل له أموال بيعه، أو تباع له الأشياء الحلال التي سيحولها إلى حرام كالعنب والشعير، ومثله بيع السلاح لمن سيعصى به الله.

٣- وجوب الحرص على تحصيل التقوى:

❁ ولا بد للمؤمن أن يحرص على تحصيل التقوى، فإن المؤمن إذا رُغِبَ في الخير، رُغِبَ، وإذا خُوفَ من الشر، هرب، ولا خير فيمن إذا رُجِرَ، لا ينزجر، وإذا أُمر، لا يأتمر.

❁ ولا بد للمسلم أن يلجم نفسه بلجام التقوى، ويحرس حواسه: العين، والأذن، واللسان، والقلب، والبطن، والفرج، ألا تقع في خلاف التقوى.

❁ فيتعد عن المعاصي وعن الإسراف في الحلال؛ حتى لا يكسل عن تحصيل الطاعات.

- فإن ضياع الوقت في تحصيل المباحات يهدر الطاقات التي كانت تستغل في تحصيل القربات.

٤- التقوى وصية الله للعالمين:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾

[النساء: ١٣١]

- أليس الله تعالى هو أحكم الحاكمين، وهو أعلم بما يصلح العبد من كل أحد؟

- أليس الله تعالى هو أرحم الراحمين وهو أنصح للعبد وأرأف به من كل أحد؟

- ولو كانت في العالم خصلة هي أصلح للعبد، وأجمع للخير وأعظم للأجر من التقوى، لكان الله تعالى أمر عباده بها.

❁ قال الغزالي: فلما أوصى الله تعالى الأولين والآخرين بهذا الخصلة الواحدة. التي هي التقوى، واقتصر عليها، علمت أنها الغاية التي لا مقصود دونها، وأنه تعالى قد جمع كل نصح وإرشاد وتنبيه وتأديب وتعليم وتهذيب في هذه الوصية الواحدة؛ كما يليق بحكمته ورحمته.

- وعلمت أن هذه الخصلة التي هي التقوى هي الجامعة لخير الدنيا والآخرة،
المبلغة إلى أعلى الدرجات في العبودية. [منهاج العابدين ١٢٦]

٥- التقوى هي وصية النبي ﷺ لأُمته:

❁ قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا وَسَتَرُونَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحَدَّثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.»

[صحيح: رواه وأبو داود ٤٦٠٧، والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجه ٤٢، وأحمد ٣٧٣/٢٨، ٣٦٧، وصححه الألباني في الصحيحة ٩٣٧]

❁ قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَحُفَّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ.»

[حسن: رواه الترمذي ١٩٨٧، وأحمد ٣٥/٤٢٥، ٣٨٥، ٣١٨، ٢٨٤، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٦٥٥]

❁ قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنَ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ.»

[حسن: رواه الترمذي ٢٣٠٥، وأحمد ١٣/٤٥٨، وحسنه لغيره الألباني في الصحيحة ٩٣٠]

❁ قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا حَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا إِذَا أُمِرْكُمْ؛ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ.»

[صحيح: رواه الترمذي ٦١٦، وأحمد ٣٦/٤٨٦، ٥٩٣، ٥٩٥، والحاكم ١/٥٢، ٥٤٧، ٦٤٦، وصححه الألباني في الصحيحة ٨٦٧]

❁ قال رسول الله ﷺ: «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ.» [صحيح: رواه أحمد ١٨/٢٩٧، وصححه لغيره الألباني في الصحيحة ٥٥٥]

❁ قال رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه حين شعر منه ضعفًا وطلبًا للإمارة: «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَعَلَانِيَتِهِ وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنِ، وَلَا تَسْأَلَنَّ أَحَدًا شَيْئًا وَإِنْ سَقَطَ سَوْطُكَ، وَلَا تَقْبِضْ أَمَانَةً، وَلَا تَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ.»

[حسن: رواه أحمد ٣٥/٤٥٢، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢٥٤٤]

❁ قال رسول الله ﷺ حين ودع رجلاً للسفر: «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالتَّكْوِينِ عَلَى

كُلُّ شَرَفٍ. [حسن: رواه ابن ماجه ٢٧٧١ و الترمذي ٣٤٤٥، وأحمد ١٤/٦٢، ١١٧، ١١١/١٥، ٣٦٧، ٤٥١، وحسنه الألباني في الصحيحة ١٧٣٠]، يعني على كل شيء مرتفع.

❀ وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيَّهَا وَمَوْلَاهَا» [صحيح مسلم ٢٧٢٢]

٦- التقوى هي وصية كل الرسل ﷺ لأقوامهم:

❀ لاشك أن الرسل هم أطهر الناس قلوبًا، وأزكاهم صدورًا، وأذكاهم عقولًا، وأنصح الناس للناس، فلو علموا أن هناك خصلة أنفع للناس من التقوى، ما تركوها، فلما أجمعوا جميعًا على وصية أقوامهم بالتقوى، اتضح أنها أفضل خصلة، وأجمع للخير، وأجلب للسعادة، وأكثر في الثواب، وأعلى في الدرجات.

قال الله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٥-١٠٦]
وقال الله تعالى: ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٢٤]
وقال الله تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٤١-١٤٢]
وقال الله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٠-١٦١]
وقال الله تعالى: ﴿كَذَبَ أَصْحَابُ نَعِيمٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٧٧]
وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ أَفْقَوْمُ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠-١١]

٧- التقوى هي وصية أئمة الدين للأمة:

❀ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته: «أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تشنوا عليه بما هو له أهل.» [رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٩١ وهناد في الزهد ٤٩٥]
❀ كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه: «فإني أوصيك بتقوى الله ﷻ، فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نصب عينيك».

[جامع العلوم والحكم لابن رجب ٤٠٦/١]

❀ كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل: «أوصيك بتقوى الله ﷻ التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يُثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل.» [حلية الأولياء ٥/ ٢٦٧] جعلنا الله وإياكم من المتقين.

✽ وخطب الناس بعد ولايته وقال: «أوصيكم بتقوى الله تعالى، فإن تقوى الله تعالى خلف من كل شيء، وليس من تقوى الله خلف». [حلية الأولياء ٢٩٧/٥]

✽ وقال يونس بن عبيد رحمته الله لأخ له: «أوصيك بتقوى الله والإحسان؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون». [جامع العلوم والحكم لابن رجب ٤٠٦/١]

✽ وقال زيد بن أسلم رحمته الله: «من اتقى الله حبه الناس وإن كرهوا». [حلية الأولياء ٢٢٢/٣]

✽ وكتبت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «اتق الله فإنك إذا اتقيت الله كفأك الناس، وإذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئاً». [رواه ابن المبارك في الزهد ١٩١]

ثامناً : تفاوت الناس في التقوى

والناس في تقواهم درجات :

١- فمنهم من يجتنب الكفر والخلود في النار:

لكنه لا يجتنب الكبائر، ويُفَرِّط في الفرائض، وهذا لا يطلق عليه اسم متقٍ لاستحقاقه العذاب، إن لم يتداركه عفو الله تعالى .

٢- ومنهم من يفعل الفرائض دون النوافل ويجتنب الكبائر دون الصغائر:

قال الله تعالى في المعاصي: ﴿إِنْ جَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]

✽ قال رسول الله صلی الله علیه وسلم في الطاعات: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفَرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرَ» [صحيح مسلم ٢٣٣]

- فالصغائر تُكْفَرُ باجتناب الكبائر والمواظبة على الفرائض.

٣- ومنهم من يفعل الواجبات والمستحبات ويجتنب المحرمات والمكروهات:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

✽ فالتقوى هي فعل الطاعات كلها صغيرها وكبيرها، وترك المعاصي كلها صغيرها وكبيرها.

- والمتقي يجتهد في الطاعات، ويتبعها بالنوافل؛ لعل كثرة النوافل تعوض ما يكون من تقصير في الفرائض.

- وإن اجتناب الصغائر يجعل بين العبد وبين الكبائر سائرًا حصينًا؛ فإن العبد لن يقع في الكبائر إلا بعد وقوعه في الصغائر، فمن اجتنب الصغائر، كان عن الكبائر أبعد.

قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]

٤- ومنهم من يتقي بعض الحلال؛ خشية أن يكون حرامًا:

١- فالمتقي أشد محاسبًا لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه.

فتجده يترك الشبهات التي لا يدري أهى من المكروهات أم من المباحات.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]

- فيتقيه حتى من مثقال ذرة، حتى يترك بعض ما يراه حلالاً خشية أن يكون حرامًا، فيكون حجاباً بينه وبين الحرام.

❁ قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «تَمَامُ التَّقْوَى أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ الْعَبْدُ حَتَّى يَتَّقِيَهُ فِي مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، حَتَّى يَتْرَكَ بَعْضَ مَا يَرَى أَنَّهُ حَلَالٌ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ حَرَامًا، يَكُونُ حِجَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَ لِلْعِبَادِ الَّذِي يُصَيِّرُهُمْ إِلَيْهِ قَالَ اللَّهُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» [الزلزلة: ٧-٨] فَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ أَنْ تَتَّقِيَهُ، وَلَا شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ أَنْ تَفْعَلَهُ.

[رواه نعيم بن حماد في زوائد الزهد والرفائق لابن المبارك ١٩/٢]

❁ قال ابن عمر رضي الله عنهما: «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ».

[رواه البخاري معلقاً ١٠/١] فيترك ما فيه شبهة؛ حتى لا يجره إلى مكروه أو حرام.

❁ قال سفيان بن عيينة: «لَا يُصِيبُ رَجُلٌ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يُحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ حَاجِزًا مِنَ الْحَلَالِ، وَحَتَّى يَدَعَ الْإِثْمَ وَمَا تَشَابَهَ مِنْهُ». [حلية الأولياء ٢٨٨/٧]

- ويترك الحلال مثل فضول الطعام؛ حتى لا ينام عن الصلوات، ولا يكسل عن الطاعات.

٢- فالدنيا مثل طريق فيه شوك، والشوك هو المعاصي، فإذا سرت على هذا الطريق، انقيت الشوك، فكذلك عليك في هذه الدنيا أن تتقي المعاصي.

قال ابن المعتز:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقوى
واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقـرن صغيرـة إن الجبال من الحصى

[رواه البيهقي في شعب الإيمان ٩/٤٣٢، ومحاضرات الأدباء ٢/٤١١، والتبصرة لابن الجوزي ١/٣٤١]

❁ سأل رجل أبا هريرة رضي الله عنه : ما التقوى ؟

قال : « أخذت طريقا ذا شوك ؟ - قال : نعم

قال : فكيف صنعت ؟ قال : إذا رأيت الشوك، عدلت عنه، أو جاوزته، أو قصرت عنه.

قال : ذاك التقوى. [رواه البيهقي في الزهد ٩٦٣]

٣- فلا تحقرن شيئاً من الخير أن تفعله، ولا تحقرن شيئاً من الشر أن تتقيه.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ

ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ [الزلزلة: ٧ - ٨]

٥- ومنهم من لا ينشغل قلبه بغير الله:

قال الله تعالى: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح: ٢٦]

- فالتقوى أكرم سريرة باطنية، وأزين زينة ظاهرة، وأعظم ثواب مدخر.

❁ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «التقوى هاهنا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ». [صحيح مسلم ٢٥٦٤]

والناس في ترك المعاصي درجات:

١- منهم من يترك المعاصي محبةً لله وإعظاماً له أن يُخَالَفَ أمره، وهذا أعلى

مراتب الخشية، فحب الله هو أعلى دوافع التقوى.

٢- ومنهم من يترك المعاصي يبتغي النعيم في الجنة، فيصوم عن شهواته في

الدنيا؛ ليفطر عليها في الجنة.

❁ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَنْ

يُتُوبَ». [صحيح البخاري ٥٥٧٥، ومسلم ٢٠٠٣]

٣- ومنهم من يترك المعاصي خوفاً من النار، واتقاءً لغضب الجبار.

٤ - ومنهم من يترك المعاصي خوفاً مما يعقب المعصية من وقوع مصائب الدنيا،
وسلب النعم.

✽ نزل السري بن دينار في درب بمصر، وكانت فيه امرأة جميلة فتنت الناس بجملها.
فعلمت به المرأة، فقالت: لأفتننه، فلما دخلت من باب الدار تكشفت وأظهرت
نفسها، فقال السري: مالك؟ فقالت: هل لك في فراش وطى وعيش رخي؟
فأقبل عليها وهو يقول.....

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| وكم من معاصٍ نال منهنّ لذة | ومات فخلاها وذاق الدواها |
| تصرم لذات المعاصي وتنقضي | وتبقى تبعات المعاصي كما هي |
| فيا سوءتاً والله راءٍ وسامع | لعبدٍ بعين الله يغشى المعاصيا |

[رواه ابن الجوزي في ذم الهوى ٢٣٥ وأورده ابن القيم في روضة المحبين ٣٣٩]

٥ - ومنهم من يترك المعاصي؛ **خوف العار** وتنجيس العرض وانحطاط القدر بين الناس.
٦ - ومنهم من يترك المعاصي؛ **خوفاً من ذهاب العفة والحياء** والوقار والمروءة والشهامة.
✽ قال علي بن حسن الإسكافي:

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| ما إن دعاني الهوى لفاحشة | إلا نهاني الحياء والكرم |
| فلا إلى فاحشٍ مددت يدي | ولا مشيت بي لريبة قدم |

[إعتلال القلوب للخرائطي ١/ ٦٢ وروضة المحبين لابن القيم ٣٢٦]

تاسعاً: ما يعين على تحصيل التقوى

- ١- محبة الله، فحبه هو الذي يدفعك لطاعته وعدم مخالفته .
- ٢- الشعور بمراقبة الله وقربه لك؛ فتستحي من المعصية، وتجتهد في إحسان الطاعة.
- ٣- اليقين بأن عاقبة المعاصي هي عذاب الدنيا والآخرة.
- ٤- أن تتعلم كيف تغلب هواك.

١- محبة الله، فحبه هو الذي يدفعك لطاعته وعدم مخالفته:

✽ قال ابن القيم : فالمحبة شجرة في القلب، عروقتها الذل للمحبوب، وساقها معرفته، وأغصانها خشيته، وورقها الحياء منه، وثمرتها طاعته، ومادتها التي تسقيها ذكره. [روضة المحيين ٤٠٩]

- فإن المحب يفرح بطاعة محبوبه، ولا تطاوعه نفسه على معصيته.

- ومن أحب الله، أحب طاعته، وألفت جوارحه الطاعة، فإذا أمره الشيطان بمعصية، استوحش منها، ومرت به المعصية محتشمة؛ لأن قلبه ينكرها وجوارحه لم تعتدها.

٢- الشعور بمراقبة الله وقربه لك فتستحي من المعصية وتجتهد في تحسين الطاعة:

١- العلم بقربه ومعيته تعالى .

فلو أن أحداً قام إلى عبادة، فشر كأنه يعاين ربه سبحانه وتعالى، فإنه يخلص فيها ولا يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمات واجتماعه بظاهره وباطنه على ربه تعالى إلا أتى به، مع الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوها وفقاً للسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]

✽ قال ابن كثير : أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم، في بر، أو بحر، وفي ليل، أو نهار، وفي البيوت أو في القفار، الجميع في علمه سواء، فيسمع كلامكم ويعلم سركم ونجواكم. [تفسير ابن كثير ٩/٨]

✽ سئل الجنيد : بَمَ يستعان على غض البصر؟ فقال : «بعلمك أن نظر الله إليك

أسبق من نظرك إلى ما تنظر إليه.» [جامع العلوم والحكم لابن رجب ٤٠٩/١]

✽ قال ابن رجب : «فمن استحضر قربه، أوجب له ذلك الخشية والهبة

والتعظيم.» [جامع العلوم والحكم ١٢٩/١ بتصرف]

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]

وقال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]
وقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١]

٢- الحياء من الله تعالى:

من استحي من الله، فليحفظ جميع جوارحه عما لا يرضي الله من قول أو فعل.
❁ قال رسول الله ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ.»

[حسن: رواه أحمد ١٨٧/٣٦٧١ والترمذي ٢٤٥٨، وأبو يعلى ٥٠٤٧ والحاكم ٣٥٩/٧٩١٥ وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٧٢٤]

❁ قال النووي: «ومن جالس الصالحين امتنع أن يفعل شيئاً من النقائص أمامهم احتراماً لهم واستحياءً منهم، فكيف يفعل أمام من هو مطلع عليه في سره وعلايته؟ والله المثل الأعلى». [شرح صحيح مسلم ١٥٨/١ بتصرف]

❁ قال وهب بن الورد: فخف الله على قدر قدرته عليك، واستح من الله على قدر قربك منه. [«جامع العلوم والحكم» لابن رجب ٤٠٨]

٣- لا تخش الناس أكثر من خشية الله:

فاتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك، فتستخفي عن الناس بالذنب، وتخشى الناس أن ينظروا إليك، ولا تخشى الرقيب عليك.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَا كَرِهَ اللَّهُ مِنْكَ شَيْئًا فَلَا تَفْعَلْهُ إِذَا خَلَوْتَ.»

[حسن: رواه ابن حبان في صحيحه ٤٠٣ وفي روضة العقلاء ٢٦، وحسنه لغيره الألباني في «الصحيحة» ١٠٥٥]

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا أَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنثورًا، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صَفْهُمْ لَنَا، جَلَّهْمُ لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ! قَالَ: أَمَّا إِيَّاهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا.» [صحيح: رواه ابن ماجه ٤٢٤٥، وصححه الألباني في الصحيحة ٥٠٥]

فضاع منهم كل ذلك الثواب؛ لأنهم لم يكونوا يشعرون بمراقبة الله لهم، وكانوا إذا ابتعدوا عن الناس وخلوا بمحارم الله، انتهكوها.

❁ قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُنْجِيَّاتٌ، وَثَلَاثٌ كَفَّارَاتٌ، وَثَلَاثٌ دَرَجَاتٌ. فَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَشُحُّ مَطَاعٍ، وَهَوَى مُتَّبَعٍ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ. وَأَمَّا الْمُنْجِيَّاتُ: فَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ، وَالرِّضَى وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ. وَأَمَّا الْكَفَّارَاتُ: فَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ، وَنَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ. وَأَمَّا الدَّرَجَاتُ: فِإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَصَلَاةٌ بِاللَّيْلِ، وَالتَّاسُّ نِيَامٌ.» [صحيح: رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٤٧/٦، ٥٧٥٤، وحسنه الألباني في الصحيحة ١٨٠٢]

❁ وكان الإمام أحمد ينشد:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفي عليه يغيب

[حلية الأولياء ٩/٢٢٠]

٤- إحصان العبادة:

❁ سئل النبي ﷺ عن الإحصان فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.» [صحيح البخاري ٤٧٧٧، ومسلم ٩]

٣- اليقين بأن عاقبة المعاصي هي عذاب الدنيا والآخرة:

❁ من فعل المعاصي، تعرض لعذاب الله العاجل في الدنيا، والآجل يوم القيامة، وحل به ضيق الصدر، وخبث النفس، وقلة الرزق، ومحق البركة، وبُغض الخلق بعد بُغض الخالق سبحانه.

❁ فما الذي أخرج آدم عليه السلام وحواء من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى الدنيا، دار الأحزان والمصائب، **إلا المعصية.**

❁ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء، ومسخه، فجعل ظاهره أقبح صورة وباطنه أقبح من ظاهره، وأبدله بالقرب بعداً، وبالرحمة لعنة، وبالجنة ناراً تلظى، حتى رضي بأن يكون قائداً في الشر بعد أن كان إماماً في العبادة؟ ما فعل به ذلك **إلا المعصية والكبر.**

❁ وما الذي أغرق قوم نوح عليه السلام، بل والأرض كلها **إلا المعاصي.**

❁ وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد، حتى دمرت ديارهم، وجعلتهم

موتى كأنهم أعجاز نخل خاوية **إلا المعاصي** والإعراض عن الله. ❀
وما الذي أرسل الصيحة على قوم ثمود، حتى قُطعت قلوبهم **إلا المعاصي**
وتكذيب الرسل.

❀ وما الذي رفع قرى قوم لوط **عليه السلام**، حتى سمعت الملائكة نباح كلابها، ثم
قُلبت فجعل عاليها سافلها، ثم أمطرت الحجارة، **إلا المعاصي** والشهوات.
❀ وما الذي أرسل على قوم مدين سحاب العذاب، فأمطر على رؤوسهم نارًا
تلظى **إلا المعاصي**.

❀ وما الذي أغرق قوم فرعون في البحر، ونقل أرواحهم إلى جهنم، فلا أجساد
للغرق والأرواح للحرق **إلا المعاصي**.
❀ قال مسعر بن كدام.

تفنى اللذذة ممن نال لذتها من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

[حلية الأولياء ٧/ ٢٢١]

٤- أن تتعلم كيف تغلب هواك؟

- ❀ إذا لم تطاوعك نفسك على فعل الطاعة وترك المعصية.
- ١- فذكرها بالله، ووجهه الكريم والشوق إليه، وأن المعاصي تقطع الطريق إليه،
وتحجب رضوانه..... فإن أبت عليك.
 - ٢- فذكرها بالجنة ونعيمها وحورها وقصورها، فإنك لا تبلغ ذلك إلا بالطاعة
والبعد عن المعاصي..... فإن أبت عليك.
 - ٣- فخوفها من النار والزقوم والغسلين والعقارب والثعابين، وأنها مستقر كل لئيم.
فإن أبت عليك.
 - ٤- فذكرها بأخلاق الرجال، وأن المعاصي تخدش المروءة، ولا يأتيها إلا أراذل الناس.
فإن أبت عليك.
 - ٥- فذكرها بالفضيحة بين الناس في الدنيا ويوم العرض في الآخرة.
فإن أبت عليك...
- فاعلم أنك انقلبت في هذه الساعة إلى شيطان لا إنسان...
وأن فعالك هذا لا يصلح إلا للجحيم والنيران...

عاشراً: فضل التقوى

١- الله تعالى يحب المتقين:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤ / التوبة: ٧]
وقال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]

٢- أهل التقوى هم أولياء الله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُنْفُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]
وقال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]
فبين سبحانه أنه لا يستحق ولايته إلا أهل تقواه.

٣- أهل التقوى هم أكرم الناس:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]
﴿سئل رسول الله ﷺ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قال: «أَتْقَاهُمْ»﴾ [صحيح البخاري ٣٣٥٣، ومسلم ٢٣٧٨]
جعل الله التقوى هي ميزان التفاضل بين الناس، لا ميزان النسب والمال والجاه.
﴿قال الشنقيطي: «فأكرم الناس وأفضلهم أتقاهم لله، ولا كرم ولا فضل
لغير المتقي ولو كان رفيع النسب.»﴾ [أضواء البيان ٤١٨/٧]

٤- أهل التقوى هم أعقل الناس:

﴿قال الله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾﴾ [البقرة: ١٩٧]
﴿قال الزمخشري: « وخافوا عقابي يا أولي الألباب.....، ومن لم يتقه من الألباء
فكانه لا لب له »﴾. [الكشاف ٢٤٤ / ١]

٥- التقوى هي أفضل زاد:

قال الله تعالى: ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]
فإن التقوى خير الزاد للدنيا والآخرة، وهي البعد عن القبائح وفعل النصائح.

٦- التقوى أزين لباس:

قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]

- لباس التقوى هو **الحياء والخشوع** والعمل الصالح، فالتقوى هي طاعة الله، وهي أفضل لباس يستر عورات الظاهر والباطن، وهل هناك ستر أفضل من الطاعات؟!

❀ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لباس التقوى هو العمل الصالح، وهو **السمت الحسن في**

الوجه، وهو نور الطاعة يظهر أثرها في وجه صاحبها». [رواه الطبري في تفسيره ١٠/١٢٦]

❀ ومن ادعى أن أفضل اللباس الخشن، فمجتهد مخطئ؛ لأن الإمام مالك رحمته الله وغيره من أئمة العلماء كانوا يلبسون أفضل الثياب في مجلس التحديث عن رسول الله صلوات الله عليه تعظيماً للعلم ولرسول الله صلوات الله عليه الذي يحدثون عنه، وكانت التقوى في قلوبهم أمثال الجبال.

٧- التقوى سبب السعادة في الدنيا والآخرة:

❀ قال ابن رجب: «أَمَّا التَّقْوَى، فَهِيَ كَافِلَةٌ بِسَعَادَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِمَنْ تَمَسَّكَ

بِهَا». [جامع العلوم والحكم ٢/١١٧]

٨- التفاضل في ثواب الأعمال أساسه التقوى.

❀ والارتقاء في درجات الجنة بحسب التقوى .

٩- التقوى تؤدي إلى تعظيم الشرع.

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعِظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]

١٠- الله تعالى قرن التقوى بالعضو:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧]

١١- الله تعالى قرن التقوى بالشكر:

قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]

١٢- الله تعالى قرن التقوى بالصبر:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]

١٣. الله تعالى قرن التقوى بالتوكل؛

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١]

١٤. الله تعالى قرن التقوى بالخشية؛

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]

حادي عشر: جزاء التقوى

١. معية الله للمتقين؛

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤ / التوبة: ٣٦ / التوبة: ١٢٣]

٢- قرب المتقين من الله تعالى؛

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥]

٣- ولاية الله للمتقين؛

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]

٤- قبول أعمال المتقين؛

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]

٥- الله تعالى يضاعف رحمته للمتقين ويغفر لهم؛

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]

٦- الله تعالى يجعل للمتقين فرقا يفرقون به بين الحق والباطل؛

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأففال: ٢٩]
وقال الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]

٧- الله تعالى يرزق المتقين العلم النافع

من عمل بما علم رزقه الله علم ما لم يعلم.
قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

٨- الله تعالى ييسر أمور المتقين:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]

٩- الله تعالى يرزق المتقين:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]

١٠- الله تعالى يبشر المتقين:

قال الله تعالى: ﴿لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ [مريم: ٩٧]

١١- إكرام الله للمتقين يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]

١٢- الله تعالى يدخل المتقين الجنة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [الطور: ١٧]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥ / الحجر: ٤٥]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]

وقال الله تعالى: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ

كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣١]

ثاني عشر: واعلم أن الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما تجلبه الشهوة من مصائب

١- الصبر عن إتيان الشهوة أسهل مما تجلبه الشهوة من النقم

١- الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ألم العقوبة عليها في الدنيا،
وعقوبة الله عليها في الآخرة.

٢- الصبر عن الشهوة أسهل من تضييع درجات الجنة، فإن الوقت اضائع في ارتكاب المعاصي كان يمكن أن تكتسب فيه حسنات ترتقي بها في الجنة.

٣- الصبر عن الشهوة أسهل من ضياع المال لتحصيل الشهوة، والعيال أولى به، وإنفاقه في سبيل الله أولى للعبد.

٤- الصبر عن الشهوة أسهل من تضييع الصحة والوقوع في الأمراض المزرية، والتي يعقبها إما سوء الخاتمة أو حياة مهينة بسبب المرض المشين.

٥- الصبر عن الشهوة أسهل من الاكتئاب والوحشة والظلمة في القلب الناتجة عن الذنب، والتي تنتهي إما بالانتحار أو الهزال، وعدم القدرة على اكتساب منافع الدنيا أو الآخرة.

٦- الصبر عن الشهوة أسهل من تنجيس العرض بالتهمة والجنايات المقترنة بفعل الشهوات.

٧- الصبر عن الشهوة أسهل من انحطاط القدر بين الناس والمساواة مع الأراذل والرعاع.

٨- الصبر عن الشهوة أسهل من سلب النعم التي أنت فيها، فإن المعاصي تذهبها منك إلى قوم آخرين هم لها حافظون.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]

٢- المؤمن لا يستلذ بالمعصية؛

المؤمن لا يستلذ بالمعصية؛ لأنه ينغص عليه التلذذ بها:

١ - علمه بتحريمها.

٢- خوفه من العقوبة المترتبة عليه.

٣- شعوره بمراقبة الله له.

٤- سقوطه من عين نفسه وانحطاط قدره المترتب على المعصية.

- فلا يستلذ بالمعصية إلا دائم الغفلة، أو المعرض عن قبول أمر ربه وشرعه، أو المنافق

الذي حبط علمه، وهو الذي أظهر للناس بره، وإذا خلا بنفسه، انتهك حرمت ربه.

- وإنما الشهوة لحظتها، سرعان ما تمضي، ويعقبها خزي دائم، وندم متلازم، وبكاء

متواصل، وأسف على ضياع حسناتٍ أضعاف أضعاف السيئات، وحسرة على ضياع الأوقات في غير الطاعات.

٣- المعصية تؤلم المؤمن بما لا تؤلم غيره:

- فتخيل رجلاً لم يشرب الخمر أبداً، إذا شرب كأساً واحداً، ما يفعل به ذلك

الكأس؟ إنه يقلب رأسه، بل يقلب حياته، بل يضعه على حافة الهاوية، إن لم يكن قد سقط فيها بالفعل.

- وتخيل آخر مدمن خمر، شرب مائة كأس، ثم شرب الكأس رقم مائة وواحد، ما

يفعل به ذلك الكأس؟!

إنه لا يكاد يشعر أنه شرب شيئاً، ولا يجد فرقاً كبيراً بين كأس الخمر وكأس الماء،

فهذا كالمنافق لا يشعر بألم المعصية، ولا يشعر أنه فعلها.

❁ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ

أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ: بِهِ هَكَذَا»، قَالَ أَبُو

شَهَابٍ أَحَدُ رَوَاهُ الْحَدِيثُ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ. [صحيح البخاري ٦٣٠٨]

ثالث عشر: الهوى ضد التقوى

✽ فالناس فريقان لا ثالث لهما: إما متبعون لرسولهم ﷺ، أو متبعون لهوهم.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]

١- متبع الهوى من أضل الناس، ومن الظالمين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]

٢- والهوى يُضل عن سبيل الله.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]

٣- وأما من غلب هواه فإن جنة الفردوس مأواه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١]

وقال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: ٤٦]

هو العبد يهوى المعصية، فيذكر مقام وجلال ربه العظيم، ويذكر هول مقامه بين يديه في الآخرة للحساب، فيترك المعصية لله.

٧- الصبر

بحث الصبر يتضمن :

أولاً: ما هو الصبر؟

ثانياً: الصبر هو مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى.

ثالثاً: أهمية الصبر.

رابعاً: تفاوت الناس في الصبر.

خامساً: الأسباب المعينة على الصبر.

سادساً: فضل الصبر وثمرته.

سابعاً: شروط الصبر التي توصل لأعلى درجاته.

ثامناً: علامة صدق الصبر.

تاسعاً: آداب الصبر على المصائب.

عاشراً: جزاء الصبر والرضا.

حادي عشر: الصبر ثلاثة أنواع.

ثاني عشر: ميزان الاعتدال في التفضيل بين الصبر والشكر.

ثالث عشر: أنواع الابتلاء والفرق بين ابتلاء رفع الدرجات وابتلاء العقوبة.

رابع عشر: فوائد البلاء.

أولاً: ما هو الصبر؟

❁ الصبر هو حمل النفس على ما تكره ابتغاء وجه الله.
والصبر هو حبس النفس عن الجزع والتسخط والشكوى.
قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [البقرة: ٢٥٠]

ثانياً: الصبر هو مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى

الصبر هو مقتضى الإيمان بأسمائه تعالى الصبور والحليم.
- فليس أحد أصبر من الله تعالى، فالكفار ينسبون إليه الولد، وهو يرزقهم ويعافيهم.
❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ». [صحيح البخاري ٧٣٧٨ ومسلم ٢٨٠٤]
- وهو تعالى لا يريد أن يعاجل عباده بالعقوبة، بل يمهلهم؛ ليتوبوا.
- وهذا هو حلمه على أوليائه، أما صبره على أعدائه، فإنهم يؤذونه، فيملي لهم، وينعم عليهم، حتى إذا أخذهم لم يفلتهم، ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر.
- والله تعالى يحب أسماءه وصفاته، ويجب من يتصف بما أمر بالاتصاف به مما يوافق بعض صفاته؛ لأنه يحب الصفة وفاعلها.
قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]

ثالثًا: أهمية الصبر

١- الصبر نصف الإيمان:

❁ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ».

[صحيح رواه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٠٤ / ٨٥٤٤ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٣٣٩٧]

❁ والله تعالى ذكر الصبر في تسعين موضعًا من كتابه؛ لذلك كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

٢- فقدان الصبر يسبب سخط الله تعالى:

❁ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ».

[حسن: رواه الترمذي ٢٣٩٦ وابن ماجه ٤٠٣١ وحسنه الألباني في الصحيحة ١٤٦]

رابعًا: تفاوت الناس في الصبر

- الناس عند المصائب متفاوتون، فمنهم من يرضى، فله الرضى، ومنهم من يتسخط، فله السخط.

- والرضا والتسخط عمل قلبي.

❁ **ورضا القلب لا ينافي عمل الجوارح بالسعي لرد البلاء ودفعه .**

- والرضا بالمرض لا ينافي التداوي؛ لأنه عمل الجوارح.

- والرضا بالفقر لا ينافي السعي في طلب الرزق.

❁ **فعمل القلب : التسليم، وعمل الجوارح: دفع ما يمكن من البلاء.**

- ودفع البلاء ليس من التسخط، إنما هو من الأخذ بالأسباب المشروعة، وهو من

عمل الجوارح المباح، بل المندوب، والتسخط من عمل القلب المذموم.

١- الرضا

✽ الرضا بقضاء الله أعظم من الصبر ودليل صدقه.

١- ما هو الرضا؟

الرضا هو: ترك اختيار العبد لنفسه والتسليم لاختيار الله وقضائه له، فلا يجد ألماً لمصيبته، ولا يتمنى زوالها، ولا أنها لم تقع.

✽ وإنما يوجد الرضا عند كمال التفويض لله.

- وانشغال القلب عن ألم المصيبة بما فيها من أنواع اللطف والرحمة.

- وما يرى فيها من حكمة الله، التي توجب استسلامه لها.

- وما يرى من حسن العاقبة بثواب الله في الآخرة.

✽ ورضا القلب لا ينافي عمل الجوارح بدفع قدر المصيبة بقدر العافية، ولا ينافي

دعاء الله تعالى بكشف الكربات وزوالها؛ كما كان يدعو النبي ﷺ ويفعل.

✽ كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب ويقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ». [صحيح البخاري ٦٣٤٥، ومسلم ٢٧٣٠]

✽ كما أن الصبر لا يتنافى مع تمني زوال المصيبة وما تسببه من ألم.

٢- كيفية الوصول إلى الرضا؟

١- أن يسلم العبد أمره إلى الله بكمال التفويض له.

٢- ويحسن الظن بالله تعالى في قضائه.

٣- ويرغب في ثواب الله تعالى وحسن عاقبته.

٣- الرضا هو كمال التفويض لله:

١- من آمن باسم الله الحكيم أيقن أن قضاءه تم بحكمته البالغة، وأن كل قضائه خير لعبده، فرضي به.

٢- وإذا صدق حب العبد لربه، أحب فعله، ورضي عنه، بل كان اختيار الله له من البلاء أحب إلى نفسه من اختياره لنفسه من العافية، وأيقن أن اختيار الله له هو الخير.

✽ فقد كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة، وكان مستجاب

الدعوة وكان يدعو لغيره من المسلمين، فرفع الله عنهم البلاء، فلما أصيب بالعمى في آخر عمره، لم يطلب لنفسه رد البصر، فلما كلمه أصحابه في ذلك، قال لهم : قضاء الله أحب إلى من بصري . [جامع العلوم والحكم ٢ / ٣٥٤]

- لكن لا يصل إلى هذا المقام إلا من كان حاله كحال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

٤- الرضا هو اليقين بأن البلاء وقع بعلم الله السابق؛

فالرضا يهون ألم البلاء، ويحوّله إلى لذة؛ **لعلم العبد أن الله هو الذي قدّر هذا البلاء عليه**، وكتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقه ، بل قبل أن يخلق السماوات والأرض، والله تعالى هو الذي خلق البلاء وشاءه.

- فلذة عبادة الرضا بقضاء الله وما يجده العبد من حلاوة الإيمان الناتجة عنها تفوق ألم البلاء.

٥- الرضا هو اليقين بوعد الله الصادق بالفرج في الدنيا.

قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥ - ٦]

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]

وقال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥]

- واليقين بحسن عاقبة الصبر وثوابه في الآخرة، هو الذي يبلغ بالعبد مرتبة الرضا.

٦- الدعاء والطلب من الله أن يكشف البلاء لا ينافي الرضا؛

✽ يجوز للعبد أن يسأل الله زوال البلاء، الذي يمنعه من فعل الطاعات.

- فيجوز للعبد أن يسأل الله زوال المرض، الذي يقعه عن الصلاة وشهود الجمع والجماعات.

- ويجوز له يسأل الله زوال الفقر، الذي يمنعه من حج بيت الله الحرام وإخراج الصدقات.

✽ ويجوز للعبد أن يسأل الله الجاه، ليستعمله في هداية الناس؛ لأن الناس يقتدون

بأهل المناصب في صلاحهم وفسادهم.

- وقد كان بعض الصحابة رضي الله عنهم يسأل الله المال؛ لأجل أن ينفقه في سبيل الله، وكانوا

يقولون لرسول الله صلّى الله عليه وآله : « ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ » [صحيح البخاري ٨٤٣ ومسلم ٥٩٥]

- يعني ذهب أهل الأموال والصدقات بثواب الله.

- فكانوا يريدون المال للنفقة، لا لحظ النفس منه، وكانوا يتمنون هذا الفضل رغم علمهم أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسائة عام، فإن أصحاب القناطر المنظرة يحاسبون على كل ذرة فيها، وإن أول الناس دخولا للجنة فقراء المهاجرين.

❀ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْقُونَ الْأَغْنِيَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا». [صحيح مسلم ٢٩٧٩]

❀ وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَدْخُلُونَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ». [حسن: رواه الترمذي ٥٦٣/٤ وابن ماجه ٤٢٢٨، وصححه الألباني في المشكاة ٥٢٨٧/١٤٥٣/٣]

❀ وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ. وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ. وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَحْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ. وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا، وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا، لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ.»

[صحيح: رواه الترمذي ٢٣٢٥ وابن ماجه ٤٢٢٨ وأحمد ٤/٢٣١ وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٦ وفي صحيح الترمذي ٢٢٤٧]

- وفي الحديث أن ثاني أفضل صنف من الناس من يقول: لو أن لي مالا، لعملت فيه مثل فلان من الطاعة.

- ومثلهم الذين قعدت بهم النفقة، وحبسهم العذر عن الجهاد مع رسول الله ﷺ، فتخلفوا في المدينة؛ لكنهم كانوا يتمنون الجهاد مع رسول الله ﷺ، فأثبت الله لهم أجر الجهاد كاملاً.

❀ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاْدِيًا، إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ». [صحيح مسلم ١٩١١]

❀ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاْدِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ». [صحيح البخاري ٤٤٢٣ ومسلم ١٩١١]

شكر الله على قضاءه

✽ وأعلى من الرضا شكر الله على قضاء المصيبة؛ لما يرى فيها من الأجر، وحسن العاقبة، وفضل الرضا بالقضاء؛ ولأنه أصبح يجب اختيار الله له أكثر من اختياره هو لنفسه.

✽ وشكر الله على قضاءه هو الثناء عليه تعالى بفعله.

- والثقة بحكمته تعالى في تدبير أمر عبده.

- والتفويض له تعالى في إصلاح شأنه.

- واليقين في حسن عاقبته وثبوت أجره.

✽ وإن الشكر لله على قضاءه فهو أعلى مراتب الدين .

✽ قال رسول الله ﷺ : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا » . [صحيح البخاري ١١٣٠، ومسلم ٢٨١٩]

- ولا يصل إلى هذه المرتبة العالية إلا أقل القليل.

قال الله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]

٢. التسخط عكس الرضا

✽ أما من سخط على المصيبة فجزاؤه سخط الله عليه، عياذا بالله من الخذلان!

- فبعض الناس يتمنى الموت عند وقوع البلاء، ويظن أن فيه الراحة، ولكنه ما تمنى الموت، إلا لقلة صبره، ولو مات على ذلك الحال، ما كان في الموت راحة؛ لأنه إن مات على ذلك، لم يمت على الإيمان الكامل؛ لنقص صبره، فقد يعذب على ذلك، ولا ينعم، فلا يكون في الموت راحة له، بل عذاب.

✽ قال رسول الله ﷺ : « فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ ».

[حسن : رواه الترمذي ٢٣٩٦ وابن ماجه ٤٠٣١ وحسنه الألباني في الصحيحة ١٤٦]

✽ وبعض الناس يعدد الأشياء التي حرم منها، وكان أولى به أن يعدد

نعم الله عليه.

- وبعض الناس يقول : لو أخذ الله مني كذا لكان أهون، فهو يتسخط قدر الله،

ويريد أن يعدل على الله، ويراجعه في قضاءه.

- وهذا ينقض الركن السادس من الإيمان، وهو الإيمان بالقدر خيره وشره.

- ومن تسخط القدر، لم يكتمل إيمانه الواجب.

قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]

يعني: ومن يؤمن بالقدر، يطمئن قلبه ويهتدي.

✽ وليس من التسخط قول مريم عليها السلام: ﴿يَلْتَنِي مِثْقَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا

مَنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضَرِّ أَصَابِهِ ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةَ خَيْرًا

لي». [صحيح البخاري ٥٦٧١ و٦٣٥١، ومسلم ٢٦٨٠]

- فالنبي صلى الله عليه وسلم يطلب من ربه تعالى أن يقضي له الخير في كل حال.

- والنبي صلى الله عليه وسلم يقر في حديثه بالعلم التام لله تعالى، ويقر بعجز نفسه صلى الله عليه وسلم عن العلم

التام وعن ما يتبعه من الاختيار الصحيح الخالي من أي خطأ.

- بل تمنى الموت عند الفتنة جائز إذا غلب على ظن الإنسان أنه لا يتحملها، فيفضل

أن ينتقل إلى ربه تعالى غير مفتون.

- فريم قد علمت أن قومها لن يصدقوها إذا جاءتهم بمولود وهي غير متزوجة،

لن يصدقوا أنها طاهرة، وأن هذا من خلق الله تعالى، بل سيرمونها بالزنى بعد أن

كانت توصف بأنها عابدة ناسكة، فتمنت أنها لم تخلق، ولم تك شيئاً، ولم يذكرها الناس.

والناس في الصبر على مراتب

١- مرتبة الاستسلام لقضاء الله مع كراهة النفس.

٢- مرتبة الرضا بقضاء الله، وهو القبول وعدم كراهيته.

٣- مرتبة الشكر لله على البلاء؛ لما يرى فيه من الثواب وحسن العاقبة وتكفير السيئات.

٤- مرتبة الفرح بالبلاء، وهذه المرتبة حصلت لبعض التابعين، ولم تحصل للصحابة

عليهم السلام، الذين كان حالهم أكمل.

٥- مرتبة شهود القدر، والانكسار لمشية الله الغالبة، ورؤية الله فاعلاً وأمرًا وحاكماً وقاضياً.

- وعدم رؤية المخلوقين المسخرين، وإن كان يجب عليه رد المعتدين، وكف أذى

المؤذنين، ولكن هذا فعل الجوارح المباین لفعل القلب.

✽ وما يتحصل للعبد في هذه المرتبة من الإيمان أعظم مما يتحصل عليه من الرضا

والشكر، وإن كان ثوابها عظيماً.

خامساً: الأسباب المعينة على الصبر

١- الاستعانة بالله على الصبر:

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]
- لا بد في الصبر من الاستعانة بالله تعالى، فمن لم يصبره الله، فلن يصبر، فإنك لن تحقق الصبر، إلا بمعونة الله، وإنك لن تعبده، إلا بمعونته.
قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة]

٢. العلم بأن الأنبياء ﷺ سبقوه إلى الصبر:

فالله تعالى جعل أنبياءه ﷺ من الصابرين.
قال الله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]

٣- لا بد أن يتكاف الإنسان الصبر ويحتسب فيه:

✽ قال رسول الله ﷺ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ.» [صحيح البخاري ١٤٦٩ ومسلم ١٠٥٣]
- فلا بد أن تأمر نفسك بالصبر، فإن واثقت طواعية، وإلا فأكرهها عليه، فنفسك غالباً ما تميل إلى الجزع، وقلة الصبر، وحب الشكوى إلى الخلق.

٤- اليقين بحكمة الله البالغة في تقدير البلاء:

وهو اليقين بأن الله تعالى لم يقدر البلاء، إلا ليرفع المؤمن في الآخرة، ويخلفه خيراً مما أخذ منه في الدنيا.
- وهو تعالى ما شرع أوامره، إلا لأن فيها صلاح العبد العاجل والآجل.
- وهو تعالى لم ينه عن نواهيه إلا لما فيها من فساد الدنيا والدين ومضرة العبد في الدارين.
✽ قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ، شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ.» [صحيح مسلم ٢٩٩٩]

٥- اليقين بعلم الله السابق لما وقع للعبد من القدر:

١- فهو تعالى خلق الإنسان، ويعلم ما يصلحه.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]

- ٢- والله تعالى يعلم ما يصلح عبده من البلاء أو الرخاء، ويعلم ما يصلحه من الغنى أو الفقر، ويعلم ما يصلحه من الصحة أو المرض.
- ٣- وهو تعالى قدر له ما يصلحه في التقدير الكوني بعلمه السابق.
- وهو تعالى يعلم ما يصلحه من التكاليف الشرعية؛ فأمره بها.
- ويعلم ما يفسده من اتباع الهوى؛ فنهاه عنه.
- ٤- اليقين بعلم الله السابق بالبلاء هو اليقين بأن الله هو الذي قدر البلاء على عبده ثم كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق العبد بخمسين ألف سنة، وقبل أن يخلق البلاء.
- والعلم بأن الله تعالى أرحم بالعبد من أمه، ومع ذلك قدر البلاء.
- هذا العلم من أعظم الأسباب المعينة على الصبر وعلى تحمل البلاء.

٦- اليقين بحسن عاقبة البلاء في الدنيا والآخرة؛

قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُنْقِيبِ﴾ [هود: ٤٩]

✽ قال ابن القيم: من تلمح حلاوة العافية هان عليه مرارة الصبر. [الفوائد لابن القيم ٥٠/١]

- ١- اليقين أن عاقبة الصبر هي الجنة يخفف ألم البلاء.
- ٢- واليقين أن الصبر على البلاء يمحو الخطايا يخفف ألم البلاء.
- ٣- واليقين أن بعض البلاء هو تعجيل للعقوبة في الدنيا حتى لا يعاقب بها العبد في الآخرة، يخفف ألم البلاء.

٤- اليقين أن البلاء تعقبه عافية يخفف البلاء.

✽ قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ حَتَّى

يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ». [صحيح رواه الترمذي ٢٤٠١ واحمد ٤٥٠/٢ وصححه الألباني في الصحيحة ٢٢٨٠]

✽ وقال رسول الله ﷺ: «فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكُهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ

مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ». [صحيح: رواه الترمذي ٢٣٩٨ وابن ماجه ٤٠٢٣ وأحمد ١٧٢/١ وصححه الألباني في الصحيحة ١٤٣]

✽ وقال رسول الله ﷺ: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ

الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرْصَتٍ فِي الدُّنْيَا بِالمَقَارِضِ».

[حسن: رواه الترمذي ٢٤٠٢ وحسنه الألباني لغيره في الصحيحة ٢٢٠٦]

❁ وقال رسول الله ﷺ: « مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُّهَا ». [صحيح البخاري ٥٦٤٠ ومسلم ٢٥٧٢]

٧- التفويض الكامل لله تعالى عند ملاقاته القدر:

❁ الرضا بقضاء الله وقدره، والرضا باختيار الله للعبد، وعدم التسخط على قدر الله، وعدم الاعتراض عليه، يخفف ألم البلاء ويعين على الصبر.
قال الله عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَأَفْوَضْ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]

وقال الله في الآية بعدها: ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥]

٨- لا يرد القدر إلا الدعاء:

❁ قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي جَسَدِي وَعَافِنِي فِي بَصَرِي وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنِّي».
❁ وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

[حسن، أخرجه أبو داود ٥٠٩٠ والنسائي ٩٨٥٠ وأحمد ٤٢/٥ والبخاري في الأدب المفرد ٧٠١ وحسنه الألباني في تمام المنة ٢٣٢]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا». [حسن رواه الترمذي ٣٥٠٢، والنسائي ١٠٢٣٤، والحاكم ١/٥٢٨/١٩٣٤، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ١٢٦٨، وفي صحيح الكلم الطيب: ٢٢٦]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي». [صحيح، أخرجه أبو داود ٥٠٧٤ وابن ماجه ٣٨٧١ والنسائي ٢٨٢/٨ وأحمد ٢٥/٢ وصححه الألباني لغيره]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ». [صحيح. رواه أحمد ٢٥١٨٠، وابن ماجه ٣٨٤٦، وابن حبان ٨٦٩، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد: ٤٩٨]
❁ وقال رسول الله ﷺ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ بِكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ». [صحيح: رواه أحمد ٢٥١٨٠، وابن ماجه ٣٨٤٦، والبخاري في الأدب المفرد: ٤٩٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٤٠٤٧، وفي الصحيحة: ١٥٤٢]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ

عِبَادِهِ وَمِنْ هَمْزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونَ».

[حسن: أخرجه أبو داود ٣٨٩٣ والترمذي ٣٥٢٨ وأحمد ١٨١/٢ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٧٠١ وصحيح الترغيب ١٦٠١]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ». [صحيح: أخرجه أبو داود ١٥٤٧ وابن ماجه ٣٣٥ والنسائي ٥٤٦٨ وابن حبان ١٠٢٩ وصححه الألباني في

صحيح الجامع: ١٢٨٣، وفي صحيح موارد الظمان: ٢٠٧٠]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ وَمِنْ شَرِّ مَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ». [حسن: أخرجه أحمد ٤١٩/٣ / ١٥٤٩٨ والنسائي ١٠٧٩٢ وابن أبي

شيبه في المصنف ٨/٦١ / ٣٦٥٣ و١٠/٣٦٤ / ٩٦٧١ وحسنه الألباني لغيره في الصحيحة ٢٣٨ وفي صحيح الجامع ٧٤]

سادساً: فضل الصبر وثمرته

١- الله تعالى يحب الصابرين؛

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]

٢- الصبر سبب الفلاح؛

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

فائدة: الله تعالى جعل في الآية أربعة أسباب للفلاح؛

□ الصبر □ المصابرة أمام الأعداء □ المرابطة □ التقوى

الله تعالى أمر المؤمنين أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه لهم وهو الإسلام فلا يدعوه لسراء ولا لضرء ولا لشدة ولا لرخاء حتى يموتوا عليه.

والمرابطة لا تقتصر على معنى حراسة ثغور المسلمين بل لها معان أخرى؛

❁ من أنواع الرباط:

❁ قول رسول الله ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ١- إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، ٢- وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، ٣- وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكَُمُ الرِّبَاطُ.» [صحيح مسلم ٢٥١]

وهذه الأنواع الثلاثة العظيمة من الرباط مردها جميعاً إلى الصبر؛ لأنه لا بلوغ إليها إلا بالصبر.

- وهي إسباغ الوضوء ولو بالماء البارد في الشتاء.

- والمحافظة على الجماعة ولو بعدت المساجد.

- وانتظار الصلوات ولو كان الوقت طويلاً.

❁ فقد بلغنا أن بعض الصالحين كانوا ينتظرون صلاة الجمعة من بعد صلاة الفجر، فيختمون القرآن وهم في مصلاهم، اللهم تقبل عملنا وإياهم!

أما المrapطة بحفظ ثغور الإسلام فجاء فيها:

❁ قال رسول الله ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا».

[صحيح البخاري ٢٨٩٢]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتْنَانِ». [صحيح مسلم ١٩١٣]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُحْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُؤَمِّنُ مِنْ فِتْنَانِ الْقَبْرِ».

[صحيح رواه أبو داود ٢٥٠٠، والترمذي ١٦٢١، وأحمد ٣٩/٣٧٤ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٢٢٥٨]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعُنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغَبَّرَةً قَدَمَاهُ إِنْ كَانَ فِي الْحَرَّاسَةِ كَانَ فِي الْحَرَّاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ». [صحيح البخاري ٢٨٨٧]

٣- الصابر يجعله الله إماماً في الدين:

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]

فبصبرهم أصبح يُقتدى بهم ويُتدى بهديهم، وأصبحوا قادة في الدنيا وأئمة في الدين، **فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.**

❁ فاليقين يقود للصبر وهو المعين عليه، واليقين يقود للتوكل وهو أساسه ومرتكزه.
- فالصابر يصبر لتيقنه بصدق الله في وعده بحسن جزاء الصابر في الجنة، وسوء جزاء المعرض في النار، واليقين بوعده الله بقرب الفرج في الدنيا وقرب النصر وإن كان من المستضعفين.

٤- بالصبر والرضا يزيد الإيمان؛

قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]
هو العبد تصيبه المصيبة، فيرضى بقضاء الله؛ لما يعلم أنها تمت بعلم الله السابق، وسابق تقديره، وسابق كتابته في اللوح المحفوظ.
- واليقين أنها لا بد كانت ستصيبه، ولا مهرب منها، ولا يستطيع منعها هو وأهل الأرض جميعًا.

- فالحمد لله أنها أصابته، فوقع ما لا بد منه أفضل من تأجيله وانتظاره.
- واليقين أنها تمت بحكمة الله البالغة، ولا بد فيها من خير، وإن كان لا يعمل به.
- واليقين أن عاقبة الرضا هي الجنة وما فيها من النعيم.

❁ **كل هذا يزيد إيمان المؤمنين.**

❁ قال ابن القيم : « فلا بد من حصول الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداءً، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداءً، ثم يصير إلى الألم الدائم ». [زاد المعاد ٣ / ١٤]

٥- الصبر أوسع العطاء؛

سمى النبي ﷺ الصبر « خير العطاء » و « أوسع العطاء » .
❁ قال رسول الله ﷺ : « وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » .

[صحيح البخاري ١٤٦٩ ومسلم ١٠٥٣]

يعني عطاء الصبر خيرٌ للعبد وأوسع من إعطائه ما يحب، فمن أعطاه الله عافية وسعة عيش، وأعطى غيره بلاءً، وأعطاه مع البلاء صبرًا، فما أعطاه الله للمبتلى من

الصبر على البلاء أوسع وأفضل مما أعطاه للمعافى، فالصبر أوسع من النعمة؛ لأن ثواب الصبر باق والنعمة زائلة.

❁ والبلاء الذي معه صبر أوسع من النعمة التي ليس معها شكر.

٦- الصبر حظ عظيم:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥] ❁ من أعظم نعم الله، ومن أهمها الصبر؛ فإنه حظ عظيم.

٧- الصبر ضياء:

❁ قال رسول الله ﷺ: «الصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بَرَهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ». [صحيح مسلم ٢٢٣] فهو يضيء قلب المؤمن ونفسه، وهو سبب لانسراح الصدر.

٨- الصبر من أسباب الثبات على الدين:

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] ❁ قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]

٩- الصبر على البلاء تشبه بالأنبياء ﷺ:

❁ أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأشبه بهم، ويبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة، اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه ضعف، ابتلى على قدر دينه.

- والبلاء في حق الأنبياء ﷺ هو في الحقيقة رحمة لهم، كما هو رحمة لجميع المؤمنين. ❁ سئل رسول الله ﷺ: «أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَلَا أَمْثَلُ فَيَبْتَلِي الرَّجُلَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرُحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ حَظِيَّةٌ». [صحيح: رواه الترمذي: ٢٣٩٨ وابن ماجه ٤٠٢٣ وأحمد: ١/١٧٢/١٤٧٣ وصححه الألباني في الصحيحة ١٤٣]

١٠- الصبر شرط التمكين:

❁ سئل الشافعي: أيهما أفضل للمؤمن: أن يمكن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكن حتى

يبتلى. [أورده ابن القيم في الفوائد ٢٠٨ وزاد المعاد ١٤/٣]

سابعاً: شروط الصبر التي توصل لأعلي درجته

يجب أن يكون الصبر مع الله وبالله ولله

١- مع الله يعني: تبعاً لأوامر الله، فيصبر على الطاعات، ويصبر عن محارم الله، ويصبر على المصائب.

٢- وبالله يعني: استعانت به سبحانه، فإنك لن تصبر على طاعته إلا بمعونته.

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]

٣- والله يعني: إخلاصاً له وابتغاءً لوجهه تعالى، ورغبة في ثوابه، لا طلباً لشهرة الدنيا ووجوه الناس ومرآتهم، لا تجلداً، ولا سمعة، ولا مكابرة.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢]

ثامناً: علامة صدق الصبر

قال الله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

١- الصبر نية:

لا بد في الصبر من نية، وإلا فالكفار يصبرون ولا أجر لهم، وذلك لسببين:

أولاً: أنهم غير مؤمنين، فلا يقبل منهم عمل بدون الإيمان.

ثانياً: أنهم لم يبتغوا بصبرهم وجه الله، وإنما يبتغون الدنيا ونصر الديانات الباطلة.

❀ سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلی الله علیه وسلم عن ابن جدعان: كان في الجاهلية يُقْرَى الضيف، ويفك العاني، ويصل الرحم، ويحسن الجوار، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلی الله علیه وسلم: لا يا ابنة الصديق! إنه لم يقل يوماً قط رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين. [صحيح مسلم ٢١٤]

٢- من صور الصبر الباطلة:

- ١ - فالكفار يُصبرون أنفسهم على عبادة آلهتهم الباطلة.
قال الله تعالى: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ آلِهَتِهِمْ﴾ [ص: ٦]
 - ٢ - الشيوعيون يصبرون في حروبهم رغم الألم والجراح ولا ثواب لهم.
 - ٣ - أتباع بوذا يعذبون أنفسهم، ويقولون: تعذيب النفس هو تهذيبها.
 - ٤ - واليوجا ما هي إلا تعذيب النفس بغرض تصفيتها.
 - ٥ - ورهبان النصارى يعذبون أنفسهم، حتى يترقوا في وظائف الكهنوت.
 - ٦ - والصوفيون يعذبون أنفسهم بلبس الخشن والعطش من غير صيام مما لم يأمر به الله، غرضهم تصفية النفس من الإرادات السيئة.
 - ٧ - وبعض المسلمين يتدعون ألماً ليصبروا عليه بما لم يأذن به الله.
- ❁ فإن ثلاثة نفر أتوا إلى النبي ﷺ، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر، ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعترل النساء؛ فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ! إِنِّي لَا أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَاتَّقَاكُمْ لَهُ؛ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي.» [صحيح البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤٠١]
- ❁ و«بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ، نَذَرَ أَنْ يَقُومَ، وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مُرُّهُ فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ، وَلْيَتِمَّ صَوْمُهُ.» [صحيح البخاري ٦٠٧٤]
- ❁ و«رَأَى النَّبِيُّ ﷺ شَيْخًا يَهَادِي بَيْنَ ابْنَيْهِ، قَالَ مَا بَالُ هَذَا؟ قَالُوا نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَنِ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَرْكَبَ.» [صحيح البخاري ١٨٦٥ و ٦٧٠١ ومسلم ١٦٤٢]

تاسعاً: آداب الصبر على المصائب

١. الصبر عند أول المصيبة:

- فمن جَزَع أولاً، ثم إذا رجع إلى رشده، صبر، فلا يسمى صابراً.
❁ «مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ: اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَاتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَائِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى.»

[صحيح البخاري ١٢٨٣ ومسلم ٩٢٦]

٢. الاسترجاع:

- وهو قول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتِي، واخلفني خيراً منها!
❁ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهَا؛ إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَخَلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا» [صحيح مسلم ٩١٨].

❁ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَلَمَّا تُوفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ ﷻ لِي فَقُلْتُهَا: اللَّهُمَّ أَجْرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. [صحيح مسلم ٩١٨]

٣. عدم التشكي للخلق:

فكيف تشكو الكريم للئيم؟! وكيف تشكو الحكيم للسفيه؟! وكيف تشكو القوى للضعيف؟! وكيف تشكو القدير للعاجز؟!

- إن شكوت الخالق للمخلوق، لن يغني عنك المخلوق شيئاً.

- وإن شكوت همك لربك، جبر قلبك، وأخلف سلبك، وأعظم أجرك، ورفع قدرك.

عاشراً: جزاء الصبر والرضا

١- الصبر جزاؤه معية الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣ / الأنفال: ٤٦]

وقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩ / الأنفال: ٦٦]

٢- الصبر جزاؤه البشرى من الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]

٣- جزاء الصبر والرضا في الدنيا هو راحة القلب وزيادة الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]

❀ فما من عبد أصابته مصيبة، فعلم أنها بقدر الله وحكمته البالغة وعلمه السابق، فصبر، واحتسب الأجر عليها عند الله، واستسلم لقضاء الله، ورضي بها، وقال: **إنا لله وإنا إليه راجعون**، إلا عوضه الله عما فاته من الدنيا؛ **هدى في قلبه**، وبقينا صادقاً بحسن عاقبته.

٤- جزاء الصبر صلاة الله على العبد:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ** [البقرة: ١٥٦-١٥٧]

والرضا والشكر بعد الصبر يستوجب **صلاة الله على العبد**، وهي مغفرة ذنوبه، ورفع درجته، ورضا الله عنه، وتنزل رحمته عليه، وكل هذا الفضل لا يتأتى إلا بالمصائب التي يخلقها الله بحكمته البالغة، وهو محمودٌ على تقديرها تعالى.

٥- جزاء الصبر في الآخرة هو العطاء في الجنة بلا حساب:

❀ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]

- يعني: يثابون بغير أن ينصب لهم ميزان.

- ويعني: يثابون بغير عددٍ للحسنات، وبمضاعفات لا يعلمها إلا الله تعالى.

❀ فمن تحمل مشقة التكليف في الدنيا، وصبر عليها، خفف عنه الحساب يوم القيامة.

- ومن استمتع بالدنيا، وهرب من مشقة التكليف، ثقل عليه الحساب يوم القيامة.
- ❁ وإن الصابر حين يصبر لا يعلم متى ينتهي صبره، وصبره لا ينتهي إلا بانتهاء بلائه.
- فكما كان لا يعرف حدًا ينتهي إليه صبره، كذلك يجعل الله ثوابه لا حد له.
- وكما كان يوطن نفسه أن صبره بلا نهاية، كذلك يجعل الله ثوابه بلا نهاية.
- ❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجُزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ».
- [صحيح: رواه الترمذي ٢٣٩٦ وابن ماجه ٤٠٣١، وصححه الألباني في الصحيحة ١٤٦].

- وربما كان الضرج قريباً وهو لا يعرف، فيرزقه الله الله الضرج القريب في الدنيا، ويرزقه الثواب بلا حساب يوم القيامة.

٦- الصابر يجازي بأحسن عمله:

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦]

٧- الصبر على موت الأولاد يُحرم الصابر على النار:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَفَنَ ثَلَاثَةً مِنَ الْوَلَدِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ».

[صحيح رواه الطبراني في الكبير ٢٢/٩٦/٢٣١، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٣٨].

❁ وقال رسول الله ﷺ: «لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَلَيْجَ النَّارِ إِلَّا نَحْلَةً

الْقَسَمِ». [صحيح البخاري ١٢١٥، ومسلم ٢٦٣٤]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُنَّ مِنْ امْرَأَةٍ تَقْدُمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً إِلَّا

كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ، قَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ؟ قَالَ: وَاثْنَيْنِ». [صحيح البخاري ١٠٢، ومسلم ٢٦٣٤]

٨- الصبر على المرض الشديد يكفر كل الخطايا:

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِالسَّقَمِ، حَتَّى يُكَفِّرَ عَنْهُ كُلَّ ذَنْبٍ».

[حسن: رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢/١٣٣/١٥٤٨ والأوسط ٩/٣٤٠/٨٧٤٠، والحاكم في المستدرک ١/٣٤٧، وحسنه الألباني

في الصحيحة ٣٣٩٣].

❁ وقال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا،

فَحَمَدَنِي وَصَبَرَ عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ

الْخَطَايَا، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ لِلْحَفْظَةِ: إِنِّي أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي هَذَا وَابْتَلَيْتُهُ، فَأَجْرُوا

لَهُ مَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْأَجْرِ وَهُوَ صَحِيحٌ». [حسن: رواه أحمد ٤/١٢٣، والطبراني في

المعجم الكبير ٧١٣٦ والأوسط ٩٤٧٠٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩/٣٠٩ وحسنه الألباني في الصحيحة ٢٠٠٩].

حادي عشر: الصبر ثلاثة أنواع

أولاً: الصبر على الطاعة.

ثانياً: الصبر عن المعصية.

ثالثاً: الصبر على البلاء.

أولاً: الصبر على فعل الطاعات، فقد حُفَّت الجنة بالمكاهة:

✽ ينبغي على المسلم أن يقاوم الكسل عن الصلاة، ويقاوم البخل عن الزكاة، ويقاوم الجبن عند الجهاد.

✽ والصبر على الطاعات ينبغي أن يكون مستمراً، لا يقطعه إلا الموت.

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] (واليقين هو الموت)

✽ والصبر على الطاعات جزاؤه المغفرة والجنة.

✽ قال رسول الله ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ.» [حسن: رواه الترمذي ٨١٠ والنسائي ٥/ ١١٥ وأحمد ١/ ٣٨٧ وابن خزيمة ٢٥١٢ وحسنه الألباني في الصحيحة ١٢٠٠]

الذي يصرف الناس عن الطاعة ثلاثة:

□ النفس. □ الشيطان. □ أعداء الدين.

١- فأما النفس:

- فينبغي للعاقل أن يشغل دائماً بالطاعات، فتفسيك إن لم تشغلها بالحق، شغلتك بالباطل، والقلب الفارغ كالكوب الفارغ من الماء أو جزء منه، فلا بد أن يملأه الهواء، والهواء هنا هو الهوى، أو وساوس الشيطان.

٢- وأما الشيطان:

✽ فلو غفلت لحظة عن شغل قلبك بالنيات والأعمال الصالحة، تسرب إليه الشيطان - ولا بد -، وزين له الشهوات، فجعله يسرح بذكره في أودية الملذات.

٣- وأما أعداء الدين:

❁ فإن الكفار يهددون المؤمنين في كل زمان بالسجن والنفي والقتل لأجل إيمانهم وما يستوجبه من الطاعات .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨]

فما زال أعداء الدين في كل زمان ومكان يهددون الدعاة والأنبياء ﷺ .

قال الله تعالى عن فرعون - وهو يهدد موسى ﷺ - : ﴿ قَالَ لَنْ أَتَّخِذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩]

وقال الله تعالى عن قوم سدوم - وهم يهددون نبيهم لوطاً ﷺ - : ﴿ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٧]

وقال الله تعالى عن قوم نوح - وهم يهددون نبيهم نوح ﷺ - : ﴿ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَنْوُحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٦]

❁ لكن المؤمنين وأتباع الرسل في كل زمان يلتزمون بالطاعة، ويصبرون عليها، ولا يلتفتون إلى كل هذا التخذيل والتهديد.

❁ ومن الصبر على الطاعة الصبر على كل تلك الأقدار والابتلاءات المؤلمة من السجن والقتل والنفي، التي ما أصابت المؤمن إلا بسبب طاعته، وهو لن يترك طاعته لله أبداً، بل سيزيده البلاء إيماناً، وسيزيده الإيمان طاعةً وقرباً.

ثانياً: الصبر عن المعاصي، فقد حُفَّت النار بالشهوات؛

- من تذكر حر النار صبر عن دواعي المعصية.

❁ **فإن الصبر ضد الهوى، والهوى هو:** مطالبة النفس بقضاء شهواتها من الحلال أو الحرام.

❁ ومن الصبر عن المعاصي الصبر عن تفكر القلب في وجوه الحيل لنيل الشهوات.

❁ **فإن قيل:** إن الصبر على الطاعات هو فعل العبد ما يستطيعه منها.

- فإن الصبر عن المعاصي هو انتهاء العبد عن كل ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ.

- ولا يقال: إن الصبر عن المعاصي هو الانتهاء عن ما يستطيعه منها.

- فيجب على العبد الانتهاء عن كل المعاصي، وفعل ما يستطيع من الطاعات.

والناس في دفع الهوى على ثلاث مراتب:

١. الذي قهر هواه:

وهم الصديقون المحسنون السابقون المقربون.
قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]
قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]

❁ فمن صبر ظفر.

٢. الذي قهره هواه:

وهم الذين استرقتهم شهواتهم، واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، فخرست تجارتهم، ودامت حسرتهم، واشتدت غفلتهم، وهؤلاء **كالا نعام**، بل هم أضل.
قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]
قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٢١) ❁ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿[الأنفال: ٢١ - ٢٢]﴾
قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]
قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]

٣. الذي قهر هواه مرة، وقهره هواه مرة:

وهؤلاء الذين يجاهدون الهوى فتكون الحرب بينهما سجال.
قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]
❁ «**عسى**» في حق الله واجبة، فما طمّع الغني في شيء إلا وفّاه، ومن أغنى من الله؟

ثالثًا: الصبر على المصائب وعلى أقدار الله المؤلمة:

❁ ومن الأقدار المؤلمة موت الأحبة، والابتلاء بالأمراض، وإصابة الأموال بالجوائح وغيرها من الآفات.

❁ وسبيل الصبر على المصائب أن يعلم العبد أن قضاء الله وقدره تم بحكمة الله البالغة وعلمه التام، وتقديره وخلقه، وهو ألطف شيء بعده، وقضاؤه ملؤه اللطف والرحمة.

- ويعلم أن الله إذا أراد بعبد خيرًا، عَجَّلَ له العقوبة في الدنيا.

- فما دام الليل سينجلي فإن الألم سيزول، والأزمة سوف تمر، والشدة سوف تذهب.

- وإن البلاء ليمحو الخطايا، ويرفع الدرجات؛ كما تمحو النار خبث الحديد والذهب والفضة.

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةُ فِي جَسَدِهِ، وَمَالِهِ، وَوَلَدِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ، وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ.»

[صحيح: رواه أحمد ٧٨٥٩، والترمذي ٢٣٩٩، والبخاري في الأدب المفرد ٤٩٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٨١٥]

❁ ومن الصبر على المصائب، الصبر على أذى المسلمين، وما يصيبه من أذى في عرضه

أو بدنه أو ماله، وترك القصاص منهم، والعفو عند المقدرة.

❁ قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُحَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُحَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ.»

[صحيح: رواه ابن ماجه ٤٠٣٢ والترمذي ٢٥٠٧، وصححه الألباني لغيره في الصحيحة ٩٣٩٠]

❁ قال الحسن البصري: كان الرجل يشاك بالشوكة فيقول: إني لأعلم أنك

بذنب، وما ظلمني ربي عز وجل. [أخرجه الإمام أحمد في الزهد ١٦٢٤]

الصبر على أقدار الله ثلاثة أنواع :

١. صبر القلب:

❁ صبر القلب: هو منعه من الجزع وعدم اليأس من روح الله، أو القنوط من

رحمة الله، ومنعه من الاعتراض على قضاء الله، أو البغض لقدره تعالى.

❁ وصبر القلب هو الرضا بالله مدبراً للعبد في جميع أمره.

٢ - صبر اللسان:

✽ صبر اللسان هو **منعه من التسخط** على قدر الله، ومنعه من الدعاء على النفس بالويل والعذاب، ومنعه من التشكي للناس.

- لأن التشكي إلى الناس كمن يشكو الخالق للمخلوقين، أو يشكو الرحيم للذي لا يرحم، أما **الشكوى إلى الله، فهي لا تنافي الصبر**.

✽ فالشكوى إلى الناس لا تخفف البلاء؛ كما يظنون، بل **تزيد البلاء على الشاكي** وتجعله يشعر بالحسرة بعدما وجد **الشماتة** عند الناس، وعندما **هان** في أعينهم بسبب فقدته الدنيا التي كانوا يعظمونه من أجلها.

✽ أما **الشكوى إلى الله، فإنها من فعل الأنبياء** ﷺ.

قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]

وقال أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]

وقال نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٥-٦]

✽ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة».

[أورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٦٨/٢٨]

٣ - صبر الأعضاء:

✽ صبر الأعضاء هو **عدم لطم الخد وشق الثياب وفعل المحرمات**، أما دمع العين، فلا يملكه الإنسان، ولا يملك دفعه، ولا يدخل في النهي.

✽ فإن النبي صلى الله عليه وسلم بكى عند موت ابنه إبراهيم، وقال: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ

وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ». [صحيح البخاري ١٣٠٣ ومسلم ٢٣١٥]

✽ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ، لَوْلَا أَنَّهُ

وَعْدٌ صَادِقٌ، وَمَوْعُودٌ جَامِعٌ، وَأَنَّ الْآخِرَ تَابِعٌ لِلْأَوَّلِ، لَوَجَدْنَا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَفْضَلَ مِمَّا

وَجَدْنَا، وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ». [حسن رواه ابن ماجه ١٥٨٩ وحسنه الألباني لغيره في الصحيحة ١٧٣٢]

✽ **فضعيف الإيمان** يجزع عند المصيبة، ويفعل المعاصي، ويلطم الخدود؛ ليخفف

من المصيبة، أو يشرب الخمر والمخدرات؛ لينسى المصيبة، وكل هذا باطل؛ فإنه لا يخفف من المصيبة، ولا ينساها.

✽ فأما المؤمن، فإنه لا يفعل ما يُسخط الله عند المصيبة، بل يصبر على قضاء الله، ويرضى به، ويسأل الله العافية، فتصبح هذه الطاعات وهذا الإيمان هو عين العافية.

✽ فأهل المعاصي هم أهل البلاء الحقيقي بما سينالهم من المصائب والعذاب يوم القيامة؛ جزاء إعراضهم عن الطاعة.

والواجب على العبد عند تقدير المصائب:

١- التسليم والصبر.

٢- اليقين بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

✽ قال رسول الله ﷺ: « وَتَعَلَّمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مِتُّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتُ النَّارَ. »

[صحيح: رواه أبو داود ٤٦٩٩ وابن ماجه ٧٧ وأحمد ١٨٢/٥، ١٨٣ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٤٦٩٩]

✽ قال رسول الله ﷺ: « إِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ. » [صحيح: رواه الترمذي ٢٥١٦، وأحمد ٢٩٣/١، والطبراني في المعجم الكبير ١٢٩٨٨، والبيهقي في شعب الإيمان ١٩٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٥١٦]

✽ واليقين هو الإيمان الجازم بعلم الله وبحكمته البالغة.

- وهو الإيمان بعلم الله السابق بهذه المصيبة، والإيمان بأن الله تعالى قدرها عليه قبل خلق السماوات والأرض.

- والإيمان أن ذلك لم يتم إلا بحكمة الله البالغة، فهو لم يخلق شيئاً عبثاً، ولا سُدىً، ولا لعباً، وإنما خلقه لحكمة بالغة.

٣- ثم الرضا بالقضاء

والرضا هو تفويض الأمر إلى الله .

والرضا هو ألا تحدثه نفسه بخلاف ما وقع

والرضا هو عدم الاعتراض على قدر الله.

✽ والرضا سببه يقين العبد أن ما أصابه ناشئ عن اختيار الله له، ويقينه أنه تم بعلم الله وإرادته ومشيئته وخلقته.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]

✽ قال علقمة: هو العبد تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله؛ فيرضى ويسلم.
✽ والرضا هو المقام المستحب.

٤- يحرم على العبد التسخط على قدر الله

- والتسخط جزاؤه غضب الله تعالى وسوء العقاب في الآخرة.
✽ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ.» [حسن: رواه الترمذي ٢٣٩٦ وأبو داود ٤٤٥٦ وحسنه الألباني في الصحيحة ١٤٦]
✽ والتسخط لا يزيد العبد إلا شقاءً في الدنيا، فإنه يُعظم المصيبة في عينيه، فيرى ما فيها من الألم، ولا يرى ما فيها من الرحمة.

✽ والتسخط يزيد من شماتة الناس به، فلا يزيده ذلك إلا ألماً.

٥- الاستئناس بأن الله لم يوقع به ذلك إلا بعد أن أحبه

- والاعتقاد أن الله لم يوقع به البلاء إلا ليرفع درجته، ويزيد حسناته، ويزيد إيمانه، فيدفعه ذلك إلى مزيد من حب الله والرضا بقدره، واليقين أنه تم بعلمه وخلقهِ، وأنه تم وفق حكمة الله البالغة.

٦- شهود حكمة الله وعدله في هذا القضاء

٧- شهود ثواب الله المترتب على الصبر والرضا

وشهود فضل الله في ذلك، والفرح بهذا الأجر الذي يذهب عنه ألم المصيبة.

والصبر على القدر غير الصبر على المقدور

فإن المقادير قد يكون ظاهرها الخير أو الشر.
قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].
- والعبد مأمور بالصبر والرضا على القدر، وليس مأموراً بالرضا بالمقدور.
✽ لأن القدر والتقدير صفة الله تعالى المتضمنة في أسمائه.
- والإيمان والرضا بصفات الله تعالى واجب كالإيمان والرضا بأسمائه تعالى.
- لكن المقدور مخلوق، والمخلوق منه الخير ومنه الشر، والناس تحب الخير وتكره الشر.
ولا حرج في ذلك، فهذا من المحبة والكره الطبيعي والمباح.

❁ فإن كان تقدير الشر في الأشياء الكونية ، كموت الأحبة أو فقد المال أو المرض ، فيجوز للإنسان أن يسعى لدفع قدر الفقر أو المرض بما يستطيع ، وقد يكون ذلك واجباً في بعض الأحيان.

- ويجب على الإنسان الصبر على قضاء الله الكوني وأكمل منه الرضا.
- ويجوز للإنسان أن يحتج بالعجز أمام هذا القدر؛ لأنه من **المصائب**، فيقول: قدر الله وما شاء فعل.

❁ أما إن كان تقدير الشر في الأوامر الشرعية باقتراف المعاصي، فيجب على الإنسان دفع هذا القدر بالتوبة والإكثار من العمل الصالح.
- ويجب عليه بغض المعصية التي فعلها أو يفعلها غيره وهي المقدور وهي مخلوقة.
- ولا يصح الاحتجاج بقدر المعصية؛ لأنه من **المعائب**، فلا يصح للإنسان أن يحتج بالعجز أمام ما قام به من المعاصي.

ثاني عشر: ميزان الاعتدال في التفضيل بين الشكر والصبر

١- أيهما أفضل الغني الشاكر، أم الفقير الصابر؟

✽ على قدر كمال الصبر والشكر يكون التفضيل بين الغني الشاكر، أو الفقير الصابر، فكلاهما يحتاج إلى صبر وشكر.

✽ فالغني لابد له من صبر على نفقة هذا المال في طاعة الله؛ فإن نفسه تثبطه عن الطاعة، وتخيفه من الفقر، ولا بد له من صبر على عدم نفقة هذا المال في نيل الشهوات العاجلة المحرمة، هذا مع ما يلزمه من مقام الشكر على نعمة الله.

✽ والفقير لابد له أن يتذكر نعم الله عليه في الصحة والذرية وانسراح الصدر للإيمان، ولا بد له أن يشكر الله على هذه النعم، هذا مع ما يلزمه من مقام الصبر على بلائه.

٢- النعم تحتاج إلى صبر:

فمن أعطى نعمة المال والصحة، يجب أن يحمد الله عليها؛ فينفق المال في وجوه الصدقات، والجهاد والنسك من الحج والعمرة، ويلزم نفسه بذلك، فإن أبت عليه، أكرهها؛ لأن النفس تميل إلى البخل بالمال، وتجنب عن الجهاد، وتكسل عن الحج والعمرة، فيجب عليه الصبر على هذه الطاعات، الذي هو في الحقيقة شكر النعمة الأولى من المال والصحة.

٣- العبرة ليست بالعطاء أو البلاء إنما العبرة بزيادة الإيمان:

- فمن الناس من أعطاه الله الدنيا، فتفاخر بها، وتكبر وأسرف في الشهوات، فكان العطاء إبعاداً له عن الله.

- ومن الناس من منعه الله الدنيا، فسخط على قضاء الله، وجزع، وترك العبادة، فكان المنع إبعاداً له عن الله.

- ومن الناس من أعطاه الله الدنيا، فشكر وحمد الله عليها، وصرفها في طاعة الله

ومراضيه، فكان **العطاء قرباً له** من الله.

- ومن الناس من **منعه الله الدنيا**، فصبر، ورضي على قضاء الله، وانكسرت نفسه، فأقبل على الطاعة، فكان **المنع قرباً له** من الله.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: ١٥-١٦]

٤- التفاضل ليس بين العطاء والمنع؛

✽ المفاضلة لا تكون بين العطاء والمنع، فهما من قضاء الله، والله تعالى أعلم بأحوال عباده، وهو يقضي لهم ما ينفعهم بحكمته البالغة.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]

فهو تعالى يعلم ما يصلحهم، فبعضهم يصلحه العطاء، وبعضهم يصلحه المنع، كما أن بعضهم يصلحه المرض، وبعضهم تصلحه الصحة.

- فمن الناس من يكون في نفسه قسوة وتجبر، ولا يصلحه إلا انكسار نفسه، وانكساره إنما **يكون بالفقر** وقلة ذات اليد، أو **يكون بالمرض**، وكلاهما يقلل من فرص تحقيق إرادات نفسه الفاسدة.

- ومن الناس من يغلب عليه الإحباط إذا أصابه الفقر والمرض، ولكن عنده من صلاح السريرة ما يمنعه عن الطغيان، فهذا **يصلحه العطاء ووفرة الصحة**، وهما يشجعانه على البذل والعطاء، سواء كان عطاء المال وسخاء النفس به، أو عطاء الجهد وإقامة المشاريع الدعوية الكبرى، التي تغير خريطة العالم وأحداث التاريخ.

- فكم تغيرت الحدود الجغرافية لدول كان قادتها عظاماً، شغلوا أنفسهم بالجهاد والفتوحات ونشر الدين!

وكم غير العلماء من مجريات التاريخ، فحولوا دولهم إلى المنهج الحق؟ فامتلات كتب تاريخ بلادهم بأحداث إقامة الشرائع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهزيمة الأعداء، وكانت قد سبقتها أحداث المجون والسرف وتلاحق الهزائم.

✽ وعليه فالمفاضلة لا تكون بين **العطاء والمنع؛ لأنهما من فعل الرب تبارك وتعالى**.

- إنما المفاضلة على ما يترتب عليهما من **الصبر والشكر؛ لأنه فعل العبد**، وعليه يترتب الثواب والعقاب، والجنة والنار.

٥- الشكر يجب أن يستغرق الحياة كلها:

❁ فأما الشكر، فيجب أن يستغرق حياة المؤمن كلها، والصبر إنما يكون عند المصائب، ولا يستغرق الحياة كلها، إلا ما كان من الصبر على الطاعة أو الصبر عن المعصية.

- فالشكر يجب أن يكون حال المؤمن، بل ينبغي أن يكون مقامه الذي لا ينفك عنه، فهو دائماً يرى نعم ربه عليه، ومنها نعمه الدنيوية بصلاح معيشتة وجريان رزقه، بل يرى ما هو أعظم منها، وهي نعمة الله عليه بالهداية وتوفيقه لها، وتثبته على الطاعة، وهي نعمه الأخروية، وكل هذه النعم تستوجب الشكر.

❁ والشكر نفسه نعمة تستوجب الشكر.

- فينبغي للمؤمن ألا ينفك عن الشكر صباحاً مساءً، في حال الرخاء أو الشدة، وفي حال العسر أو اليسر، وفي حال المنشط أو المكروه.

❁ كما أن الصبر على المصيبة لا ينبغي أن يشغله عن شكر غيرها من متواتر النعم.

- فمن قام بحق المصيبة من الصبر، لا ينبغي له أن يضيع حق النعم من الشكر.

ثالث عشر: الفرق بين ابتلاء رفع الدرجات وابتلاء العقوبة

١ - الأول ابتلاء محبة من الله للعبد، والثاني ابتلاء سخط من الله على العبد.

٢ - الأول يزيد معه الإيمان، والثاني يقل معه الإيمان.

٣ الأول عامته تنزل بالمؤمنين، والثاني عامته تنزل على العصاة والمجرمين.

٤ - الأول يكون معه الصبر والشكر والاحتساب والرضا، والثاني يكون معه

الجزع وعدم التسليم والتسخط وترك الفرائض وفعل المحرمات.

❁ الدليل أن ابتلاء رفع الدرجات يزيد معه إيمان المؤمنين، لما يكون معه من

الرضا والاحتساب.

قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]

❁ الدليل أن ابتلاء العقوبة يقل معه الإيمان هو ما يصيب الفاسق من التسخط

والاعتراض على قدر الله، فيهلك بسبب ذلك، وينقص إيمانه، ويزداد فسوقه.

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرِبُ الْخُمْرَ

حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً يَرْفَعُ

النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارُهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ». [صحيح البخاري رقم ٢٤٧٥ ومسلم ٥٧]

رابع عشر: فوائد البلاء

❁ إن الله تعالى قَدَّرَ وجود البلاء في حياة عباده المؤمنين، ليرى منهم ما يجب من الصبر والتوكل والإنابة، التي لن يفعلوها لولا البلاء، والله جعل هذه العبادات من أسباب رفعتهم في الجنة، لذلك أمرهم أن يستعينوا على البلاء بالصبر.

❁ إن في المصائب فوائد ، منها:

١ . المصائب تكفر الذنوب.

❁ قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا، حَتَّى الشُّوْكَهُ يُشَاكَّهَا » . [صحيح البخاري ٥٦٤٠ ومسلم ٢٥٧٢]

٢ . المصائب تعجل لعقوبة المعاصي في الدنيا.

فلا يؤاخذ العبد بها في الآخرة، فيلقى الله، وليس عليه ذنب.

❁ قال رسول الله ﷺ : « لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ » [صحيح رواه الترمذي ٢٤٠١ واحمد ٢/٤٥٠ وصححه الألباني في الصحيحة ٢٢٨٠] .

❁ قال رسول الله ﷺ : « فَمَا يَبْرُحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » [صحيح : رواه الترمذي ٢٣٩٨ وابن ماجه ٤٠٢٣ وأحمد: ١/١٧٢ / ٤٧٣ وصححه الألباني في الصحيحة ١٤٤٣] .

٣ . المصائب تذكّر العبد بالتوبة والاستغفار.

فإن تاب واستغفر، أبدل الله ذنبه بحسنات كثيرة.

قال الله تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ [الفرقان: ٧٠]

٤ . المصائب تكسر قلب المؤمن.

- وانكسار القلب يقتضي الإنابة إلى الله، والذل له، والافتقار بين يديه.

فتدفعه رؤية نقصه وعجزه إلى ترك التكبر والعجب بالنفس.

- فإن أتبع السيئة الحسنة، تجده لا ينسب تحصيل المنافع إلى نفسه، بل إلى فضل الله ورحمته، وذلك من أجل العبادات.

❁ فإن المرض يحصل به ذل العبد لربه ودعاؤه وتوبته وتكفير خطاياها، ويرق به

قلبه، ويذهب عنه الكبرياء والعدوان، ولكن الصحة لا تحصل بها هذه المصالح غالباً، إلا من رحم الله.

٥- حسن الظن بالله في قضائه.

وهو من أعظم الفوائد.

❁ لذلك كان الصبر من نعم الله على العبد.

❁ وإن عظم الجزاء مع عظم البلاء، إذا صبر واحتسب.

❁ فإن كان البلاء بهذا المعنى، فهو عين العافية، وكانت المنحة في ثنايا المحنة.

❁ فإن الله تعالى لم يبتل عبده المؤمن، إلا لكي يجبره، وما أنقص بعض ما في يده إلا لكي يزيده، مع ما سيخلفه عليه في الدنيا؛ عوضاً عن البلاء، وما سينعم عليه في الآخرة جزاءً على الصبر على البلاء.

٦- البلاء دليل حب الله للعبد:

❁ قال رسول الله ﷺ: « وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ. »

[صحيح: رواه الترمذي ٢٣٩٦ وابن ماجه ٤٠٣١ وصححه الألباني في الصحيحة ١٤٦]

٧- المصائب تجعل قلب المؤمن يتعلق بالله ويرجو ثواب الآخرة:

❁ واعلم أن الدنيا كدرها لا يصفو، ولذتها لا تدوم، وهي تتقلب بأهلها من بلاء إلى بلاء، فغنيها فقير، وصحيحها سقيم، وقويها ضعيف، ومليكها مملوك، إن أسعدت يوماً، أتعتت أياماً، فأنفض يدك منها، واطلب سعادة لا تنقطع، وغنى لا يفتقر، وصحة لا تنقضي، وقوة لا تنتهي، وملكاً لا يزول، واطلب نعيماً لا كدر فيه، ولذة لا تنتهي، في جنات ونهر، ومقعد صدق عند مليك مقتدر.

الابتلاء بالسراء والنعم

❁ قال عبد الرحمن بن عوف رحمته الله: « ابْتَلَيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه بِالضَّرَّاءِ فَصَبَرْنَا ، ثُمَّ ابْتَلَيْنَا بِالسَّرَّاءِ بَعْدَهُ فَلَمْ نَصْبِرْ » . [صحيح : رواه الترمذي ٢٤٦٤ وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٤٦٤]

❁ وقد يكون البلاء بالعطاء أكبر من البلاء بالحرمان.

قال الله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوْلَكُمُ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال : ٢٨]

فالأموال والأولاد وجودهم فتنة، وحرمانهم فتنة من نوع آخر .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ٥٥]

❁ فالصحة عافية من وجه، وبلاء من عدة أوجه؛ لأن كثيراً من الناس يستعملها في معصية الله؛ فيتبع الشهوات، ويظلم الخلق، فمن استعمل نعم الله في معاصيه، كانت العافية بلاءً عليه.

❁ أما المؤمن، فالعطاء خير له، والمنع خير له.

❁ قال رسول الله صلوات الله عليه : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ. » [صحيح مسلم ٢٩٩٩]

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

❁ قال رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ». [صحيح مسلم ٢٩٥٦]

❁ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر أيًا ما كان المؤمن وأيًا ما كان الكافر.

❁ فقد مر يومًا موكب القاضي الحافظ ابن حجر العسقلاني أمير المؤمنين في الحديث، وهو في أبهة ونعمة، المقصد منها تعظيم شريعة الله، وإظهار أن من يحكم بالشرع ينفذ حكمه حتى على الخليفة وأكابر الدولة.

مر ذلك الموكب على يهودي فقير شحاذ، قد ساءت حاله، فاستوقفه وسأله اليهودي، فقال: إن كانت الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فأني سجن أنت فيه؟ وأي جنة أنا فيها؟

- فرد عليه الإمام: **ما أنا فيه سجن** بالنسبة لما أعدّه الله للمؤمنين في الجنة من النعيم. **وما أنت فيه نعيم** بالنسبة لما ستلاقيه في النار من العذاب الأليم، فكأنك الآن في جنة، فأسلم اليهودي. [أورده المناوي في فيض القدير ٥٤٦/٣]

- فالدنيا سجن المؤمن، وإن كان في أنعم نعيم؛ لأنه سجن، إذا قورن بنعيم الجنة الذي ينتظره.

- والدنيا جنة الكافر، وإن كان أفقر الناس، وأمرض الناس، وأشدّهم بلاءً؛ لأن ذلك جنة، إذا قورن بعذاب النار الذي ينتظره.

❁ قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ». [صحيح مسلم ٢٨٠٧]

٨. الحمد والشكر

✽ بحث الحمد يتضمن:

أولاً: ما هو الحمد؟

ثانياً: الحمد والشكر هو مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته.

ثالثاً: الشكر شرط الإيمان.

رابعاً: الله أمر عباده بشكره.

خامساً: أهمية الحمد.

سادساً: تفاوت الناس في الشكر.

سابعاً: الأسباب المعينة على الشكر.

ثامناً: أركان الشكر.

تاسعاً: فضل الشكر.

عاشراً: علامة صدق الشكر.

حادي عشر: جزاء الحمد والشكر.

ثاني عشر: هل الشكر أعظم أم الصبر؟

ثالث عشر: الجحد عكس الشكر.

أولاً: ما هو الحمد؟

❁ **الحمد** : هو ثناء القلب واللسان على المنعم سبحانه تعالى، وتعظيمه ومحبته؛ لكمال صفاته، وإحسانه إلى مخلوقاته.

- والحمد ناتج عن **شهود القلب لنعم الرب**، ومن شهود النعمة عدم نسبتها لغير المنعم بها، وهو الله تعالى.

- والحمد يكون باللسان وبالقلب، وحمد الجوارح هو تصريف النعمة في مرضي المنعم سبحانه .

- ومن تمام الحمد ألا ترى نفسك قد قمت بحق الله من الحمد أبداً.

❁ قال رسول الله ﷺ : « لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ. » [صحيح مسلم ٤٨٦]

١- والحمد يكون على شيئين:

الأول :

الله تعالى يستحق الحمد على **كمال ذاته**، فالله تعالى له غاية الجمال، والكمال، والقداسة، والعظمة، والجلال، والعلو، والرفعة، والمجد، والغنى، والعزة، والقدرة، والعلم، والحكمة، والرحمة، والرافة، والرفق، والستر، والحلم، والمغفرة، والكرم، والبر، والجود، والإحسان.

والثاني:

والله تعالى يستحق الحمد على **كمال أفعاله وإحسانه إلى عباده**، فهو الذي خلقهم، وأحياهم، ورزقهم وشفاهم، وأطعمهم، وكساهم، وأنعم عليهم بكافة النعم، وأعظمها هدايته لهم إلى طريق الوصول إلى الجنة ورضاه، وتوفيقهم لسلوك هذا الطريق، وتشيتهم عليه.

❁ الله تعالى **يحب الحمد**؛ لأنه يستحقه، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

- والله تعالى **يثني على نفسه**، وثنائؤه على نفسه من كمالاته؛ لأنه يدل على كمال صفاته، وثنائؤه على نفسه يوجب على عبده ثنائه، وبذل المهج لنيل مرضاته.

٢- ما هو الشكر؟

الشكر هو الشناء على الله بنعمه، والشكر عبادة قلبية ولسانية وبدنية.

﴿ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٢]

ومعنى الآية أن الإنسان إما شاكرًا للنعمة، أو كافرًا بها جاحدًا لها.

﴿ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ ﴾ [سبأ: ١٣]

٣- الفرق بين الحمد والمدح:

﴿ الحمد هو الشناء مع تعظيم القلب للمحمود ومحبته.

﴿ أما المدح، فهو ثناء بلا تعظيم ومحبة.

ـ فالمادح قد يكره الممدوح، وقد لا يعظمه، وقد لا يمدحه إلا لتحقيق

منفعة أو مال، فإذا لم يجد ما يريد، فربما ينقلب ذامًا له.

﴿ لذلك قال رسول الله ﷺ : «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ.»

[صحيح مسلم ٣٠٠٢]

٤- الفرق بين الحمد والشكر:

﴿ الحمد يكون بالقلب واللسان.

ـ والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح.

﴿ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ ﴾ [سبأ: ١٣]

﴿ فكل أنواع الطاعات تعد من الشكر؛ لأنها تصريف نعم الله تعالى في مرضيه.

ـ ومن نعمه تعالى المال والعافية، فالصدقات والصلوات من الطاعات، وهي من

شكر نعمة المال والعافية، وشكرها يكون بإنفاق الصدقات وإقامة الصلوات.

﴿ والتوفيق إلى فعل الطاعة من أعظم نعم الله على عباده.

ـ فإن شكرها العبد بطاعة جديدة، كان التوفيق إلى الطاعة الجديدة نعمة تحتاج إلى

شكر جديد.

﴿ وإن علامة قبول الطاعة هي التيسير لطاعة بعدها وهكذا حتى

يموت العبد وهو شاكر لله تعالى.

ثانيًا: الحمد والشكر هو مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى

- الحمد هو مقتضى الإيمان باسمه تعالى الحميد.
- والشكر هو مقتضى الإيمان بأسمائه تعالى الشاكر والشكور.
- والشاكر** تعني: الذي يشكر القليل من العمل بالكثير من الثواب.
- والشكور** تعني: الذي يشكر عبده كلما عمل، ومهما كان عمله قليلاً.
- فهو تعالى يشكر **المحسن** بمضاعفة أجره، ويشكر **المسيء** بقبول توبه، فلا يضيع عنده عمل، سبحانه.
- قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]
- ومعنى الآية أن الله لن يضيع ثواب صلاتكم، التي توجهتم فيها إلى المسجد الأقصى بعد تغيير القبلة إلى الكعبة المشرفة.
- وسبب ذلك أن اليهود أرجفوا بين المسلمين بقولهم: إن التوجه إلى القبلة شرط في الصلاة، وعليه فإن صلاة المسلمين التي صلوها إلى المسجد الأقصى باطلة؛ لأنها بخلاف القبلة الصحيحة، وهي الكعبة المشرفة، فأنزل الله تعالى الآيات التي تدل على أن ثواب المصلين إلى المسجد الأقصى محفوظ عنده، والله تعالى لا يضيع ثواب عباده، فهو **الشاكر الشكور** وهو **الحميد المجيد**، سبحانه.

ثالثاً: الشكر شرط الإيمان

زوال الشكر من القلب بالكلية يعني زوال الإيمان بالكلية

❁ قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « لو لم يشكر الإنسان ربه ﷻ ولا بقلبه، حتى رأى أن الله لم ينعم عليه، وأنه استحق ذلك بنفسه، وأن هذا كان لا بد وأن يحصل له، ولو لم يعطه الله، لظلمه، لم يكن هذا مؤمناً أصلاً، ومن لم ير فضل الله عليه ونعمته عليه، لم يكن مؤمناً، بل من رأى نفسه مستحقاً لهذه النعم رغمًا على الله ﷻ، لم يكن مسلمًا أصلاً». [بتصرف]

قال الله تعالى : ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]

وقال الله تعالى : ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]

وقال الله تعالى : ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]

وقال الله تعالى عن سليمان عليه السلام : ﴿لَبِّلُونِي إِذْ أَسْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]

- فإذا لم يشكر العبد ربه، لم يكن عابداً له، ومن لم يعبد، فقد كفر

به سبحانه.

رابعاً: الله تعالى أمر عباده بشكره

قال الله تعالى : ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]

وقال الله تعالى : ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]

وقال الله تعالى : ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]

خامساً: أهمية الحمد

١- الحمد في القرآن:

الله تعالى بدأ كتابه بالحمد، وختم به، فبدأ كتابه بقوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وبدأ كثيراً من سور القرآن بالحمد، وختم به، فجعل آخر كلام أهل الجنة الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

قال الله تعالى: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]

٢- الحمد في السنة:

﴿النبي ﷺ أمرنا بحمد الله تعالى في أحاديث كثيرة.

١- الحمد أفضل الدعاء.

﴿قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ».

[حسن: رواه الترمذي ٣٣٨٣، وابن ماجه ٣٨٠٠، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١٩٨٤]

٢- وكان رسول الله ﷺ يقول في أذكار الصباح والمساء :

«أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.» [صحيح مسلم ٢٧٢٣]

٣- وكان رسول الله ﷺ يقول في دعاء الركوع والسجود:

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي.» [صحيح البخاري ٧٩٤، ومسلم ٤٨٤]

٤- كان رسول الله ﷺ يقول بعد الرفع من الركوع:

«رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ أَهْلِ الشَّاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ.» [صحيح مسلم ٤٧١]

٥- كان رسول الله ﷺ يقول دبر كل صلاة :

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.»

[صحيح البخاري ٨٤٤، ومسلم ٥٩٣]

الحمد في الفاتحة

❁ يجب على المسلم أن يحمد ربه كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل، وهي عدد الركعات الواجبة التي يبدؤها بقراءة الفاتحة.
- ولا بد أن يستشعر العبد الشاء بقلبه على الله تعالى في كل كلمة منها.

فيبدأ بقول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

١ - في الفاتحة يبدأ العبد بحمد ربه على ألوهيته، فيقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ فلا يستحق العبادة أحد غير الله تعالى، وكل إله غيره باطل.

٢ - وأعظم إحسان من الله إلى عباده أن أرسل إليهم رسله، وأنزل إليهم كتبه، ليعرفوه، ويوحده إلهًا واحدًا، ويطمئنوا بعبادته، ويسعدوا بطاعته.

٣ - فأعظم إحسان الله إلى خلقه أنه أمرهم بإفراده بالألوهية.

❁ فيا لشقاء من يعبد آلهة عدّة متفرقين، ويتبع أندادًا متباعدين، فإلى من منهم يخلص العبادة؟ وإلى من منهم يتوجه بالطاعة؟ فإذا عمره قد ضاع في الترحال بينهم يبتغي رضاءهم، فيا لشقائه في الدنيا، ويا لطول عذابه حين القدوم على الملك، يوم لا مُلك إلا ملكه، ولا إله غيره.

٤ - قال الله تعالى مخبرًا عن يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ [يوسف: ٣٨]
- فنبى الله يوسف عليه السلام جعل توفيق الله له بتوحيده من أعظم نعم الله على عباده.

- ثم قال يوسف عليه السلام: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨]
- يعني: لا يدركون هذه النعمة؛ فيشكرونها، أو لا يشكرونها الشكر الواجب الذي يستحقه سبحانه، فاللهم اجعلنا لك من الشاكرين المثنين عليك بنعمك لا إله إلا أنت.

٥ - فمن إحسان الله إليك أنه لم يجعلك عبدًا لعبيد.

٦ - ومن شكر نعمة الله على توفيقك لطاعته أن تثبت على هذا الدين، وألاّ تحيد عن توحيد الله في كل وقت وحين، وأن تثبت على عبادته، سواء وجدت معينًا من الخلق أو لم تجد من المخلوقين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٤٤]

- أما من ثبت، فقد شكر نعمة الدين.

قال الله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]

﴿ قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَسَنِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنَى عَلَيَّ عَبْدِي وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قَالَ: مَجْدَنِي عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً: فَوَضَّ إِلَى عَبْدِي فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. [صحيح مسلم ٣٩٥]

ثم قال الله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

١- ثم تحمده على ربوبيته، وتقول: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

- فهو الذي أنعم على عباده بالحياة، والسمع، والبصر، والرزق، والأهل، والمال، والشفاء، والعقل، وغيرها.

٢- المؤمن يستشعر أن الله تعالى قد قهر بربوبيته كل خلقه، مَلِكُهُمْ وَمَمْلُوكُهُمْ، فلا يملك أحدهم حتى نفسه، فلا يملك نبض قلبه، ولا هيأته، ولا شكله، ولا نوعه، ولا اسم أبيه، ولا اسم أمه، ولا الموعد الذي وُلد فيه، ولا الوقت الذي يموت فيه، فهو مقهور مغلوب بربوبيته الله تعالى.

٣- ومن أعظم إحسان الله إليك أنه لم يجعل أمرك بيد غيره، ولم يجعلك مملوكًا لغيره، فجعل عطاءك ومنعك من عنده وحده، وجعل حياتك وموتك من عنده تعالى.

ثم قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ﴾

١- ثم تحمده على رحمته العامة بخلقه، وهو معنى اسمه ﴿الرَّحْمَنِ﴾.

٢- وهذا من صفات كماله أن يرحم حتى المعرضين عن طاعته.

٣- فما دام مخلوقًا، فلا بد أن الله خالفه سيرحمه، وإن كان كافرًا فاجرًا.

- فبرحمته تعالى أعطاهم السمع والبصر واليد والرجل، وإن عصوه بها بعد ذلك.
- ومن رحمته بهم أن جعل الحنان في قلوب أمهاتهم عليهم، ولولا ذلك لهلكوا صغاراً، وسبحان الله! إذا صاروا كباراً، بارزوا الله بالمعاصي.

ثم قال الله تعالى: ﴿الرَّحِيمِ﴾

- ١- ثم تحمده على رحمته الخاصة بالمؤمنين، هو معنى اسمه ﴿الرَّحِيمِ﴾
 - ٢- فهو الذي ينعم عليهم بقبول أعمالهم، وهو الذي يعطيهم الثواب الكبير على العمل القليل.
 - ٣- وهو الذي منَّ عليك باتباع الرسول الأمين ﷺ، وأعطاك ما لم يعط غيرك من الإيمان برب العالمين، وجعل ذلك سبباً لكي يرحمك ويُنعمك في الآخرة، حين يعذب غيرك، فإن ظلمت تحمده على ذلك، وتسجد له طول عمرك، ما أدبت شكره سبحانه.
 - ٤- فاسم الرحمن يتضمن صفة ذاته؛ لذلك يرحم بها كل مخلوقاته.
- واسم الرحيم يتضمن صفة فعله؛ لذلك يرحم بها من شاء من خلقه، فيختص بها المؤمنين، فينعم عليهم بالإيمان في الدنيا، وينعم عليهم بثواب الإيمان في الجنة.

ثم قال الله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

- ١- ثم تحمده على ملكه ليوم الحساب، فتقول: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.
- ٢- فلن تطيب الدنيا إلا إذا أيقنت أن لها نهاية عادلة، يحكم فيها ملك مقسط، يجازي المحسن بإحسانه، ويقتص للمظلوم من الظالم.
- فاللهم لك الحمد على ذلك وعلى أنك ملك يوم الدين، يوم لا ملك إلا ملكك، ولا حاكم سواك.
- ٣- فلو أن مظلوماً غلبه وقهره ظالمه في الدنيا، ولم يجد سبيلاً للقصاص منه، فكيف سيكون حاله إن لم يتيقن أن الله تعالى سيأخذ له حقه يوم القيامة من ظالمه؟
- أليس ذلك من أعظم الإحسان إلى ذلك المظلوم؟! أن جعل الله له أجلاً للقصاص هو يوم الدين.

- ولو ترك الله هذا الأمر لغيره، لكان فيه الخلل العظيم.

قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]

- وهذا من تقدير المستحيلات، والله تعالى وحده يعلم قدر هذا الفساد لو كان هذا المستحيل.

٤- وفي يوم الدين يزول ملك كل ملوك الدنيا، وإن كان ملكهم في الحقيقة غير حقيقي؛ لأنهم لم يكونوا ملوكًا إلا بعد أن ملكهم الله ملكهم.

- وهو تعالى قادر على أن ينزع ملكهم منهم متى شاء، أو ينزعهم هم من ملكهم بالموت متى شاء.

- فكيف يكون أحدهم ملكًا وهو لا يملك أمر نفسه؟ فظهر من ذلك أن ملكهم مجازي غير حقيقي.

٥- وبعض الناس ليس بملك، ولكنه يملك بعض الدنيا من العقارات والأموال، وهذا أيضًا ملك غير حقيقي؛ لأنه يملك ولكن لفترة محددة هي مدة هذه الدنيا، يعني مدة حياته أو جزءًا من حياته، وكأن الله أقرضه ما يملكه فترة الدنيا فقط، ثم يأخذه منه عند موته، فيقرضه لغيره، فهذا ملك غير حقيقي، فهو في الحقيقة عبد مملوك في صورة مالك متصرف.

٦- وأما ملك الله، فهو صفة لازمة لذاته، لم يكتسبها بعد خلق مخلوقاته. فهو الذي يملك الملوک وممالكهم وممتلكاتهم، فشتان بين ملك ومملوك! - وهو ذو الملكوت، الذي يتصرف فيما يملك كيف يشاء، فهو الملك، وهو المالك سبحانه.

ثم قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

- ١- ثم تحمده على عبادته، فتقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.
- ٢- فأعظم إحسان الله على عباده أن جعلهم يعبدونه، وأنقذهم من عبادة غيره. - فاللهم لك الحمد أن أرسلت إلينا رسلك، وأنزلت إلينا كتابك، وجعلتنا تتبع شرعك.
- ٣- فانظر إلى ما اختصك الله به من العلم، وانظر إلى ما حجب عن غيرك؛ فأنت تعرف من صفات كماله وجلاله ما يستوجب طاعته، وتعرف من حكمته البالغة ووعد الصادق ما يستوجب عبادته.

- وهذا العلم الفاضل لا يعلمه كل الخلق.

قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]

- فاللهم لك الحمد على ما علمتنا ما نعبدك به.

ثم قال الله تعالى: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِثُ﴾

١. ثم تحمده على إعتاك على عبادته، فتقول: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِثُ﴾.

- ٢- فإنك لن تطيعه إلا بمعونته، فانظر إلى معونته لك بتيسير طاعته وتوفيقه لك، حيث لم يوفق غيرك، وجعل طاعته سبباً لنيل جنته.
- ٣- فالحمد له أولاً أن أعان المؤمنين على طاعته.
- والحمد له ثانياً أن قبل من المتقين الطاعة.
- والحمد لله ثالثاً أن أورث الصالحين الجنة.
- فاللهم لك الحمد على ما اختصاصتنا به من معونتك وثوابك.

ثم قال الله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

- ١- ثم تحمده على هدايته، فتقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.
- ٢- فشاهد بقلبك أن الله هداك وترك غيرك، ولولا أنه هداك، لكنت من المغضوب عليهم وهم اليهود، أو من الضالين وهم النصارى، أو من الملحدين.
- ٣- فإن الله لم يهدك هداية الإرشاد فحسب، بل هدى قلبك هداية التوفيق إلى اتباع شرعه، ثم هداك هداية الثبات على دينه.
- ❀ فهذا ثلاث مرات:

الأولى: إرشاد، والثانية: اتباع الرشاد، والثالثة: ثبات حتى الممات.

- وإنك إن ظللت تحمده على ذلك عمرك، ما وفيت حقه من الحمد.
- ❀ قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: « خَلَقَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ لِعِبَادَتِهِ أَصْنَافًا، فَإِنَّ مِنْهُمْ الْمَلَائِكَةَ قِيَامًا صَافِينَ مِنْ يَوْمٍ خَلَقَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَلَائِكَةَ رُكُوعًا خُشُوعًا مِنْ يَوْمٍ خَلَقَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَلَائِكَةَ سُجُودًا مِنْ يَوْمٍ خَلَقَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَتَجَلَّى لَهُمْ تَعَالَى، وَنَظَرُوا إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، قَالُوا: سُبْحَانَكَ، مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ». [حسن: رواه ابن بطه في الإبانة الكبرى ٣/ ٤٥ بسند حسن]

سادساً: تفاوت الناس في الشكر

١- والناس في الشكر ثلاثة أقسام:

- ١- فالْمؤمن يشكر ربه على نعم الدين ونعم الدنيا.
- ❁ وأعظم نعم الله التي تستحق الشكر هي نعمة الهداية للتوحيد ونبذ الشرك.
- ٢- وعامة الناس يشكرونه على نعم الدنيا فقط، ولا يشعرون بنعمة الدين.
- ٣- وأكثر أهل الأرض من المشركين المعرضين الذين لا يعرفون الرحمن، ولا يقرون بوجوده، ولا يشكرونه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]

٢- لماذا يغفل الناس عن الشكر؟

- ❁ الناس يغفلون عن الشكر؛ لأنهم يرون نعم الله متواترة عليهم، فلا يشعرون بها إلا عند فقدانها.
- ❁ مثل العبد المملوك يكون عند مالك سيء، فيضربه دائماً، فإذا ترك المالك الضرب ساعة، شكره العبد، فإذا باعه إلى مالكٍ رحيم لا يضرب، غلبه البطر، وترك الشكر.
- ❁ أما ترى نعم الله حولك؟! أليس الهواء من نعم الله، ولولاه لمات الإنسان؟! ولكن هل تشعر بهذه النعمة؟!
 - ❁ أتحب أن تسلب نعمة البصر مقابل ثروة من المال؟
 - أتحب أن تسلب نعمة الكلام كذلك بثروة؟
 - أتعلم أن تفقد عيناً أو رجلاً أو عضواً منك بثروة؟
 - أتعلم أن تسلب نعمة العقل بثروة؟
 - فإن كنت لا تقبل أيّاً من ذلك، أما تستحي أنك لا تشكر الله وأنت تملك بيت مال كاملاً؟
- ❁ فليس كل العباد يشعرون بالنعمة، وليس كل من شعر بالنعمة يشكر الله على النعمة.

❁ ولا تزال نعم الله ﷻ إلى عباده نازلة، وهم فقراء إليه، ولا تزال ذنوبهم إليه صاعدة، وهو الغني عنهم.

٣- أَيْظَلُ الْعَبْدُ يَحْتَاجُ لِلْبَلَاءِ حَتَّى يَشْعُرَ بِالنِّعْمَاءِ؟

أَيْظَلُ الْعَبْدُ لَا يُوْدِي عِبَادَةَ الشُّكْرِ إِلَّا عِنْدَ وَجُودِ الضَّرِّ، فَلَا يَشْكُرُ اللَّهُ عَلَى الصَّحَّةِ، إِلَّا إِذَا وَجَدَ الْمَرَضَ، وَلَا يَشْكُرُ اللَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ، إِلَّا عِنْدَمَا يَرَى الْكُفْرَانَ.

❁ فَإِنْ خُلِقَ الْمُتَضَادَّاتُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْنَا، فَهُوَ تَعَالَى خَلَقَ الْمَرَضَ؛ لِكَيْ نَشْكُرَهُ عَلَى الْعَافِيَةِ، وَخَلَقَ الْكُفْرَ؛ لِكَيْ نَشْكُرَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ.

❁ وَإِنَّ الْقَلْبَ ذَا الْبَصِيرَةِ يَنْظُرُ لِكُلِّ شَيْءٍ حَوْلَهُ، فَيَحَاوِلُ إِدْرَاكَ حِكْمَةِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، فَإِذَا تَتَبَعَ الْأَسْبَابَ حَتَّى النِّهَايَةِ، وَجَدَهَا تَصُبُّ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ وَجُوبُ حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ عَلَى كُلِّ فَعْلَةٍ وَقَدَرَةٍ وَخَلْقَةٍ وَأَمْرَةٍ.

٤- حَالُ السَّالِفِ مَعَ الشُّكْرِ

❁ قِيلَ لَذِي النُّونِ الْمَصْرِيِّ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟، فَقَالَ: أَصْبَحْتُ وَبِنَا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ مَا لَا يُحْصَى، مَعَ كَثِيرٍ مَا يُعْصَى، فَلَا نَدْرِي عَلَى مَا نَشْكُرُ: عَلَى جَمِيلِ مَا نَشَرَّ، أَوْ عَلَى قَبِيحِ مَا سَتَرَ. [أُورِدَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعْبِ ٤٢٠٠]

❁ قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي تَمِيمَةَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟، قَالَ أَصْبَحْتُ بَيْنَ نِعْمَتَيْنِ لَا أُدْرِي أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: ذَنْبٌ سَتَرَهَا اللَّهُ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَيِّرَنِي بِهَا أَحَدٌ، وَمُودَةٌ قَذَفَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، لَا يَبْلُغُهَا عَمَلِي. [رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمَصْنُفِ ٢٥٨٠٦، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الشُّكْرِ ٤٠]

❁ قِيلَ لِلْإِمَامِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ فَقَالَ: فِي عَمْرٍ يَنْقُصُ، وَذَنْبٌ تَزِيدُ.

[أُورِدَهُ الزُّرْقَانِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى الْمَوْطَأِ ١/ ٥٤]

سادساً: الأسباب المعينة على الشكر

١- العلم بأن الشكور من أسماء الله: العلم بكمال أسماء الله يستدعي حمده:

اسم الشكور يعني أن الله تعالى يشكر القليل من العمل، ويكافئ عليه بالأضعاف المضاعفة من الأجر، ويقبل حمد عباده وشكرهم رغم تقصيرهم، ويغفر الكثير من الزلل.

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢]

✽ قال رسول الله ﷺ: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنٍ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ! لَأُنْحِيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ؛ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ» [صحيح مسلم ١٩١٤]

✽ وقال رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغُفِرَ لَهُ.» [صحيح البخاري ٢٤٧٢]

- فانظر إلى هذا العمل القليل وهذا الأجر الجزيل.

✽ قال رسول الله ﷺ: «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبُيْرِ قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ فَتَرَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا» [صحيح مسلم ٢٢٤٥]

✽ وقال رسول الله ﷺ: «غُفِرَ لِمَرْأَةٍ مُوسِمَةٍ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ، قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، فَتَرَعَتْ خُفَّهَا، فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا، فَتَرَعَتْ لَهُ مِنَ الْمَاءِ، فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ.» [صحيح البخاري ٣٣٢١]

٢- العلم بكمال صفات الله يستدعي الحمد: التفكير في أثر كمال صفات الله تعالى:

- فالتفكر في كمال ملكه وخلقه ورزقه يجعلك تفتقر إلى ربوبيته.
- والتفكر في كمال ربوبيته و وحدانيته يجعلك تفتقر إلى ألوهيته.
- والتفكر في كمال حياته وبقائه وصمديته يجعلك تفتقر إلى قيوميته.
- والتفكر في كمال جماله وصدقه ووفائه وكمال مجده يجعلك تفتقر إلى حمده.
- والتفكر في كمال كرمه وبره وكمال تفضله وإنعامه وجوده يجعلك تفتقر إلى إحسانه.
- والتفكر في كمال رحمته ورأفته وكمال رفقه ووده يجعلك تفتقر إلى حفاوته.
- والتفكر في كمال غناه وسعته وكمال علمه وسمعه وبصره يجعلك تفتقر إلى حكمته.

- والتفكر في كمال عظمته وجلاله وكمال عزته وقوته يجعلك تفتقر إلى قدرته.
- والتفكر في كمال جبره وقهره وكمال تعاليه وتكبره يجعلك تفتقر إلى جبروته.
- والتفكر في كمال تصويره وفطره وبرئه يجعلك تفتقر إلى إبداعه.
- والتفكر في كمال إطعامه وشفائه وتقديره يجعلك تفتقر إلى رزقه.
- والتفكر في كمال رقابته وشهادته وكمال هيمنته وإحاطته يجعلك تفتقر إلى هدايته.
- والتفكر في كمال حكمه وقسطه وكمال حسابه وسرعته يجعلك تفتقر إلى عدله.
- والتفكر في كمال صبره وحلمه وكمال حيائه وغيرته يجعلك تفتقر إلى ستره.
- والتفكر في كمال عفوه وتوبته يجعلك تفتقر إلى مغفرته.
- والتفكر في كمال ولايته ونصره يجعلك تفتقر إلى فتحه.
- والتفكر في كمال كفايته وحفظه وإغاثته يجعلك تفتقر إلى إعانتة.
- والتفكر في كمال قربهِ ولطفه يجعلك تفتقر إلى إجابته.

التفكر في كمال إحسان الله إلى عباده:

٣- العلم بكمال أفعال الله يستدعي حمده:

❁ الله تعالى لا يمنع إحسانه إلى خلقه، رغم أنهم لا ينتهون عن معصيته.

- بل إن بعض خلقه يؤذيه سبحانه، فينسب له الولد كالنصارى.

فقالوا: ﴿أَتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨]

- أو ينسب له الفقر كاليهود، الذين قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]

وقالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ

يُشْرِكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ». [صحيح البخاري ٧٣٧٨ ومسلم ٢٨٠٤]

- ومع ذلك يرزقهم أموالاً وزوجات وذرية وقصوراً وضياعاً وعافية وصحة.

- فيحسن إلى العبد حين يضمن العبد على نفسه، ويعطيه ما ينفعه حين لا يعلم العبد

ما الذي ينفعه أو يضره، ويرزقه قبل أن يسأله، وقبل أن يعلم العبد ما الذي ينبغي أن يسأله.

❁ وإذا أحسن العبد ضاعف ثوابه، وإذا أساء أمهله.

- فإذا تاب قبل توبته، فإذا أصرَّ على العصيان، ابتلاه؛ ليكسر علوه وتكبره، فإذا ذلَّ

له وندم على التفريط، جبره وأكرمه.

- فإذا تاب توبة نصوحًا، بدل سيئاته حسنات، وفي القيامة آمنه، وعن النيران أبعدته.
- سبحانه من إله ما أكرمته وأعدله!

٤- العلم بنعم الله تعالى على عبده يستدعي حمده:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ [النحل: ١٨]
وقال الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا﴾ [لقمان: ٢٠]
فوعزته إنا لا نستطيع إحصاء نعمه تعالى ، ولا نستطيع إحصاء أوجه البر في كل
نعمة أنعم بها علينا ، وإنا لا نستطيع إحصاء الشكر على نعمه تعالى، بل نستطيع
إحصاء الشكر على نعمة واحدة من نعمه.

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» [صحيح مسلم ٤٨٦]

٥- التفكير في فقر العبد إلى ربه يستدعي حمده:

فمن نظر إلى نفسه عند مرضه، وجد انقطاع الشفاء إلا من ربه.
- ومن نظر إلى نفسه عند جوعه، وجد انقطاع القوت إلا من ربه.
- ومن نظر إلى نفسه عند فقره، وجد انقطاع الرزق إلا من ربه.
- ومن نظر إلى نفسه عند جهله، وجد انقطاع الهدى إلا من ربه.
- فعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فحمد الله على كل نعمه، ورأى فقر نفسه وعجزه
وضعفه، ورأى من كمال غنى ربه، وكمال رحمته وقدرته ما يستوجب عظيم حمده وشكره.

التفكير في نعمة الماء

❁ هل تفكرت في نعمة شربة الماء؟

- متى نزلت تلك القطرات من السماء؟ وفي أي مكان نزلت؟ وأين تجمعت لتصير
أنهارًا؟ وكيف تفرعت تلك الأنهار؟ وكم سارت من الأميال حتى تصل إلى بلدك؟
- فسخر الله لك من يأخذها، فينقيها من الشوائب والأضرار، ثم يضيخها إليك، ثم
سخر الله من ينقلها إليك بوسائل شتى، حتى صارت في بيتك، وما عليك إلا أن تفتح
الصنبور، لتجد الماء الزلال.

- كل هذه النعم في نعمة واحدة، فكم تستحق هذه النعمة الواحدة من

الحمد والشكر؟

❁ ثم تفكر في مساك تلك الشربة في بدنك.

- فإن الله تعالى جعل في المريء حركة تدفع ما فيه باتجاه المعدة، سواء كنت واقفاً أو نائماً أو مقلوباً، ولو اختلت تلك الحركة، لم تنعم بشربة أبداً.

- ثم جعل امتصاص ذلك الماء في المعدة والأمعاء، ولو حدث خلل في الامتصاص، لحدث الجفاف، ولمات الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]

- ثم يُصير الله ذلك الماء في العروق، حتى يصل إلى الخلايا، فيحدث الري بإذن الله، حتى إذا حدث الارتواء بدرجة معينة، أوقف مركز الري في المخ عملية الشرب، ولو حدث خلل في المخ، لظل الإنسان يشرب حتى يموت، أو لأعرض عن الشرب حتى يموت.

❁ ثم تفكر في تصريف تلك الشربة.

- فإن الماء عنصر أساسي في المعادلات الحيوية في الجسم، وبدون الماء يفسد الجسم، فتفكر إذا غسل هذا الماء الخلايا، وحمل ما فيها من السموم والشوائب والفضلات، فإن بقاءه في الجسم بعد ذلك يُعد خطراً على الإنسان.

- وهنا يأتي دور الكلية، التي خلقها الله تعالى لإخراج ذلك الماء إلى المجاري البولية، ولو حدث خلل في الكلية، لم يمكن إخراج ذلك الماء، ولمات الإنسان.

- ثم يسير ذلك الماء المختلط بالفضلات، والذي أصبح اسمه الآن البول، يسير البول في الحالب، ثم المثانة، حتى يخرج من المخرج الذي خلقه الله تعالى، ولو حدث انسداد في أي من تلك القنوات، لمات الإنسان.

- كل ذلك من شربة وتصريفها، ألا تستحق تلك الشربة حمداً طويلاً

يستغرق كل العمر؟

- أما آن لك أن تشعر بالضعف والعجز أمام قدرة الله؟!

- أما آن لك أن تشعر أنه أعطاك قبل أن تسأله، أو حتى تعرف ما الذي ينبغي أن

تسأله؟ أو كيف تسأله؟!

- أما آن لك أن تشعر بعظيم رحمته أنه أنعم بكل ذلك حتى على أهل

الإعراض عنه؟!

✽ إنه لم يطلب منك أمام كل تلك النعم إلا كلمة واحدة، ألا وهي «الحمد لله»، فإن

فعلت، فقد شكرت كل ذلك، وهل هناك عمل أقل من حركة اللسان بـ«الحمد لله»؟

✽ أرأيت كيف يقبل الله القليل من العمل، ويجازي به الكثير من النعم؟

- فهل رأيت شكوراً أعظم من الله؟!

- وهل رأيت رحيمًا أعظم من الله؟!

- وهل رأيت صبوراً أعظم من الله لا يقطع عن عباده نعمه رغم إعراضهم؟!

- وهل رأيت حليماً أعظم من الله لا يعاجل بالعقوبة من عصاه؟!

وهل رأيت حكيماً أعظم من الله دبّر ما تراه، فأحكم تدبيره في نظام رائع؟!

نعمه بادية في كل مرحلة، بل في كل شيء.

- فاللهم لك الحمد أن جعلتنا من عبادك، ولك الحمد بما أنعمت علينا من النعم،

ولك الحمد أن عرفتنا تلك النعم، وإنّا نسألك أن ترزقنا شكر هذه النعم، اللهم آمين!

سابعاً: أركان الشكر

١. الإقرار بوجود النعمة:

- أول شكر النعمة هو الاعتراف بها.

✽ قال رسول الله ﷺ في سيد الاستغفار: «أَبُوؤ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ»؛ يعني: أَعترف بها، «وأبوء بذنبي» يعني: أقرُّ به وأطلب المغفرة.

✽ وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.» [صحيح البخاري ٥٨٣١]

✽ فمن لم يشعر بالنعمة، كيف سيشكرها؟

- وسبب عدم شعور العبد بالنعمة هو تلوث فطرته وانغماسه في شهوته، فما وجد من طاقة إلا سخرها في لذته، وما علم أنها من عند الله، فما باله يتخذ نعمه سبباً لنيل غضبه وعقابه؟!

✽ وأكثر الناس من يرون نعم الله تعالى من حقوقهم الثابتة.

قال الله تعالى عن صاحب الجنتين: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦]

٢. نسبة النعمة إلى المنعم سبحانه:

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩]

ومن الجهل والجحد نسبة النعمة إلى الأسباب الدنيوية التي لا يرى الغافل غيرها، فلا يرى في العطاء إلا فاعله، ولا يرى فضل الله في ذلك، ولا يرى أن الله تعالى هو الذي سخر المعطي لكي يعطيه، ولولا تسخير الله، لم يصله شيء، فهذا العبد بلغ من قصر نظره أنه لم يرَ الفاعل الحقيقي، ورأى أداة الفعل فقط.

٣. الرضا بالنعمة والثناء بها على الله ومحبته والخضوع له:

- الرضا عن الله تعالى ونعمه هو عمل القلب، الذي هو أصل وسبب أعمال الجوارح.
- وعمل القلب هو أصل الإيمان وأصل توحيد الألوهية.
- ومن الرضا بالنعمة محبة المنعم سبحانه، والخضوع له، والثناء عليه بالنعمة.

٤. بذل النعمة في طاعة الله وفيما يحبه سبحانه:

قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُواْ آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]

فلا بد في الشكر من عملٍ يتبع علم القلب بالنعمة، وهو تصريف النعمة في مرضاة الله بعد علم القلب أنها من عند الله، فيستعمل صحته في الجهاد وإقامة الصلوات، ويستعمل ماله في النفقات وتفريج الكربات.

وجوب شكر المحسن:

❁ وكما نحن مأمورون أن نشكر الله على نعمه، كذلك ينبغي أن نشكر الناس الذين جعلهم الله أسباباً لإيصال تلك النعم إلينا، فينبغي علينا مكافأتهم، فإن لم نجد ما نكافئهم به فندعو لفاعل الخير، ونقول له: جزاك الله خيراً، ونثني عليه حتى نظن أننا قد كافأناه.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا، فَكَافَتْهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تَكْفُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنْكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ.» [صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد ٢١٦ وأبو داود

١٦٧٢ والنسائي ٢٥٦٧ وأحمد ٦٨/٢ وصححه الألباني في الصحيحة ٢٥٤]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا

فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الشَّاءِ.» [صحيح: رواه الترمذي ٢٠٣٥ والنسائي عمل اليوم والليلة ١٨٠ وابن حبان في صحيحه ٣٤١٣

وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٩٦٩]

ثامناً: فضل الشكر

١- الشكر أعظم مقامات الدين:

✽ واعلم أن مقام الشكر هو أعلى مقامات الدين على الإطلاق، وهو مقام الأنبياء ﷺ، والوصول إليه يكون بمداومة شكر الله على كل حال.

✽ قال الفيروز آبادي: الشكر أعلى مراتب الدين. [بصائر ذوي التمييز]

✽ فإن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فإذا سُئِلَ عن ذلك كان يقول: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا». [صحيح البخاري ١١٣٠، ومسلم ٢٨١٩]

فَعَلِمَ من ذلك أن الشكر هو أعلى مقامات الدين؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَنْ يَخْتَارَ لِنَفْسِهِ، وَلَنْ يَسْعَى لِتَحْصِيلِ إِلَّا أَعْلَى مَقَامَاتِ الدِّينِ، أَلَا وَهُوَ الشُّكْرُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْكُرُ رَبَّهُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَبَدَنِهِ وَمَالِهِ.

✽ وقد يقال: أيهما أعظم: الإحسان أم الشكر؟

والرد هو أن مقام الشكر هو أحد أركان مرتبة الإحسان، وهذه الأركان هي: حب الله، وخوفه، والإخلاص له، والتوكل عليه، والتوبة إليه، وتقواه، وشكره.

٢- الأنبياء ﷺ كانوا أول الشاكرين:

- ١- نبي الله نوح ﷺ كان شاكرًا: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]
- ٢- نبي الله إبراهيم ﷺ كان شاكرًا: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٢٠] شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ﴿[النحل: ١٢٠-١٢١]
- ٣- نبي الله سليمان ﷺ كان شاكرًا: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي﴾ [النمل: ١٩]

٣- الله تعالى يرضى عن الشكر:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]

٤- شكر العبد للرب يتبعه شكر الرب للعبد:

فإن شكر العبد للرب يتبعه شكر الرب للعبد، فالله شكور، وهو سبحانه يقبل اليسير من العمل، ويغفر الكثير من الزلل.

قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]

٥- وإن شكر النعمة مستوجب للزيادة:

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] - فالشكر سبيل الزيادة.

قال الله تعالى : ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، أي: سيعطيهم أعظم الجزاء. فمن رزقه الله الحمد والشكر، فإنما أراد أن يرزقه الزيادة في النعم.

٦- الشكر يقي من عذاب الله تعالى:

قال الله تعالى : ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]

٧- حمد الله هو أول النجاة يوم القيامة:

﴿فإن أهل المحشر يفزعون إلى الأنبياء عليهم السلام بعد طول قيامهم بلا حساب، فيعتذر أولو العزم من الرسل عليهم السلام واحدًا واحدًا، يقول كل منهم: إن الله قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب مثله، ولن يغضب بعده مثله، حتى لا يبقى إلا نبينا محمد ﷺ، فلا يجد أهل المحشر غيره ﷺ لسؤاله الشفاعة العظمى، فيأتون رسولنا ﷺ، فيسجد تحت العرش، ويفتح الله عليه بمحامد لم يلهمها قبل ذلك.

﴿قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى، فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ. فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى، فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ. فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهَا بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَآخِرُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي﴾ [صحيح البخاري ٧٥١٠، ومسلم ١٩٣]

- فانظر إلى فضل الحمد، كيف كان السبيل لإطفاء غضب الرب - سبحانه وتعالى -!

- فياخية المعرضين عن حمده، ويا خسارة الغافلين عن شكره، ويا ندم اللاهين عن ذكره!!

٨- الحمد لله تملأ الميزان:

❁ قال رسول الله ﷺ: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا.» [صحيح مسلم ٢٢٣]

٩- الحمد أعظم من النعمة:

❁ ما أنعم الله على عبد من نعمة فحمد الله عليها، إلا كان حمده لله نعمة من الله أكبر من النعمة الأولى، فإن حمد العبد لربه من توفيق الرب لعبده. - لأن النعمة تفنى في الدنيا، وثواب الحمد يبقى في الجنة.

١٠- الشكر نعمة تحتاج إلى شكر:

❁ والحمد ذاته نعمة من الله، تستوجب من العبد أن يطيل شكرها، وأن يحمد الله الذي أنعم عليه بها، فإن قول العبد: « الحمد لله » نعمة أكبر من نعيم الدنيا؛ لأن ثواب الحمد لا ينفى، ونعيم الدنيا لا يبقى.

❁ قال موسى عليه السلام: «إلهي كيف لي أن أشكرك، وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا يجازي بها عملي كله، فأتاه الوحي أن يا موسى، الآن شكرتني».

[رواه أحمد بن حنبل في الزهد ٦٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥٦/٦]

١١- العبد لن يبلغ شكر ربه تعالى:

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» [صحيح مسلم ٤٨٦]

❁ فلا يستطيع أحد أن يحصي الثناء على الله تعالى؛ لأنه لا يستطيع أحد أن يحصي صفات كمال ذاته، ولا كمال أفعاله، ولا يستطيع أحد أن يحصي مدى الكمال في كل صفة من صفاته، ولا يستطيع أحد أن يحصي مدى الثناء الذي تستحقه كل صفة من صفاته.

- وهو تعالى أعلم بنفسه من خلقه.

حكمة الله:

❁ فإن الله تعالى جعلنا محتاجين مفتقرين إليه و إلى نعمه، ثم أنعم علينا بنعمه، ثم أمرنا أن نأخذ من نعمه حاجتنا، ثم جعل نعمه سبيلاً إلى ما هو أعظم منها، ألا وهو شكره وحمده عليها.

- فهذه العبادات القلبية هي التي يجبها الله من عباده، وهي التي اختص بها المؤمنين من خلقه، بسببها يرفعهم إلى جواره في جنته.

❁ فأنت تحتاج إلى الشكر؛ لتأخذ عليه الأجر أكثر من حاجتك إلى النعمة.

❁ فالشكر نعمة باقية، يمتد نعيمها ما دامت الجنة، والنعمة الدنيوية فانية بفناء الدنيا.

❁ وأعظم نعمة تحتاج إلى شكرها هي صلاح قلبك بالشكر.

❁ وإن كان بدنك لا يحيا إلا بالطعام، فإن قلبك لا يحيا إلا بالشكر.

- فبالطعام تصلح الدنيا، وبالشكر تصلح الآخرة، والآخرة خير من الدنيا.

- فحاجتك إلى الشكر لصلاح آخرتك أعظم من حاجتك إلى الطعام لصلاح دنياك.

تاسعاً: علامة صدق الشكر

- العبد لا يكون شاكراً لمولاه، إلا إذا استعمل نعمه في رضاه.

كيفية الشكر:

١- العبد يشكر الله بأن يستعمل قلبه في حمد الله، وشكره، والرضا عنه، وشهود نعمة الله عليه، والإقرار بها، والفرح بها، وتعظيمه بها، والافتقار إليه بها.

٢- ويستعمل لسانه في شكر الله، وحمده، والثناء عليه، ودوام ذكره، فيقول: الحمد لله، أو اللهم لك الحمد والشكر.

٣- ويستعمل بدنه في تصرف النعم في طاعة الخالق، وفي معونة الخلق، وقضاء حوائجهم.

٤ - ويستعمل ماله في النفقة في سبيل الله، فلا يستعين بالنعمة على معصية الله. ❀ فمن غفل عن استحضر أن النعم من عند الله، استعملها في معصيته. ❀ ومن استحضر أن النعم من عند الله، انقادت جوارحه، وخضعت للمنعم سبحانه، فلا يجد العبد سبيلاً إلا استعملها في مرضيه. قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣] وهو مع ذلك لا يرى نفسه قد قام بحق الله أبداً.

وأعظم الشكر هو شكر الله على البلاء :

لما يرى فيه من :

- ١ - تكفير السيئات.
 - ٢ - وحسن العاقبة في الجنة.
 - ٣ - ما يحصل له من انكسار القلب ولين النفس للعبادة في الدنيا.
 - ٤ - ولما يرى فيه من حكمة الله البالغة، وقدرته الغالبة، وغناه عن خلقه، وافتقار الخلق إليه.
- ❀ فشهود ربوبية الله، واكتمال ملكه وملكوته وتصريفه لمخلوقاته، وشهود قضائه وقدره، وشهود غناه عن خلقه عند تقديره، وشهود كمال قدرته في قضائه.
- شهود القلب لذلك هو أعظم ما يحصل في القلب من الإيمان.
 - وإن وقوع هذا الإيمان في قلب العبد عند البلاء هو أعظم العطاء.
 - ومن اختصه الله بعطاء كهذا، وجعله في صورة بلاء، فليكثر على الله من الشناء.
 - فإن هذا العبد قد صار البلاء في حقه عطاء.
 - والله تعالى ما قدّره عليه إلا لما أحب أن يسمع منه من الدعاء.
 - والله تعالى ما قدّره عليه إلا لما سبق في علمه أنه من الأصفياء.

عاشراً: جزاء الحمد والشكر

١- رضا الله تعالى؛

❁ قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا.» [صحيح مسلم ٢٧٣٢]

- فالله تعالى أراد منا شكر النعمة بكلمات ما أيسرها! هي «الحمد لله»، إن قالها العبد، شكر ربه، فشكره ربه، وزاده.

- فالله تعالى يعطي العطاء العظيم، ويرضى من العبد بالحمد القليل.

- فالله لك الحمد كما نقول، وخيراً مما نقول، و لك الحمد كما تقول، اللهم لك الحمد كما علمتنا، وكما لم نعلم، ولك الحمد كما تعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

٢- النعيم في الجنة؛

قال الله تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]

- يعني : سيوفيههم الله في الجنة من نعيمها الجزاء الأوفى.

- والجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

- والجزاء الأوفى هو أن يعطي الله تعالى عبده، حتى يقول العبد: حسبي يا رب، حسبي يا رب، يعني: يكفي يكفي.

فيا ترى بعد كم قصر وبعد كم حورية يقول العبد: يكفي يكفي؟؟

قال الله تعالى: ﴿جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَاباً﴾ [النبا: ٣٦]

حادي عشر: هل الشكر أعظم من الصبر؟

❁ اعلم أن فتنه السراء أعظم من فتنه الضراء؛ لأن الأولى عليها الشكر، والثانية عليها الصبر.

- وإن فتنه السراء يلازمها النعماء والنعماء، يلازمها التكبر والاعتزاز بالنعمة، وهذا يصرف عن الشكر..... إلا من رحم الله.

- وإن فتنه الضراء يلازمها البلاء، والبلاء يلازمه الانكسار، وهذا يُسهل الصبر.

ثاني عشر : الجحد عكس الشكر

الجحد نوع من الكفر؛ لأنه تغطية النعمة، وعدم الاعتراف بها، أو عدم نسبتها إلى المنعم بها سبحانه.

قال الله تعالى: ﴿لِبَلْوَىٍّ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]

يعني: ليختبرني هل أشكر النعمة أم أم أجحدها؟

وقال الله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]

وهذا أمر واجب بشكر الله تعالى وعدم جحد نعمه بكفرها.

ومن جحد النعمة أن يقول العبد:

١- لقد أوتيت هذا النعيم والمال بسبب علمي وخبرتي؛ وبشهاداتي وإتقاني لأمر الدنيا، كما كان يقول قارون عليه اللعنة!

قال الله تعالى مخبراً عن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]

٢- أو يقول: لقد أوتيت هذا المال **كابراً عن كابر**: يتفاخر بأبائه وما كان معهم من لعاعة الدنيا، مع أنه قد يكون كاذباً في هذا الادعاء وأن آباءه كانوا فقراء مثل: أولئك النفر من بني إسرائيل، الذين جاء ذكرهم في الحديث.

✽ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَىٰ بَدَأَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَاتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا فَقَالَ أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ هُوَ شَيْءٌ فِي ذَلِكَ إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقَرُ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُسْرَاءَ فَقَالَ يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا وَآتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا قَالَ فَآيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقَرُ قَالَ فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا وَقَالَ يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا وَآتَى الْأَعْمَىٰ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ يَرُدُّ اللَّهُ إِلَىٰ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَردَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ قَالَ فَآيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْغَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأَنْتَجَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا فَكَانَ هَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ وَهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ وَهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ

فَقَالَ رَجُلٌ مُسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْجِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ أَسْأَلُكَ
بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللُّونَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالسَّامَ بَعِيرًا أَتَبْلُغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ لَهُ
إِنَّ الْحَقُّوْقَ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَتْرَصَ يَقْدُرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ
فَقَالَ لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَآتَى
الْأَفْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ مَا قَالَ لِهَذَا فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلُ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا فَقَالَ
إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَآتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مُسْكِينٌ
وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْجِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي
رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ شَاءَ أَتَبْلُغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصْرِي وَفَقِيرًا
فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذَتْهُ اللَّهُ فَقَالَ أُمْسِكْ مَا لَكَ
فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ. [صحيح البخاري ٣٤٦٤ ومسلم ٢٩٦٤]

٣- أو يقول: إن الله أعطاني النعم؛ لأنه يعلم أنني أستحقها.

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْفَنُهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ
السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى﴾ [فصلت: ٥٠]
ومثل صاحب الحديقة.

قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾
وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُدِّدْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِمَّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦]
- فهذا المغرور يدعي أن الله تعالى ما رزقه في الدنيا، إلا لأنه يستحق إحسانه، ويدعي
أن الله سيعطيه يوم القيامة؛ كما أعطاه في الدنيا على قلة عمله وإعراضه عن الله.

٤- أو يقول: إن الله يحبني؛ لذلك أعطاني؛ لولا كرامتي عليه ما
أعطاني. كما يقول الجاهل العالمون بأمر الدنيا الجاهلون بأمر الله.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥]
❀ وما علم هذا الغافل أن الله يعطي الدنيا؛ لمن يحب ومن لا يحب، ولكنه سبحانه
لا يعطي الدين إلا لمن يحب.

- وإن الله سبحانه يُجِيبُ عباده المخلصين الدنيا؛ حتى لا ينشغلوا بها عن ذكره
وعبادته؛ كما تجنب الأم وليدها النار.

❁ و لم يعلم هذا التائه أن الله إنما أعطاه ليختبره: أيطيعه في هذا المال أم يعصيه؟ وليبتليه: أيشكر أم يكفر؟

قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦]

قال الله تعالى مخبراً عن داود عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿لَيَلُونِي أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]

متاع البلاغ ومتاع الغرور:

❁ النعمة في حق المؤمن متاع بلاغ؛ تُبلّغه ما هو خيرٌ منها في الجنة.

لأنه يشكر النعمة، ويتقوى بها على طاعة الله، ويصرفها في مرضاته.

❁ و النعمة في حق غير المؤمن متاع غرور؛ يَغْتَرُّ بها، ويأمن مكر الله، ويظن أنه يمكنه أن يستغني بها عن فقره لله، فتصبح النعمة إِمْلَاءً من الله له، يَمْلِي له، و**يَهْمَلُه**، ثم لا يَهْمَلُه، حتى إذا اطمأن بها وغفل عن الله، أخذه أخذ عزيزٍ مقتدر، ثم أورثه النار يوم القيامة.

من أعظم مهام إبليس واغوائه:

❁ غاية إبليس هي إخراج العباد عن الشكر.

قال الله تعالى عن إبليس: ﴿ثُمَّ لَا تَنبَهُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]

قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]

وقال الله تعالى: ﴿فَلْيَلَا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠ / المؤمنون: ٧٨ / السجدة: ٩ / الملك: ٢٣]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣ / يوسف: ٣٨ / غافر: ٦١]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٦٠ / النمل: ٧٣]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]

❁ وهذا ظن إبليس الذي صدق فيهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]

٩. الرجاء

✽ بحث الرجاء يتضمن:

- أولاً: ما هو الرجاء؟
- ثانياً: الرجاء هو مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى.
- ثالثاً: أهمية الرجاء.
- رابعاً: تفاوت الناس في رجاء الله تعالى.
- خامساً: الأسباب المعينة على الرجاء في الله تعالى.
- سادساً: فضل الرجاء.
- سابعاً: دليل صدق الرجاء.
- ثامناً: جزاء الرجاء.
- تاسعاً: أنواع الرجاء.
- عاشراً: الله يعطي أعلى الدرجات على يسير الطاعات.

أولاً: ما هو الرجاء

- الرجاء في الله: هو الطمع في إحسانه وعطاءه والاستبشار والرغبة في جوده وفضله.
- فالمحسن يرجو ثواب ربه على إحسانه.
- والمذنب يرجو قبول توبته.

قال الله تعالى: ﴿وَرَجُّونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]

١- يجب أن يقترن الرجاء بحسن الظن بالله تعالى:

- وإن الله عند ظن عبده به، فليظن العبد بربه ما يشاء.
- ✽ قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ».

[صحيح: رواه أحمد ٤٩١/٣ و ١٠٦/٤ وابن المبارك في الزهد ٩٠٩ وعنه الدارمي ٣٠٥/٢ وصححه الألباني في الصحيحة ١٦٦٣]

✽ وقال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ

مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَى بَشِيرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَى ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً. [صحيح البخاري: ٧٤٠٥ ومسلم ٢٦٧٥]

❀ قال رسول الله ﷺ: إِنْ اللَّهَ يَقُولُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي.»

[صحيح مسلم ٢٦٧٥]

٢. ويجب أن يقترن الرجاء ببذل الجهد في الطاعة.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]
- فحسن الظن والرجاء في الله موجب لحسن العمل لا الاتكال والركون إلى الأمل.

٣. ويجب أن يقترن الرجاء بالتوكل على الله في أن ييسر لك

الطاعة ويثبتك عليها.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [هود: ٨٨]

٤. ويجب أن ترجو الله تعالى، وأنت تحسن الظن في قبوله

لعملك وإثابتك عليه.

- مع كونك ترى عملك ضعيفاً مليئاً بالنقص لا يستحق القبول.
- ومع كونك لا ترى أن عملك من كسبك، بل تراه من توفيق الله لك؛ فهو الذي خلقه فيك.

هل الرجاء يكون في رحمة الله أو في العمل؟

❀ العبد لا يصلح أن يعامل ربه بالندية ويطالبه بأن يدخله الجنة بعمله؛ لأن عبادة عمره كله لا تصلح أن تكون ثمناً أو عوضاً ولو لنعمة واحدة من نعم الله عليه.
- فإن عامله الله بهذا الميزان، غلبت نعمة واحدة كل طاعات عمره، ولم يبق من عمله ما يستحق به الجنة، فأين باقي نعم الله التي لم يقابلها العبد بشيء؟
- فهل ترى من فعل هذا يستحق الجنة؟

❀ فلو أن الله عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ، كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ.

العمل الصالح لا يصلح أن يكون جزاء للنعم؛

❀ فحتى رسول الله ﷺ وهو أعظم الخلق طاعة وعملاً لم يعلم ما يفعل الله به

غداً، إلى أن أخبره الله تعالى بمنزلته يوم القيامة.
❁ قال رسول الله ﷺ: «وَاللَّهِ مَا أَذْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ، مَا يُفَعَّلُ بِي.»

[صحيح البخاري ٢٦٨٧ و ٣٩٢٩ و ٧٠١٨ و ٧٠٠٣ و ٧٠٠٤]

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْمُرُ﴾ [الأحقاف: ٩]
❁ قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال:
«لَا وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ.» [صحيح البخاري ٥٦٧٣ و ٦٤٦٣، ومسلم ٢٨١٦]
❁ فإذا أيقنت بذلك، انقطع الرجاء في عملك، ووجهت كل الرجاء
إلى كرم الله وفضله ومنه.

❁ قال الذهبي: «ولا ينجي أحدا عمله من عذاب الله، بل أعمالنا الصالحة هي من فضل الله علينا ومن نعمه، لا بحول منا، ولا بقوة، فله الحمد على الحمد له.»

[ميزان الاعتدال ٣ / ٣٢٠]

ثانياً: الرجاء هو مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى

الرجاء في الله هو مقتضى الإيمان بأسمائه تعالى البر، الكريم، الرحيم، المحسن، المنعم، المتفضل، ذو الفضل .

- وهو من لوازم الإيمان باسم الله تعالى الغني.

- فهو الذي أنعم على عباده بما سألوه، وقبل أن يسألوه، وبغير استحقاق منهم، وبلا عوض.

- وهو الذي وهب في الدنيا متاعاً، وأمواً، وأولاداً، وضياعاً لمن عبده، ولمن لم يعبه.

- ووهب في الآخرة حوراً، وقصوراً، وأنهاراً، ونعيماً، لمن وفقهم لطاعته، واستعملهم في خدمته، وثبتهم على دينه وعبادته.

ثالثاً: أهمية الرجاء

١- الرجاء هو عمل المؤمنين:

قال الله تعالى في مدح المؤمنين: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]
 وقال الله تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]
 وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]

فلما فعلوا ذلك، أعطاهم الله ما رجوه من رحمته، وأمنهم مما يخافون من عذابه.

- والقنوط واليأس من رحمة الله هو فعل الكافرين والضالين:

قال الله تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]
 وقال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]

٢- من لا يرجو رحمة الله فلا ثواب له في الآخرة:

﴿سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمُسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»﴾. [صحيح مسلم ٢١٤]

- فهذا رجل كان كثير البر، لكنه لم يكن يعمل رجاء ثواب الله، فلا ثواب له.

﴿وكذلك من كان كثير البر، ويرجو ثواب الله، ولكنه على عقيدة فاسدة؛ كرهبان النصراني، فهم - أيضاً - لا ثواب لهم؛ لأن العقيدة الفاسدة تحبط العمل، وإن كان حسناً.

فصحة الإيمان ورجاء ثواب الله على العمل شرطان في حصول الثواب يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]
 وقال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً

طَبَّهٖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧]
 وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ

سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩]

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه: ١١٢]

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴾ [الأنبياء: ٩٤]

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٤٠]

٣- من لا يرج لقاء الرحمن، فلا حظ له في الإيمان،
 وهو في الآخرة من أولي الخسران؛

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٧-٨]

وقال الله تعالى : ﴿ فَندَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [يونس: ١١]

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتَ بِفِرْعَوْنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ [يونس: ١٥]

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢١]

وقال الله تعالى : ﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٠]

رابعاً: تفاوت الناس في رجاء الله ﷻ

✽ أكمل الناس من حقق كل أنواع الرجاء في الله تعالى.

١- رجاء رحمة الله.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]

٢- رجاء ثواب الله.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]
قال الله تعالى في ذم الكفار: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبا: ٢٧]

٣- رجاء لقاء الله.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]
وقال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥]
وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]

٤- رجاء القرب من الله.

١- القرب في الجنة:

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠-١٢]
وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩]
✽ والمعية الخاصة هي أعلى درجات القرب، فعلى قدر حبك لله تعالى تكون رفعتك في الجنة ويكون قربك الحقيقي من عرش ربك تعالى وتكون معيتك لله أخص وأعظم وأقرب.

٢- القرب في الدنيا بالطاعة والاستغفار:

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْ حِجَابًا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]

✽ قال رسول الله ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ». [صحيح مسلم ٤٨٢]

✽ وقال رسول الله ﷺ: «وَأِنْ تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا جَاءَنِي يَمِينِي جِئْتُهُ أُهْرُولُ». [صحيح البخاري ٧٥٣٧، ومسلم ٢٦٧٥]

✽ قال رسول الله ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». [صحيح البخاري ٦١٦٨ ومسلم ٦٢٤١]

٥- ورجاء النظر إلى وجه الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]

٦- ورجاء سماع خطاب الله تعالى.

✽ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ يَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ». [صحيح مسلم ١٨١]

✽ وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ». [صحيح البخاري ٧٤٤٣ ومسلم ١٠١٦]

٧ - ورجاء رضوان الله تعالى.

وهو أعلاها وغايتها، وهو الذي يعطيه الله لأهل كرامته في الجنة.

✽ يقول الله تعالى لأهل الجنة في الحديث القدسي: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ يَا رَبَّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّ! وَآيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا». [صحيح البخاري ٦٥٤٩ و٧٥١٨، ومسلم ٢٨٢٩]

الرجاء عند الموت:

❁ لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه.

- فالرجاء عند نزول الموت أفضل من الخوف؛ لأن الخوف كالسوط الباعث على العمل، والمشرف على الموت لا يقدر على العمل، فلا يستفيد من الخوف، بل الرجاء في هذه الحالة يقوي قلبه على ما سيقدم عليه من أهوال، ويحبه إلى ربه المتعال.

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ». [صحيح مسلم ٢٨٧٧]

- يعني يظن أن الله تعالى سيفعل به الخير، فيقبل الحسنات، ويعفو عن السيئات، ويجبر الزلات.

- فيدفعه الرجاء إلى إحسان الظن بالله عند الموت، فيكون الله تعالى عند ظن عبده به ويرحمه.

- لذلك شرع للعبد أن يغلبه الخوف حال الحياة؛ ليكون دافعاً له إلى العمل.

- ويكون الرجاء وحسن الظن بالله هو الغالب عليه عند الموت؛ ليجب لقاء الله، ويستبشر بالقدوم عليه.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ». [صحيح البخاري ٦٥٠٨ ومسلم ٢٢٨٦]

خامساً: الأسباب المعينة على الرجاء في الله تعالى

✽ أعظم ما يعين العبد على رجاء الله تعالى هو العلم بسعة رحمة الله تعالى.
- والعلم بأن الله يريد أن يغفر لعباده، ويتوب عليهم، ويخفف عنهم، وييسر لهم
التكاليف، ولا يعجل عليهم بالعقوبة، بل يمهلهم؛ ليتوبوا، فإذا تابوا، بدل سيئاتهم
حسنات، وضاعف لهم ثواب الطاعات.

**ليس العجب من عبد يتودد إلى سيده،
بل العجب من ملك يتودد إلى عبيده.**

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]
فهذا هو نداؤه لمن أعرض عنه، فكيف يكون وده لمن أقبل عليه؟

١- أسماء الله الحسنى تدل على سعة رحمته:

✽ الله تعالى أخبر عن نفسه أنه: الرحمن، الرحيم، الغفور، التواب، العفو
الودود، الكريم، الشكور.

✽ وكل هذه الأسماء والصفات وغيرها تدل على أنه تعالى يريد أن يرحم عباده.

قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]

٢- الله تعالى يريد بعباده اليسر:

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]
✽ والله ﷻ لم يكلف عباده من الأعمال إلا ما يستطيعون، ثم يسقط عنهم
التكاليف بالمرض، والعذر، وبعدم الاستطاعة.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]

وقال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَهَا﴾ [الطلاق: ٧]

✽ ثم يعطيهم ثواب العمل الصالح كاملاً، إذا عزموا عليه، ومنعهم مانع من فعله.
✽ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاْدِيًّا إِلَّا
كَانُوا مَعَكُمْ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ
الْعُذْرُ». [صحيح البخاري ٤٤٢٣ و٢٨٣٩، ومسلم ١٩١١]

٣- الله تعالى يريد أن يخفف عن عباده:

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]

٤- الله تعالى يريد أن يطهر عباده:

قال الله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]

٥- الله تعالى ينزل لعباده ليجيب دعاءهم:

✽ إذا كان ثلث الليل الأخير، ينزل ربنا - تبارك وتعالى - إلى السماء الدنيا قبل أن يصعد عمل العباد إليه، نزولاً يليق بجلاله، فلا يجعل واسطة بينه وبين خلقه، فيغفر للمستغفرين، ويتوب على التائبين، ويجيب الداعين، ويعطي السائلين، ويشفي السقيم، وينصر المظلومين، ويرزق المحتاجين.

✽ فهو تعالى لا يتنظر عباده أن يأتوه، بل هو الذي ينزل إلى السماء الدنيا، ويسبقهم إليهم. - فهو تعالى ييسر لهم التوبة قبل أن تُكتب السيئات في صحائف الأعمال، ويستجيب لطالبي أنواع البر، ويعينهم عليه؛ حتى تصعد إليه أنواع الصالحات بدل السيئات. ✽ فما أرحمه من إله لا يحب أن يعذب عباده! بل يحب أن يحسنوا؛ ليحسن إليهم، ويتودد إليهم رغم معاصيهم، ويغفر لهم، ويتوب عليهم.

✽ قال رسول الله ﷺ: «يُنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» [صحيح البخاري ١١٤٥ و٧٤٩٤ ومسلم ٧٥٨]

✽ وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ هَلْ مِنْ تَائِبٍ هَلْ مِنْ سَائِلٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ.» [صحيح مسلم ٧٥٨]

٦- الله تعالى لا يعجل العقوبة:

✽ فإذا همَّ العبد بمعصية، فإن ملك السيئات لا يكتبها، فإذا تركها العبد خشيةً لله، كتبها الملك حسنة كاملة.

✽ فإذا فعلها العبد، لم يكتبها ملك السيئات لمدة ست ساعات، فربما يتوب العبد خلال هذه المدة، فإذا لم يتوب العبد، كتبها الملك سيئة واحدة.

✽ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ صَاحِبَ الشَّيْءِ لَيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ أَوْ الْمُسِيءِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهَا أَلْفَاهَا، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً».

[حسنه : رواه الطبراني في المعجم الكبير ٨ / ١٨٥ ومسند الشاميين ٥٢٦ وأبو نعيم في حيلة الأولياء ٦ / ١٢٤ والبيهقي في شعب

الإيمان وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير في السلسلة الصحيحة ١٢٠٩]

✽ لكن إذا همَّ بحسنة، كتبها ملك الحسنات فوراً، فإذا فعلها العبد، كتبها الملك عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

✽ قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا، فَكْتُبُوهَا سَيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلَهَا، فَكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا، فَكْتُبُوهَا عَشْرًا». [صحيح مسلم ١٢٨]

✽ وقال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، فَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَكْتُبُوهَا عَشْرًا بِمِثْلِهَا،

إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ». [صحيح البخاري ٧٥٠١ ومسلم ١٢٩]

٧- الله يريد أن يتوب علينا:

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]

✽ قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً، وَمَنْ لَقِينِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً ثُمَّ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً». [صحيح مسلم ٢٦٨٧]

✽ فهو يقبل التوبة من عباده، ويضرح بتوبة التائبين.

✽ وقال رسول الله ﷺ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتُوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَانْقَلَبَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ مِنْهَا فَاتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَأْسِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ

فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ .» [صحيح مسلم ٢٧٤٧]

٨- الله تعالى يضاعف ثواب العمل:

❁ فالسيئة عنده تكتب واحدة، وهى أسرع شيء محوًا، والحسنة تكتب عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

❁ فمن عمل عشر سيئات، تكتب عشرًا فقط، وربما يمحو شيء منها، ومن عمل حسنة واحدة، تكتب عشرًا أو أكثر.

- فمن عمل سيئات عشرة أضعاف الحسنات، تساوت سيئاته بحسناته، فلا ينقطع أمله في دخول الجنة.

❁ ولكن الويل كل الويل لمن غلبت آحاده عشراته؛ يعني كثرت سيئاته التي يجازى عنها بالآحاد على حسناته التي يجازى عنها بالعشرات.

- يعني فعَل سيئات أكثر من عشرة أضعاف الحسنات.

❁ فهل يهلك بعد ذلك على الله إلا هالك؟

٩- الله تعالى يعطي ثوابًا عظيمًا على العمل القليل:

❁ فصيام يوم عرفة يكفر ذنوب سنتين، وصيام يوم عاشوراء يكفر ذنوب سنة، والعمرة إلى العمرة تكفر ما بينهما، والحج المبرور يكفر ذنوب العبد كلها في عمره السابق.

❁ قال رسول الله ﷺ : « صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ. » [صحيح مسلم ١١٦٢]

❁ وقال رسول الله ﷺ : « الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ. » [صحيح البخاري ١٧٧٣ ومسلم ١٣٤٩]

❁ وما كل هذه المنح ومكفرات الذنوب من الله إلا لأنه يريد أن يدخل عباده الجنة.

فهل يدخل النار بعد ذلك إلا من كان أهلاً لذلك؟

١٠- الله تعالى أظهر لنا غناه؛ ليطمعنا فيه:

١ - فالله تعالى أخبرنا أنه يملك ما في السموات والأرض من ثروات وكنوز؛ لكي يطمع فيه السائلون.

فالله تعالى أخبر عن نفسه، فقال: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤]

وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧]

٢- وأنت ترى أصحاب الأموال في الدنيا يخفون أموالهم، ويخبتون غناهم، ويردون السائلين.

- أما رب العالمين، فإنه أظهر غناه، وعدّد ملكه؛ لكي يطمعهم في سؤاله، ونزل للسائلين قبل أن يسألوه، واقترب من الداعين قبل أن يدعوه، وأحب منهم الدعاء والسؤال، وأعطاهم ما سألوه.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]

٣- والله تعالى سمى الدعاء عبادة، بل وأخبرهم أن دعاءهم ذاته من أعظم العبادات التي سيعطيهم عليها ثواباً عظيماً.

﴿ قال رسول الله ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]

[صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد ٧١٤ وأبو داود ١٤٧٩ وابن ماجه ٣٨٢٨ والترمذي ٢٩٦٩ وأحمد ٤/٦٧٦، ٦٧١،

٢٦٧/١٧٨٨٨ وصححه الألباني في أحكام الجنائز ١٩٤]

٤- وهو تعالى يحب الملحين في المسألة؛ فهو الغنى الحميد سبحانه.

- وإن الملحين عليه، فازوا بثواب دعاء الله، وفازوا بإجابة دعائهم.

٥- وهو سبحانه يستحي من عبده إذا دعاه ألا يعطيه ويرد يديه فارغتين.

﴿ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدُهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا».

[صحيح: رواه أبو داود ١٤٨٨ والترمذي ٣٥٥٦ وابن حبان ٨٧٦ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١٣٣٧]

١١- حتى ابتلاؤه كله رحمة :

- ١ - فالبلاء ظاهره الشقاء، لكن **حقيقته وعاقبته الرحمة**.
- ٢ - فإن الله تعالى يتلى عبده؛ **ليكفر عنه خطيئته** عملها.
- أو **ليرفعه درجة** في الجنة.
- أو ليستخرج منه عبادة **الصبر على البلاء**؛ فيرتفع بالصبر، حتى يدخل الجنة بغير حساب.
- أو ليكسر نفسه وعلوها؛ فيستكين للطاعة وثوابها.
- ٣ - فإن الصابر إذا صبر على البلاء، فإنه **لا يعرف متى ينتهي البلاء**، وبالتالي لا يعرف حدًا لصبره، والجزاء من جنس العمل، فيكون ثوابه من الله تعالى لا حد له ولا نهاية له « بغير حساب »؛ لأنه أثناء البلاء لم يكن يعرف حدًا لنهاية صبره.
- قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]
- ٤ - وقد يتلى الله عبده؛ **ليضيّق من معصيته** هو مقيم عليها، ويتقوى بنعم الله على فعلها.
- ٥ - وقد يتلى الله عبده بنزع بعض النعم منه، **فيدرك العبد فناء الدنيا**، ويشتاق للنعم التي لا تفنى في الجنة، فيرجع العبد إلى نفسه، ويحمد الله على ما تبقى من النعم عنده، بل يستدرك ما فاتته من قلة الحمد على النعمة التي سلبها منه قبل أن يسلبها، فيردها الله عليه أوفر ما كانت.
- ٦ - وقد يتلى الله عبده؛ **لينزع تعلق قلبه بحب النعمة** التي ابتلاه بها - كالأموال والأولاد -؛ حتى لا يتعلق إلا بالله تعالى، ويكتسب بذلك صدق التوكل عليه، ويشاهد حكمة الله في أفعاله، ويرضى عن قضائه، حتى يحب اختيار الله له في وقوع البلاء أكثر من اختياره هو لنفسه من دوام العافية، فتتم له بذلك **أعلى درجات الهداية**.
- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]
- يعني: من يرضى بقدر الله، يزدّد إيماناً وهدى.

سادساً: فضل الرجاء

﴿الرجاء سبيل قبول العمل.﴾

- فالأعمال تصعد إلى الله تعالى بجناحي **الرجاء والخوف**.

- رجاء الله لقبول العمل على قلته، و**الخوف** من رده لكثرة عيبه.

- ومن كان هذا حاله، كان أرجى لقبول عمله ومغفرة ذنبه، وستر عيبه، ومضاعفة أجره.

قال الله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]

وقال الله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]

﴿وإن آل زكريا عليهم السلام كانوا يدعون الله تعالى بالخوف والرجاء.

قال الله تعالى عن آل زكريا عليهم السلام: ﴿وَيَدْعُوكَ رَغْبًا وَرَهْبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]

وقال الله تعالى عن المؤمن المجتهد في الطاعة: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]

سابعاً: دليل صدق الرجاء

حسن العمل دليل الرجاء الصحيح:

فمن صدق رجاءه في الله، حسن عمله، واتبع أمره، وانتهى عن نهيه.

﴿الرجاء مع الهجرة والجهاد﴾

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]

- فهؤلاء المهاجرون الذين جاهدوا في سبيل الله، الذين ليس فوق عملهم عمل،

هم الذين يرجون رحمة الله، ليس العصاة البطالين المتكاسلين عن طاعة الله.

﴿الرجاء مع تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والنفقة في سبيل الله﴾

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]

✽ الرجاء مع المسارعة في الخيرات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾

[الأنبياء : ٩٠]

- فلما صدقت رغبتهم في الله ورجاؤهم لما عنده، سارعوا في الخيرات.
- عكس حال المغرورين الذين طلبوا الدرجات، وناموا عن الصلوات.
- وأضل من هؤلاء من انغمسوا في الشهوات، وطلبوا من الله الرحمت.

ثامناً: جزاء الرجاء

١- قبول العمل:

لأن رؤية العمل والغرور به والتكبر به على الله وعلى خلقه من محبطات الأعمال.
- أما من اجتهد في الطاعات، ثم لم ير نفسه فاعلاً، بل رأى الله تعالى متفضلاً، فلم يرج عمله، بل رجا رحمة خالقه تعالى، فهذا أقرب لقبول عمله، ومضاعفة أجره من الله تعالى.

٢- رضى الله تعالى:

فإن الله تعالى يغضب على من لا يرجوه ولا يدعوه.
قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]

- فالله تعالى سمي الدعاء عبادة في الآية.
- والله تعالى توعد المستكبرين الذين لا يدعونه بعذاب جهنم.
- والعكس صحيح، فإن الله تعالى يرضى عمن يدعوه، ويطلب منه، ويفتقر إليه، ويذل له، سبحانه.

بل إن الله يغضب على من لا يسأله ولا يدعوه.

✽ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبُ اللَّهُ عَلَيْهِ». [حسن: رواه البخاري في الأدب

المفرد ٦٥٨٠ والترمذي ٣٣٧٣ وابن ماجه ٣٨٢٧ وأحمد ٤٤٢/٢ و٤٧٧ وحسنه الألباني في الصحيحة ٢٦٥٤]

تاسعاً: أنواع الرجاء

١- الرجاء الصحيح؛

وهو رجاء الخير من الله تعالى، والطمع في فضله، مع استفراغ الوسع في طاعته.

٢- التمني؛

التمني هو طلب الدرجات العالية من الجنة، مع الكسل عن الطاعة.

- والتمني من صفات المنافقين.

- والرجاء لا بد أن يتبعه اجتهاد في الطاعة؛ لأن الرجاء بدون عمل تمنٍّ، والتمني مذموم.

قال الله تعالى عن أصحاب الأمانى الباطلة: ﴿وَعَرَّكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ [الحديد: ١٤]

❁ والتمني يقول وهو في الدنيا.

قال الله تعالى عنه: ﴿وَلَيْنَ رُدِّدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]

وقال: ﴿وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]

❁ ثم يقول المتمني في الآخرة.

قال الله تعالى عنه: ﴿بَلَيْتَنِي فَدَمَّتْ لِحَايِي﴾ [الفجر: ٢٤]

ويقول: ﴿بَلَيْتَنِي لَمْ أَوْتَ كَنِيَّةً﴾ [الحاقة: ٢٥]

ويقول: ﴿بَلَيْتَنِي كُنْتُ رَبًّا﴾ [النبا: ٤٠]

ويقول: ﴿بَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: ٦٦]

❁ قال الحسن البصري: «ليس الإيثار بالتمني، ولكن ما وقر في القلب، وصدقه

العمل». [رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٦٣/٦ و ١٨٩/٧ وعبد الله بن أحمد في الزهد ٢٦٣]

وقال: «وإن قومًا ألهتهم أمانى المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا، وليست لهم حسنة،

وقالوا: نحسن الظن بالله، وكذبوا؛ لو أحسنوا الظن، لأحسنوا العمل». يقول: إني

أحسن الظن بربي، كذب، ولو أحسن الظن بربه، لأحسن العمل». [رواه ابن أبي الدنيا في الوجيل]

٣- الغرور؛

والرجاء مع المعصية وترك الطاعة غرور من الشيطان.

❁ فمثل الرجاء المقترن بالعمل الصالح؛ كمثل الزارع أتى إلى أرض طيبة،

وبذر البذر، وسقى الماء، وانتظر حسن العاقبة والخير، فهذا **انتظاره رجاءً**.
 * ومثل **الرجاء المقترن بالكسل**؛ كمثّل الزارع انتظر من الأرض الطيبة أن تنبت الزرع وحدها، وربما بذر البذر فقط بدون إتمام العمل بالسقاية، فهذا ليس رجاءً وإنما **ثمن مذموم**.

* ومثل **الرجاء المقترن بفعل المعاصي**؛ كمثّل الزارع أتى إلى أرض خبيثة، صحراء لا تقبل الماء، ولا تنبت زرعاً، ولم يبذر، ولم يسق، وإنما وضع فيها أنواع السموم والآفات، ثم انتظر الحصاد، فهذا لا يسمى رجاءً وإنما يسمى **حمقاً وغروراً**.

٤- اليأس؛

- اليأس: هو انقطاع الرجاء، والقنوط من رحمة الله.
 - واليأس سببه الإسراف في الذنوب، والإحساس أن الله لن يغفر له أبداً.
 * وسبب ذلك **الشیطان** الذي يتلاعب بأوليائه، فيزين لهم المعصية، ويدعوهم إليها، ويرغبهم فيها، حتى إذا سقط فيها العبد، قال له: هلك، وليس لك مخرج، وكيف يتوب الله على خبيثٍ مثلك؟! فيقنط العبد من رحمة الله، وييأس من روح الله.
 - فيزين له الشيطان معصية أخرى، فيقع فيها، حتى يتكون على قلبه "ران" يمنعهُ أن يسمع الهداية وكلام الرحمن؛ فلا ينفذ إلى قلبه غير غواية الشيطان.
 قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِنْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]
 وقال الله تعالى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]
 - فيزداد على المدى بعداً، ويزداد لربه بغضاً.

لأنه **يظن أن الله سيأخذه أخذاً عظيماً إذا قدم عليه ووقف بين يديه، فيكره لقاء الله، ويستبعده، ويمحوه من ذاكرته؛ فلا يتذكره**.
 - وهو لا يريد أن يتذكر ما يظن منه الشر، وهذا من ظن السوء بالله الذي يزيده خبالاً.
 - فكيف لمثل هذا أن يتوب إلا أن يتغمده الله بواسع رحمته؟

علاج اليأس؛

الإيمان برحمة الله الواسعة، وأنها أوسع من كل الذنوب، وأعظم من أي ذنب.
 قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿[الزمر: ٥٣]﴾

- والله تعالى لم يقل: (اقتربوا) بل قال: ﴿أَسْرَفُوا﴾ يعني: أَكثَرُوا من الذنوب والمعاصي، ومع ذلك أوجب عليهم ألا يقنطوا من رحمة الله.
 - فالله تعالى يغفر الذنوب جميعاً حتى الكفر والشرك الأكبر.
 - فما عليك يا عبد الله إلا أن ترجع إليه، وتفر منه إليه، أسرع بالتوبة والإنابة، فلو علمت مدى فرحه تعالى بتوبتك، لاستحييت أن تبطئ عليه.
-

عاشراً: كيف لا ترجو الله وهو يريد أن يعطي عباده أعلى الدرجات على يسير الطاعات ؟

أولاً: أعمال يدخل صاحبها الجنة بغير حساب ولا عذاب

١- تمام التوكل على الله، وعدم التشاؤم، وترك الكي، وطلب الرقية:

❁ قال رسول الله ﷺ: «فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بَغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ... هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ؛ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.» [صحيح البخاري ٥٧٥٢، ومسلم ٢٢٠]

ثانياً: أعمال تحرم فاعلها على النار

١- الإخلاص في كلمة «لا إله إلا الله»:

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُؤَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ؛ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ.» [صحيح البخاري ٦٤٢٣]

❁ قال رسول الله ﷺ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ! قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ! قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثَلَاثًا، قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ؛ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا، قَالَ: إِذَا يَتَكَلَّمُوا.» [صحيح البخاري ١٢٨ ومسلم ٣٢]

❁ قال ابن رجب: «ولا يُتصور تحقق القلب بمعنى «لا إله إلا الله» مع الإصرار على المعصية؛ لامتلاء القلب بمحبة الله وخشيته، فتنبعث الجوارح إلى الطاعة، وتنكف عن المعصية.» [فتح الباري لابن حجر الفسقلاني ١١ / ٣٤٠ ملخصاً]

٢- البكاء من خشية الله:

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا يَلْجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ عُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ» [صحيح : رواه الترمذي ١٦٣٣ والنسائي]

- فطوبى لمن صحت له دمعة واحدة من خشية الله.

٣- من ثار في وجهه غبار الجهاد، ومثله الغبار في طريق الجمع والجماعات والحج وطلب العلم:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَغْبَرَتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ».

[صحيح البخاري ٩٠٧]

❁ قال ابن المنير: «دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ مَنْ أَغْبَرَتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، سِوَاءَ بَاشَرَ قِتَالًا أَمْ لَا». [فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢٩/٦]

❁ وقال ابن حجر: «إِذَا كَانَ مَجْرَدُ مَسِّ الْغُبَارِ لِلْقَدَمِ يَحْرِمُ عَلَيْهَا النَّارَ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ سَعَى، وَبَذَلَ جَهْدَهُ، وَاسْتَفْدَى وَسَعَهُ». [فتح الباري ٣٠/٦]

❁ قال المناوي: «وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي غُبَارِ قَدَمَيْهِ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ بَذَلَ نَفْسَهُ فَقَاتَلَ وَقُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟» [فيض القدير ٧٦/٦]

❁ ذكر ابن حبان: «أَنْ مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ كَانَ يَنْزِلُ عَمَّا يَرْكَبُهُ، وَيَمْشِي؛ رَجَاءَ تَحْصِيلِ ذَلِكَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ». [البحار الزاهرة للدكتور العفاني ٨٢]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرِي مُسْلِمٍ أَبَدًا». [صحيح: رواه الترمذي ١٦٣٣، والنسائي ٣١٠٧، وابن ماجه ٢٧٧٤، وأحمد ٢/٥٠٥، والحاكم في

المستدرک ٤/٢٦٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٦١٧ وفي الترغيب ١٢٦٩]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ مُؤْمِنٍ: غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفَيْحُ جَهَنَّمَ» [حسن: رواه النسائي ٣١٠٩، وابن حبان في صحيحه ٤٦٠٦ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٨٨٦]

٤- قتل المشرك في الحرب:

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا». [صحيح مسلم ١٨٩١]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا ثُمَّ سَدَّدَ وَقَارَبَ».

[صحيح: رواه النسائي ٣١٠٩، وأحمد ٢/٢٦٣، ٣٤٠، ٣٥٣، والحاكم ٢/٧٢، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٢٧١]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ اجْتِمَاعًا يَضُرُّ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ»، قِيلَ:

مَنْ هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ قَتَلَ كَافِرًا، ثُمَّ سَدَّدَ» [صحيح مسلم ١٨٩١]

٥- صلاة أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ». [حسن: رواه الترمذي ٢٤١، وحسنه لغيره الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٦٥٢]

٦- المحافظة على الصلاة المشهودة «الفجر والعصر»؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا». [صحيح مسلم ٦٣٤]، وهذان هما وقت رفع الأعمال إلى الله تعالى؛ كل يوم مرتين.

٧- المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَافِظٌ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حُرِّمَ عَلَى النَّارِ». [صحيح: رواه الترمذي ٤٢٨، وأبو داود ١٢٦٩، والنسائي ١٨١٦، وابن ماجه ١١٦٠، والحاكم ٣١١/١ وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦١٩٥ وصحيح الترغيب ٥٨٤]

٨- حسن الخلق وأن يكون رحيماً مع المؤمنين؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ هَيِّنًا لَيِّنًا قَرِيبًا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». [صحيح: رواه هناد في الزهد ١٢٦٢ والحاكم في المستدرک ١/١٢٦/٤٣٥ والبيهقي في شعب الإيمان ٦/٢٧١ وصححه الألباني لغيره في الصحيحة ٩٣٨]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ». [صحيح: رواه الترمذي ٢٤٨٨ وأحمد ١/٤١٥ وابن حبان في موارد الظمان ١٠٩٦، ١٠٩٧ وروضة العقلاء ٦٣ وصححه لغيره الألباني في الصحيحة ٩٣٨]

٩- الذبُّ عن عرض المسلم؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ذَبَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ بِالْمَغِيبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ». [حسن: رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٤/١٧٦/٤٤٣ والبيهقي في شعب الإيمان ٦/١١٣/٧٦٤٣ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٨٤٧]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغِيَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ». [حسن: رواه أحمد ٦/٤٦١ وابن المبارك في الزهد ٦٨٧ والطيالسي ١٦٣٢ وعبد بن حيد ١٥٧٩ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٨٤٧]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ».

[صحيح رواه البيهقي في السنن الكبرى ٨/١٦٨، وابن أبي شيبة في المصنف ٥/٢٠٣ وفي المسند ١/٤٤١ وعبد بن حيد ٢٠٦ وابن السني في عمل اليوم والليلة ٤٢٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٦٣]

❁ وقال رسول الله ﷺ: « مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. » [حسن: رواه أحمد ٦/٤٤٩، ٤٥٠، والترمذي ١٩٣١ وقال: حديث حسن، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٨٤٨]

❁ قال المناوي: «لأن عرض المؤمن كدمه، فمن هتك عرضه، فكأنه سفك دمه، ومن عمل على صون عرضه، فكأنه صان دمه، فيجازى على ذلك بصونه من النار يوم القيامة وإن كان ممن استحق دخولها، وإلا كان زيادة رفعة في درجاته في الآخرة في الجنة». [فيض القدير ٦/١٣٥]

١٠- من عال ثلاث بنات أو أخوات وأحسن إليهن فوق الواجب:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَّتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.» [صحيح: رواه أحمد ٤/٨٥٤، ٨٢٢٠، وابن

ماجه ٣٦٦٩ والبخاري في الأدب المفرد ٧٦ وابن المبارك في البر والصلة ١٥٣، وصححه الألباني في الصحيحة ٢٩٤]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي يَعُولُ ثَلَاثَ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثَ أَخَوَاتٍ، فَيُحَسِّنُ إِلَيْهِنَّ، إِلَّا كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ.»

[جيد: رواه البيهقي في الشعب ٧/٣٦٩، ١١٠٢٣، وحسنه المناوي في التيسير، وجوده الألباني في الصحيحة ٣١٤٣]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ.» [صحيح البخاري ٥٩٩٥] وفي رواية بلفظ من ابتلى [صحيح البخاري ١٤١٨]

❁ قال المناوي: «فمن سترهن بالإحسان، جُوزي بالستر من النيران.» [فيض القدير ٦/٢١]

❁ وقال: «فأحسن إليهن بالقيام بهن على الوجه الزائد عن الواجب من نحو إنفاق وتجهيز.»

❁ وقال: «بأن لا يمن عليهن، ولا يظهر لهن الضجر والملل، ولا يحملهن ما

لا يطقنه.» [فيض القدير ٥/٣٦٢]

١١- من صبر إذا مات له ثلاثة من الولد أو اثنين:

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا يَمُوتُ مُسْلِمٌ ثَلَاثَةً مِنَ الْوَلَدِ فَيَلْجَ النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ.» [صحيح البخاري ١٢٥١، ومسلم ٢٦٣٤]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُنَّ مِنْ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ، قَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ؟ قَالَ: وَاثْنَيْنِ.» [صحيح البخاري ١٠٢، ومسلم ٢٦٣٤]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَفَنَ ثَلَاثَةً مِنَ الْوَلَدِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ.»

[صحيح: رواه الطبراني في الكبير ٢٢/٩٦، ٢٣١، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٣٨]

ثالثاً: حسنات تمحو الذنوب المتقدمة والمتأخرة

١- إسباغ الوضوء:

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا يُسْبَغُ عَبْدُ الْوُضُوءِ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.»

[حسن: رواه البزار ٤٢٢، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني ١٥٠، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٢٣٧، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٨٩ وحسنه] [نقلًا عن البحار الزاخرة للدكتور العفاني] [لكن الألباني ضعفه ٥٠٣٦]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً» [صحيح مسلم ٢٢٩]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يَنْهَازُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ غُفِرَ لَهُ مَا خَلَا مِنْ ذَنْبِهِ» [صحيح البخاري ١٦٠ ومسلم ٢٣٢ واللفظ له]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الْوُضُوءِ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، قَالَ: وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَغْتَرُّوا.» [صحيح البخاري ٦٤٣٣]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوْ الْمُؤْمِنُ - فَعَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بَعَيْنُهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا عَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشْتُهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا عَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَسَّتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يُخْرَجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ.» [صحيح مسلم ٢٤٤]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَوَضَّأَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ، خَرَجَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ سَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَيَدَيْهِ، وَرِجْلَيْهِ، فَإِنْ قَعَدَ قَعْدَ مَغْفُورًا لَهُ» [صحيح: رواه أحمد ٥/٢٥٢ والنسائي في السنن الكبرى ١٠٦٤٣ وابن أبي شيبة في

المصنف ٦/١ والطبراني في المعجم الكبير ٧٥٦٠ والمروزي في مختصر قيام الليل ١٠ وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٨٧]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ، وَصَلَّى كَمَا أُمِرَ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ.»

[حسن: رواه ابن ماجه ١٣٩٦ والنسائي ١٤٤ وأحمد ٥/٤٣٣ والدرامي ٧١٧ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٩٦]

٢- صوم رمضان إيماناً واحتساباً:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ»

[حسن: رواه أحمد ٢/٣٨٥ وله شواهد ترقية، كما في تنبيه الهاجد للشيخ الحويني ٤٦٥ وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند] [لكن الألباني ضعفه ٥٠٨٣]

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»

[صحيح البخاري ٣٨، ومسلم ٧٦٠]

٣- قيام رمضان إيمانًا واحتسابًا:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ».

[صحيح: رواه النسائي في السنن الكبرى ٢/٨٨/٢٥١٢، وابن عبد البر في التمهيد ٧/١٠٥، وصححه الحويني في تَنْبِيْهُ الْمَاجِدِ ٤٦٥]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

[صحيح البخاري ٣٧، ومسلم ٧٥٩]

٤- قيام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ».

[صحيح: رواه النسائي في السنن الكبرى ٢/٨٨/٢٥١٢، وابن عبد البر في التمهيد ٧/١٠٥، وصححه الحويني في تَنْبِيْهُ الْمَاجِدِ ٤٦٥]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

[صحيح البخاري ١٩٠١، ومسلم ٧٦٠]

٥- من قال: الحمد لله الذي أطعمني «كساني» هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ

وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [«وَمَا تَأَخَّرَ» في بعض نسخ

أبي داود]: «وَمَنْ لَبَسَ ثَوْبًا، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ

حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ».

[حسن: رواه الترمذي ٣٤٥٨، وأبو داود ٤٠٢٣، وابن ماجه ٣٢٨٥ وأحمد ٤٣٩، وحسنه الألباني في إرواء الغليل ١٩٨٩]

رابعاً: حسنات تمحو الذنوب المتقدمة

١- الهجرة إلى دار الإسلام:

❁ قال رسول الله ﷺ لعمر بن العاص رضي الله عنه: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ.» [صحيح مسلم ١٢١]

٢- العبادة وقت الفتن:

❁ قال رسول الله ﷺ: «عِبَادَةٌ فِي الْهَرَجِ، أَوْ الْفِتْنَةِ؛ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ.»

[صحيح مسلم ٢٩٤٨ بدون: أو الفتنه، وهذا اللفظ عند الطبراني في المعجم الكبير ١٧٢٥٠]

❁ قال ابن العربي: «فإذا وقعت الفتن، تعين على المرء أن يفر بدينه من الفتنة إلى العبادة، ويهجر أولئك القوم وتلك الحالة.» [نقل المناوي في فيض القدير ٣٧٣/٤]

❁ فالعبادة في الهرج تغفر ما تقدم؛ مثل الهجرة.

٣- الذي يثبت في فتنة الدجال:

❁ قال رسول الله ﷺ: «يُخْرِجُ الدَّجَالُ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ وَجَبَ أَجْرُهُ وَحُطَّ وَزُرُّهُ وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ وَجَبَ وَزُرُّهُ وَحُطَّ أَجْرُهُ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ.» [حسن: رواه أحمد ٤٠٣/٥، وأبو داود ٤٢٤٤، وعبد الرزاق في المصنف ٢٣٤٢٥ و البغوي ٤٢١٩ والحاكم ٤٣٢/٤، وحسنه الألباني في الصحيحة ١٧٩١]

٤- الحج المبرور الذي لا يخالطه إثم:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.» [صحيح البخاري ١٥٢١]

❁ قال ابن حجر: «رجع كيوم ولدته أمه: أي بغير ذنب، وظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبعات.» [فتح الباري ٣/٣٨٣]

- قال به أيضاً القرطبي والقاضي عياض.

❁ قال المناوي: «لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه، بل لابد أن يدخلها؛ أي: مع السابقين، أو بغير عذاب، وإلا فكل مؤمن يدخلها، وإن لم يحج.» [فيض القدير ٤٠٦/٣]

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.»

[صحيح مسلم ١٣٥٠]، وهذا اللفظ يشمل العمرة.

❁ وقال رسول الله ﷺ: «الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ» [صحيح مسلم ١٢١]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ.»

[صحيح: رواه الترمذي ٨١٠، والنسائي ٢٦٣١، وأحمد ١/٣٨٧، وصححه الألباني في الصحيحة ١٢٠٠]

٥- الصلاة في بيت المقدس؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلَالَ ثَلَاثَةِ: سَأَلَ اللَّهَ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ؛ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ؛ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَرُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ؛ أَمَّا اثْنَانِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةُ.» [صحيح: رواه أحمد ١٧٦/٢، والنسائي ٦٩٣، وابن ماجه ١٤٠٨، وابن حبان ٦٤٢٠، وابن

خزيمة ١٣٣٤، والحاكم ٣٠/١، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١١٧٨]

٦- الاجتماع على ذكر الله تعالى؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ عَلَى ذِكْرِ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ إِلَّا قِيلَ لَهُمْ: قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ.» [صحيح: رواه ابن أبي شيبة ٢٩٤٧٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٥٠٧]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ»، وزاد في رواية: «وَبَدَّلَتْ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ» [صحيح: رواه

أحمد ١٤٢/، والبزار ٣٠٦١، وأبو يعلى في مسنده ٤١٤١ والطبراني في الأوسط ١٥٥٦، وابن عدي في الكامل ٦/٢٤٠٩، وأبو نعيم في

حلية الأولياء ٣/١٠٨، والبيهقي في شعب الإيمان ١/٤٠١/٥٣٤، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٥٠٤]

٧- من قال : سبحان الله وبحمده مائة مرة؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» [صحيح البخاري ٦٤٠٥، ومسلم ٢٦٩١]

وفي رواية: «حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ».

لأن «الحمد لله» تملأ الميزان، أي: أن ذاكرها يمتلئ ميزانه ثوابًا، و«سبحان الله

وبحمده» تملأ ما بين السماوات والأرض.

❁ قال ابن حجر: «ذكر ابن بطل عن بعض العلماء أن الفضل الوارد في حديث الباب وما شابهه إنما هو لأهل الفضل في الدين، والطهارة من الجرائم العظام، وليس من أصرَّ على شهواته، وانتَهك دين الله وحرَماته بلا حِقِّ، بالأفاضل المطهرين في ذلك، ويشهد له قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَنَاهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] [فتح الباري ٢٠٨/١١]

٨- القول عند سماع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًّا، وبمحمد رسولًا، وبالإسلام دينًا؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ.» [صحيح مسلم ٣٨٦]

٩- كثرة المشي إلى المساجد، والانتظار من صلاة إلى صلاة؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرَّبَاطُ» [صحيح مسلم ٢٥١]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «كَفَّارَاتُ الْخَطَايَا: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَإِعْمَالُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ يَغْسِلُ الْخَطَايَا غَسْلًا.» [صحيح: رواه ابن ماجه ٤٢٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٤٨٩]

١٠- من قال خلف الإمام: «آمين»، فوافق تأمين الملائكة؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مِنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.» [صحيح البخاري ٧٨٠، ومسلم ٤١٠]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [صحيح البخاري ٧٨٢، ومسلم ٤١٠]

١١- من قال خلف الإمام: اللهم ربنا لك الحمد ، فوافق قول الملائكة:

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِنَ حَمْدِهِ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.» [صحيح البخاري ٧٩٦، ومسلم ٤٠٩]

١٢- من سبح وحمد وكبر ثلاثاً وثلاثين بعد الصلاة، وختم المائة ب: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمَدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» [صحيح مسلم ٥٩٧]

١٣- صلاة الفجر في جماعة، وذكر الله بعدها، حتى تطلع الشمس، ثم يصلي ركعتين:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَامَّةٌ تَامَّةٌ» [حسن: رواه الترمذي ٥٨٦، وحسنه لغیره الألباني في الصحيحة ٣٤٠٣]

ومن نال الثواب التام للحج والعمرة، غفر له، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

١٤- صلاة ركعتين لا سهو فيهما:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يَسْهُو فِيهِمَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [حسن: رواه أبو داود ٩٠٥، وأحمد ١١٧/٤، والبخاري ١٠١٣، وعبد بن حميد ٢٨٠، والحاكم ١٣١/١ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ٢٢٨]

١٥- الصبر على المرض الشديد:

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِالسَّقَمِ، حَتَّى يُكْفِرَ عَنْهُ كُلَّ ذَنْبٍ» [حسن: رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٥٤٨/١٣٣/٢ والأوسط ٩/٣٤٠/٨٧٤٠، والحاكم في المستدرک ٣٤٧/١، وحسنه الألباني في الصحيحة ٣٣٩٣]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا اشْتَكَى الْمَوْتُ أَخْلَصَهُ ذَلِكَ كَمَا يُخْلَصُ الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»

[صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد ٤٩٧، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات ٩٠، وصححه الألباني في الصحيحة ١٢٥٧]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُصْرَعُ صَرَعَةً مِنْ مَرَضٍ إِلَّا بَعَثَهُ اللَّهُ مِنْهَا طَاهِرًا»

[صحيح: رواه الروياني في مسنده ١٢٧٠ وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات ٢٣، والطبراني في المعجم الكبير ٨/١١٥/٧٤٨٥، والبيهقي في شعب الإيمان

٧/١٨٠/٩٩٢٢، وصححه الألباني في الصحيحة ٢٢٧٧]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا فَحَمَدَنِي وَصَبَرَ عَلَى مَا بَلَيْتُهُ؛ فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ لِلْحَفْظَةِ: إِنِّي أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي هَذَا وَابْتَلَيْتُهُ؛ فَأَجْرُوا لَهُ مَا كُنتُمْ تُجْرُونَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْأَجْرِ وَهُوَ صَحِيحٌ.» [حسن: رواه أحمد ٤/١٢٣، والطبراني في المعجم الكبير ٧١٣٦ والأوسط ٤٧٠٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩/٣٠٩، وحسنه الألباني في الصحيحة ٢٠٠٩]

خامساً: أنواع الشهادة التي تغفر الذنوب كلها إلا الدين؛

١- القتل في سبيل الله؛

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ١٦١ ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠]

❁ قال رسول الله ﷺ: «الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ كُلَّ خَطِيئَةٍ، فَقَالَ جَبْرِيلُ: إِلَّا الدِّينَ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِلَّا الدِّينَ» [صحيح مسلم ١٨٨٦]

٢- من أمر إماماً جائراً بمعروفٍ، فقتله؛

❁ قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ عَدَلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ.»

[صحيح: رواه أبو داود ٤٣٤٤، وابن ماجه ٤٠١١، والترمذي ٢١٧٤، وصححه لغيره الألباني في الصحيحة ٤٩١]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ.» [صحيح: رواه الحاكم ٣/١٩٥، وصححه لغيره الألباني في الصحيحة ٣٧٤]

❁ سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغُرْزِ: «أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: كَلِمَةُ حَقٍّ

عَنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ. [صحيح رواه النسائي ٤٢٠٩، وأحمد ٣١٥/٤، والدولابي في الكنى ٧٨/١، وصححه الألباني في الصحيحة ٤٩١]

قوله ﷺ: «أفضل الجهاد» يعني: أن بعضه أفضل من بعض، وأن من سيأتي بيانهم ليسوا في درجة من سبق ذكرهم.

٣- من سقط عن دابته في سبيل الله، فمات، فهو شهيد:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صُرِعَ عَنْ دَابَّتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ.»

[صحيح: رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٧/٣٢٣/٨٩٢، وصححه الألباني في الصحيحة ١٦٦٧]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ فَصَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَاتَ أَوْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ أَوْ وَقَصَهُ فَرَسُهُ أَوْ بَعِيرُهُ أَوْ لَدَغَتْهُ هَامَةٌ أَوْ مَاتَ عَلَى فَرَّاشِهِ أَوْ بِأَيِّ حَتْفٍ شَاءَ اللَّهُ؛ فَإِنَّهُ شَهِيدٌ وَإِنْ لَهُ الْجُنَّةُ» [حسن: رواه أبو داود ٢٤٩٩، والحاكم ٧٨/٢ وحسنه الألباني في المشكاة ٣٨٤٠]

٤- من قتل الخوارج أو قتلته الخوارج، فهو شهيد:

❁ سأل الفرزدق أبا هريرة وأبا سعيد الخدري رضي الله عنهما، فقال: إن قومًا يخرجون علينا يقتلون من قال: «لا إله إلا الله» ويؤمّنون من سواهم، فقالا لي: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قَتَلَهُمْ، فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ، وَمَنْ قَتَلُوهُ فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدَيْنِ.»

[حسن: رواه البخاري في التاريخ الكبير ١/٣٠٩/٩٨١ وابن أبي عاصم في السنة ٩٢٦ والطبراني في المعجم الأوسط

١/٢٧٦/٩٠٠. قال الهيثمي في مجمع الزوائد رجال ثقات ٦/٢٣٤ وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: سنده جيد ١٢/٣٠٢]

٥- من مات في الرباط مات شهيداً:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا، مَاتَ شَهِيدًا.» [حسن: رواه عبد الرزاق في المصنف

٥/٢٨٣/٩٦٢٢ وابن عدي في الكامل ١/٣٣٨ والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق ١/٣٦٦ والبيهقي في الشعب ٩٨٩٦

وأبو نعيم في الحلية ٨/٢٠١ وقد ورد موقوفاً من كلام صفوان بن سليم ويزيد بن عبد الله، ورواه ابن أبي شيبه ٤/٢١٩/١٩٤٩٠

وعبد الله بن أحمد في الزهد ٢١٤، وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً نحوه. رواه ابن أبي عاصم في الجهاد

٣١٤، وله شاهد من حديث: من مات مرابطاً في سبيل الله أو من عذاب القبر ونا له أجره إلى يوم القيامة، وهو حسن لغيره]

٦- من سأل الله الشهادة بصدق:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصْبِهِ.» [صحيح مسلم ١٩٠٨]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ

مَاتَ عَلَى فَرَّاشِهِ.» [صحيح مسلم ١٩٠٩]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْقَتْلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ

أَجْرَ الشَّهِيدِ». [صحيح: رواه الترمذي ١٦٥٤، والطبراني في الكبير ٣٤٦٥، وصححه الألباني في تحقيقه على جامع الترمذي ١٦٥٤]

٧- من قتل دون ماله، فهو شهيد:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ». [صحيح البخاري ٢٤٨٠، ومسلم ١٤١]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ مَظْلُومًا فَلَهُ الْجَنَّةُ»

[صحيح: رواه النسائي ٤٠٨٦، وأحمد ٢٢٣/٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٤٤٦]

❁ وفي رواية: «فَهُوَ شَهِيدٌ». [صحيح: رواه أحمد ٢٢١/٢ وعبد الرزاق في المصنف ١٨٥٦٦/١١٥/١٠، وصححه

الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٤١٢]

٨- من قتل دون دينه، فهو شهيد:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ». [صحيح: رواه الترمذي ١٤٢١، والنسائي

٤٠٩٥، وأحمد ١٩٠/١ وأبو داود ٤٧٧٢، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٧٠٨]

٩- من قتل دون أهله، فهو شهيد:

❁ قال رسول الله ﷺ: «وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ».

[صحيح: رواه الترمذي ١٤٢١، والنسائي ٤٠٩٥، وأبو داود ٤٧٧٢، وأحمد ١٩٠/١، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٧٠٨]

١٠- من قتل دون دمه، فهو شهيد:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ».

[صحيح: رواه الترمذي ١٤٢١، والنسائي ٤٠٩٥، وأبو داود ٤٧٧٢، وأحمد ١٩٠/١، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٧٠٨]

١١- من قتل دون مظلّمته، فهو شهيد:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ».

[صحيح: رواه النسائي ٤٠٩٦، وأحمد ٣٠٥/١، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٤١٣]

١٢- الغريق شهيد:

❁ قال رسول الله ﷺ: «الْغَرِيقُ شَهِيدٌ». [صحيح مسلم ١٩١٥]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي الشَّهِيدِ فِيكُمْ؟» قالوا: القتل في سبيل الله،

قال ﷺ: «إِنَّ شَهِدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيتُمْ؛ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرَقُ شَهِيدٌ». [صحيح مسلم ١٩١٥]

❁ وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ الشَّهيدَ فِيكُمْ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: «إِنَّ شَهِدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيتُمْ»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ». [صحيح مسلم ١٩١٥]

١٣- الحرق شهادة :

❁ قال رسول الله ﷺ: «الطَّاعُونُ، وَالْغَرَقُ، وَالْبَطْنُ، وَالْحَرَقُ، وَالنُّسَاءُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي». [صحيح : رواه النسائي ٢٠٥٤ وأحمد ٤٠٠/٣ والدرامي ٢٤١٣ وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني ٧٧٨ والطبراني في المعجم الكبير ٤٨/٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٩٥٠]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «الْحَرِيقُ شَهِيدٌ». [صحيح: رواه أبو داود ٣١١١، والنسائي ١٨٤٦ وابن ماجه ٢٨٠٣ ومالك ٥٥٢ وأحمد ٤٤٦/٥ وصححه الألباني في أحكام الجنائز ٣٩]

١٤- صاحب الهدم شهيد :

❁ قال رسول الله ﷺ: «الشَّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». [صحيح البخاري ٦٥٤ و٢٨٢٩ ومسلم ١٩١٤]

١٥- من وقع من الجبال شهيد :

❁ قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ مَنْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ الْجِبَالِ، وَيَأْكُلُهُ السَّبَاعُ، وَيَغْرَقُ فِي الْبَحْرِ؛ كَشَهِدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ». [صحيح موقوفاً على ابن مسعود، رواه عبد الرزاق في المصنف ٩٥٧٢/٥، والطبراني في الكبير ٩/٣٤٥، وابن أبي شيبه في المصنف ٤/٢٢١/١٩٤٧٧ وسعيد بن منصور في سننه ٢/٢٧٨ وقال الهيثمي في المجمع ٥٤٧/٥ : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح وقال ابن حجر في فتح الباري: صحيح]

١٦- من افترسه السبع شهيد :

❁ قال رسول الله ﷺ: «الطَّعْنُ، وَالطَّاعُونُ، وَالْهَدْمُ، وَأَكْلُ السَّبْعِ، وَالْغَرَقُ، وَالْحَرَقُ، وَالْبَطْنُ، وَذَاتُ الْجَنْبِ؛ شَهَادَةٌ». [صحيح : رواه الطبراني في الكبير ٤٦٠٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٩٥٣ نقلاً عن البحار الزاخرة للعفاني ١١٥ وله شاهد من الأثر السابق] [ثم رجع الألباني وضعفه ٥٣٦١]

١٧- من لدغته حية أو عقرب فمات فهو شهيد :

❁ قال رسول الله ﷺ: «أَوْ لَدَغَتْهُ هَامَةٌ أَوْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ أَوْ بِأَيِّ حَتْفٍ شَاءَ اللَّهُ فَإِنَّهُ شَهِيدٌ وَإِنَّ لَهُ الْجَنَّةَ.» [حسن رواه أبو داود ٢٤٩٩، والطبراني في الكبير ٣٤١٩، والحاكم ٧٨/٢، والبيهقي في الشعب ٤٢٤٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٤١٣ وفي أحكام الجنائز]

١٨- الطاعون شهادة :

❁ قال رسول الله ﷺ: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ.» [صحيح البخاري ٢٨٣٠، ومسلم ١٩١٦]

❁ قال رسول الله ﷺ: «وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ» [صحيح مسلم ١٩١٥]

١٩- السل شهادة:

❁ قال رسول الله ﷺ: «الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهَادَةٌ، وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ، وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ، وَالْحَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالسَّلُّ، وَالنَّفْسَاءُ يَجْرُهَا وَلَدُهَا بِسَرِّهَا إِلَى الْجَنَّةِ.»

[حسن: رواه أحمد ٤٨٩/٣ وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني ٢٧٨٨، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٣٩٦]

٢٠- داء البطن والإسهال والاستسقاء شهادة :

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ» [صحيح مسلم ١٩١٥]، والبطن: هو وجع البطن، أو الاستسقاء وانتفاخ البطن.

❁ وقال رسول الله ﷺ: «وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ.» [صحيح: رواه أبو داود ٣١١١، والنسائي ١٨٤٦، وابن ماجه ٢٨٠٣، ومالك في الموطأ ٥٥٢ وأحمد ٤٤٦/٥، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ٣٩]

٢١- صاحب الجنب وانتفاخ الصد رشيد :

❁ قال رسول الله ﷺ: «الشُّهَدَاءُ سَبْعَةٌ سَوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرَقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْحَرَقُ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجَمْعٍ شَهِيدٌ.» (يعني: الحامل).

[صحيح: رواه أبو داود ٣١١١، والنسائي ١٨٤٦، وابن ماجه ٢٨٠٣، ومالك ٥٥٢ وأحمد ٤٤٦/٥، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ٣٩]

٢٢- النساء شهيدة :

❁ قال رسول الله ﷺ: «الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهَادَةٌ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ، وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالطَّاعُونَ شَهَادَةٌ، وَالنُّفْسَاءُ شَهَادَةٌ» [صحيح: رواه أحمد ٣١٠/٢ وصححه شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند ٨٠٩٢]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ، وَالنُّفْسَاءُ شَهِيدَةٌ يَجْرُهَا وَلَدُهَا بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ».

[صحيح رواه أحمد ٣٢٨/٥ والمتن صححه الألباني لغيره في صحيح الجامع ٤٤٤١]

٢٣- المرأة تموت في الحمل أو الولادة شهيدة :

❁ قال رسول الله ﷺ: «وَمَا تَعْدُونَ الشَّهَادَةَ إِلَّا مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ إِنْ شُهِدَاءُكُمْ إِذَا لَقِيتُمْ، الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهَادَةٌ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ، وَالْحَرْقُ شَهَادَةٌ، وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالْمَغْمُومُ يَعْنِي الْهَدْمَ- شَهَادَةٌ، وَالْمَجْبُونُ شَهَادَةٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجَمْعٍ شَهِيدَةٌ» [صحيح : رواه النسائي ١٨٤٦ ، وأبو داود

٣١١١ وابن ماجه ٢٨٠٣ ومالك ٥٥٢ وأحمد ٤٤٦/٥ وصححه الألباني في أحكام الجنائز ٣٩ وفي صحيح الجامع ٢٠٩٦]

٢٤- الموت بعد المواظبة على قيام رمضان :

❁ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ قُضَاعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَصَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ، وَصُمْتُ الشَّهْرَ، وَقُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَتَيْتَ الزَّكَاةَ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ».

[صحيح: رواه البخاري في التاريخ ٣٠٨/٦ وابن خزيمة في صحيحه ٢٢١٢ وابن حبان في صحيحه ٣٤٣٨ وابن قانع في

معجم الصحابة ١٩٧/٢ والبيهقي في شعب الإيمان ٣/٣٠٨/٣٠٨ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣٦١ و٧٤٩]

❁ قال ابن خزيمة: «استحقاق من قام رمضان اسم الصديقين والشهداء، إذا جمع مع قيام رمضان صيام نهاره، وكان مقيماً للصلوات الخمس، مؤدياً للزكاة، شاهداً لله بالوحدانية، مقرراً للنبي ﷺ بالرسالة». [صحيح ابن خزيمة ٣٤٠/٣]

٢٥- المتمسك بالسنة في وقت الفتن:

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ زَمَانَ صَبْرٍ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِ أَجْرُ خَمْسِينَ شَهِيدًا مِنْكُمْ» [صحيح: رواه الطبراني في الكبير ١٠٣٩٤، والبخاري ١٧٧٦، وصححه الألباني في الصحيحة ٤٩٤]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِنَّ يَوْمٌ بِمَا

أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ شَهِيدٌ مِنْكُمْ، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ مِنْكُمْ.»

[حسن: رواه أبو داود ٤٣٤١ والترمذي ٣٠٥٨، وابن ماجه ٤٠١٤ وابن حبان ٣٨٥، وحسنه الألباني لغيره في الصحيحة ٤٩٤]

❀ وبعد؛ فهذه ستون باباً أو أكثر من أبواب الخير، كلها تؤدي إلى الجنة بإذن الله، دلنا عليها رسولنا ﷺ الذي ما ترك خيراً إلا ودلنا عليه، وما ترك شراً إلا وحذرنا منه. والله تعالى أمره أن يبلغ ذلك كله؛ لأنه تعالى يريد بعباده اليسر، ويريد أن يهديهم، ويريد أن يتوب عليهم، ويريد أن يخفف عنهم، ويريد أن يطهرهم، ويتم نعمته عليهم، وما يريد بهم العسر، وما يريد ظلماً للعباد، وما يريد ليجعل عليهم من حرج.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٨]

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]

وقال تعالى: ﴿وَلِيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

وقال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]

وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين البر العضو الكريم الحليم المعين المجيب
الستير الرفيق الرحيم الرحمن المحسن المنعم الجواد الحنان المنان الوهاب
التواب الرؤوف الصبور الشكور الغفور الودود.

١٠- حسن الظن بالله

✽ بحث حسن الظن بالله يتضمن:

أولاً: ما هو حسن الظن بالله؟

ثانياً: حسن الظن بالله من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته.

ثالثاً: الأسباب التي تدفعك إلى إحسان الظن بربك.

رابعاً: علامة صدق إحسان الظن بالله.

خامساً: جزاء حسن الظن بالله.

سادساً: شرط دخول الجنة أن تكون طيباً.

سابعاً: أنواع الظن بالله.

أولاً: ما هو حسن الظن بالله؟

قال الله تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٧]

١- حسن الظن بالله أن تعتقد أنه ما منعك إلا يعطيك، وما ابتلاك إلا ليعافيك، وما امتحنك إلا ليصفيك.

✽ قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَى ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً». [صحيح مسلم: ٢٦٧٥]

٢- وأعظم حسن الظن بالله أن تفرح بالطاعة، وتستبشر بها، وتظن أن الله سيدخلك بها الجنة، ليس بسبب عملك، وإنما برحمته التي يسر لك بها الطاعة، فهو سبحانه ما يسر لك طاعته، إلا لما أراد بك من الخير، فتيسيرك للطاعة هو الذي يدفعك إلى إحسان الظن بالله تعالى.

٣- ومن لوازم حسن الظن بالله المداومة على طاعته، وعدم ترك التوبة، وإساءة الظن بالنفس.

ثانيًا: حسن الظن بالله من مقتضيات الإيمان بأسمائه وصفاته تعالى

✽ حسن الظن بالله من مقتضيات الإيمان بأسمائه تعالى الحكيم الخبير.

✽ ومن أثر الإيمان بأسمائه تعالى الرؤوف الرحيم.

✽ ومن لوازم الإيمان بأسمائه تعالى الودود البر الكريم.

- فهو تعالى حكيم في أفعاله، خيرٌ بعباده، وبكيفية إيصال النفع إليهم.
- يرحم عبده حيث لا يرحم العبد نفسه، ويرأف به حين لا يرأف العبد بنفسه ولا بإخوانه.
- يحب عباده الطائعين، ويثيب المحسنين، ويقرب المتقين، وينعم عليهم بما سألوه وما لم يسألوه، وقبل أن يسألوه، وكل ذلك لا يجب عليه، بل تَفَضَّلَ به عليهم.
- وهو تعالى ينتقم من المجرمين، ويرد عمل المرائين.
- لأن إعراضهم عن طاعته وصددهم عن سبيله وإشراكهم به يبطل حسن ظنهم برهم.
- بل إن يأسهم من رحمة الله هو من لعب الشيطان بعقولهم، وغلبة الهوى والأمانى الكاذبة على أفئدتهم، فكيف يحسنون الظن به وهم يصدون عنه - تعالى؟!

ثالثًا: الأسباب التي تدفعك إلى إحسان الظن بربك

- ١- أن تعلم أن من قال: « لا إله إلا الله » مخلصًا من قلبه، دخل الجنة. ألا يدفعك ذلك إلى الرجاء وحسن الظن بالله بعد أن تعلم أن إخلاص التوحيد جزاؤه الجنة؟!
✽ قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَتَغَيَّرُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ ». [صحيح البخاري: ٩٩]
- ٢- أما علمت أن بين المصراعين من مصاريع أبواب الجنة مسيرة أربعين سنة؟! وسيأتي عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، أما تخيلت نفسك وسط هذا الزحام؟!
- وكيف لا تحسن الظن بربك، وأنت تعلم أنه يدخل كل هؤلاء الجنة، وتظن أنك لست فيهم؟!
٣- أما علمت أنه يُؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا وهو من أهل الجنة، فيغمس

غمسة في الجنة، ثم يقال له: « هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ » فيقول: « لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ ».

❁ قال رسول الله ﷺ: « وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيَقَالُ: لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ. » [صحيح مسلم ٢٨٠٧]

وفي رواية قال رسول الله ﷺ: « فيغمس في الجنة غمسة. » [صحيح: رواه ابن ماجه ٤٣٢١]

٤ - أما علمت أنك إذا جلست في حلقة في المسجد تذكر الله، وتتعلم الدين، نزلت عليك الرحمة، وحفَّتكَ السكينة، وصعدت الملائكة بخبرك إلى الله، وهو أعلم، فيسألهم عنكم وماذا تطلبون، فتقول الملائكة: « **يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ** »، فيقول ﷻ: « **مَاذَا لَوْ رَأَوْهَا؟** » قالوا: « **كَانُوا لَهَا أَشَدَّ طَلَبًا** »، قال ﷻ: « **وَمَا يَتَعَوَّذُونَ؟** » قالت الملائكة: « **يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ** »، فيقول ﷻ: « **مَاذَا لَوْ رَأَوْهَا؟** » فيقولون: « **لَوْ رَأَوْهَا، كَانُوا مِنْهَا أَشَدَّ هَرَبًا**، قال: **فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ**. » [صحيح البخاري ٦٤٠٨ ومسلم ٢٦٨٩]

❁ وفي رواية قال رسول الله ﷺ: « **فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ تَعَالَى وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ فَمَا يَسْأَلُونِي؟** » قَالُوا: **يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، فَيَقُولُ: مَا رَأَوْا النَّارَ؟ فَيَقُولُونَ: مَا رَأَوْهَا، فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا فِرْقًا، وَأَشَدَّ لَهَا خَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: إِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. » [صحيح البخاري ٦٣٨٩ ومسلم ٢٦٨٩]**

٥ - قال الله تعالى: ﴿ **وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ١٠٢]

أما علمت أن « عسى » في حق الله واجبة؟ هو أوجب ذلك على نفسه برحمته ومنه وفضله، فإن الكريم إذا طمَّع الفقير في شيء من غناه، وفَّاه له.

- والله تعالى له الغنى المطلق، وهو أولى بكل جميل وصفة حسنة.

❁ فلو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمَّع في جنته أحد.

❁ ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من رحمته أحد.

❁ ومن أحسن الظن بربه، غلب على يقينه أن الله يدخله الجنة.

رابعاً: علامات صدق إحسان الظن بالله

١- إساءة الظن بالنفس:

من علامات حسن الظن بالله إساءة الظن بالنفس.

❁ فهل خَلَصَ عملك من شوائب الرياء، ورؤية النفس، والعجب، والمنّ على الله وعلى خلقه؟

- وهل كان على السنّة تماماً، أم للنفس فيه هوى؟

- فإن سَلِمَ من كل ذلك، فيا لقلته إلى جانب المجتهدين، ويا لتأخره إلى جانب المسرعين إلى الله.

- فهل تُنافس به المتنافسين؟! وهل تُدرك به منازل المقربين؟! وهل يصلح أن تلقى به رب العالمين؟!

❁ فالمؤمن لا يرى نفسه إلا مخطئاً مذنباً رغم اجتهاده في الطاعة، وهو يرى طاعته بضاعة مزجاة بائرة رديئة الإتيان.

❁ قال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطاياي وعمدي وكل ذلك عندي»

[صحيح البخاري ٦٣٩٩، ومسلم ٢٧١٩]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني.» [صحيح البخاري ٧٤٤٢، ومسلم ٧٧٢]

❁ فإن كان رسول الله ﷺ يقول ذلك، وهو المعصوم، فما تقول أنت في عملك؟

❁ فإن طاعة العبد لا تخلو من تقصير.

❁ فمن عبَدَ الله، وقال: قد فعلت ووفيت، فهذا لا يُقبل منه عمله؛ لأنه يظن الكمال بنفسه وبعمله، ويمن به على ربه؛ فإن شهود الإنسان لأعماله الصالحة نقص في الأعمال. - فإن رأى أنه الذي عمل الصالحات بغير معونة من ربه أو منّ بالعمل على الله، بطل العمل، وانعدم ثوابه بالكلية.

❁ أما صحيح الإيمان، فهو الذي يرى عمله الصالح تفضلاً من الله عليه.

ويرى أن الله تعالى هو الذي خلق فيه القدرة على العمل وخلق فيه العمل الصالح.

- فهو يفعل الطاعات، ولا يرى نفسه فاعلاً، بل يرى الله متفضلاً.
- وهو يجتهد في إحسان العمل، ثم يطلب قبول العمل.
- فهذا الذي يقبل الله عمله رغم وجود التقصير فيه؛ بل وفي عمل كل العباد.
- ❁ ومن أحسن الظن بربه وأساء الظن بعمله، فقد استبرأ لنفسه.

٢. المداومة على التوبة والاستغفار:

كان النبي ﷺ يتوب في اليوم مائة مرة.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ». [صحيح مسلم ٢٧٠٢]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَةَ مَرَّةٍ». [صحيح مسلم ٢٧٠٢]

٣. المداومة على العمل الصالح:

فمن قال: أَحْسِنُ الظن بالله ولم يسارع إلى طاعته، فهو كاذب.

❁ قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَى ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً». [صحيح مسلم: ٢٦٧٥]

❁ فمن ظن في الله الخير، ذكره في نفسه خالياً؛ فدمعت عيناه.

- وذكره في الناس واعظاً؛ فعم هداة.

- وتقرّب إلى الله مسارعاً؛ لينال رضاه.

- فرسول الله ﷺ في الحديث قد قرن بين حسن الظن بالله وبين ذكره تعالى والتقرّب إليه بالطاعات، فحسن الظن هو الدافع لفعل الطاعات.

❁ قال الحسن البصري: «إِنَّ قَوْمًا أَهْلَهُمْ أَمَانِي الْمَغْفِرَةِ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَتْ لَهُمْ حَسَنَةٌ، يَقُولُ: إِنِّي أَحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّي، وَكَذَبَ، وَلَوْ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ لَأَحْسَنَ الْعَمَلِ». [الوجل والتوثيق بالعمل لابن أبي الدنيا (ص ٢٧-٢٨)]

خامساً: جزاء حسن الظن بالله

• من اجتهد في طاعة الله، ظن أن الله ما يسر له الطاعة، إلا ليدخله الجنة، فإن صدق في ظنه بربه، أدخله الله الجنة.

الجنة

❁ وما أدراك ما الجنة؟ إنها - ورب الكعبة - نورٌ يتلألأ، وريحانٌ تهتز، وقصرٌ مشيدٌ، ونهرٌ مطّرد، وثمرَةٌ نضيجٌ، وزوجٌٌ حسنٌ جميلٌ، وحلٌّ كثيرة، في مقام أبد.

❁ فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فكل ما تخيلته، فقد خطر على قلبك؛ فلا بد أن تكون الجنة أجمل منه.

شباب دائم:

❁ فإن المنادى ينادي: «يا أهل الجنة! إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا؛ فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، فأهل الجنة لا يمرضون أبدًا، أَنْ تَحْيُوا؛ فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، أَنْ تَشْبُوا؛ فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، فأهل الجنة عند سن ثلاث وثلاثين لا يتعدونه أبدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا؛ فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا.» [صحيح مسلم ٢٨٣٧]

إنه يعرف منزله:

❁ فإذا دخل المؤمن الجنة، فإنه سيهتدي لقصره هناك أكثر من اهتدائه لبيته الذي في الدنيا. - أما رأيت زحام حجيج عرفات، إذا رجع كلٌ منهم إلى دياره، هل يُخطئ أحدٌ منهم بيته، كذلك زحام المؤمنين على باب الجنة، لا يخطئ أحدٌ منهم قصره.

قال الله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ [محمد: ٦]

الحوار:

❁ فإذا دخل المؤمن قصره، وجد زوجةً حوراء العين، بهية المنظر، إذا رآته، ضحكت له، فيخرج من فمها نورٌ تضيء له الجنة.

❁ فإذا نظر إليها، وجد عليها من حلل الحرير ما يخلب ناظره، يرى من خلال حللها مخ ساقها؛ من رقة الحرير ونعومة جلدها.

❁ فإذا شمها، فيا لطيب عطرها! فإن عطرها لو هَلَّتْ منه نفحةٌ في السماء الدنيا،
لأهناً للناس عيشها.

❁ وأما تاجها على رأسها، لو بدا من جوهره شيء، لآمن الناس من نورها.
❁ وأما ريقها، لو سقطت منه قطرةٌ في بحار الدنيا، لعذب للناس شربها.
❁ فإذا تكلمت، فيا لطيب سماعها! فيا لحسرة المغبون إن فقد وصالها!
- فإذا غنت لزوجها، فمزامير داود أقلها.
- ويا لذة الأسماع ونشوة الأفكار وجميل الأشعار لمن نالها!
- ويا لفوز من جوار ربه اختار، وفي الدنيا أعطى للمغنيات ظهره واستدار!
❁ ثم هي مُطهرة عن بول، أو غائط، أو حيض، أو نفاس، عَرَقُهَا مِسْكٌ أَزْفَرُ،
وشرها أنور من جوهر، ينتظر الطاهر المطهر.

جمال أهل الجنة :

❁ أما المؤمن نفسه في الجنة، فإنه يكون له بهاء وجمال، وأقلهم من يكون جماله
ضعف جمال نبي الله يوسف عليه السلام، حتى إنه يبهر زوجاته الحور بجماله، فيقلن له:
«وَاللَّهِ مَا ظَنَّنَا أَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مِثْلَكَ»، وقد كان هذا المؤمن أشعث أغبر في الدنيا؛ من
طول السعي في سبيل الله، لا يؤبه له، لكنه كان إذا أقسم على الله، أبر الله قسمه.

القصور:

❁ فإذا نظر المؤمن إلى قصره، وجدته لبننةً من ذهب، ولبننةً من فضة، بينهما المسك.
- فيا لطيب هواء أنت فيه! فإن مسست الحائط، فاح المسك، وإن تحرك الهواء، فاح
المسك، وإن فتحت الشرفات، فاح المسك.
❁ وفي قصرك شرفات تطل على مملكة عظيمة، حصى أرضها من اللؤلؤ،
وأشجارها من الذهب، تسير في ظل الشجرة منها مائة عام لا تقطعها.
- وشرفاتها قباب اللؤلؤ، وتطل الشرفات على جنات: ﴿جَنَّاتٍ﴾ ﴿ذَوَاتِ أَفْنَانٍ﴾
و﴿جَنَّاتٍ﴾ ﴿مُدَّهَا مَتَانٍ﴾ ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ﴾.
❁ وللقصر - حديقة، إن رأيتهَا، أعجبتك غصونها، وإن شممتها، أعجبتك
زهورها، وإن سرت فيها، أعجبتك ظلالها، وإن شربت من عينها، أعجبتك مأوها،

وإن أكلت من أشجارها، أعجبتك ثمارها.
 ❀ وله بعد هذا القصر في كل أنحاء مملكته قصور؛ قصور شاخات في أعلى عليين.
 ❀ أبوابها الزمرد الأخضر، والذهب الأصفر، والفضة البيضاء، وأعمدتها من الجواهر، وأبراجها غرف من المرجان والدُّرَّ الأنور، أسرَّتُها من الياقوت الأحمر، وفرشها من سندس وإستبرق.

المركبات؛

❀ ولك في الجنة دابة ذكية، لا تحتاج أن تقودها أو تكلمها؛ فهي تعرف خاطرك ومرادك.
 - وهى مريحة جداً وسريعة جداً، تضع قدمها عند آخر ما يقع عليه نظرها.
 ❀ فإذا ركبت دابتك تبتغي التنزه في مملكتك، مرت بك على نهر من عسل مصقّى، وآخر من لبن، وثالث من خمرٍ لذة للشاربين، لا فيها سُكْرٌ ولا ذهابٌ عقلٍ، ومرت بك على أنواعٍ نعيمٍ لم تتخيلها، ولم تشتهها ولم تطلبها من قبل أن تراها.

التنزه؛

❀ وفي نهاية التنزه خيمة، ليست على الرمال، وإنما على الأزهار.
 - وإذا الخيمة لؤلؤة مجوفة، فيها من أنواع البهجة والسرور.
 - وإذا لك فيها زوجات، لم ترهنَّ من قبل، فإذا رأيتهن، اشتهيت وصالهن.
 - فإذا كنت مع إحداهنَّ، لم تترك الأخرى؛ لبعد ما بينهن، ولسعة هذه اللؤلؤة.

الطعام؛

❀ أما الطعام، فإن اشتهيت، دخل عليك ألفا خادم من قصرِكَ، مع كل خادم سبعون صحفة، في كل صحفة ألوان من الطعام، فتأكل منها جميعاً، وفيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فما تدرى أيها كانت الأنعم والألين والألذ والأطيب.

السوق؛

❀ ويتقابل المؤمنون في سوق الجنة، وفيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الأذان بوصفه، ولم يخطر على القلوب شبهه، فيأخذون منه ما اشتهووا بلا ثمن.

رفقاء الخير:

✽ فإذا اشتقت إلى إخوانك، طار سريرُ عرشك إلى جوار سرير أحدهم، فتذاكران متى غفر الله لكما؟ ومتى نلتم تلك الكرامة وهذا المقام؟ نعم، إنه يوم كذا وكذا... يوم عرفة، أم يوم الشهادة في سبيل الله، أم يوم ختم القرآن، أم يوم الصدقة العظيمة، أم يوم البكاء من خشية الله، أم عند الفطر يوم صوم الهاجرة، أم يوم قيام ليلة القدر بالبقرة والنساء وآل عمران.

رسول الله ﷺ:

✽ ثم إذا اشتقت إلى النبي محمد ﷺ، وإلى أصحابه ﷺ وإلى العشرة المبشرين سادات أهل الجنة؛ أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي عبيدة ﷺ أجمعين.

✽ فأنعم بزيارة رسول الله ﷺ، فإذا لقيته، فإنك لا تدري بأيهم تبدأ التقبيل برأسه أم بيديه، أم برجليه ﷺ، فطالما أحببت وتمنيت أن تسمع القرآن منه، وأن تصلي خلفه، وأن تشهد المشاهد معه، وأن تقاتل بين يديه، وأن تفديه بنفسك، وتقول له: «نحري دون نحرك». فالآن برد من الأكباد حرُّها، ودام بالوصل نعيمها.

✽ وأنعم بزيارة أصحابه ﷺ أفضل الخلق بعد الأنبياء ولهم أعلى المنازل في دار البقاء.

النعيم الأعظم:

✽ وإذا اشتقت إلى رؤية رب العالمين ﷻ، فإنه يستجيب لعباده - سبحانه وتعالى - ويجمعهم في صعيدٍ واحدٍ، ويكرم منازلهم، ويجعلهم على منابر من ذهبٍ وفضةٍ وجوهر، فيقولون له: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ وَحَقَّ لَكَ الْجَلَالُ وَالْإِكْرَامُ» [تفسير الطبري ١٤٨/١٣ عن وهب بن منبه]، فيكلم كل واحد منهم، ويسألهم ماذا يريدون، فيقولون: «ألم تُبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟» فيقول ﷻ: «أفلا أعطيتكم خيرًا من ذلك؟» فيقولون: «ما هو؟» فيقول ﷻ: «أَحِلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا». [صحيح البخاري ٦٥٤٩ ومسلم ٢٨٢٩] فما أعطوا في الجنة عطاءً خيرًا من النظر لوجه ربهم الكريم - جل وعلا -.

❁ قال رسول الله ﷺ : «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ». [صحيح مسلم ١٨١]

❁ ثم يقول لهم: سلوني ما شئتم، فلا تزال الأمانى بقلب كل رجل منهم، ولا يزال يعطيهم.

❁ فيسأله أقلهم أمانة، ويقول: «رَبِّي تَنَافَسَ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ فَتَضَافِقُوا فِيهَا رَبَّ فَأْتَنِي مِثْلَ كُلِّ شَيْءٍ كَانُوا فِيهِ مِنْ يَوْمٍ خَلَقْتَهَا إِلَى أَنْ انْتَهَتْ الدُّنْيَا»، فيقول الله تعالى: «لَقَدْ قَصَّرْتَ بِكَ الْيَوْمَ أَمْنِيَّتَكَ ، وَلَقَدْ سَأَلْتَ دُونَ مَنَزِلَتِكَ».

- فإن هذا السائل على روعة طلبه، لم يحسن المسألة، ولكن الله يعطيه فوق ما سأله: مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

❁ فيعودون إلى أهلهم أنصر وأبى ما كانوا؛ بما أصابهم من تجلى الله تعالى عليهم بنوره.

إنتهى عناء التكليف:

❁ ويلهمون التسييح والتحميد؛ كما تلهمون النفس، إنه تسييح فرحة، إذا رزقوا زوجة جديدة، إنه تكبير إجلالٍ لله، إذا اشتهاوا الطير في السماء، فوقع بين أيديهم مشويًا.

❁ قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَفَلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ، قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشِحِ الْمُسْكِ يُلْهِمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهِمُونَ النَّفْسَ». [صحيح مسلم ٢٨٣٥]

- فهم لا يحتاجون إلى إخراج ما يأكلون، وإنما ينضح عليهم عرقًا، ريحه أطيب من المسك.

أهل الجنة منزهون عن النقائص:

فهم لا يتفلون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، ونساؤهم لا تحيض.

أدنى أهل الجنة:

❁ فاجتهد يا عبد الله؛ فإن أدنى أهل الجنة منزلاً من يؤتاه الله أكثر من عشرة أضعاف أعظم ملوك الدنيا، هذا الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وإن لملوك الدنيا عشرات القصور، والمنتجعات، والمتنزهات، والشواطئ، والضيعات، والجواري، والخدم، والمركبات.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَا أَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا رَحْفًا، فَيُقَالُ لَهُ: أَنْطَلِقْ فَأَدْخُلِ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَذْهَبُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى، فَيُقَالُ لَهُ: لَكَ الَّذِي تَمَنَيْتَ وَعَشْرَةَ أَضْعَافِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟ قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ». [صحيح مسلم ١٨٦]

السابقون:

❁ أما أعظمهم منزلةً، فأولئك الذين يريد الله تعالى غرس كرامتهم بيديه، وأعد لهم الجنة قبل أن يخلقهم، وأعد لهم فيها الزوجات، والغلمان، والأشجار، والأنهار، وقباب اللؤلؤ المجوف، والخور، والقصور؛ كما يُعدُّ الأهل الوليمةً لغائبهم، إذا رجوا قدومه، والله المثل الأعلى.

❁ إن الجنة قد تزينت، وتزينت، وتزينت.

- ولو أذن لها، لتكلمت، وقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون : ١]

أنت مراقب:

❁ وفي كل يوم تزين زوجتك من الخور تنتظرك، وهي في الجنة تراك، وتسمع حديثك، وتسمع إيذاء زوجتك في الدنيا لك، وهي لم يرها، ولن يراها أحدٌ إلا أنت. - فإن أيقنت بذلك، فهل تراك تعمل سيئة قط؟! وهل تراك تكسل عن طاعة قط؟! - فهي لا تزيد على مر الأيام، إلا جمالاً، فلا تزد أنت على الطاعات، إلا إقبالاً.

قال موسي عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]

❁ فيا طالباً للمعالي وباذلاً للمهر الغالي.. هل ترضى بأقل من تلك الحورية؟ - فإن كنت لا ترضى، فهل أعددت مهرها؟ إنه القرآن، والقيام، والصيام.. وما سواه النبي ﷺ بذروة السنام.

❁ فاجتهد، واسأل الله الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن.

- وإن في الجنة درجات، عددها كعدد آيات القرآن.

- وإن الله أعد للمجاهدين مائة درجة، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ يُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ». [صحيح البخاري ٢٧٩٠ و٧٤٢٣]

سادساً: شرط دخول الجنة أن تكون طيباً

✽ فإن الجنة طيبة، ولا يصلح لها إلا الطيبون من الناس.

قال الله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦]

وقال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ

أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]

ومعنى أن تكون طيباً هو أن تكون نقياً من الذنوب تماماً، ليست فيك ذرة معصية، فإن كنت كذلك، دخلت الجنة لأول وهلة.

- وإن غلبت حسناتك سيئاتك، أخذت السيئات بمثلها من الحسنات، وكانت درجتك في الجنة بقدر ما بقي لك من حسنات، وإلا لزم أن تُنقى.

✽ لذلك فإن الله تعالى قد وهب لك محطات لتنقيك؛ حتى لا تدخل النار.

- فإن علمت ما هي تلك المحطات؟ زاد حسن ظنك بربك، بل ظننت أن النار لن يدخلها أحداً أبداً.

محطات التنقية:

أولاً: محطات التنقية في الدنيا:

١. التوبة:

- فتب الآن بدلاً من أن تزحف على الصراط؛ فيقطع حده كل لحم ووتر، ويخدش كل عظم وظفر.

٢. الاستغفار:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]

استغفر من الذنوب التي تذكرها والتي لا تذكرها، فقد كان النبي ﷺ يستغفر في اليوم مائة مرة.

✽ قال رسول الله ﷺ: « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ

سَبْعِينَ مَرَّةً ». [صحيح البخاري ٤٣٠٧]

❁ وقال رسول الله ﷺ : « إِنِّي لَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » . [صحيح مسلم ٢٧٠٢]

٣. فعل الحسنات:

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود: ١١٤]

❁ قال الله رسول ﷺ : « أَتَقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ

النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » . [حسن : رواه الترمذي ١٩٨٧ وأحمد ٥/ ١٥٣ وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب ٢٦٥٥]

٤. دعاء المؤمنين:

❁ قال الله رسول ﷺ : « مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ

مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً » . [حسن : أورده الطبراني في مسند الشاميين ٢١٥٥ ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٦٠٢٦]

❁ وقال الله رسول ﷺ : « مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، إِلَّا قَالَ

الْمَلَكُ : وَلَكَ بِمِثْلٍ » . [صحيح مسلم ٢٧٣٢]

٥. دعاء الملائكة:

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا

وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧]

٦. المصائب المكفرة:

- فإن الله يبتليك لينقيك ويصفيك ويكفر عنك ذنوبك .

❁ قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا ، حَتَّى

الشُّوْكَةُ يُشَاكُّهَا » . [صحيح البخاري ٥٦٤٠ ومسلم ٢٥٧٢٥]

❁ وقال رسول الله ﷺ : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ، لَيْسَ ذَلِكَ

لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ ، شَكَرَ ؛ فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ ، صَبَرَ ،

فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ » . [صحيح مسلم ٢٩٩٩]

٧. إقامة الحد في الدنيا:

- فمن أقيم الحد عليه لا يعذب على الذنب في الآخرة؛ لأن الله لا يعذب عبده على

الذنب مرتين، فإن الله أكرم من أن يؤاخذ عبده على الذنب مرتين في الدنيا والآخرة .

❁ قال رسول الله ﷺ : « وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا ، فَهُوَ لَهُ

كَفَّارَةً، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَسَتَرَهُ اللَّهُ، فَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ؛ إِنْ شَاءَ عَاقِبُهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ». [صحيح البخاري ١٨ و ٣٨٩٢ و ٤٨٩٤ و ٦٧٨٤ و ٧٢١٣ ومسلم ١٧٠٩]

ثانيًا: محطات التنقية عند الموت:

١. سكرات الموت

✽ قال رسول الله ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنْ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ». [صحيح البخاري ٤٤٤٩]

٢. نطقه للشهادة

✽ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

[صحيح رواه أبو داود ٣١١٦ وصححه الألباني في المشكاة ١٦٢١]

٣. صلاة الجنازة ودعاء المؤمنين له:

✽ قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ». [صحيح مسلم ٩٤٨]

✽ قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً، كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ، إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ». [صحيح مسلم ٩٤٧]

٤. فتنة القبر وضمته وسؤاله:

فإن القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

- فمن لم ينقِّ قبل ذلك، فربما يكفيه ظلمة القبر، وضيق القبر، ووحدته، وسؤال الملكين أو عذاب القبر،... نعوذ بالله من ذلك!

٥. هدايا الأحياء إلى الميت:

فإن الأحياء يهدون من ثواب الأعمال ما ينفع الميت، ويخفف عنه؛ مثل: الحج، والعمرة، والصدقات، والدعاء، فيصل ثوابها للميت.

✽ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». [صحيح مسلم ١٦٣١]

ثالثًا: التنقية يوم القيامة:

١. أهوال القيامة:

فرؤية الشمس وهي تُكْوَر، والنجوم وهي تُنثر، والبحار وهي تُفَجَّر وتشتعل، والأرض وهي تُزَلزل، فهذا الرعب يمكن أن ينقيه.

٢. الوقوف بين يدي الجبار للسؤال:

كيف استهنت بقاء الملك، وما الذي غَرَّك به؟!؟
قال الله تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]
وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]

٣. شفاعت النبي ﷺ :

و شفاعاة الأنبياء ﷺ والصالحين والشهداء وسائر المؤمنين.

٤. عفو الله ﷻ.

فمن لم يكفه كل ذلك ليُنقى، فلا بد أنه يستحق العذاب، وسيبقى في النار بقدر ذنبه، حتى تنقيه النار، أو يعفو الله ﷻ عنه قبل إتمام العقوبة، فيخرجه من النار، ويدخله الجنة.

سابعا: أنواع الظن بالله

١- حسن الظن الصادق بالله:

وهو الاستبشار بالطاعة والفرح بها؛ لأنها تدل على جزائها، وما أعده الله للطائعين من النعيم، والطاعة ترضي الرحمن، فيرضي عبده بالنعيم والإكرام. ﴿فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَقَامَكَ، فَانْظُرْ أَيْنَ أَقَامَكَ. فَإِنْ أَقَامَكَ فِي طَاعَتِهِ، فَقَدْ أَعَدَّكَ لَنَيْلِ كَرَامَتِهِ.﴾

٢. المغرور المنافق:

هو صاحب العمل القليل، الذي يظن أنه قد أدى كل ما عليه من واجبات وزيادة، ويرى أعماله كالجبال ويعتقد أنها حتماً ستقبل، فيمن بها على الله وعلى عباده. قال الله تعالى في هؤلاء: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]

ظن الجاهلية:

٣- إساءة الظن بالله:

وهي اعتقاد أن الله لن يقبل عمل عبده، ولن يدخله الجنة مهما كثرت طاعاته، وأن الله لن ينصر دينه، وسيجعل الهزيمة لأوليائه. وهذا من ظن الجاهلية.

قال الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

- وهذا الظن من الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته؛ لأن معاني أسمائه وصفاته توجب عكس ذلك؛ من عدله سبحانه، وإكرامه لأوليائه، ونصره لأصفيائه، وهزيمته لأعدائه.

١- سوء ظن المسرفين:

المسرف يظن أن الله لن يغفر له إذا تاب، وهذا قد غرق في المعصية، حتى أحاطت به، فاستبعد أن يغفر الله له بعد طول الإعراض والمخالفة، ويظن أن رحمة ربه لن تسع إلا الطائعين من خلقه.

- وهذا يدفعه اليأس من روح الله إلى التماادي في العصيان والمخالفة؛ لأنه يظن أن النار

هي نهايته الحتمية، وأنه سينال من الله أقصى عقاب، ولن يزيد عقابه إذا زادت مخالفته؛ لأنه يستحق الحد الأقصى من العقاب.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]

٢- سوء ظن ضعيف الإيمان:

هو الذي يظن أن الله لن ينصر أوليائه، أو أن الله سيجعل الدائرة والغلبة دومًا لأعدائه.

٣- سوء ظن صاحب البدعة:

- وهو الذي يظن السوء بصفات الله تعالى، وأن صفاته تشبه عجز مخلوقاته.
- أو يظن بأن الله تعالى غير كامل القدرة، أو أنه غير عظيم الرحمة، أو أنه غير شديد البطش، أو أنه غير واسع المغفرة.
- فيعطل صفات الله - تعالى .
- أو يؤولها على حسب مراد قلبه وهو اه.
- أو يجعل لها كيفية، فيتكلم بغير علم وبغير ما أنزل الله.

١١. مجاهدة النفس

✽ بحث المجاهدة يتضمن:

أولاً: ما هي مجاهدة النفس؟

ثانياً: مجاهدة النفس من مقتضيات الإيمان بأسماء الله وصفاته.

ثالثاً: تفاوت النفوس في الإقبال على طاعة الله تعالى.

رابعاً: علامة اتباع الهوى.

خامساً: أنواع الجهاد والمجاهدة.

أولاً: ما هي مجاهدة النفس؟

✽ المجاهدة هي فطام النفس عن الهوى.

- وهي بذل الجهد والطاقة؛ حتى تستقيم النفس على أمر الله.

ثانياً: مجاهدة النفس من مقتضيات الإيمان
بأسماء الله صفاته

مجاهدة النفس هي مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى القدوس، السلام، الرقيب،

الخبير.

- فمن سلم من نجاسات المعاصي، وتطهر من خبثها، وبذل في ذلك جهده

وطاقته، فقد أصبح طيباً، يصلح لأن يدخله الله الجنة؛ دار السلام الدائم، ودار

السلامة من كل شر.

- ومن أحس نعيم القرب، وذاق حلاوة الإيمان، أراد أن يشعر بها كل الأنام، وسعى

لكي ينعم مثله كل الخلق، فجاهد عصاتهم؛ لكي يهتدوا، وجاهد الكفار؛ لكي يؤمنوا.

ثالثاً: تفاوت النفوس في الإقبال على طاعة الله تعالى

أنواع الأنفس : ثلاثة أنواع، وهي :

١- النفس الأمارة بالسوء. ٢- النفس اللوامة. ٣- النفس المطمئنة.

أولاً: النفس الأمارة بالسوء :

❁ وهي مستقر الشر والقبائح والردائل، وصاحبها لا يتوقف عن الفجور، ليس في وقته الحاضر فقط، بل يخطط دوماً للفجور في المستقبل.

قال الله تعالى : ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة: ٥]

❁ ومثلها النفس الغافلة التي لا تدري لماذا خلقت، ولا تسعى لدخول الجنة، وهذه النفس قد لا تفعل كثيراً من القبائح، وما ذلك إلا لأن الناس تستقذرها، ليس لأنها تغضب الله.

❁ والنفس الغافلة عن الله بالطبع ليست من النفوس الطيبة، لذلك هي من النفوس الخبيثة؛ لأن الناس في الدنيا فريقان، إما ضائع، وإما طائع، وهم في الآخرة كذلك، ليس لهم فريق ثالث.

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]

❁ وهذه النفس لا تعرف معروفاً، ولا تنكر منكراً، وقلبها أقسى من الحجارة. - نعوذ بالله من قسوة القلب.

علاج قسوة القلب:

❁ وأنجح علاج لقسوة القلب هو رؤية الموتى وزيارة القبور.

- فتحيل حين يضعون القطن على عينيك، فإنها أول شيء يسيل على التراب منك.

- أو حين يغسلك من لا تعلم، أهو مشفق عليك أو شامت فيك.

- فإذا قلبك، خرجت منك نجاسة لا تستطيع لها دفعاً، ولا تستطيع لنفسك ضراً ولا نفعاً.

- فإذا أهالوا عليك التراب، كأنني بك تصرخ : « لا تتركوني وحدي ».

- فإذا أتاك ملكان أسودان أزرقان، وأقعداك للمحاكمة، فيا له من خذلان،

ويا لحسرة الندمان!

❁ إن أنفع شيء لقسوة القلب أن ترى **المرضى** ومن أشرف على الموت.
 - وقد علا منهم الصراخ والأنين، وقد ذهلت منهم العقول عن التفكير والتدبير،
 قد هزلت منهم الأبدان عن الحراك، قد سال منهم البول والبراز بلا اكتراث.
 - فأين لذة الطعام الشهي؟ وأين راحة المركب الهني؟ وأين دفء الغطاء الثري
 يمنع عن تلبية النداء العلى «الأذان»؟ وأين لذة الأكل كان في نهار رمضان؟ وأين
 الزوجة الحسنة؟ وأين القصر الواسع المنيف؟ هل بقى معه من لذة ذلك شيء؟ أو
 استقر عنده من نعيم ذلك شيء؟!

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ﴾ [الشعراء: ٢٥٥-٢٥٧]

وقال الله تعالى عن الكافر: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٢٨-٢٩]

ثانياً: النفس اللوامة:

❁ وهي التي **تندم** عند المعصية.
 - وتشعر بالتقصير في حق الله.
 - **وتكثر من ثوم صاحبها**، فهي تلومه إذا وقع في الذنب على فعل الذنب،
 وتلومه إذا فعل الحسنات أنه لم يستكثر منها.
 - لكن هذه النفس **تحتاج من يذكرها** دومًا بالآخرة.
 ❁ فنحن نحتاج أن نحاسب أنفسنا كل يوم ونلومها.
 - نلومها على ما **كسبت ألسنتنا** من كذب وغيبة واستهزاء وسباب، فإن هذا
 أكثر ما يكبُّ الناس في النار، هذا حصائد ألسنتهم.
 ❁ أخذ رسول الله ﷺ بلسانه وقال لمعاذ رضي الله عنه: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. فَقَالَ مُعَاذُ: يَا
 نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ،
 وَهَلْ يَكْبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ».

[صحيح: رواه الترمذي ٢٦١٦ وابن ماجه ٣٩٧٣ والنسائي في السنن الكبرى ١١٣٩٤ وأحمد ٥/٢٣١ وصححه لغيره الألباني في

الصحيحة ١١٢٢ والإرواء ٤١٣]

- ونحتاج أن نلوم أنفسنا ونمنعها من **إطلاق البصر**، ونعلم أن غض البصر

مفتاح حياة القلب ونور البصيرة.

قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]

- ونمنع أنفسنا من شبهات المكاسب، فإن أكل الحرام يمنع إجابة الدعوات.

ثالثًا: النفس المطمئنة:

❁ وهي مستقر الإيمان، وهي نفس قد عرفت الله تعالى، فوحدته، واطمأنت به، ولم تتعشب في أودية الملل والمذاهب.

❁ وهذه النفس تحب الله، وتشتاق إليه، وتخشاه، وتخضع له.

❁ وقد يتقلب الإنسان بين هذه الدرجات وهذه الأنفس حسب داعي الهوى وحسب مجاهدته لنفسه، فإن الإيمان يزيد وينقص، ويكون له إقبال وإدبار، أو شرة وفترة (فنور)، أو همّة وغلظة.

رابعًا: علامة اتباع الهوى

❁ وعلامة عبودية القلب للهوى أنه إذا أعطي ما يهواه، رضي، وإن منع، سخط؛ فرضاه وسخطه لغير الله.

- أما المؤمن، فإنه يرضى بما يرضى الله تعالى ويسخط لما يسخط الله تعالى، ويجب ما يحبه الله ورسوله ﷺ، ويبغض ما يبغضه الله ورسوله ﷺ.

❁ فكل ما عصى الله به من الذنوب، فسيبه تقديم العبد لهواه على أوامر ربه ومولاه.

❁ فكن عبدًا لله، لا عبدًا للهوى؛ فإن الهوى يهوي بصاحبه في جهنم.

❁ ومن علم أن إلهه ومعبوده فرد، فليضرده بالعبودية، ولا يتبع شعب الهوى وأوديته.

خامساً: أنواع الجهاد والمجاهدة

١- جهاد النفس. ٢- جهاد الشيطان. ٣- جهاد العصاة. ٤- جهاد الكفار.

أولاً: جهاد النفس:

- ١ - هو مجاهدة النفس في أمرها بفعل الخيرات.
 - ٢ - و مجاهدة النفس في نهيها عن الشهوات.
 - ٣ - ومجاهدة النفس في تعلم العلم النافع، وهو علم التوحيد وفقه الفرائض وغيرها.
 - ٤ - ثم مجاهدة النفس في العمل بهذا العلم وإقامة الدنيا بشرع الله.
 - ٥ - ثم مجاهدة النفس في دعوة الناس إلى هذا الحق.
 - ٦ - ثم مجاهدة النفس على تحمل ما ستلاقيه في سبيل ذلك من أذى.
- ففي هذا الطريق ذبح نبي الله يحيى عليه السلام، ونُشر زكريا عليه السلام، بالمنشير، وألقى إبراهيم عليه السلام في النار، وأوذى محمد ﷺ وأصحابه.

❁ فإذا أتممت جهاد النفس، أصبحت من الذين إذا أقسموا على الله، أبر قسمهم.

❁ وإذا انتصرت على نفسك، كنت على غيرها أقدر، فما الدابة الجموح بأحوج إلى

لجام من نفسك التي بين جنبيك.

❁ قال رسول الله ﷺ: « طُوبَى لِعَبْدٍ آخَذَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشَعَثَ رَأْسَهُ مُعْبَرَةً قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ ». [صحيح البخاري ٢٨٨٧]

١- إنما آفة النفس الهوى:

❁ من أحب شيئاً وتعلق به، أطاعه ولا بد، وكان غاية قصده ومطلوبه، ووالى لأجله،

وعادى لأجله، وأصبح عبداً لذلك الشيء، وكان ذلك الشيء الذي يهواه معبوده والله.

قال الله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ [الفرقان: ٤٣]

❁ فمن طلب الدنيا والمال والزينة، وجمعها على غير هدى من الله، ولم يبال أهى

مما أحل الله أم مما حرم، فإنما استعبده الدنيا، وتعلق قلبه بها من دون الله، وصار عبداً لها، وعبداً لما يهواه.

لأن تعلق القلب هو الرق والعبودية، فليست العبودية هي عبودية البدن فحسب
وانما العبودية عبودية القلب.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

[الكهف: ٢٨]

- فإن عبد الدنيا والمال والزينة لا يهوى شيئاً، إلا فعله، وركبه، لا يبالي أمن الحلال أم من الحرام كسبه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦]

- فمن وقع في هوى شيء وعشقه، فإنه لا يثنيه عن مراده عقوبة الدنيا ولا الآخرة.
- ولا يثنيه ألم الغربة، الذي يجده في قلبه بعد المعصية، ولا يثنيه ما ينكل الله به من فقر وغيره في الدنيا، ولا يثنيه ما يوعظ به من عذاب القبر، ولا نار الآخرة، ولا يزيده ذلك إلا إقداماً وحرصاً على الظفر بحاجته.

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ

عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجن: ٢٣]

﴿فعبد المال يظن أن السعادة في جمع المال والغنى، وما علم أن الغنى بطلب

المال هو عين الفقر إلى المال، وإن تعلق القلب بالمال من دون الله هو عبادة لهذا المال من دون الله.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: ١٦]

- وأما الغنى عن المال والشهوة، فهو الغنى الحقيقي؛ لأن من استغني عن المال،

لم يستعبده، ولم يذله.

- ومن يستغن بقلبه عن الشهوات تصف عبوديته لله وحده ويستغن بالخالق عن المخلوق.

﴿وإن مدمن الخمر الذي وقع في هواها لم يعد حراً في أفعاله، بل أصبح عبداً لها،

قد أسرته إلى حضيضها؛ فلا يستطيع أن يخرج من رقها.

﴿والقصد والتعلق إنما هو فعل القلب لا فعل الجوارح.

- فكم من غني ملك عرّض الدنيا، ولم يتعلق بها، بل تعلق قلبه بربه ورضاه؛ فلم

يخرج عن عبودية مولاه.

– وكم من فقيرٍ لهث خلف الدنيا، وكانت غاية قصده ومُنَاه، ولم يُحْصَل منها شيئاً، ورغم ذلك كان عبدها؛ لشدة تعلق قلبه بها.

٢. رؤوس الهوى ثلاثة:

✽ المال والنساء والمناصب.

✽ قال رسول الله ﷺ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْحَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَاضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ». [صحيح البخاري ٢٨٨٧]

✽ وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ». [صحيح مسلم ٢٧٤٢]

✽ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا، فَقَالَ: مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا، كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي بَنْ خَلْفٍ». [صحيح: أخرجه أحمد

١١/١٤١، والدارمي في سننه ٣/١٧٨٩، وابن حبان في صحيحه ٤/٣٢٩ وصححه أحمد شاكر وشعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند]

فإن فرعون شغله ملكه عن الصلاة، وإن هامان شغله منصبه عن الصلاة، وإن قارون شغله ماله عن الصلاة، وإن أبي بن خلف شغله حسده لرسول الله ﷺ عن الصلاة.

– وإن المأسور من أسره هواه إلى شيء من الدنيا، وإن كان رئيس الناس، والحر من تحرر من رقها، وإن كان أسير الجسد.

✽ قال ابن القيم: قال لي مرة ابن تيمية: «المحبوس من حُبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه». [أورده ابن القيم في الوابل الصيب ٧٠ عن شيخه ابن تيمية رحمه الله]

✽ فانظر هل أنت الذي تقود نفسك بشرع الله، أم أن الذي يقودها هواها على غير هدى من الله، فأصبحت تعبد الهوى من دون الله.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]

✽ ومن غلبه هواه، لم يقدر أن يرحل إلى مولاه، وكيف يرحل من هو مُقَيَّدٌ

بشهواته، وقد أبطأت به غفلاته؟

✽ واعلم أن أفضل مُروّضٍ للنفس وكابح لزماتها هو كثرة السجود، وأن تمنعها بعض المباحات، فتياأس من الوصول إلى المكروهات، فضلاً عن المحرمات.

٣. اتباع الهوى يقود إلى الكفر:

١. فمن اتبع هواه ، قاده إلى عبادة غير الله

قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ۖ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ۖ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۖ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذَا قُسِمَةُ ضِرَبَىٰ ۖ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۖ ﴿النجم: ١٩ - ٢٣﴾

٢. اتباع الهوى قاد بني إسرائيل إلى قتل أنبيائهم ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٠]

٣. اتباع الهوى قاد بني إسرائيل إلى تبديل الشرع والحكم بغير ما

أنزل الله

قال الله تعالى لداود ﷺ: ﴿ فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ ﴾ [ص: ٢٦]

٤. والله تعالى نهانا عن اتباع الهوى

قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ ﴾ [النساء: ١٣٥]

٥. الله تعالى جعل الجنة جزاء لمن ترك الهوى

قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١]

ثانيًا: جهاد الشيطان:

١- الشيطان يوسوس بالشهوات والشبهات

❁ فأما مجاهدة وسواس الشهوات.

فالشهوات لا يتم دفعها إلا بالصبر، وسبيل ذلك أن يقف العبد مع نفسه، ويقول لها: إنما العمر أيامٌ قليلة و « الدنيا ساعة، فاجعلها طاعة».

- « ومن قصرَ أمله، صلَحَ عمله».

- « فإذا أصبحت، فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح».

❁ ثم انظر إلى الشهوات، فإنها حقيرة، ولا يأتينا إلا أراذل الناس، وهي تُسقط المروءة، وهي لذة قصيرة، تعقبها حسرة طويلة، فصبر ساعة أهون من ألم كل ساعة.

- واعلم أنه من استذله الشيطان بالشهوات لا يقدر على عظام الطاعات.

❁ وأما مجاهدة وسواس الشبهات.

فالشيطان يأتي للعبد، فيشككه في الله وفي رحمته.

- ويشككه في الرسول ﷺ وفي صدقه.

- ويشككه في المؤمنين وفي إخلاصهم.

- ولا ينجو العبد من ذلك إلا باليقين، ولا يصل لليقين إلا بالعلم النافع.

❁ فلا تتم مجاهدة الشيطان إلا بالصبر واليقين.

- ومن تمت له مجاهدة الشيطان، نال الإمامة في الدين.

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]

❁ فبالصبر واليقين نال الإمامة في الدين.

❁ وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجاهد الشيطان، حتى غلبه، وخافه الشيطان،

حتى كان يرجع عن الطريق الذي يسير فيه عمر رضي الله عنه، فيسلك طريقاً غيره.

❁ قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ

غَيْرَ فَجٍّكَ .» [صحيح البخاري ٣٢٩٤ و٣٦٨٣ و٦٠٨٥ ومسلم ٢٣٩٦]

٢- وسواس الشيطان في الصلاة:

✽ واعلم أن الشيطان يوسوس للمسلم في صلاته؛ حتى يفسدها عليه ما استطاع، ولكنه لا يوسوس لأهل الكتاب ولا المشركين في صلاتهم.

وسبب ذلك :

✽ أن الصلاة صلة بين المسلم وربه، والمسلم يستعين بالله، ويستعيز به من الشيطان، فيطلب العون من الله، ويلتجئ إليه، ويحتمي بجنابه؛ حتى لا يقطع الشيطان عليه صلاته بوساوسه، وحتى يظل الاتصال كاملاً بين المسلم وبين ربه طيلة وقت الصلاة.

- لكن اليهود والنصارى والمشركين صلاتهم صلة بينهم وبين الشيطان، فكيف يقطعها الشيطان عليهم، وهم يتصلون به؟

٣- الفرق بين وسواس الشيطان وهوى النفس:

✽ الشيطان يوسوس بالمعصية، فإن جاهدته، انتقل لمعصية أخرى، وهكذا ثالثة ورابعة، فهو لا يريد معصية بعينها، وإنما يريدك أن تزل فقط.

✽ أما النفس، فإنها تهوى معصية بعينها، تلح عليها إلحاحاً، وتعتادها لدرجة أن الشيطان لا يحتاج لأن يزين للنفس هذه المعصية، ولأن النفس اعتادت هذه المعصية، فإنها قد لا تجد لذة في إتيانها، ولكن النفس تتألم إذا تركت ما اعتادت عليه.

✽ وسبب وقوع النفس في هوى معصية بعينها أن العبد لم يغلق الباب في وجه الشيطان أول مرة، فوقع في المعصية، فاخترتها نفسه، ووقعت في هواها، فلم تعد تستطيع مفارقتها.

✽ لذلك في رمضان تصفد الشياطين، لكن ما زالت النفس تلح على صاحبها بالهوى، وهذا من أسباب عدم انقطاع المعاصي في رمضان رغم تصفيد مردة الجان.

٤- ماذا يريد الشيطان؟

١- أعظم ما يدعوك الشيطان إليه هو الكفر بأنواعه.

فيدعوك إلى الردة بفعل ما ينقض الإسلام.
أو يدعوك إلى الشرك بتوجيه شيء من العبادة إلى غير الله.

أو يدعوك إلى **النفاق** أو الشك في الله و في قدرته، أو الاعتراض على قدره.
- فإن رفضت ذلك.

٢- دعاك الشيطان إلى البدعة.

بأن تعتقد في صفات الله تعالى ما لا يليق به، أو تبتدع طريقة في العبادة لم يفعلها رسول الله ﷺ، وقلما يوفق صاحب البدعة إلى التوبة قبل الموت والعياذ بالله.
- فإن اعتصمت بالكتاب والسنة وأبيت ذلك.

٣- دعاك الشيطان للوقوع في الكبائر.

فدعاك إلى عقوق الوالدين، أو الربا، أو الغيبة للمسلمين، أو ما يستوجب حدود الله من الزنا وشرب الخمر، وغيرها من الكبائر.
- فإن لم تفعل ذلك.

٤- زَيَّنْ لك الصغائر وإطلاق البصر.

- فإن اعتصمت بالله.

٥- شغلك بالمباحات.

- حتى يُضيع عليك الأوقات التي هي رأس مال الطاعات.
- فإن أبطلت كيده.

٦- شغلك بالمفضول عن الفاضل

- فإذا دخلت خلوتك بعد العشاء تطلب العلم، أمرك هو بقيام الليل، وقيام الليل أقل من طلب العلم، وإنما همه أن ينقص حسناتك، إن لم يزد سيئاتك.
- فإن كنت من أصحاب الهمة العالية، ولم يجد إليك سبيلاً.
٧- أخذ يؤز عليك من حولك أَرَأَى بأنواع المشاكل.

- وغرض الشيطان أن يُضيع وقتك، ويوهن عزمك، ويشغل فكرك، ويشتت شملك، ويقطع عليك الطريق إلى ربك، فوجب عليك أن تستعِذ منه في بداية كل عملك، فإن الله يعينك عليه، ويجعل كيده ضعيفاً، وهو تعالى لم يجعل له على المخلصين سبيلاً.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩]

ثالثًا: جهاد العصاة:

❁ وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١ - وأول مراتبه الإنكار باليد لمن لك ولاية عليهم:

فالوالي له ولاية على رعيته، والأب له ولاية على بيته، وصاحب العمل له ولاية في شركته، وكل من مُكِّنَ في مكان، فله ولاية عليه.

- وهو مأمور أن يقيم فيهم الصلاة، والفرائض، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.
قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١]

❁ قال رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْحَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

[صحيح البخاري ٨٩٣ و٢٤٠٩ و٢٥٥٤ و٢٥٥٨ ومسلم ١٨٢٩]

٢ - والمرتبة الثانية الجهاد باللسان:

وهو حين لا تكون لك ولاية على من تأمرهم، ولكن مازالت فريضة النصيحة قائمة عليك، فتصحح لله ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم.

❁ قال رسول الله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». [صحيح البخاري ٥٧ ومسلم ٥٥]

٣ - وأدنى المراتب الإنكار بالقلب:

وهو أضعف الإيمان.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ». [صحيح مسلم: ٧٠]

❁ فائدة:

- كل مراتب الإنكار يجب أن يكون أساسها وأول أركانها الإنكار بالقلب؛ لأن إنكار الجوارح تبع لعقيدة القلب، فمن أنكر باليد واللسان بدون إنكار القلب فهذا مرئي، فلا إنكار للجوارح بلا إنكار القلب.

❁ وعليه، فإن مراتب الإنكار هي:

المرتبة الأولى: هي إنكار اليد واللسان مع إنكار القلب.

والمرتبة الثانية: هي إنكار اللسان مع إنكار القلب.

والمرتبة الثالثة: هي إنكار القلب فقط.

الحسبة:

❁ وجهاد العصاة يسمى في الشرع « **الحسبة** ».

قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴾ [هود: ١١٦]

❁ **والمحتسب** هو رجل يعينه الخليفة أو أمير المؤمنين في الدولة المسلمة؛ لكي يسير في الأسواق والمساجد وتجمعات الناس، يأمرهم بالمعروف، فإذا وجد منكراً، أزاله بيده، ثم ينصح لهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

❁ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سبب خيرية هذه الأمة.

قال الله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

❁ ومتى عطلَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلدةٍ إلا انتظرت العذاب.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٥]

فالله تعالى أنجي الناهين عن السوء، وسمى الساكتين على المنكر ظالمين، وعذبهم بفسقهم، وفسقهم هو سكوتهم عن المعصية.

❁ وما أهمل أئمة الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تجنباً لأذى الناس، أو تلافياً لإحراجهم، إلا ابتداءً الله بهم حين ينزل العذاب.

- ولا يقتصر جهاد العصاة على المحتسبين، بل كل من رأى منكراً، وجب عليه أن يزيله متى استطاع، وبقدراً ما يستطيع، بيده، أو بلسانه، أو بقلبه.

لكن درء المفاسد مقدمٌ على جلب المصالح؛

- فلا ينبغي أن ينهى المحتسب عن منكر باليد، أو باللسان، وهو يعرف أنه سيؤدي إلى منكر آخر أكبر منه، أو سيعود على مسلمين آخرين بمنكر أكبر منه.
- فيصبح ترك المنكر الأول أهون.
- لكن بشرط عدم إقرار القلب لأي منكر.

لقد كان لكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة؛

❁ فقد كان النبي ﷺ يصلي هو وأصحابه ﷺ في صحن الكعبة زمن الاستضعاف بمكة، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، ولم يأمر النبي ﷺ أصحابه يوماً بتحطيم واحد منها، بل نزل الأمر الإلهي المباشر إلى العصبة المؤمنة بالكف عن ذلك والكف عن الكفار.

❁ ولا شك أن وجود الأصنام دليل على الشرك، ودليل على عبادة غير الله، ودليل على الكفر الصريح، ولا شك أن الكفر منكر أكبر من الفسق ومن وجود بعض أماكن اللهو والفجور التي تُمارس فيها المعاصي والكبائر التي ليست كفرًا، فالكف عنها في زمن الاستضعاف من باب أولى.

- وكان في مكة من هذه المنكرات الخيام ذوات الرايات الحمراء، التي تضعها البغايا؛ إعلانًا بأن هذه الخيمة مكانٌ للزنا، ولم يهدم النبي ﷺ ولا أصحابه ﷺ واحدة منها طوال العهد المكي، ثلاث عشرة سنة.

❁ **حتى كان يوم الفتح**، يوم هدمها النبي ﷺ كلها في ساعة واحدة.

- **ولم يهراق في سبيل ذلك قطرة دم** واحدة زكية من أحد الصحابة ﷺ.

- هدمها وهو يقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]

❁ بل وأرسل أصحابه كخالد بن الوليد ﷺ وعلي بن أبي طالب ﷺ لهدم كل أصنام العرب، وقتل من حال دون ذلك من سدنتها، ولم تُرق في سبيل ذلك قطرة دم واحدة.

❁ وحدثني بربك ماذا كان سيحدث لو كسر أحد الصحابة ﷺ أصبعًا واحدًا

لأحد هذه الأصنام زمن الاستضعاف؟

- كم كان سيراك في سبيل ذلك من دماء الصحابة ﷺ سادات أهل الجنة؟

- وكم كان ذلك سيضر بالدعوة جدًا أو يمنعها؟
- وكم كان ذلك سيؤدي إلى غضب الكفار، ويستثير حفيظتهم لقتل المسلمين؟
- وكم كان ذلك سيجعل من يريد الدخول في الإسلام أن يرجع عن رأيه؛ لما يرى من الإهانة والتنكيل الذي ينزل بأتباعه؟
- ❁ إنه الوحي والنبوة الذي حقن دماء الصحابة رضي الله عنهم ، الذين أصبح الواحد منهم بعد ذلك يقود الجيوش، ويدمر ممالك الكفر، وأصبح الواحد منهم بعد ذلك يهتدي على يديه أمة تلو أمة، ويدخل بسببه الناس في دين الله أفواجًا، أليس من الخطأ أن يهراق دمه لأجل صنم قبل أن يحقق الله على يديه كل هذا الفتح؟

رابعًا: جهاد الكفار :

١ - وأول مراتبه بالقلب.

- بأن تبغضهم، وتبغض كفرهم، ولا تتشبه بهم، ولا تؤدهم.

٢ - وثاني مراتبه باللسان.

- فتظهر مساوئهم وتظهر محاسن الإسلام.
- ❁ قال رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه : « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ». [صحيح مسلم ٢٤٩٠]

٣ - وثالث مراتبه بالمال.

- لتنشر الإسلام، وتبطل دين الخذلان، وتؤلف به القلوب.
- قال الله تعالى : ﴿ لَيْكِنَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التوبة: ٨٨]
- قال الله تعالى في مصارف الزكاة : ﴿ وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقُهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٠]

٤ - ورابع مراتبه بالنفس:

- وهو المخاصمة الكبرى، والمفاصلة العظمى، وهو ذروة سنام الدين، وأعلى درجات الإسلام، والعاقبة عليه إحدى الحسينين « نصر أو شهادة »، وهو أكبر بذل لله، وعليه أعظم عطاء من الله « الفردوس الأعلى ».

❁ سئل رسول الله ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: إِيْمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.
قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ. [صحيح البخاري ٢٧٢٨ ومسلم ٨٥]
❁ وقال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ.»
[صحيح رواه أحمد: ٢٣١/٥، والترمذي ٢٦١٦ وصححه؛ والنسائي في الكبرى ١١٣٩٤، وابن ماجه ٣٩٧٣، والطبراني في الكبير ١٣٠٣١/٢٦/٢٠]

والحاكم: ٤١٢/٢، ٤١٣، وصححه على شرطيهما، ووافقه الذهبي وصححه الألباني في إرواء الغليل ٤١٣]

❁ وفريضة الجهاد لا تسقط عن أحدٍ أبداً، حتى غير المستطيع لا بد أن يعقد العزم على الغزو في سبيل الله حين يستطيع، وإلا مات على شعبةٍ من النفاق.
❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ». [صحيح مسلم ١٩١٠]

❁ أما من غلبه هواه، وأحب أحد الأمور الثمانية، وهي: «الآباء، والأبناء، والإخوان، والزوجات والعشيرة، والأموال، والتجارات، والمساكن» أكثر من حبه لربه ولرسوله وللجهاد في سبيله، فهو فاسق، فإن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يتوعد بالعقاب والنكال من أثر هذه الأشياء أو بعضها على فعل ما أوجبه الله من الأعمال التي يحبها كالجهاد ونحوه.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]

❁ رغم أن الجهاد فيه تلف لنفس المؤمن وماله، وهي أحب الأشياء عند كل إنسان، لكن حب المؤمن لله ولما يحبه الله أعظم من حبه لنفسه، والله يجب أن تموت في سبيله، فتجد المؤمن يجب ما يحبه الله أكثر من حبه لسلامة نفسه وماله.

قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤]

١- ومن أحكام الجهاد:

- ✽ يجب تجنب قتل من لم يقاتل من الرهبان والنساء والأطفال والشيوخ.
- ✽ يحرم الغدر بالعدو ويحرم بدؤهم بالقتال إلا بعد أن تبلغهم الدعوة؛ حتى لا يظنوا أن المسلمين يقاتلون للدنيا والملك، وإنما يقاتلون للدين، فإذا علموا ذلك، فلعله أن يميلهم إلى الحق والإسلام، وهذا في أول الحرب فقط، ليس بين الجولات.
- ✽ ويحرم الأخذ من الغنائم قبل تقسيمها.
- ✽ ويكره تشويه جثث الكفار والتمثيل بها.
- ✽ وتشريع الجهاد باقٍ حتى تضع الحرب أوزارها، وذلك حين ينزل عيسى بن مريم عليه السلام، ولن يُرفع تشريع الجهاد إلا بعد قتل اليهود والكفار، فإن عيسى عليه السلام لن يقبل إلا الإسلام أو السيف، وإنه سينسخ تشريع الجزية، فهي الحكم الوحيد الذي يُنسخ بعد موت النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن حكمة تشريعها أنها تؤخذ من أهل الكتاب صغاراً لهم، وللدفاع عنهم، وليظلوا على دينهم، لكن نبي الله عيسى عليه السلام لن يقبل أن يظلوا على دينهم الباطل، فلا تبقى ملة في الأرض غير الإسلام، فيكون الإسلام وقتها ظاهراً في كل الأرض، ويكون الدين كله لله.

٢- أجر المجاهد:

- ✽ إن فرس المجاهد ليمشي في مسافة لجامه الذي رُبط فيه، فتكون للمجاهد حسنات، وإنه ليقطع اللجام، فتكون للمجاهد حسنات، وإن الفرس ليشرب، فتكون للمجاهد حسنات، وإنه ليتبول، فتكون للمجاهد حسنات، فيعطى المجاهد حسنات على كل وجه، ويأخذ المجاهد هذا الأجر على فرسه، وعلى كل ما في معناه؛ مما يستعين به من عتاد الحرب الحديثة، فكيف يكون أجره هو على سعيه وطاعته وعبادته؟

✽ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِي طَوْلِهِ فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٍ.»

[صحيح البخاري ٢٧٨٥]

- ✽ ولا يبلغ أجر المجاهد من قام يصلي الليل، فلا يفتر، ويصوم النهار، فلا يفطر، ولا يبلغ بكل تلك العبادة ما يُكتب للمجاهد من الحسنات والأجر حتى وهو نائم.
- ✽ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أجر المجاهد، فقال: «الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَضْمُونٌ

عَلَى اللَّهِ إِمَّا أَنْ يَكْفِتَهُ إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَإِمَّا أَنْ يَرْجِعَهُ بِأَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ وَمِثْلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الَّذِي لَا يَفْتُرُ حَتَّى يَرْجِعَ.»

[صحيح رواه ابن ماجه ٢٧٥٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢٧٤٥]

❁ سئل رسول الله ﷺ: «مَا يَعْدِلُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ؟ قَالَ: لَا تَسْتَطِيعُونَهُ.

قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ، يَقُولُ: لَا تَسْتَطِيعُونَهُ.

وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: مِثْلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ،

لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.» [صحيح مسلم ١٨٧٨]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مِثْلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي

سَبِيلِهِ كَمِثْلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ

يَرْجِعَهُ سَالِمًا بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ.» [صحيح البخاري ٢٧٨٧]

❁ وأفضل الخلق من أتم كل مراتب الجهاد، وهو النبي ﷺ.

❁ وتزيد درجتك في الدنيا والآخرة كلما تشبهت بالنبي ﷺ، وأتممت ما استطعت

من مراتب الجهاد. ومن اقتدى فقد اهتدى.

٣- من يبايع على الموت؟

في يوم اليرموك اشترط أربعائة نفر، وتبايعوا على الموت.

- إنهم لم يتبايعوا على مجرد الجهاد، بل تبايعوا على الجهاد حتى الموت.

- فلما صدقوا، صدقهم الله، فقبلهم، ولم يرجع منهم أحد، قُتلوا جميعاً، وهذا عين النصر.

- لكنهم لم يقتلوا، حتى قتلوا من الروم أضعافهم.

- ففي هذا اليوم العظيم من أيام المسلمين رمت الروم المسلمين بطلقات

أكبادها، فتجمع صناديد أوروبا وأبطالها.

لكن أعداء المسلمين لم يكونوا يعرفون معنى الموت في سبيل الله

عند المسلمين.

- ولم يظنوا أن أحداً يمكن أن يحب شيئاً أكثر من الحياة.

- فلما رأى الفجار أولئك الأنقياء الأطهار، وفعالهم في جيشهم الخوار،

تششت منهم الأفكار، وأيقنوا بكذب الأحبار، وأنهم أضاعوا في اللهو

الأعمار، وعانوا العطب والبوار، فولوا الأدبار في دعر من أتباع النبي المختار ﷺ، فإنهم أتوا لحرب الأشرار، ولكنهم وجدوهم أبرار، ولا طاقة للضجار بالأخيار.

فهزم الروم عن بكرة أبيهم، ولم يبق من جيشهم من يواريههم. وعجل بهم المسلمون إلى قعر نار حامية، فهي أهمهم الهاوية، ما تذر فيهم من باقية، فكأنما قتل بكل رجل من الأربعمئة أربعمئة؛ لأن قلوبهم هزمت قبل أن تهزم منهم الألوية.

قال الله تعالى: ﴿فَأُتِمَّتْ هَكَاءِیَةٌ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِیَ ۚ نَارُ حَامِیَةٍ ۚ﴾ [القارة: ٩-١١]

٤- ليسوا سواء؛

✽ قال رسول الله ﷺ: «الشَّهِيدُ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُسَفَّقُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ».

[صحيح : رواه الترمذي ١٦٦٣ وابن ماجه ٢٧٩٩ وأحمد ١٣١/٤ وصححه الألباني في الصحيحة ٣٢١٣]

وأي نصر أعظم من نصر الشهداء؟! فإن للشهيد اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، وإنه تعجل له زوجتان في قبره، تؤنسان جسده وتسليانه.

✽ قال رسول الله ﷺ في رجل قتل في الحرب: «لَقَدْ رَأَيْتُ زَوْجَتَيْهِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ يَنَازِعَانِهِ جُبَّتَهُ عَنْهُ، يَدْخُلَانِ فِيهَا بَيْنَ جِلْدِهِ وَجُبَّتِهِ». [صحيح : أخرجه البيهقي في دلائل النبوة

٢٢١/٤، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین ١٠٣/٢ وصححه، وصححه الذهبي في تاريخ الإسلام ٢/١١/٢، وفي سير أعلام النبلاء ٧٣/٢]

✽ وقال رسول الله ﷺ: «لَا تَحْفُ الْأَرْضُ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ حَتَّى تَبْتَدِرَهُ زَوْجَتَاهُ، كَأَنَّهَا ظِرَّانٍ أَضَلَّتَا فَصِيلَيْهِمَا فِي بَرَّاحٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا حُلَّةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». [صحيح : رواه أحمد ١٣/٣٣٧/٧٩٥٥، وابن ماجه ٢٧٩٨، وصححه أحمد شاكر في تحقيق المسند]

✽ والشهيد يأمن من فتنة القبر ومن وحشته وظلامه.

- وأما روح الشهيد، فإنها تفتح لها أبواب السماء، سماءً بعد سماءٍ، يفوح منها ريح مسك تعجب الملائكة من طيبها، وتريد الملائكة أن تتشرف بتشييعها، فلا ينال ذلك الشرف إلا

مُقْرَبُوهُمْ، وينادونه بأحب أسمائه و ألقابه إليه، فليس أحب إليه من لقب الشهيد....
 ﴿ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقْرَبُوهَا. »

[صحيح: رواه أحمد ١٨٥٣٤، والبيهقي في الشعب ٣٩٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٦٧٦]

حتى إذا رُفِعَ إلى ربه، ومن كان على عمله شهيد.

أبقاه إلى جواره، ودرَّ عليه من رزقه ونواله.

وأباح له الجنة في حياة هي أكمل من حياته.

وأدام له أفراحه، وقطع عنه ما مضى من أتراحه.

فهو من نعيم إلى نعيم، وأعظمه رضا رب العالمين.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۚ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١]

- فكن أنت من الذين يريدون أن يلحقوا بهم.

- وليكن يقينك بالله عظيمًا.

- فلا تخف من الموت ومما ستقدم عليه، فإنك ستقدم على من قدمت روحك إليه.

- ولا تحزن على ما ستركه من الدنيا؛ فإنها لا تساوى ياقوته من تاج رأسك أو

حلتك يوم لقاء ربك.

﴿ وَالْآنَ قَفْ مَعَ نَفْسِكَ، وَقَارِنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَوْلَئِكَ النَّفَرِ الصَّالِحِينَ؛

هل عندك من اليقين ما كان عندهم؟

هل في قلبك من النصرة ما كان في قلوبهم؟

- هل خلوت بربك يومًا تناجيه، فحلا لك الدعاء، فدعوته أن يرزقك الشهادة

بصدق؛ لتبلغ منزلتهم؟

هل عقدت العزم يومًا على أن تبيع نفسك لله مثلهم؟

- هل تَخَلَّصَ قلبك من ربة الدنيا والركون إلى ملذاتها؟ فتخلصت من الركون إلى الأموال

الوفيرة، والزوجات الخليلية، والفرش الوثيرة، والتجارات ذات الأرباح الغزيرة.

- هل قلبك لم يتعلق إلا بنصرة الدين ورفعة كلمة رب العالمين؟

إذا بلغت ذلك، فأنت من المفلحين، وإذا تأخرت، فالجور لا تحب المتخاذلين.

١٢ . المحاسبة

بحث المحاسبة يتضمن:

أولاً: ما هي المحاسبة؟

ثانياً: المحاسبة هي مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى.

ثالثاً: أهمية المحاسبة.

رابعاً: الأسباب التي تعين على المحاسبة.

خامساً: كيفية المحاسبة.

سادساً: أنواع المحاسبة وأوقاتها.

أولاً: ما هي المحاسبة؟

المحاسبة من أعمال الصالحين، وهم لم يحاسبوا أنفسهم على صغائر ذنوب الجوارح فقط، بل حاسبوها على دقائق خطرات القلوب، فما كان من خير، تابعوه، وما كان من شر، رفضوه.

ثانياً: المحاسبة هي مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى

المحاسبة هي من مقتضى الإيمان بأسمائه تعالى سريع الحساب، والديان، والحكم المقسط.

- فهو سريع الإثابة لمن آمن به، وهو تعالى سريع العقاب لمن أعرض عنه.

- وهو تعالى يقيم الموازين القسط ليوم القيامة، فيزن العبد، ويزن أعماله، ويزن

صحيافته، لا يترك ذرة إلا أحصاها.

قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ

مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

ثالثاً: أهمية المحاسبة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]

✽ من حاسب نفسه قبل أن يحاسب، خَفَّ في القيامة حسابه، وسَهَّل عند السؤال جوابه، وحَسُنَ منقلبه ومآبه.

- ومن لم يحاسب نفسه، دامت حسراته، وطالت في ساحة القيامة وقفاته، وإلى الخزي والمقت قادته سيئاته.

- فالبدار البدار قبل فوات الأعمار، فالتوبة التوبة أيسر من طلب الأوبة، ولات حين مندم.

✽ اعلم أن أنفاس العمر جواهر ثمينة، إذا ضاع أحدها في غفلة، لا تسترده إلى يوم القيامة، وكل نفس منها يمكن أن تشتري به كنزاً من كنوز الجنة لا ينتهي نعيمه أبداً.

- أليس كل نفس يمكن أن تذكر به الله تعالى ، فيكتب لك من الحسنات ما لا ينتهي ثوابها إلى أبد الآباد، أو تفعل فيه سيئات تدوم عليها الحسرات، ولا تنفع فيها يوم القيامة العبرات؟

رابعاً: الأسباب التي تعين على المحاسبة

١- العلم بدقّة محاسبة الله تعالى للعبد ، وأنه لا يدع ذرة من خير أو شر إلا وسيحاسب عبده عليها.

قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]

﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]

✽ فالיום يقبل منك مثقال ذرة، وغداً لا يقبل منك ملء الأرض ذهباً.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَذَى بِهِ ۚ ﴾ [آل عمران: ٩١]

٢- والعلم بأن الله تعالى سيختم على فم العصاة، حتى تنطق أيديهم

وأرجلهم بما كانوا يعملون.

قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]

٣- والعلم بأن الله تعالى سيوقف الناس بين الجنة والنار؛ ليققتص بعضهم من بعض، فيأخذ المظلوم من حسنات الظالم، أو يعطيه من سيئاته.

❁ قال رسول الله ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مَنْ أَمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فُتِّتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ.» [صحيح مسلم ٤٦٧٨]

خامساً: كيفية المحاسبة

١- العبد يشترط على نفسه قبل العمل:

❁ فالمؤمن ينبغي أن يشترط على نفسه قدرًا من الأعمال الصالحة ليؤديها، ويلزم نفسه بها، ويبدأ بالفرائض، ثم النوافل، ويقول لنفسه: «اعملي، فربما تكون آخر ليلة لك، فلا تضيعيها».

❁ وينتبه وهو يعامل نفسه، فهي كالشريك الخوان، الذي يريد أن يسرق لنفسه دائماً، فنفسه تحب العجب، وتحب الرياء، وهذا يحبط العمل، وهي تحب المباحات بل الشهوات، وهذه السيئات تبطل مثلها من الحسنات.

❁ فيجب على العبد أن يلجم نفسه عن شهواتها، ويزجرها، ويشترط عليها، ويراجع نيته قبل كل عمل.

❁ فيقف مع نفسه، ويقول: يا نفس؛ إن عمري هو رأس مالي، الذي أتاخر فيه مع ربي، ويجب أن أستغل كل نفس فيه؛ لأحصل على أعظم الأرباح من ربي، فالتجارة

مع الله تعالى أرباح التجارات، والحسنة عنده تعالى بعشر أمثالها، ولا يهلك عند الله، ولا يخسر إلا من يستحق الهلاك.

❀ قال رسول الله ﷺ: «وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ». [صحيح مسلم ١٣١]

- فإن انتهى عمري، توقفت كتابة الحسنات، وتوقفت تجارتني مع ربي، إلا من ثلاث، ولا أدري متى ينتهي عمري، فلأجتهد الآن، فإنه وقت الإمهال قبل الندم عند حلول الآجال.

❀ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». [صحيح مسلم ١٦٣١]

- ثم قف واندم على ما مضى من تضييع الوقت في المعاصي والغفلات.
- وهب أن الله تعالى بمَنِّه قد عفا عن السيئات، أليس قد فاتك ثواب المحسنين الذين استغلوا تلك الأوقات في الطاعات؟

- فيا حسرتك حين يسبقك السابقون! ويا بعدك حين يفوز المقربون!
- فإن لم تكن مع المقربين، فكن مع الأبرار الذين هم دونهم في دار القرار، وإن لم تدرك منازل الأبرار، فما لكلامي حاجة إلى التكرار.

❀ ثم قل: إن هذا اليوم الجديد قد أنعم الله به عليّ، وأمهلني فيه، ولو توفاني، لكنني أتمنى أن يُرجعني إلى الدنيا يومًا واحدًا أعمل فيه صالحًا.

فاحسبي يا نفس أنك قد توفيت، ثم رَدِّكِ ربك، فلا تضيعي اليوم ولا ساعة منه، ولا تميلي إلى الكسل؛ فيفوتك من درجات عليين ما يدركه السابقون.

❀ والزمي الاستقامة، وانقادي للحق، فمَالِكِ يا نفس عن الهدى من مفر.
فيا عين: لا تنظري إلى مُحَرَّمٍ، وإنما طالعي الصالحين الذين يذكرونك بالله، وطالعي كتب العلم النافع.

- ولا تنظري باحتقار إلى مسلم، وإنما انظري بالاحتقار إلى عملك إذا قورن بنعم الله عليك.
ويا لسان: دعك من الغيبة والكذب والنميمة، فقد خُلقت للذكر، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم، وإرشاد الناس إلى طريق الله، وإصلاح ذات البين.
ويا بطن: تقللي من الطعام؛ حتى تلحقي بالكرام، واجتنبى شبهات المكاسب؛ لِتُجَابَ لك المطالب، وابتعدي عن الشهوات؛ حتى تفوزي بالجنات.

٢- العبد يوبخ نفسه بعد العمل:

✽ ينبغي أن يكون للمرء ساعة في آخر النهار يحاسب نفسه فيها على جميع حركاته وسكناته.

✽ فيحاسب نفسه: كم أتم من الأعمال الصالحة التي ألزم نفسه بها في

البداية؟

- فإن وجد أعمالاً صالحة، فليفتش فيها:

- هل خَلْتُ من الرياء، أو طلب الدنيا، أو العجب بها، أو المن على الله، أو على خلقه؟

- وهل كلها كانت على السنة لم تَحِدْ عنها؟

- وهل هذا منتهى اجتهاده، أم أنه كان يستطيع الاجتهاد أكثر من ذلك؟

- وهل لم يكن في العمل غفلة البتة؟

- وإن وجد معاصي.

فليبادر بالندم على نقصان رأس ماله، بدلاً من زيادته، فإن المعاصي أكلت من الحسنات الماضية بمثلها، وليسارع بالتوبة، وليعزم على فعل عمل صالح؛ ليمحوها.
- وليتفكر: كيف وقع في تلك المعاصي؟ وكيف أغواه الشيطان؟ فينتبه ألا يقع في شرِّه مرة ثانية.

✽ ثم ليحدث نفسه: أتظن أنك تطيق عذاب الله؟

- فاحتسبي يا نفس في شمس الظهيرة يوم صيفٍ ساعة، أو ضعي أصبعك في لهيب النار دقيقة، فإن كنت لا تستطيعين هذا - وهو لا يقارن بعذاب الله - فلم تجرأت على معصيته؟

- أم أنك تغترين بكرمه وفضله وأنه سيغفر الذنب؟

- فلماذا لا تغترين بكرمه في طلب الأرزاق وتتركين السعي؟

- فإن كنت لا تفعلين ذلك، وتجتهدين في طلب الدنيا والمال بالسعي الشديد،

فالأخرة أولى بالاجتهاد في طلب درجاتها بالسعي لها.

✽ ثم يحاسب نفسه على أفعال جوارحه؛ سمعه وبصره وخطرات قلبه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]

- فيحاسب نفسه: ماذا سمع اليوم؟ وبماذا تكلم؟ وفيم انشغل فكره؟

- وأين انطلقت عينه؟ وهل صدق ذلك فرجه أم كذبه؟

- وماذا فعلت يده؟ هل مست امرأة لا تحل له، أم أخذت رشوة، أم أخذت رباً، أو ميسراً؟
 - وإلى أين مشى؟ إلى مساجد الله أم إلى حرّمات الله؟
 - لا يترك من ذلك شاردة ولا واردة، إلا حاسب نفسه عليها.

سادساً: أنواع المحاسبة وأوقاتها

١ - ينبغي على العاقل أن يحاسب نفسه نهائياً على عمل الليل، وليلاً على عمل النهار.
 ﴿ قال ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَمْسَيْتَ، فَلَا تَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ، فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ. » [صحيح البخاري ٦٤١٦]
 ﴿ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا وَزَنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَوَزنَ عَلَيْكُمْ ». [حسن: رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥٢/١]
 فإذا أخذت مضجعتك لتنام، حاسب نفسك على أفعال النهار، وإذا أصبحت، حاسب نفسك عن عمل الليل.
 - هل ضاعت ليلتك في النوم، أم في اللهو؟ وهل كان لهواً مباحاً مع زوجتك وأولادك، أم هو لهو محرم؟

٢- فإن لم تستطع، حاسب نفسك كل يوم مرة عند النوم.
 ٣- فإن لم تستطع، حاسب نفسك في الأسبوع مرتين؛ الإثنين والخميس.
 ﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ. » [صحيح مسلم ٢٥٦٥]
فاستحضر عرض الأعمال على الجبار، وفتش فيها قبل أن تعرض على الله -
 تعالى، وثقّ هذه الأعمال من كل ما لا يحبه الله، حتى لا تفاجأ يوم القيامة أن ما كان يعرض من الأعمال على الله كان ييغضه تعالى.

٤- ثم المحاسبة كل سنة.

﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شعبان : « ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَفِيهِ تُرْفَعُ الْأَعْمَالُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَأَحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ ». »

[حسن: رواه أحمد ٢٠١/٥ والنسائي ٢٣٥٧، وحسنه الألباني في إرواء الغليل ١٠٣/٤]

١٣ - المراقبة

باب المراقبة يتضمن:

أولاً: ما هي المراقبة؟

ثانياً: المراقبة هي مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى.

ثالثاً: تفاوت الناس في المراقبة.

رابعاً: كيف يصل العبد إلى المراقبة؟ الأسباب المعينة على المراقبة.

خامساً: فضل المراقبة.

سادساً: علامة صدق المراقبة.

أولاً: ما هي المراقبة؟

❁ هي أن يراقب الإنسان ربه في باطنه وظاهره، فيفعل الفعل كأنه يراه، فإن لم يبلغ ذلك، فليوقن بأن الله يراه.

❁ قال رسول الله ﷺ: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». [صحيح مسلم ٨]

ثانياً: المراقبة هي مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى

مراقبة الله تعالى من مقتضيات الإيمان بأسمائه تعالى العليم، الخبير، القريب.

- ومن لوازم الإيمان بأسمائه تعالى السميع، البصير، المحيط.

فهو تعالى قريب من العبد، بل أقرب إليه من حبل الوريد، يعلم أحوال العبد، وحركاته، وسكناته، وأفعاله، ونياته، وخائنة عينه، وما يخفي صدره، فهو تعالى خير بخلقه.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]

- السميع الذي يسمع كل الأصوات، على اختلاف اللغات، وتباين الطلبات،

ويسمع العلو والإخفات، وما تناجى اثنان إلا كان الله ثالثهما.

- البصير الذي يرى ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة

الظلماء، ويرى جريان الدم في عروق البعوض، ويرى مد جناحها في ظلمة الليل.
 - فإن كان السر عنده علانية، والمستور لديه مكشوفاً، فالأحرى بالعبد أن يحسن باطنه؛
 لأنه عند الله ظاهر، ويحسن سريره؛ لأنها عنده علانية، فينتهي عن إرادات المعاصي.
 - وينبغي للعبد أن يخلص عمله لله تعالى، فلا يبتغي معه غيره، ويحسن عمله
 بتقييده باتباع سنة رسوله ﷺ.

ثالثاً: تفاوت الناس في المراقبة

❁ مقام المراقبة هو مقام الإحسان.
 ❁ سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإحسان، فأجابه رسول الله ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ
 اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ.» [صحيح البخاري ٤٧٧٧، ٥٠، ومسلم ٩، ٨]
 ❁ فالإحسان على درجتين، الأولى: أن تراقب الله في كل فعلك، فتعمل كل
 أعمالك وأنت تشعر أنك تراه..... فإن لم تستطع أن تستحضر ذلك.
 الثانية: فاعلم أنه يراك.

رابعاً: كيف يصل العبد إلى المراقبة (الأسباب المعينة على المراقبة)

- أن يستحضر العبد أن الله يراه، ويستحضر عظمة الله.
- ١- استحضار عظمة الله، وواسع قدرته، ودقيق سمعه، وكمال بصره، وعلو صفاته.
 - ٢- استحضار إحاطة علم الله بكل شيء، وأنه لا يخفى عنه شيء من أعمال عباده.
- قال الله تعالى مخبراً عن لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿يَبْنِيْ اِنَّهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمَوَاتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَآتِ بِهَا اللهُ اِنَّ اللهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ﴾ [لقمان: ١٦]
- ٣- استحضار قرب الله تعالى ومعيته له.
- قال الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ اَقْرَبُ اِلَيْهِمْ مِّنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]

وقال الله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]

٤- استحضر موقفه بين يدي الله غداً للمحاسبة.

قال الله تعالى : ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]

خامساً: فضل المراقبة

١- إحسان العبادة:

- بتمام الإخلاص وكمال الاتباع، وتحسين العبد لظاهره وباطنه.
- وإحسان العبادة من أرجى أسباب قبولها.

٢- صيانة العبد للسانه وعينه وفرجه عن كل ما لا يحل.

- وصيانة بطنه ومطعمه ومشربه عن الحرام.

سادساً: علامة صدق المراقبة

١- الإخلاص:

- فمتى استحضر العبد رؤية الله تعالى له، زال عنه الشعور برؤية الناس، وكأنهم غير موجودين، وزال الشعور بطلب مدحهم أو الهرب من ذمهم.

٢- عدم المن بالعمل:

- ✽ فكيف يمن بالعمل على الخالق، وهو الذي خلق فيه العمل؟
- ✽ وكيف يمن بالعمل على المخلوق، وهو لا يدري من المقبول؟ ولا يعلم من سيختم له بالشر ومن سيختم له بالسرور؟

٣- الخوف من عدم القبول:

❁ قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ».

[صحيح: رواه الترمذي ٣١٧٥ وابن ماجه ٤١٩٨ وأحمد ٦/١٥٩ و٢٠٥ وصححه لغيره الألباني في الصحيحة ١٦٢]

٤- عدم الأمن من إملاء الله تعالى:

❁ من رأى أن الله تعالى وفقه للطاعة، وحرّم غيره، فهذا أدعى لزيادة خوفه من الله تعالى.
- فيخاف أن يحول الله مكانه، إن تحول هو عن طاعته.
- فالله تعالى هو مقلب القلوب، وهو الذي قلب قلب عبده إلى طاعته، وهو تعالى قادر على أن يحول قلبه إلى معصيته.
- فليداوم على الخوف من الله تعالى أن يحول قلبه إلى ما يغضبه بهفوة تصدر منه، أو غفلة عن ذكره.

- وليداوم التضرع إليه أن يقيمه طائعاً له، متبعاً لأمره، مستسلماً لقدره، راضياً بقضائه.
- وألا يقلب قلبه إلا على طاعته، وأن يثبت قلبه على عبادته.
❁ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ.» [صحيح مسلم ٢٦٥٤]

❁ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ.»
[صحيح: رواه الترمذي ٢١٤٠ وأحمد ٣/١١٢ وابن ماجه ٣٨٣٤ وابن حبان ٩٤٣ والحاكم ١/٥٢٤ والبخاري في الأدب المفرد ٦٨٣ وابن أبي عاصم في السنة ٢٢٤ والآجري في الشريعة ٣١٧ وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢١٤٠]

❁ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ.»
[صحيح: رواه ابن ماجه ١٩٩ وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة ٢٠٩١]

١٤- اليقين

❁ بحث اليقين يتضمن:

أولاً: ما هو اليقين؟

ثانياً: اليقين من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى.

ثالثاً: أهمية اليقين.

رابعاً: تفاوت الناس في اليقين.

خامساً: الأسباب المعينة على اليقين.

سادساً: فضل اليقين.

سابعاً: علامة صدق اليقين.

ثامناً: درجات اليقين.

أولاً: ما هو اليقين؟

١. اليقين هو الاعتقاد الجازم بتوحيد الله تعالى.

والاعتقاد أنه الخالق الرازق المالك الذي يستحق أن يضرده خلقه بالعبادة

دون غيره من الآلهة الباطلة.

- فیدفعك ذلك ألا تشرك به شيئاً.

٢. اليقين هو الاعتقاد الجازم بتحقيق وعد الله تعالى.

- ومن وعد الله تعالى أنه سينصر دينه، ويعز أوليائه.

- فیدفعك ذلك إلى السعي لنصرة الدين وإعزاز المؤمنين.

٣. اليقين هو الاعتقاد الجازم بحكمة الله في قدره.

وأن قدر الله تم بعلمه وتقديره ومشیئته وخلقته.

- والاعتقاد الجازم بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم

يكن ليصيبك.

- فیدفعك ذلك للرضا بقضاء الله وقدره.

٤- اليقين هو كمال التفويض لله.

ومن كمال التفويض ألا يختار الإنسان لنفسه فقراً أو غنى، ولا صحةً ولا مرضاً، ولا عسراً ولا يسراً، فيفوض الأمر كله لله، حتى في الحياة والممات.

❁ قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ بَعْلَمِكَ الْغَيْبُ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيَيْتَنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّيْتَنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي».

[صحيح: رواه النسائي ١٣٠٥، وأحمد ٤/ ٢٦٤ / ١٧٨٦١، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثنائي ٢٧٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٣٠١]

- فيدفعك ذلك إلى التسليم بأمر الله تعالى.

٥- واليقين هو الاعتقاد الجازم بموت الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]

- فيدفعك ذلك للاستعداد لذلك اليوم، فتأخذ من الدنيا حلها، وتترك حرامها وشبهاتها.

٦- اليقين هو الاعتقاد الجازم بالجزاء.

- وأن الله سيجازي أهل طاعته بالجنة، وسيجازي أهل الإعراض عنه بالنار.

- فيدفعك ذلك للقيام بأمر الله وطاعته.

ثانياً: اليقين من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى

❁ اليقين من موجبات الإيمان بأسماء الله الحكيم، والصادق، والقدير، والقادر، والمقتدر، والنصير، والناصر، والمقدر، والمدبر.

١- فهو الإله الذي ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: ٥٦]

٢- وهو النصير الذي سينصر أوليائه، ويعز أتباعه:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَلِيلُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣]

٣- وهو المقدر والمدبر الذي لا تخرج ذرة في الكون من مشيئته وخلقته:

❁ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]
وقال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]

٤. وهو الحكيم الذي يضع الأشياء في موضعها:

وهو الذي يبتلي عبده، ليرفعه، أو ليمحسه، أو ليكسر نفسه، فيذهب المن عنه، وهو تعالى ما خلق شيئاً عبثاً، ولا سُدى، ولا لعباً، ولا لهواً.

قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥]

٥. وهو الأول بلا ابتداء ، وهو الآخر بلا إنتهاء:

✽ قال رسول الله ﷺ: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ.» [صحيح مسلم ٢٧١٣]

✽ قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْحَيُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ.» [صحيح: البخاري ٧٣٨٣، ومسلم ٢٧١٧]

✽ فإن الله تعالى خلق الإنسان بغير مشورة منه ، ثم يميتة بغير استئذان له.

٦. وهو الصادق الذي وعد من أطاعه بالجنة، وتوعد من عصاه بالنار:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (١٣) ﴿وَالِ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]
ومن أصدق من الله قِيلاً؟ ومن أصدق من الله حديثاً؟ وهو تعالى لا بد فاعل ذلك.

ثالثاً: أهمية اليقين

- ١- من فقد اليقين، فقد الإيـان؛ لأن من شروط صحة «لا إله إلا الله» اليقين.
- ٢- الشك المنافي لليقين هو الكفر، فمن شك في الله، كفر، والشك فعل المنافقين.

رابعاً: تفاوت الناس في اليقين

١- من الناس من يكون يقينه **علم اليقين**، ومنهم من يكون يقينه **عين اليقين**، وهذا أعلى منه، وهو كأنه يشاهد تنزيل قدر الله، ويرى جزاءه تعالى. * ومن صح يقينه، بلغ درجة الإحسان، فعبد الله كأنه يراه.

٢- ومن الناس من يقل **يقينه** حتى يقع في المعاصي. * وسبب المعاصي هو ضعف يقين العبد بالجزاء والجنة والنار، فهما من الغيب، وهو لا يراها.

- ولو كان الجزاء حاضراً لم يعص الله أحد، ولكن الله تعالى غيَّبه ابتلاءً لعباده، ليعلم من يطيعه بالغيب فيعطيه أعظم الثواب ولا ريب. * أنظر إلى هذا **الشاب في جيش اليرموك** عند حرب الرومان الصليبيين المثلثين، بني الأصفر، الذين جاءوا من البلاد البعيدة الباردة لهدم هذا الدين وتنكيس راية الموحدين.

قد أقبلوا بحدهم وحديدهم، ونواقيسهم وصلبانهم، فطبوهم لها ضجيج، وخيولهم لها صهيل، وحديدهم له صوت ثقيل، يتحركون كأنها موج البحر الهادر، قد علا صوتهم بالإنجيل، ورفع رهبانهم الصليب والإكليل.

فأمر أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بقراءة سورة الأنفال وسورة القتال، - سورة محمد صلوات الله عليه، فأقبلت **رياح الجنة معها اليقين**، وزاد الحماس في صدور المؤمنين.

- فأتاه هذا الشاب، وقد امتلأ قلبه **باليقين**، وقال له: «إني عزم على أن ألقى أمري الساعة، فهل لك من رسالة تبلغها رسول الله صلوات الله عليه».

- فهذا الشاب أمره عجيب فقد عزم على أن يقاتل الآن حتى يموت، **ولم ينتظر معيناً ولا زحفاً جميعاً**.

- وأعجب منه كان الأمير فلم يأمره بالرجوع، ولم يخبره بأن هذا ممنوع، بل أقره وما عابه، وعن السؤال أجابه، وقال له: «قل لرسول الله صلوات الله عليه: **أَنَا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا**».

[البداية والنهاية لابن كثير ١٦/٧]

فانطلق هذا الشاب يُري عبّاد الصليب أننا لا نعبأ بدروعكم وسلاحكم، ولا خيلكم

وطبولكم، ولا نعبأ بترانيمكم، وإنَّا أصحاب الجنة والفوز، وأنتم أصحاب الضلال والعوز. فاخترق صفوفهم، وفعل بهم الأفاعيل قبل أن يقتلوه، حتى لم يبق من جسده ما يدل على وصفه ولا رسمه.... ولكن..... دب في جيش العلوج الذعر. فإذا طبولهم ما عادت تدق، وإذا حديدهم ما عاد يصك، وإذا سيوفهم ما عادت تشق، وإذا قلوبهم هي التي تدق.

- فإنهم ما جاءوا لهذا، وما جاءوا لحرب مجانين يعشقون المنون، ولكن أتوا لحرب آدميين يعشقون اللهو والمجون، فإن الأولين لا طاقة لأحد بنزالهم، وأما الآخرين، فالجولات بينهم. - فإن هذا الشاب قد صعق جيش الصليب بفعله، وأذهل عقولهم بماله، وأضاع يقينهم بنزله، فعلموا أن دينهم سراب، وأن عاقبتهم إلى تباب، فما عادوا يحركون للقتال أي ساكن، ولا يبتغون إلا العودة للمساكن. ❀ فانظر لهذا الشاب كيف ضحى؟ وهل تملك من اليقين أن تضحي مثلما ضحى؟

خامساً: الأسباب المعينة على اليقين

- تدبر الآيات المسموعة في القرآن، التي تدل على أنه الواحد الديان.
- قال الله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨]
- ٢- تدبر الآيات المشاهدة في الأكوان، التي تدل على أنه الواحد الرحمن.
- قال الله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الحاشية: ٤]

سادساً: فضل اليقين

- ١- اليقين في الله وفي جزائه هو الذي يدفع العبد للتضحية في سبيله بالمال والنفس بلا مقابل في الدنيا، وإنما ابتغاء جزاء غيبي في الآخرة، هو الحور والقصور، وجوار ملك شكور.
- ٢- اليقين هو الذي يعين على تحمل مشاق العبادة.
- قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [٢] وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿البقرة: ٣-٤﴾

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٣]

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان: ٤]

٣- اليقين هو أفضل الإيمان، فأفضل الإيمان هو الإيمان بالغيب.

❀ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ أَمْرَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَيْنَا لِمَنْ رَأَاهُ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أَمَّنَ مُؤْمِنٌ أَفْضَلَ مِنْ إِيْمَانٍ بِغَيْبٍ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿الَّذِينَ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١-٣]

لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ١-٣]

[صحيح: رواه سعيد بن منصور في سننه ١٨٠/٥٤٤/٢ وابن منده في الإيمان ٣٧١/١ والحاكم في المستدرک ٢٦٠/٢ وصححه

ووافقه الذهبي، وصححه سعيد بن عبد الله آل حميد في تحقيق التفسير من سنن سعيد بن منصور ١٨٠]

٤- باليقين تنال الإمامة في الدين.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]

٥- الله تعالى يختص الهدى والرحمة بأصحاب اليقين.

قال الله تعالى: ﴿هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]

سابعاً: علامة صدق اليقين

١- الثبات عند المحن.

٢- عدم الكسل عن الطاعة.

٣- عدم الخوض في المعاصي أو الإصرار عليها.

٤- التضحية بكل شيء في سبيل نصره الدين.

❀ ومن أمثال الثبات قصة عبد الله بن حذافة رضي الله عنه مع هرقل الروم.

❀ قال أبو رافع: «وَجَهَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه جَيْشًا إِلَى الرُّومِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْرَهُ الرُّومُ فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ: هَلْ لَكَ أَنْ تَتَنَصَّرَ وَأَشْرِكَ فِي مُلْكِي وَسُلْطَانِي؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: «لَوْ أُعْطِيتُنِي جَمِيعَ مَا تَمْلِكُ، وَجَمِيعَ مَا مَلَكَتُهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ أَرْجِعَ عَنْ دِينِ

مُحَمَّدٌ ﷺ طَرَفَةً عَيْنٍ، مَا فَعَلْتُ»، قَالَ: إِذَا أَقْتُلَكَ، قَالَ: «أَنْتَ وَذَاكَ»، قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ فَصُلِبَ، وَقَالَ لِلرَّمَاقَةِ: ارْمُوهُ قَرِيبًا مِنْ يَدَيْهِ قَرِيبًا مِنْ رِجْلَيْهِ وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَأْبَى، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأَنْزَلَ، ثُمَّ دَعَا بِقَدْرٍ وَصَبَّ فِيهَا مَاءً حَتَّى اخْتَرَقَتْ، ثُمَّ دَعَا بِأَسِيرَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا فَأُلْقِيَ فِيهَا وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ، وَهُوَ يَأْبَى، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُلْقَى فِيهَا، فَلَمَّا ذَهَبَ بِهِ بِكَيِّ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ بِكَى فَظَنَّ أَنَّهُ رَجَعَ، فَقَالَ: رُدُّوهُ فَعَرَضَ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ فَأَبَى، قَالَ: فَمَا أَبْكَاك؟ قَالَ: «أَبْكَانِي أَنِّي قُلْتُ هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تُلْقَى هَذِهِ السَّاعَةَ فِي هَذَا الْقَدْرِ فَتَذْهَبُ، فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ بَعْدَ كُلِّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِي نَفْسٌ تُلْقَى هَذَا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، «قَالَ لَهُ الطَّاعِغَةُ: هَلْ لَكَ أَنْ تُقْبَلَ رَأْسِي وَأُخْلِيَ عَنْكَ؟» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «وَعَنْ جَمِيعِ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ؟» قَالَ: وَعَنْ جَمِيعِ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «فَقُلْتُ فِي نَفْسِي عَدُوٌّ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ أَقْبَلَ رَأْسَهُ وَيُخْلِي عَنِّي وَعَنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ لَا أَبَالِي قَالَ: فَدَنَا مِنْهُ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْأَسَارَى فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَى عُمَرَ، فَأَخْبَرَ عُمَرَ بِخَبْرِهِ، فَقَالَ: حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَقْبَلَ رَأْسَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حِذَافَةَ، وَأَنَا أَبْدَأُ، فَقَامَ عُمَرُ فَقَبَلَ رَأْسَهُ».

[أرواه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ١٧٩ / ١٥٢٢، وتاريخ دمشق ٢٧/ ٣٥٨، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢]

ثامناً: درجات اليقين

١. حق اليقين:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿الواقعة: ٩٥-٩٦﴾
وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿الحاقة: ٥١-٥٢﴾

٢. علم اليقين:

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥﴾ [التكاثر: ٥]

٣. عين اليقين:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧﴾ [التكاثر: ٧]

١٥ - الورع

❁ بحث الورع يتضمن :

أولاً: ما هو الورع؟

ثانياً: الورع من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى.

ثالثاً: درجات الورع.

رابعاً: كيف تصل إلى الورع، وما هي الأسباب المعينة عليه؟

خامساً: علامة صدق الورع.

سادساً: من الورع ما هو كاذب.

أولاً: ما هو الورع؟

- الورع هو ترك ما ليس به بأس خوفاً مما به بأس.

❁ قال رسول الله ﷺ : « الْحَلَالُ بَيْنَ وَالحَرَامِ بَيْنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَعَ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحْرَمُهُ. » [صحيح البخاري ٥٢، ٢٠٥١، ومسلم ١٥٩٩]

ثانياً: الورع من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى

❁ الورع من لوازم الإيمان باسمه تعالى الهادي.

❁ ومن أثر الإيمان بأسماء الله تعالى القوي، القهار، الجبار، العظيم، المتكبر.

- فهو الذي هدى العبد لورعه وتقواه، وهو الذي من المعاصي نجاه، ولو شاء

لتركه فسقط في بحر هواه، فلم يجد له ساحلاً، ولا لمركبه مرساة.

❁ وهو الذي ينبغي خوفه بالغيب، لشدة قوته، وعظيم قدرته، وواسع علمه،

وعلو شأنه، وشدة قهره، وعظيم تعاليه وتكبره، فلا يجد العبد مهرباً منه إلا إليه، ولا

يستطيع خروجًا من ملكوته، ولا يجد بُدًّا لقوته إلا التضرع إلى غناه، والبعد عن مخالفته؛ حتى يفوز يوم القيامة بقربه، ويكون في ظل عرشه.

ثالثًا: درجات الورع

- ١ - الورع الواجب : وهو كف النفس عما حرم الله.
- ٢ - الورع المستحب : هو كف النفس عن المكروهات والمشتبهات حتى لا يقع في الحرام.

رابعًا: كيف تصل إلى الورع؟ وما هي الأسباب المعينة عليه؟

- ✽ تصل إلى الورع بتعظيم حرمة الله؛ حتى لا تقع فيها.
- وتعظيم أمر الله، فتسارع؛ حتى يعظم عليك أن تفعل خلافه.
- وتعظيم أمر رسول الله ﷺ، فتتبعه، ولا تستهن بذرة من سننه ﷺ.
- ✽ فإن محقرات الذنوب هي المهلكة.
- والمؤمن يرى ذنبه كالجليل يوشك أن يقع عليه.
- والمنافق يرى ذنبه كالذباب وقف على أنفه، فأطاره، ويرى أنه يكفيه أن يقول : أستغفر الله، بعد أن يفعل الكبائر، يظن أن ذلك يمحوها جميعًا من غير أن يتوب توبة كاملة، بأن يندم على الذنب، ويقلع عنه، ويعزم على عدم العودة إليه.
- ✽ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا قَالَ أَبُو شَهَابٍ بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ ٠» [صحيح البخاري ٦٣٠٨]
- ✽ والفرق بيننا وبين أصحاب محمد ﷺ :
- أنهم كانوا يفعلون السنة لأنها سنة .
- ونحن نترك السنة لأنها سنة.
- فهم كانوا يعظمون أمر النبي ﷺ وفعله ويجتهدون ألا يتركوا منه شيئًا.
- ونحن نستهن بفعل السنن لأن من تركها لم يكن آثمًا.

خامساً: علامة صدق الورع

- علامة صدق الورع أن يحرص ألا يفوته شيء من المستحبات ويحزن حزناً شديداً إذا فاتته أحدها، فيحزن حزناً شديداً لفوت تكبيرة الإحرام، أو فوت سنة صلاة، أو التقصير في قيام ليلة.

- فضلاً عن ترك كل المنهيات، فلا يتم الورع إلا بترك جميعها.

✽ وقد يكون الورع في بعض المسائل دون بعض، فيقال: هذا تورع عن أكل الحرام، وهذا تورع عن الخوض في أعراض الناس.

✽ وعامة الورع يكون في التروك أكثر منه في الأفعال.

سادساً: من الورع ما هو كاذب

وهو أن ينزه نفسه عن دقائق المسائل، وهو نفسه يزل في المهلكات.

✽ فقد أتى نفر من الكوفة إلى عبد الله بن عمر عليه السلام في موسم الحج، وسأله أحدهم عن دم البعوض إذا قتله هل ينجس جلده أو ملابسه؟ فسأله ابن عمر عليه السلام عن موطنه: فَقَالَ مِمَّنْ أَنْتَ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، قَالَ: انْظُرُوا إِلَيَّ هَذَا يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ الْبُعُوضِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا. [صحيح البخاري ٥٩٤٤]

✽ عجباً لهؤلاء يستييحون دم الحسين عليه السلام، ولا يستييحون دم البعوض.

✽ ويقال إن الرجل سأله عن المحرم يقتل الذباب فقال عبد الله بن عمر: «أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا».

- يعني: استهانوا بدم الحسين عليه السلام، واستعظموا دم البعوض على الثوب.

- ثم لم يجبههم؛ تحقيراً لفعالهم.

- ودائماً نجد أمثال هؤلاء الناس في كل زمان ومكان، فنجد أحدهم يتحاكم إلى غير ما أنزل الله، أو يوالى أعداء الله، فيحبهم، وينصرهم، ويشني على باطلهم، أو يدعو

من دون الله أمواتاً؛ يرجو منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات، أو يترك نساءه وبناته سافرات متبرجات، مائلات مميلات، يفتنّ من رأهنّ، فيميلون بقلبه عن الهدى.

- تجد هؤلاء يتحدثون في الدين وعن دقائق في الشريعة، فتحسب أن القوم قد أتموا كل الواجبات، حتى يخوضوا في المستحبات، وما هم إلا منافقون، تركوا أصول الدين، وخاضوا في مسائل من الدين تحسبهم بها متقين، فيلبسوا على العوام دينهم، ويظنون أن القوم مهتدون وعن أمثالهم يؤخذ الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

❁ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خُدَاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْضَةُ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الرُّوَيْضَةُ. قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافَهُ يَنْطِقُ فِي أَمْرِ الْعَامَةِ».

[صحيح أخرجه ابن ماجه ٤٠٣٦، وأحمد ٨٤٥٩، والحاكم في المستدرک ٥١٢/٤، وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٦٥٠، وفي الصحيحة ١٨٨٧]

الورع الكاذب لليهود:

إنها قصة الغدر والوفاء الضائع والكذب من بني إسرائيل.

□ عندما عقد بنو إسرائيل العزم على الخروج من مصر، ذهبت نساؤهم إلى نساء القبط، واستعرن منهنّ حليهنّ، وخرج بنو إسرائيل وهربوا من مصر.

- فكان هذا أول غدرهم، وهم في طريقهم للهجرة وإقامة الدين مع نبي الله موسى ﷺ.

□ ثم منّ الله على بني إسرائيل وأنجاهم من فرعون وأغرقه وأظهرهم عليه.

□ ثم أنزل الله عليهم المن والسلوى، وهو طعام الطيور والعسل، وهو أفضل الطعام، وبلا جهد ولا مشقة.

□ ثم واعد الله تعالى موسى ﷺ عند الطور ليعطيه التوراة التي فيها شريعتهم وشر فهم.

❁ وفي أثناء غياب موسى ﷺ عبدوا العجل من دون الله تعالى.

- عبدوه وهم يأكلون من رزق الله، وينتظرون نبي الله أن يأتيهم بكتاب الله.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (٨٥) ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ [طه: ٨٥-٨٦]

- وكان موسى ﷺ يظن أن بني إسرائيل كانوا مجتهدين في العبادة، وأنهم

سيلحقون به عند الطور.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿طه: ٨٣ - ٨٤﴾

ولما رجع موسى ﷺ لبني إسرائيل اعتذروا له بحجة واهية عن عبادتهم للعجل. قال الله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿طه: ٨٧ - ٨٨﴾

- وحجة عبادتهم للعجل هي أنهم تورعوا عن حُلي القبط «التي سرقوها»، فأمرهم هارون ﷺ أن يلقوها في حفرة فيها نار، فصنع لهم السامري العجل «من الذهب الذي في النار»، فعبدوه، فتورعوا عن الحقيقير، وفعلوا الذنب الكبير، وهو عبادة غير الله.

- قول الله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ (طه: ٨٨) هو افتراء السامري على موسى ﷺ وادعائه أن موسى ﷺ ترك الإله العجل هنا، ونسأه، وذهب يبحث عنه عند جبل الطور. - أو افتراؤه على موسى ﷺ أن موسى ﷺ نسي أن يخبرهم أن هذا هو آلهم. - والتفسير الآخر أن السامري نسي الإسلام، وتركه عندما كفر بعبادته للعجل.

قال الله تعالى عن موسى ﷺ لما رجع إلى بني إسرائيل: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِيُّ﴾ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿طه: ٩٥ - ٩٦﴾

يعني: أن السامري رأى جبريل ﷺ حين أتى لإغراق فرعون وجيشه، فأبصره وأخذ قبضة من أثر فرسه، فألقاها مع ما أُلقي في حفرة النار التي أعدها هارون ﷺ لإلقاء الذهب فيها، فشكل من الحلي العجل الذي عبده.

❖ فهو بذلك قد استغل آيات الله تعالى في الصد عنه، وليس في دعوة

الناس إلى الإيمان به.

- وهذا غدر بعد غدر.

١٦. الزهد

بحث الزهد يتضمن :

أولاً: ما هو الزهد؟

ثانياً: الزهد من مقتضيات الايمان بأسماء الله تعالى.

ثالثاً: الله تعالى أمر نبيه ﷺ بالزهد في الدنيا.

رابعاً: الأسباب الجالبة للزهد.

خامساً: كيف تحقق الزهد؟

سادساً: الزهد الكاذب.

سابعاً: من الناس من لا يزهد في الدنيا، وإنما يزهد في الآخرة.

ثامناً: علامة صدق الزهد.

تاسعاً: الزهد في النفس.

أولاً: ما هو الزهد؟

✽ الزهد هو نفص اليدين من الدنيا.

- وعدم تعلق القلب بها، والسلامة من الانشغال بها؛ طلباً لها، أو تركاً.

- واسكات اللسان عن ذكرها، ذمّاً لها، أو مدحاً.

- وعدم المنافسة في عزها، أو الجزع من ذلها.

✽ الزهد أن ترى الدنيا على حقيقتها، وكما هي عند الله تعالى، لا تساوي جناح بعوضة.

- فمن رآها كذلك لا ينافس عليها، ولا يتطلع إليها، ولا يحزن لزوالها.

- ولا يحرص عليها إذا فقدتها، ولا يبخل بها إذا وجدها.

- ولا يلهث لتحصيل المزيد من أجنحة بعوضها.

- ولا يزال يحقر شأنها، ولا يرتفع عنده قدرها.

✽ فاحرص إذا ملكت الدنيا أن لا تملكك، واحرص ألا تتخذها رباً؛

فتتخذك عبداً.

فإن العبد سيسأل يوم القيامة عن أربع أسئلة، منها: ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟
 ﴿ قال رسول الله ﷺ: « لا تزول قدمَا عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن أربعٍ عن عُمرِهِ
 فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما
 أنفقه» . [صحيح رواه الترمذي ٢٤١٦ وصححه الألباني في الصحيحة ٩٤٦]

﴿ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلمون أن الطمع فقر، وأن اليأس غنى، وأنه من
 يئس مما عند الناس، استغنى عنهم. [الزهد لابن المبارك ٦٣١]

﴿ قال ابن تيمية رحمته الله: «والزهد المشروع ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة، وأما كل
 ما يستعين به العبد على طاعة الله، فليس تركه من الزهد المشروع، بل ترك الفضول
 التي تشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع». [مجموع الفتاوى ٢٨/١١]

﴿ فإن كان الزهد في حلال الدنيا مستحب، فإن الزهد في حرامها واجب.
 ﴿ قرأ الحسن البصري قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء: ٧٧] قَالَ: « رَحِمَ
 اللَّهُ عَبْدًا صَحِبَهَا عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ ، مَا الدُّنْيَا كُلُّهَا أَوْ لَهَا وَآخِرُهَا إِلَّا كَرَجُلٍ نَامَ نَوْمَةً ،
 فَرَأَى فِي مَنَامِهِ بَعْضَ مَا يُحِبُّ ثُمَّ انْتَبَهَ » .

[الزهد لابن أبي الدنيا ١٧١ (٣٧٦)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢٧٠/٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠٠٦/٣)، وتفسير ابن كثير (٣٦٠/٢)]

ثانياً: الزهد من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى

﴿ الزهد من لوازم الإيمان باسمه تعالى الغني.

- ومن أثر الإيمان بأسمائه تعالى مالك الملك، المحسن، الكريم، الوهاب
 المنعم، الجواد، المنان، المقدر، المدبر.
 - فمن آمن بأن ربه هو الرزاق الغني، آمن في الدنيا ألا يفوته رزق الغني، الذي
 لا تنفذ خزائنه.

- وابتغى النعيم المقيم في دار قد أمنت من الدهر غوائله.
 - ورغب عن الحقير الفاني الذي لا ينفك عن وقوع مصائبه.

ثالثاً: الله تعالى أمر نبيه ﷺ بالزهد في الدنيا

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]
وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]

- يعني: ولا تصاحب إلا الصالحين الذين يذكرون الله بالنهار والليل يريدون رضا
وما عنده من النعيم، سواء كانوا فقراء أو أغنياء، وسواء كانوا أقوياء أو ضعفاء.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]
* قال ابن عباس رضي الله عنهما: «وَلَا تُجَاوِزُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ» [تفسير ابن كثير ٥/١٥٤]؛ (يعني: يا
محمد لا تتجاوز المخلصين في دعاء الله وتهتم بغيرهم من أصحاب الشرف والثروة).
وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] (يعني: من شغل
عن الدين بالدنيا وشغل عن عبادة الله، فأصبح قلبه في أودية الدنيا لاه).

وقال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] (يعني: أعمال هؤلاء سفه وتفريط
وضياع، فلا تطعمهم يا محمد، ولا تحب طريقتهم، ولا تغبطهم على ما في أيديهم من الدنيا).
وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]

- يعني: لا تعجبك أحوالهم، وما يظهر على كلام أصحاب المناصب والثروات من
كمال العقل ورجاحة الفكر، فإنما أمرهم سفه، وكلامهم مزخرف فقط، ليس له
حقيقة، فإنهم لا يرجعون إلى كتاب ولا سنة، ولا حتى إلى علم نافع من الدنيا.

- فلا يعجبك ما هم فيه من لعاعة الدنيا، فإنما هي متاع زائل وفننة وابتلاء لهم.
- وإنما الرزق الحقيقي هو الباقيات الصالحات؛ وهو ذكر الله تعالى وطاعته، فإنه
بركة في الدنيا وثواب لا ينفد في الآخرة.

* قال رسول الله ﷺ: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ
الدُّنْيَا». قَالُوا وَمَا زَهْرَةُ الدُّنْيَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: «بَرَكَاتُ الْأَرْضِ».

[صحيح: البخاري ٦٤٢٧، ومسلم ١٠٥٢]

رابعاً: الأسباب الجالبة للزهد

❁ الذي يدفع إلى الزهد هو تعلق القلب بغنى الرب، وانبهار النفس بنعيم الجنة، فيطفئ بهاؤها بريق كل ذهب الدنيا وملذاتها.
- فالزاهد يرى كل ما على الأرض:
إما معين على طاعة الله، فينوي إن حَصَّله أن ينفقه في مرضي الله.
وإما معين على معصية الله؛ فلا حاجة له فيه.
فالدنيا عنده كالقطار الذي يوصل إلى مرضاة الله، فقلبه دائماً متعلق بمحطة الوصول، لا بمقاعد القطار.

خامساً: كيف تحقق الزهد؟

- ١- الزهد هو فراغ القلب من الدنيا، لا فراغ اليد منها
- ٢- الدنيا مذمومة في كتاب الله تعالى
- ٣- الله تعالى زين الدنيا لعباده اختباراً لهم
- ٤- لا تشغل بدم الدنيا
- ٥- الزهد لا يعني الفقر
- ٦- هل الفقير المجهود هو الزاهد؟

١- الزهد هو فراغ القلب من الدنيا، لا فراغ اليد منها:

❁ فليس الزهد فراغ اليد من عرض الدنيا، وإنما الزهد فراغ القلب من طلبها.
- وقد يكون الغني الرشيد من أزهد الناس، وقد يكون الفقير السفيف من أجشع الناس، وأحرصهم على الدنيا.

٢- الدنيا مذمومة في كتاب الله تعالى:

❁ من علمَ ذمَّ الله للدنيا، زهد فيها قلبه

١. الحياة الدنيا لهو ولعب

قال الله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: ٦٤]

٢. الحياة الدنيا لعب ولهو

قال الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ﴾ [الأنعام: ٣٢]

وقال الله تعالى: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ﴾ [محمد: ٣٦]

وقال الله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطْلَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]

٣. متاع الدنيا قليل

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء: ٧٧]

وقال الله تعالى: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]

٤. الحياة الدنيا متاع الغرور

قال الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥ / الحديد: ٢٠]

وقال الله تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]

وقال الله تعالى: ﴿يَقُومِرُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكٌ لَّمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ

لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥]

٥. الله تعالى نهانا أن نتغرب بالدنيا

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [لقمان: ٣٣]

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [فاطر: ٥٠]

وقال الله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الجاثية: ٣٥]

وقال الله تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩]

وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾ (٣٧) ﴿وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣٨) ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [التأوهات: ٣٧-٣٩]

٦. الدنيا زهرة تفنى وزخرف زائل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطَرَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا أَتْنَهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]

وقال الله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]

٧. لا يطمئن بالدنيا إلا أهل النار

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨]

٨. الأعمال الصالحة وذكر الله خير من المال والبنون والزوجات

وزينة الدنيا

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠]

وقال الله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]

وقال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]

٣- الله تعالى زين الدنيا لعباده اختباراً لهم:

✽ من علم أن الدنيا دار اختبار لا دار استقرار، زهد فيها قلبه

قال الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ﴾ [آل عمران: ١٤]

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]
 وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا
 الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا
 يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطِلَ مَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦]

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ
 سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٣]
 وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا
 يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٧]

وقال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]

٤- لا تنشغل بدم الدنيا؛

✽ فالدنيا - التي هي الزمان والمكان - لا تُدَم، ولا تُمدَح، ففيها اكتسب الصالحون
 الدرجات، وبسببها انزلت المعرضون في الدركات، وإنما المذموم تعلق القلب بها.
 ✽ فكن كالغريب المرتحل، هل ينشغل بإتمام مهمته التي رحل من أجلها، أم بتزيين
 المكان الذي يرتحل فيه، فينشغل بتزيينه بأنواع الزينة والمتاع وهو يعلم أنه تاركة ولا بد.
 - حتى وإن غرّه المكان، وانشغل به، فإن عقد انتفاعه بهذا المكان له أجل
 محدد، فإما أن يتركه اختياراً، أو يطرد عنه طرداً.

✽ فإنه سيموت، ويطرد عن متاعه، أو يفترقه، ويطرد متاعه عنه.
 - فهلا كان عاقلاً، فينقل متاعه باختياره من دار الرحيل إلى دار المقيـل،
 ومن دار السفر إلى دار المستقر.

✽ ومن أكثر ذم الدنيا، دل هذا على أنها تشغل حيزاً من قلبه، وهو لا يدافعها
 بلسانه، إلا لِيَتَمَكَّنْهَا من قلبه.

✽ ولكن الزاهد من غفل عنها قلبه، وصمت عنها لسانه.

- وأما ذم السلف للدنيا، فكان قصدهم الدنيا التي يُعصى الله فيها، أو التي تشغل عن ذكر الله وطاعته.

٥- الزهد لا يعني الفقر:

❁ **فقد يكون الزاهد من أكثر الناس غنى؛** كعبد الرحمن بن عوف رحمه الله، فقد قُسم ميراثه من الدنانير الذهب بين زوجاته الأربع بالفؤوس، وجميعهن يرثن الثمن، فكان ربع الثمن نصيب الزوجة يصعب عده، وإنما جعلوه كومات متساوية بالفؤوس، وإن كانت لتأتيه الدنيا، وهي راغمة.

- ولكن لم يتعلق قلبه **بطلبها**، وإذا تحدث، فغالبًا ما يغفل عن **ذكرها**، وترفع نفسه أن تتأقل إلى حضيض **ذلها**، فلا ينافس فيها أهلها؛ حتى لا يصيبه من **دنسها**.

❁ **وقد يكون الفقير مولعًا بالدنيا، يلهث في تحصيلها،** ويركض في دروبها، ولا يتم له جمعها، ليس له حديث إلا عنها وعن أهلها، ينضح قلبه بحبها، ويأسف على فواتها، قد شغلت عليه عقله وقلبه، وصباحه ومساءه فإذا نام، فلا يرى غيرها، وإذا أصبح، فلا يبدأ إلا بذكرها.

❁ **فكثير من الناس فقراء من الدنيا وإلى الدنيا،** وكثير منهم ليست عندهم شهوات الدنيا التي يتطلعون إليها، لكن قلوبهم لا ترضى بذلك، بل تظل قلوبهم معلقة بتلك الشهوات، ويظلون يجرون، ويلهثون لتحصيلها، ويشتاقون إليها، وقد لا يُقدرها الله لهم.

❁ **ومن وجدها منهم، فلا يكتفي بما حَصَلَ منها، بل يتطلع إلى المزيد، ولا يملأ فاهه إلا التراب.**

❁ **قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ لِبْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ.»** [صحيح البخاري ٦٤٣٩، ومسلم ١٠٤٨]

❁ **قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ لِبْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا لَأَحَبَّ أَنْ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلُهُ، وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ.»** [صحيح البخاري ٦٤٣٧، ومسلم ١٠٤٩]

❁ **ومن الناس من يلهث لتحصيل الدنيا، ولا يبالي من الحلال أم من الحرام.**

❁ **قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي**

فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَجْبُطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوَزَرُهُمَا سَوَاءٌ. [صحيح: رواه الترمذي ٢٣٢٥، وأحمد ١٨٠٣١، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٢٤]

٦- هل الفقير المجهود هو الزاهد؟

❁ قد يكون الفقير زاهدًا، إلا أن الفقير لا يجد ما يزهد فيه؛ إنها هو مبتلى، وغاية أمره الصبر والاحتساب، وإن أحسن، فالرضى والإخبات.

❁ إنما الزاهد هو طلحة بن عبيد الله رحمته الله، وكانت غلته من غلمانة في اليوم أربعة آلاف درهم، والعشرة دراهم كانت تساوي دينارًا، والدينار أربعة جرامات وثمان من الذهب، يعني: كانت غلته من غلمانة تعدل أكثر من كيلو ونصف من الذهب يوميًا، وكان لا يأتي عليه الليل وعنده منها شيء، فكان ينفقها جميعًا في سبيل الله، ويجول عليه الحول، وليس عنده مال تجب فيه الزكاة.

❁ إنما الزاهد هو عثمان بن عفان رحمته الله حينما ملأ حجر النبي صلى الله عليه وسلم بالذهب يوم غزوة العسرة، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها، يقول: مَا صَرَّ عُثْمَانُ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ.

[حسن: رواه الترمذي ٣٧٠١ وأحمد ٦٣/٥ وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ٣٧٠١]

❁ لقد زهد في المال، فأنفقه في سبيل الله، ولو أحبه، لأمسكه.

❁ لقد هان عليه المال، فطابت نفسه بنفقته، ولو غلا عنده، لضمن به.

- إنه ما سعى إلى كسبه؛ ليستكثر به على عباد الله، أو ليطغى به في

أرض الله، ولكن اكتسبه؛ ليُعلي به كلمته الله، ويعلي به درجة نفسه في جنة الله.

سادساً: الزهد الكاذب

هل التصوف من الزهد؟

- التصوف ليس زهداً.

- لأن الله تعالى لا يُعبد إلا بما شرع في كتبه وعلى السنة رسله ﷺ ومن عبَدَ الله تعالى بطريقة لم يشرعها، ردت عليه، ولم يقبلها الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٦]

- فلا يُقبل الزهد - وهو من النوافل - حتى يأتي الرجل بالفرائض.

❁ **وأول الضرائض صحة الإيمان.**

- فمن دعا الأولياء والموتى والمقبرين، فليس بصحيح الإيمان.

- ومن طاف بالمقبر، أو تمسح بها، أو سجد عندها، فليس بصحيح الإيمان.

- ومن ذبح للقبر، أو نذر له، فليس بصحيح الإيمان.

- ومن توسل بأصحاب القبور، أو استشفع بهم من دون الله، فليس بصحيح الإيمان.

- ومن طلب المدد من الموتى، فليس بصحيح الإيمان.

- ومن طلب دفع الضر من الموتى، وسألهم الحاجات، فليس بصحيح الإيمان.

- ومن ظن أن الموتى يعلمون الغيب، فليس بصحيح الإيمان.

- ومن ظن أن الموتى لهم تصريح مع الله تعالى في الكون، فليس بصحيح الإيمان.

❁ **فوجب على هؤلاء أولاً أن يصححوا إيمانهم قبل أن يطلبوا من الله**

قبول ما يدعونه من الزهد.

- وعليهم أن يزهّدوا في تقسيم الأموال التي في صناديق النذور قبل ما يدعونه من

ترك التنعم في الدنيا ولبس الصوف في الصيف.

كلام العلماء في التصوف

❁ قال ابن تيمية عن التصوف: «في المائة الثانية صاروا يعبرون عن ذلك بلفظ

الصوفي؛ لأن لبس الصوف يكثر في الزهاد». [مجموع الفتاوى ٢٨/١١]

❁ قال عبد المحسن العباد: ولم يأت في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فيما أعلم

ذكر التصوف، والغالب في استعماله فيما بعد في المعنى المذموم الذي يدخل في السبل المخالفة للصراط المستقيم.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

❀ وقال: وكيف يأمن من يحث على التصوف أن يأخذ بعض الناس بسببه بالمعنى الباطل للتصوف، فيلحقه مثل آثامهم؟ [مقال: جريدة الشرق الأوسط ١٦/١٠/٢٠١٢]

مداخل الشيطان إلى الزهاد

❀ قال الإمام ابن القيم: من المداخل التي تدخل على العباد وأهل العلم والزهاد.

١. أن يستكثر عمله

قال الله تعالى لمحمد نبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]

٢. أن يوجب على الله حقاً بعمله

(يعني: طالما يعمل الصالحات، فإنه يوجب على الله تعالى ألا يبتليه، ويوجب على الله أن يرزقه من الدنيا ما يحب، ويتعلل بالمعرضين عن الطاعة وما أعطاهم الله من الدنيا، فيعتقد في نفسه أنه أولى بذلك لعمله الصالح).

٣. أن يستشعر الاستغناء عن عفو الله ورحمته

(يعني: أن يظن أنه ليست له ذنوب، فلماذا يحتاج إلى عفو ربه).

❀ قال أبو مدين: (ومتى رضيت عن عملك، فاعلم أن الله عنك غير راضٍ).

❀ قال محمد بن واسع عند موته: (إني لم أرض عن نفسي لله طرفة عين، فكيف أرضاها للمسلمين) يعني: لا يرضى عن نفسه في طاعتها لله تعالى، فكيف يرضى أن يكون إماماً للمسلمين؟!

٤. أن يحب أن يُطاع مطلقاً، وأن يخضع له، وهذا أكبر من الشرك؛ لأنه منازعة لله في ربوبيته وألوهيته.

❀ بعض السلف كان يحترز لماله جداً، فكيف يكون احترازه لدينه؟

فقد كان تاجر حرير، ثم أتاه يوماً مشترٍ ففرش أمامه الثوب، فقال أحد طلابه: سبحان الله! فطوى الثوب وامتنع عن بيعه، فلما سئل عن ذلك فقال: لأجل تسبيح تلميذه. (يعني: إنه خشى أن يكون تسبيح تلميذه تزكية واستحسان للثوب، فيباع بسبب ذلك فيدخل في ماله ما لا يرضاه) فكيف يكون إحتراز مثل هذا لدينه.

سابعاً: ومن الناس من لا يزهد في الدنيا وإنما يزهد في الآخرة

وهذا إذا رَغِبَته في ثواب الله، لم تتشوف نفسه إليه.
 - وإذا عرضت عليه نعيم الجنة، لم يتطلع قلبه إليه.
 - وإذا شوقته للقاء الله، لم يهتز فؤاده رغبةً إليه.
 - فهذا أشقى من دواب قومه، قد طمس الله على نور قلبه.
 قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩]
 وقال الله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]
 وقال الله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]

ثامناً: علامة صدق الزهد

❁ علامة صدق الزهد هي:

- ١- عدم الانشغال بتحصيل لعاعة الدنيا.
- ٢- عدم الإكثار من ذم الدنيا.
- ٣- الزهد في النفس.
- ونبينا ﷺ أخبرنا عن ثلاثة زهدوا في أنفسهم:-
- ١- مجاهد انهزم إخوانه فزهد في نفسه، فقاتل وراءهم حتى لا يتعقبهم عدوهم، فهذا قد علم حين قاتل وحده أنه أقرب إلى فقد نفسه من بقائها.
- ٢- ورجل له زوجة جميلة وفراش وثير وجاء الليل، فزهد في شهوة نفسه، وترك ما أحل الله له وقام يراجع كتب العلم أو يصلي لله ما كتب له.

٣- ورجل كان في سفر مع رفاق له، فساروا في الليل حتى أتعبهم السفر، فناموا مجهدين فزهد هو في راحته وقام من آخر الليل يصلي ويدعو ربه.

❁ قال النبي ﷺ: « ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُصَحِّكُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ، الَّذِي إِذَا انْكَشَفَتْ فِتْنَةٌ قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفْسِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَكْفِيَهُ، فَيَقُولُ: **انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا كَيْفَ صَبَرَ لِي بِنَفْسِهِ**، وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ وَفِرَاشٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ، فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَذَرُ شَهْوَتَهُ فَيَذْكُرُنِي وَيُنَاجِيَنِي وَلَوْ شَاءَ لَرَقَدَ، وَالَّذِي يَكُونُ فِي سَفَرٍ وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ فَسَهَرُوا وَنَصَبُوا ثُمَّ هَجَعُوا فَقَامَ مِنَ السَّحَرِ فِي سِرٍّ أَوْ ضَرَاءٍ » . [صحيح: رواه أحمد ٢١٣٤٠، وابن المبارك في الجهاد ٤٧، وابن أبي عاصم في الجهاد ١٢٧،

والبيهقي في الأسماء والصفات ٩٨٣، والمنذري في الترهيب ١/ ٢٤٥ / ٩٣٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٧٤]

تاسعاً: الزهد في النفس

❁ **الزهد في النفس هو أعلى درجات الزهد.**

❁ **فإن بلالاً رضي الله عنه قد هانت عليه نفسه في الله، فلم يعد يقيم لها وزناً.**

- فلم يشعر بعذابهم، وإن أجهدهم تعذيبه.
- ولم تؤثر سيئاتهم على صلابته إيمانه، ولو بأقل شيء، ولم يظهر لهم من الجزع أدنى شيء.
- فعلاً عليهم بإيمانه، فكان هو السيد، وهم العبيد، وكان هو العزيز، وهم الأدلاء.
- فإن بلالاً لما تحرر من ركونه إلى نفسه وحظوظها، قويت عزيمته جداً، ففضحت قوته ضعفهم، وأظهرت عزيمته خوارهم.

❁ **والزهد في النفس هو أقرب شيء لقبول العمل، فهو أبعد شيء عن الرياء والمن.**

- فكيف يراني لنفس لا ترن عنده شيئاً؟! وكيف يطلب مدح الناس للاثي؟!!
- وكيف يمن بالعمل، وهو لا يرى نفسه قد فعلت شيئاً؟! وإنما الفعل فعل الله، والإعانة إعانته، والتوفيق توفيقه، والسداد سدادته، ولولاه لما سبحت نفسه تسبيحه، ولا قدرت على فعل طاعة.

❁ **والزاهد في نفسه هو أكثر الناس تواضعاً.**

- فكيف تتكبر نفسه، وهي أذل شيء، لو أدخلها الله النار؟!!

- وكيف تتكبر وهي أفقر شيء إلى الله، لو أدخلها الجنة؟!

- وكيف يعلو بها على عباد الله، وهو يراها دون كل الصالحين؟!

ولكنه يراها تعيش في كوكب غير كوكب الفاسقين.

❁ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لَوْ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا، لَخِفْتُ أَنْ أَكُونَ هُوَ، وَلَوْ نَادَى مُنَادٍ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ النَّارَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا، لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ هُوَ». [حلية الأولياء ١/ ٥٣]

❁ والزاهد في نفسه لا ينافس على الدنيا، ولا يحرص عليها، ولا يبخل بها.

- فكيف يرهق نفسه لتحصيلها، وهو لا يرى أنها تستحق شيئاً؟

- فهو لا يرى المتنافسين فيها إلا لاعبين، ولا يرى المتشاحنين من أجلها إلا في هو عظيم.

❁ والزاهد في نفسه أبعد الناس عن المعاصي.

- فلأجل ماذا يُغضب مولاه، ويتعرض لسخطه؟

- هل لأجل نفسٍ لن تغني عنه من الله شيئاً؟

- فمن الذي رضاه ينفع إذا غضب الله؟! ومن الذي يحمي من سخط الله؟!

- فهو لا يقدم مراد نفسه الأمانة على مراد الله أبداً.

❁ والزاهد في نفسه دائم التوبة

- لا تقع منه هفوة، إلا بادر بالتوبة، ولا تبدو منه غفلة، إلا سارع بالإجابة.

- فإن الملائكة تمهل العاصي ست ساعات قبل أن تكتب المعصية؛ لعله يتوب، فهذا

لا تكاد تكتب له سيئة، فمهلة ست الساعات له كثير.

- فهو سريع الإفاقة سريع الإنابة، لا يطول به نوم الغفلة.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ صَاحِبَ الشَّالِ لِيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ أَوْ الْمُسِيءِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهَا أَلْقَاهَا، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً». [حسن رواه الطبراني في

المعجم الكبير ٨/ ٢١٧ و ٧٧٦٥ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ١٢٤ والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٩١ وحسنه الألباني في الصحيحة ١٢٠٩]

❁ والزاهد في نفسه لا يجد شديد جهد في ترويضها ومجاهدتها.

- فكلما قل شأنها عنده، سهل عليه إجماعها بلجام الطاعة.

- وكلما هانت عليه، سهل قيادها إلى ربها وما فيه سعادتها.

✽ والزاهد في نفسه هو أسرع الناس إلى التضحية في سبيل دينه.

- فإن ضحى بنفسه، فإنه لا يرى أنه قد ضحى بشيء غالٍ أو نفيس أصلاً، بل لا يرى أنه قد ضحى بشيء في ذات الله.

- وإن ضحى بماله (الذي يملكه مجازاً)، فكل ما على الأرض من أموال لا يساوي جناح بعوضة في ميزان الله، ولكي يعرف قيمة ماله، فليقارنه بما على الأرض من أموال، حتى يعرف القدر الذي يملكه من جناح البعوضة.

- وما على وجه الأرض كله فإن، والشيء الوحيد الذي يمكن نقله من دار الفناء إلى دار البقاء هو العمل الصالح، فلا يمكن نقل الأموال إلى الجنة، إلا بعد أن تتحول إلى عمل صالح بإنفاقها في محاب الله ومراضيه، فإن فعل ذلك، دامت له، وبقي ثوابها يتنعم به إلى أبد الآباد، وإن بخل وضمن بها، ذهب إلى دار القرار بدونها، فتحسر على فقدانها كلها، ولم يشفع له ذلك من المحاسبة على جمعها.

✽ والزاهد في نفسه هو أسرع ملب لنداء الجهاد.

ككيف يتناقل لزوجة وأبناء، وهو قد قطع عن نفسه شريان حظوظها؟! وكيف يقنع بالقصور والضيعات، وهو قد منع نفسه من التعلق بها؟! وكيف يرضى بالتجارات بعد ما علم أن مع الله التجارة الرباحة؟! فالدرهم في الدنيا إن أفلح بدرهمين، وهو عند الله بسبعمائة.

- والزاهد قد نفى عن نفسه التعلق بأي شيء من الدنيا، فهو مستعد على الدوام لتلبية كل صيحة، ولا يقول: أمهلني أسبوعاً؛ أصفي حساباتي، ولا أمهلني أياماً؛ أصفي تجارتي، أو أمهلني ساعات؛ أقضي حاجات أولادي.

✽ والزهد في النفس أعون شيء على الصبر.

- فهو لا يرى البلاء ينقص منه شيئاً، فاجتماع الدنيا عنده مثل فقدها، وحضورها مثل غيابها.

- فإن نقص شيء، فبقدر الله، وإن زاد شيء، فابتلاء من الله، أي شكر أم يكفر؟
- فهو لا يعامل ربه بالصبر على البلاء، بل بالرضا بالقضاء، والتسليم لمشيئة الله.
- ولو كان الأمر إليه، لاختار ما قضاه مولاه.

❁ لأنه يعلم أن القضاء لم يتم إلا بعلم الله السابق، وحكمته البالغة، وقدرته الغالبة، ومشيتته، وخلقه، وتقديره.

- فكيف يسخطه أو يعترض عليه؟! بل هو يرضى بالقضاء، ويسلم إليه.
- وكيف تعترض نفسه، وهي ليست بشيء؟!
- وكيف تتسخط على قدر الله، وهي أفقر شيء إليه، وأذل شيء بين يديه؟
- فالبلاء ما نزل إلا بحكمة الله البالغة، وهو أحد نوعين: إما عقوبة أو امتحان.
- فإن كان البلاء عقوبةً، فهو يستحقه، والحمد لله أن عَجَّلَ له العقوبة في هذه الدار؛ حتى يقدم عليه في الآخرة قدوم الأبرار.

- وأما إن كان البلاء امتحاناً، فهذا وقت إظهار الإيمان.
- فإن أظهرت نفسك يقينها، ارتفعت درجاتها، وإلى الفردوس الأعلى صارت منزلتها.
- وإن أظهرت يأسها وقنوطها، لم يخف ذلك من ألمها، بل زاد ألم القلب على ألم الجوارح، ولم يخف من البلاء شيئاً، بل زاد من شماتة الحساد كيلاً.
- فإن الجزع واليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله لا يخفف البلاء.
- وإن الشكوى إلى الخلق لا تجلب إلا سخط الخالق، مع إهانة النفس وذلها بين من كانوا في يوم أقرانها.

- وإن الحازم الرشيد من رضي عن الله، فأرضاه الله يوم المزيد.

❁ الزاهد في نفسه لا يخاف إلا الله.

- فهو ينظر بعين الإجلال للخالق، فيهون في عينيه كل المخلوقين.
- ثم هو لا يأبه لضر نفسه، فهي ضئيلة الشأن عنده، لذلك لا يخاف ممن يستطيع أن يؤذيها.
- فتجده يصدع بالحق، ويقول الصدق، لا يخاف في الله لومة لائم، فهو لا يخاف من سجن، أو نفي، أو قتل.

❁ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جتني وبستاني في صدري، أينما رحمت، لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة. » [نقلها عنه تلميذه ابن القيم في الوابل الصب ١٠٩]

- ماذا يفعلون بمن غناه في قلبه وتوكله على ربه؟ فإنه لا يزال في جنة قربه، لا ينزعونه منها، حتى يقتله.

- فأما استشهاده، فهو القرب الحقيقي، وهو الغنى السرمدي، وهي الأمنية التي مازال يلح بها في الثلث الأخير من الليل.

- إذا حان وقت بلوغها وإجابة دعائها، تزعزعت نفسه، وضعف يقينه؟! فما هذا من خلق الكرام.

- فهذا عبد الله بن رواحة رحمه الله حين قُتل قادة المجاهدين في غزوة مؤتة، وصار هو الأمين على راية المسلمين، تزعزعت نفسه، فردّها إلى يقينها، وكان يقول يرغمها على النزول إلى القتال :

والله يا نفس لتنزلنـــــــــــــــــه لتنزلنـــــــــــــــــه أو لتكرهنـــــــــــــــــه
إنما أنت نطفة في شنة مالي أراك تـكـرهين الجنة

[رواه ابن ماجه ٢٧٩٣]

فقاتل حتى قُتل رحمه الله ، فلحق بأصحابه رحمهم الله في جنة عالية قطوفها دانية.

✽ والزاهد في نفسه لا يحتاج إلى التقية.

- نفسه أهون عنده من أن يكذب ليحميها.

- والطاغية أهون عنده من أن يتملقه أو يداهنه.

- ودينه أغلى عنده من أن يعطي فيه الدنية.

- وربّه أعظم عنده من أن يهان اسمه، حتى وإن كان قلبه مطمئناً بالإيمان.

- فمن يأخذ بالعزيمة، إن لم يأخذ بها هو؟! ومن ذا يرتفع بإيمانه، إن لم يرتفع هو؟!

ومن ذا يتعزز بدينه، إن لم يتعزز هو؟!

- وليعلم الطاغية أن من المؤمنين من لا يردّهم عن دينهم شيء.

- وليعلم الطاغية أنه هو الذليل باتباعه للشيطان، وأن المؤمن هو العزيز بانتسابه للرحمن.

- مالنا إذا تكلمنا عن الصالحين، شعرنا بأننا من المنافقين؟!

فاللهم ثبتنا على هذا الدين، واملاً قلوبنا باليقين، وأذقنا برد عفوك، ولذة مناجاتك، ونعيم قربك، وانزع من قلوبنا كل تعلق بغيرك، واقطع من نفوسنا كل رغبة في سواك، برحمتك يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١٧. الافتقار إلى الله

✽ بحث الافتقار إلى الله يتضمن:

- أولاً: ما هو الافتقار إلى الله؟
- ثانياً: الافتقار إلى الله من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى.
- ثالثاً: أهمية الافتقار إلى الله تعالى.
- رابعاً: درجات الناس في الافتقار إلى الله تعالى.
- خامساً: الأسباب الجالبة للشعور بالافتقار إلى الله تعالى.
- سادساً: فضل الافتقار إلى الله.
- سابعاً: علامة صدق الافتقار إلى الله.
- ثامناً: أنواع الافتقار إلى الله.
- تاسعاً: الزهد والافتقار إلى الله.

أولاً: ما هو الافتقار إلى الله؟

- ✽ الافتقار إلى الله هو الشعور بالفقر والاحتياج إلى الله.
- ✽ وهو الاستغناء بالخالق، والغنى عن المخلوق.
- ✽ وهو الافتقار إلى توفيق الله لفعل الطاعات، والفرح بأدائها والمسابقة إليها.
- ✽ وهو تخلص القلب من شهوات الدنيا : المال، والنساء، والرياسة، فلا يتعلق بها، ولا ينافس عليها، ولا يفرح بجمعها، ولا ييخل ببذلها، ولا يحزن لفواتها.
- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]

ثانياً: الافتقار إلى الله من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى

✽ الافتقار إلى الله تعالى من موجبات الإيمان بأسمائه تعالى الملك، الغني،
المغني، الواسع.

✽ فلو لم يثق العبد في غناه، لم يفتقر إليه.
✽ ومن وثق في غناه، شاهد فقر كل ما عداه.

ثالثاً: أهمية الافتقار إلى الله تعالى

١- من لم يرافقه الله تعالى في نعمه الدنيوية لم يحمد الله عليها

- فمن لم ينسب النعم الدنيوية إلى الله تعالى ظن أنها من كسبه، وليست من عند الله،
فلم يحمد الله عليها، ولم يرع حق الله فيها، وتكبر بها على خلق الله،
واستعان بها على الصد عن سبيل الله.
- فهل بقي بعد ذلك بابٌ من الضلال؟!

٢- من لم يرافقه الله تعالى في نعمه الأخروية، من بالطاعة على
الخالق والمخلوق.

- ومن منَّه على الله تعالى بالطاعة أن يطلب عليها الأجر العظيم، فيشترط على الله
الأجر؛ فيحبط بذلك كل عمله، ويوفيه الله تعالى جزاءه من نعمه الدنيوية التي أنعم
بها عليه، وهي لا تحصى.

✽ كان رجل من بني إسرائيل يعبد الله خمسمائة عام، فلما توفاه الله، قال الله تعالى:
أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، يَقُولُ: رَبِّ بَلْ بَعَمَلِي، يَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ
بِرَحْمَتِي، يَقُولُ: يَا رَبِّ، بَلْ بَعَمَلِي، يَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، يَقُولُ:
رَبِّ بَلْ بَعَمَلِي، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَلَائِكَةِ: قَائِسُوا عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ
فَتَوَجَدُ نِعْمَةُ الْبَصَرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلاً عَلَيْهِ
يَقُولُ: أَدْخِلُوا عَبْدِي النَّارَ قَالَ: فَيَجْرُ إِلَى النَّارِ فَيَنَادِي: رَبِّ بِرَحْمَتِكَ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ،
يَقُولُ: رُدُّوهُ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَقُولُ: يَا عَبْدِي، مَنْ خَلَقَكَ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً؟ يَقُولُ: أَنْتَ يَا

رَبِّ، فَيَقُولُ: كَانَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِكَ أَوْ بِرَحْمَتِي؟ فَيَقُولُ: بَلْ بِرَحْمَتِكَ. فَيَقُولُ: مَنْ قَوْلَاكَ لِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْزَلَكَ فِي جَبَلٍ وَسَطَ اللَّجَّةِ وَأَخْرَجَ لَكَ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ وَأَخْرَجَ لَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَانَةً وَإِنَّمَا تَخْرُجُ مَرَّةً فِي السَّنَةِ، وَسَأَلْتَنِي أَنْ أَقْبِضَكَ سَاجِدًا فَفَعَلْتَ ذَلِكَ بِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَذَلِكَ بِرَحْمَتِي وَبِرَحْمَتِي أُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ، أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ فَنِعَمَ الْعَبْدُ كُنْتَ يَا عَبْدِي فَيَدْخُلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ. [أورده الحاكم في المستدرک علی الصحیحین ۷۱۳۷ وصححه وضعفه الذہبی فی التلخیص، والألبانی فی الضعیفہ]

❁ **ومن من بالعمل على خلق الله، تكبر عليهم بطاعته، وظن أنه خير منهم بعمله، فركى نفسه، واحتقر غيره، وكل ذلك من محبطات العمل.**

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَرْكُؤُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ❁ [النجم: ۵۳]

❁ قال رسول الله ﷺ: «بِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ». [صحيح مسلم ۲۵۶۴]

❁ قال الله تعالى في الحديث القدسي: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا فَذَفَعْتُهُ فِي النَّارِ». [صحيح: رواه أبو داود ۴۰۹۰ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ۴۰۹۰]

❁ **ومن فقد الافتقار إلى الله من أصحاب الطاعات، ورأى نفسه فاعلا، طلب مدح الناس له، فجاهد؛ ليقال: شجاع، وأنفق المال؛ ليقال: كريم، وقرأ القرآن؛ ليقال قارئ.**

- ومن طلب مدح الناس، فقد افتقر إلى الدنيا، وترك الفقر إلى الله.

- ومن افتقر إلى الدنيا، ولم يفتقر إلى الله، أصابه من أمراض القلوب أكثر مما يصيب أهل الدنيا، إذا تعلقوا بدنياهم، فيسبقهم بذلك إلى النار.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ

مِنْ سَبِيلِ نَحْبٍ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيقَالَ هُوَ جَوَادٌّ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ». [صحيح مسلم ١٩٠٥]

❁ وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أَعْلَمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، فيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعُكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌّ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ»، ثُمَّ صَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسْعَرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». [صحيح: رواه الترمذي ٢٣٨٢، والحاكم ١٥٢٧، وصححه الألباني في ص الترغيب ٢٢]

٣- ومن الافتقار إلى الله عدم التألي عليه، فتجعل نفسك رقيباً من الله على خلقه، فتدخل من تشاء الجنة، وتدخل من تشاء النار.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنْ رَجُلًا قَالَ وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَهُ». [صحيح مسلم ٢٦٢١]

❁ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فيَقُولُ أَقْصِرْ فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ أَقْصِرْ فَقَالَ خَلْنِي وَرَبِّي أَبْعَثَ عَلَيَّ رَقِيبًا فَقَالَ وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا

الْمُجْتَهِدِ أَكُنْتَ بِي عَالِمًا أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي وَقَالَ لِلْآخِرِ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقِيَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ». [صحيح: رواه أبو داود ٤٩٠١ وأحمد ٣/٣٢٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٤٥٥]

❁ وفي رواية قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: « أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْظُرَ عَلَى عَبْدِي رَحْمَتِي؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ، قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ ». [صحيح رواه ابن حبان في صحيحه ٥٧١٢ وابن المبارك في مسنده ٣٦ وفي الزهد ٩٠٠ والبيهقي في شعب الإيمان ٥/٢٩٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٤٥٥]

رابعاً: درجات الناس في الافتقار إلى الله تعالى

من الناس من يفتقر إلى الله؛ لتحصيل دنياه، ومنهم من يفتقر إلى الله؛ لتعمير آخراه.

أفضل الافتقار إلى الله الافتقار إلى هدايته.

عبادة طلب الهداية:

❁ ومن الافتقار إلى الله الافتقار إليه في أمر الهداية.
قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

[الأعراف: ٤٣]

وقال الله تعالى: ﴿ أَهْدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]

- فينبغي على العبد أن يشاهد انعدام حوله وقوته، وإنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فيفتقر إلى الله في أن :

١- يوفقه إلى الطاعات.

قال الله تعالى مخبرا عن نبيه شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [هود: ٨٨]

ينبغي على العبد ألا يمتن بالعمل على الله تعالى، وينبغي عليه أن يرى أن فعل الطاعات من توفيق الله تعالى له، فلا ينسب العمل إلى نفسه، بل إلى فضل الله وتوفيقه، فيزول من قلبه الإعجاب بنفسه ويعمله.

❁ ولا يمتن بالعمل على الخلق، ولا يرى نفسه فوقهم، ولا يطلب مدحهم على

عِلْمِهِ، وعبادته، وجهاده، ونفقته، فهو لا يرى عمله إلا محض هداية وتوفيق من الله له.

٢ - يثبته عليها.

❁ قال رسول الله ﷺ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ.» [صحيح: رواه الترمذي

٢١٤٠ وأحمد ١١٢/٣ وأبو يعلى ٣٦٨٧ وابن أبي شيبة في المصنف ٢٠٩/١٠ وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢١٤٠]

٣ - يتقبلها منه.

قال الله تعالى مخبراً عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عند بنائهما الكعبة: ﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وهو من أرجى الأعمال التي عمل بها في الأرض.

٤ - يثيبه عليها.

فالعبد يفتقر إلى ثواب الله على عمله.

فمن يملك الجنة إلا الله تعالى؟! ومن يملك نعيمها غيره؟!

وهو تعالى أعدها للطائعين من عباده، ومن رحمته أنه يجازيهم بجنته على طاعات

هو خلقها فيهم.

خامساً: الأسباب الجالبة للشعور بالافتقار إلى الله تعالى

علاج من لم يشعر بفقره إلى الله:

❁ ينبغي على العبد أن يشعر نفسه بانعدام قدرته على فعل الطاعات، وأنه ما فعلها إلا بإقدار الله له، وإعانتة عليها، وحتى إن فعلها، فلا يستحق بها الجنة، وأنه لن يدخلها إلا بفضل الله ورحمته، لا بعمله، فيشعر بالفقر لله في كل شيء؛ في فعل الطاعة، وفي نيل ثواب الطاعة.

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قيل: ولا أنت يا رسول الله؟

قال: «لَا وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ.» [صحيح البخاري ٥٦٧٣، ومسلم ٢٨١٦]

سادساً: فضل الافتقار إلى الله

الفقر إلى الله يكسب العبد الشوق إلى لقاءه، والمسارة إلى الخيرات، والغنى عن الخلق.

١- الشوق إلى لقاء الله:

﴿إن مشاهدة القلب لملك الله وغناه، ومشاهدة فقر نفسه إلى الله، هي التي

تدفع العبد للشوق للقاء الله، فإذا رجا لقاء الله، استعد للقاءه، فاجتهد لنيل رضاه.

﴿فيا عبد الله : هذا أوان الزرع، فاجتهد في الطاعات، واسع إلى المبرات، وسر في طريق العلم والدعوة والجهاد، مهما كانت العقبات، ومهما كانت التضحيات، تفر يوم الحصاد بالأمنيات.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]
﴿قال رسول الله ﷺ: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ.»

[صحيح: رواه النسائي في سننه ١٣٠٥ وأحمد ٤/ ٢٦٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٣٠١]

٢- المسارة إلى الخيرات:

ينبغي على العاقل أن يكون ذا همة عالية تواقة إلى الجنة، ويكون همه هو المنافسة والمسارة إلى المغفرة، ونيل الدرجات العالية في الجنة.

قال الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

﴿فمن رأى الدنيا متاع غرور، ترك المنافسة عليها، والمسابقة إليها، وسابق إلى المغفرة والجنة، وفرح بطاعة الله؛ فهي أحق ما يفرح به، وهي محض توفيق من الله، وهي فضله ورحمته.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]

٣- الغنى عن الخلق:

﴿الغنى عن الخلق هو الاستغناء بالخالق عن المخلوقين، وهو عين الافتقار إلى الله.

﴿قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ.»

[صحيح البخاري ٦٤٤٦، ومسلم ١٠٥١]

❁ قال رسول الله ﷺ : «إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ، وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ.» [صحيح: رواه ابن حبان ٦٨٥

والطبراني في الكبير ١٦٤٣ وفي مسند الشاميين ٢٠٢٠ والحاكم في المستدرک ٣٢٧/٤ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٨٢٧]

سابعاً: علامة صدق الافتقار إلى الله

١- والافتقار إلى الله هو السلامة من الدنيا طلباً وتركاً:

❁ طلباً : فهو لا ينافس عليها؛ لأنه يراها لا تساوي شيئاً، ولا تستحق أن ينافس عليها.

❁ تركاً : فإذا تركها، لا يشعر أنه ضحى بشيء له قيمة، فهل من ترك جناح

البعوضة يرى أنه قد ضحى بشيء؟!

❁ السلامة من الدنيا هي ألا ينافس في عزها، ولا يجزع من ذلها، ولا يحزن على

ما فاته منها، ولا يفرح بما نال منها فرح العجب والغرور، ولا ينسب ما حصل منها إلى فعله وكسبه، وإنما إلى فضل الله وكرمه.

قال الله تعالى في وصف المعجب بنفسه المغرور بهاله: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ

وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤]

❁ وقال قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]

- فرأى نفسه مستحقاً للمال، لما يراه من كمال نفسه، وكان فرحه بالمال فرح العجب

بالنفس والكبر على الخلق، فاستحق العذاب.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]

❁ فالدنيا لعب ولهو، وهي متاع، والمتاع إما متاع بلاغ أو متاع غرور، وكلاهما

سيصير حطاماً في النهاية.

قال الله تعالى: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهْوٌ﴾ [الحديد: ٢٠]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]

٢- من أكثر من ذم الدنيا، فإنه ما ذمها إلا لأنها عظيمة في نفسه:

❁ من أكثر من الكلام على الدنيا، وأنه تركها لله، فهو لأنه لا يراها جناح بعوضة،

وإلا لم تستحق أن يذكرها، وإنما أكثر من ذكرها؛ لأنه يراها جوهرة، لكنه يرغب نفسه على تركها؛ لينال خيرًا منها في الآخرة.

❁ ومن رآها جوهرة، ورأى نفسه لا تحرص عليها، فإنما رأى نفسه قد زهد في ما تنافس فيه الناس، ورأى لنفسه فضلًا عليهم.

❁ وأما من رآها جيفة، ورأى الضباع تنافس عليها، امتنع عن منافستهم فيها، ولم ير أنه فعل شيئًا عظيمًا.

ثامنًا: أنواع الفقر

❁ أهل الدنيا يفتقرون إليها، وأهل الله يفتقرون إليه.

أهل الدنيا:

❁ من أخلد إلى الأرض، رأى الدنيا كبيرة جدًا، ورأى أن ما عليها من الأسباب والقوى المادية لها قيمة عظيمة، فيتعلق قلبه بها وبمن يملكها، **فيخافه، ويرجوه، ويتبعه، ويواليه** من دون الله، فيفتقر إلى الدنيا، ويستغني بها عن الله.

أهل الفقر إلى الله:

❁ أما من افتقر إلى الله، ذل وخضع له، واقترب منه؛ فأدناه، وافتقر إليه؛ فأغناه، أغناه بحبه عما سواه، وبخوفه عما عداه، وبرجائه عما سواه، والرغبة إليه عما عداه، فاستغنى بالله، ولم ير حركة لذرة في الكون إلا بأمر الله.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]

❁ فلم يشهد إلا **ملك ربه** وغناه، وشهد أن كل **الخلائق عاجزون** عن دفع الضر عن أنفسهم لولاه، وكلما اقترب من مولاه، **صغر الخلائق** أمام عينيه، ورأى الدنيا لا تساوي شيئًا، إلا ما كان من فضل الله، ورأى **نواصي العباد كلها في قبضة الله**.

قال الله تعالى مخبرًا عن هود عليه السلام: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ [هود: ٥٦]

وكل الخلق يقر بذلك، لكن ليس كلهم يشاهده بقلبه كل لحظة.
 ❁ ولا يشعر العبد بالافتقار إلى الله، إلا إذا تخلص قلبه من الافتقار إلى الدنيا، ومن الحرص عليها، وكنزها، والبخل والشح بها.

الحرص :

❁ هو شدة الاهتمام بتحصيل الدنيا إذا فُقدت، والبخل بها إذا وُجدت، واللهث في طلب المزيد منها.

- وإنما الواجب هو الإجمال في الطلب، وطلبها إذا احتاجها بطريق جميل.
 ❁ قال رسول الله ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حُرِّمَ ». [صحيح : رواه ابن ماجه ٢١٤٤ وابن حبان ٣٢٣٩ والحاكم ٤/٢ وصححه الألباني في الصحيحة ٢٦٠٧]

الكنز:

❁ هو المال الذي لا تؤدي زكاته، فكل مالٍ لم تؤد زكاته، فهو مال مكنوز، سيعذب به صاحبه يوم القيامة.

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزِبُونَ ﴾ [التوبة : ٣٥]

البخل:

❁ هو إمساك المال عن نفقته فيما أوجب الله من الزكاة والصلة، وما تقوم به الحياة من المأكل والملبس والسكن.
 - وهو إمساك المال عمَّن تجب على العبد نفقتهم من الذرية، والأبوين، والزوجة، والإخوة الفقراء.

- وأشد من البخل هو أمر الناس بالبخل.

- وأعظم الناس بخلاً هو من لم يصل على رسول الله ﷺ إذا ذكر عنده ﷺ.

❁ قال رسول الله ﷺ : « الْبَخِيلُ مَنْ ذَكَرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ ».

[صحيح : رواه الترمذي ٣٥٤٦ وصححه الألباني لغيره في الإرواء ٥]

الشح:

❁ هو تطلع العبد إلى ما ليس في يده، وإلى ما حرمه الله عليه وما نهاه عنه.

❁ فالبخل هو إمساك ما يملك، والشح هو طلب ما لا يملك.

❁ والشح لو كان في الحلال، لكان مذمومًا لأنه:

- ١ - لأنه يؤدي إلى انشغال القلب بالدنيا والانصراف عن الطاعات.
- ٢ - ولأنه يؤدي إلى تعود حياة الترف، فإذا مرَّ الشحيح بضائقة، لم يستطع تحمل خشونة العيش، فيطلب الترف من حلال كان أو من حرام.

❁ ولا يزال الشح بالإنسان إلى أن يدفعه إلى سفك الدماء وانتهاك المحارم.

❁ قال رسول الله ﷺ: «وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلُهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ». [صحيح مسلم ٢٥٧٨]

سبب الشح:

- ❁ هو الافتقار إلى الدنيا دون الافتقار إلى الله العظيم.
- ❁ عجبًا لأبن آدم فإنه يولد قابضًا كفيه حرصًا على الدنيا، ويموت وهو باسطٌ كفيه لأنه لم ينل منها شيئًا.

تاسعًا: الزهد والافتقار إلى الله

❁ الزهد والافتقار إلى الله متلازمان، لا يفتقران، فإن الزهد عبادة تركية، والافتقار إلى الله عبادة فعلية.

- ❁ فمن زهد في الدنيا، استغنى عن الدنيا، وافتقر إلى الله.
- ❁ ومن لم يزهد في الدنيا، استغنى بالدنيا، ولم يفتقر إلى الله، والعياذ بالله.
- ❁ ومن افتقر إلى الله، استغنى به، واستغنى عن الدنيا.
- ❁ ومن لم يفتقر إلى الله، استغنى عنه - والعياذ بالله - وافتقر إلى الدنيا، وضاع مع هواه.

١٨ . الإِخْبَاتِ لِلّٰهِ

بحث الإِخْبَاتِ يَتَضَمَّنُ:

أولاً: ما هو الإِخْبَاتِ؟

ثانياً: الإِخْبَاتِ من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى.

ثالثاً: الأسباب المعينة على الإِخْبَاتِ.

رابعاً: فضل الإِخْبَاتِ.

خامساً: علامة المخبّتين.

سادساً: جزاء الإِخْبَاتِ.

أولاً: ما هو الإِخْبَاتِ؟

❁ الإِخْبَاتِ هو الطمأنينة بالله، والرضا بالخضوع له، والشعور بالسكينة في قربهِ، والخشوع بين يديه، وانكسار القلب في العودة إليه.

❁ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآخَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [هود: ٢٣]

❁ قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ ٣٤ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الحج: ٣٥، ٣٤]

❁ قال الله تعالى: ﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٥٤]

❁ فالمخبّت هو من فعل الصالحات، وأقام الصلاة، وأنفق في سبيل الله، ثم خاف ألا يُقبل منه، وَرَجَا من الله ثواب عمله، وهو على ذلك راضٍ بقضاء الله وقدره، قد شاهد الرحمة في بلائه وأمره.

ثانيًا: الإخبات من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى

❁ والإخبات هو من لوازم الإيمان بأسمائه تعالى القوي، القهار، واسمه الرحيم الرحمن، واسمه القريب المنان واسمه الخبير ذي الجلال والإكرام. فالخبت يخاف من قوة الله وقهره، ويأنس برحمته وبره، ويطمئن بقربه وفضله، ويستكين لحكمته وعدله.

ثالثًا: الأسباب المعينة على الإخبات

- ١ - العلم بكمال الله، وعظيم قدرته، وشديد قهره، وواسع رحمته، وبالعظمى حكمته.
 - ٢ - العلم بعيب النفس ونقصها، وعجزها، وما فيها من أمراض المن والرياء، وأسباب رد العمل وجبوطه.
- ❁ فيدرك أنه لن يبلغ مراده بعمله، إلا أن يدخله ربه في رحمته، فينتج عن ذلك أن يشمر عن ساعد الجد في طاعة مولاه، ويفرح كلما أدناه، وعن الشياطين أبعد، وعن المهلكات أقصاه.

رابعًا: فضل الإخبات

- ١ - الإخبات هو العودة إلى الله بعد الضياع، فإذا لجأ إلى الله، وفَرَّ إليه، اقترب الله منه أكثر مما تقرب هو إليه.
- ❁ قال الله ﷻ في الحديث القدسي: « وَإِنْ أَقْتَرَبَ إِلَى شِبْرٍ أَقْتَرَبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَإِنْ أَقْتَرَبَ إِلَى ذِرَاعٍ أَقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ». [صحيح البخاري ٧٤٠٥ ومسلم ٢٦٧٥]
- ٢ - فإن شعر بقربه من ربه، سكنت نفسه، واطمأنت بالله.
- ٣ - فإذا ذاقته نفسه لذة قربه وحبه، وجَلَّتْ، وخافت أن تُطرد عن رحمته وتُبعد عن قربه.
- ٤ - فما يزال يطلب قربه من ربه بأداء النوافل؛ ليحصل له الإخبات والطمأنينة

وقرة العين التي لا يجدها إلا في طاعته.

❁ قال الله ﷻ في الحديث القدسي : « وَمَا تَقَرَّبَ إِلَى عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ». [صحيح البخاري ٦٥٠٢]

خامساً: علامة المخبطين

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ^(٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥]

قال الله تعالى : ﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٥٤]

١. المداومة على الطاعة:

قال الله تعالى : ﴿ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الحج: ٣٥]

٢. الخوف ألا تقبل طاعاتهم:

قال الله تعالى : ﴿ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٣٥]

٣. الله تعالى آتاهم العلم:

قال الله تعالى : ﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٥٤]

٤. الله تعالى شهد لهم بالإيمان:

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤]

٥. الله تعالى يهديهم إلى الاستقامة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤]

٦. يعظمون ربهم:

قال الله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٥]

٧. يصبرون على ما أصابهم:

قال الله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾ [الحج: ٣٥]

سادساً: جزاء الإخبات

١- دخول الجنة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [هود: ٢٣]

٢- بشرى الله لهم في الدنيا، وحسن المال في الآخرة:

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]

١٩- الاستسلام والذل لله

✽ بحث الاستسلام لله يتضمن:

أولاً: ما هو الاستسلام؟

ثانياً: الاستسلام لله من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى.

ثالثاً: أهمية الاستسلام لله تعالى.

رابعاً: تفاوت الناس في الاستسلام لله تعالى.

خامساً: الأسباب المعينة على الاستسلام لله تعالى.

سادساً: فضل الاستسلام لله تعالى.

أولاً: ما هو الاستسلام لله تعالى

✽ الاستسلام لله هو الخضوع والانقياد التام لأمره، والتسليم التام لقضائه، والشعور بأنه لا غنى للعبد طرفة عين عن الله في أمر دينه ودنياه.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

✽ والإسلام هو الاستسلام والانقياد التام لله تعالى.

ثانياً: الاستسلام لله من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى

✽ الاستسلام لله هو من موجبات الإيمان بأسمائه تعالى الجبار القهار، فهو الذي جبر عباده على ما أراد بإرادتهم واختيارهم، فلم يشاءوا إلا ما شاء، ولم يريدوا إلا ما أراد فلم يختاروا بإرادتهم إلا ما سبق أن كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ بعلمه السابق. ✽ وهو الذي قهرهم بإرادته الكونية وقضائه الكوني، فلم يستشرهم في ساعة مولدهم أو مماتهم، ولم يسألهم رأيهم في طولهم وقصرهم، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، ويغني من يشاء، ويفقر من يشاء، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، وهو على كل شيء قدير.

ثالثاً: أهمية الاستسلام لله تعالى

- ١- الاستسلام لله شرط في صحة الشهادتين، وبدونه لا يدخل العبد في الإسلام.
 - ٢- الذل سبب لقبول العمل، فجناحا قبول العمل هما الخوف والرجاء.
 - ٣- الاستسلام لحكم الله هو شرط الإيمان.
- قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

رابعاً: تفاوت الناس في الاستسلام لله تعالى

- قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]
- كل خلق الله مقهورون لحكمه الكوني قسراً، والمؤمنون وحدهم يستسلمون لأمره الشرعي طوعاً.**
- ١- فمن أقر بأنه لا يستطيع الخروج عن أمر الله الكوني قسراً، فلا يخرج عن أمره الشرعي طوعاً.
 - والإقرار لا يكون فقط باللسان بل اعتقاد عدم الإمكان عن الخروج عن ما قَدَّرَ وكان.
 - واتباع أمر الله الشرعي هو اتباع أمره، والانتهاز عن نهيه، فيقبل على الطاعة، وينتهي عن المعصية، ولا يتحاكم إلا إليه وإلى كتابه ورسوله ﷺ.
 - ٢- أما من رأى أن بإمكانه عدم التحاكم إلى شرع الله، أو رأى أن بإمكانه عدم عبادة الله، فذلك المعرض الهالك.
 - وهذا الذي تشبه إبليس في كفره، حين اعترض على أمر ربه في السجود لآدم ﷺ، وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، فخرج من رحمة الله التي لا يمنحها إلا للمستسلمين له، فهلك بذلك الهلاك الأكبر، الذي ما بعده ذرّة من خير.

خامساً: الأسباب المعينة على الاستسلام لله تعالى

هي معرفة عظمة الله وجبروته، وعظيم قدرته وقهره، وجبره لعباده.

سادساً: فضل الاستسلام لله تعالى

- ١- إذا انكسر العبد لربه جَبَرَهُ الله - فهو الجبار - ورفعهُ، وأعلى قدره، وتقبل عمله.
- ٢- والذل لله من أسباب قبول العبادة.
- فإن العبادة لا تقبل إلا بتمام الذل مع كمال الحب.
- ٣- الاستسلام لأمر الله، يجازي الله عليه بهداية القلب وثبات الإيمان.
- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]
- ومعناها أن التسليم للقدر جزاؤه هداية القلب.

٢٠. التواضع

✽ بحث التواضع يتضمن:

- أولاً: ما هو التواضع؟
- ثانياً: التواضع من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى.
- ثالثاً: أهمية التواضع.
- رابعاً: أنواع التواضع.
- خامساً: الأسباب المعينة على التواضع.
- سادساً: علامة المتواضع.
- سابعاً: جزاء التواضع.
- ثامناً: الكبر عكس التواضع.

أولاً: ما هو التواضع؟

- ✽ التواضع هو الخضوع لله مع محبته وتعظيمه.
- وهو الانقياد لشرعه وقبول أمره بلا إباء أو استكبار.
- وهو اعتقاد أن الله هو العلي الكبير، واعتقاد أن الكبرياء كله لله، وأنه ليس للعبد نصيب منه.
- فمن تكبر على الله أو على خلقه، قصمه الله.
- ✽ قال رسول الله ﷺ: « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَارَ عَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ. » [صحيح: رواه أبو داود ٤٠٩٠ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٤٠٩٠]
- ✽ قال رسول الله ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يَنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ. » [صحيح مسلم ٢٦٢٠]

ثانيًا: التواضع من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى

✽ التواضع من موجبات الإيمان باسمه تعالى المتكبر؛ لأن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى، ومن تخلق بخلق الكبر، فقد تشبه بالله تعالى في كبريائه، وأشرك نفسه مع الله تعالى في صفته التي يتفرد بها تعالى، فاستحق عقاب الله الشديد للمتكبرين المتشبهين به فيما لا يجوز لهم.

ثالثًا: أهمية التواضع

✽ التواضع في الإيمان.

- ومن تكبر على الخالق تعالى برّد أمره، كفر.

- ومن تكبر على الخلق، فقد تشبه بالله، وأشرك نفسه مع الله تعالى في صفته.

✽ قال ابن عباس رضي الله عنهما: « بَيْنَا جِبْرِيلُ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنَاجِيهِ إِذْ انْشَقَّ أَفُقُ السَّمَاءِ، فَدَخَلَ جِبْرِيلُ مِنْ ذَلِكَ خَوْفٌ، فَإِذَا مَلَكٌ قَدْ تَمَثَّلَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْتَارَ عَبْدًا نَبِيًّا أَوْ مَلَكًا نَبِيًّا، فَأَشَارَ إِلَى جِبْرِيلَ بِيَدِهِ أَنْ تَوَاضِعْ، فَقُلْتُ: عَبْدًا نَبِيًّا. فَارْتَفَعَ ذَلِكَ الْمَلَكُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا، فَرَأَيْتُ مِنْ حَالِكَ مَا شَغَلَنِي عَنِ الْمَسْأَلَةِ، فَمَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا إِسْرَافِيلُ، خَلَقَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، صَافًا قَدَمَيْهِ، لَا يَرْفَعُ طَرْفَهُ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّبِّ سَبْعُونَ نُورًا، مَا مِنْهَا نُورٌ يَكَادُ يَدْنُو مِنْهُ إِلَّا احْتَرَقَ، بَيْنَ يَدَيْهِ لَوْحٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ فِي شَيْءٍ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ فِي الْأَرْضِ ارْتَفَعَ ذَلِكَ اللَّوْحُ فَضَرَبَ جَبِينَهُ فَيَنْظُرُ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِي أَمْرِي بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِ مِيكَائِيلَ أَمْرُهُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِ مَلِكِ الْمَوْتِ أَمْرُهُ بِهِ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ؟ قَالَ: عَلَى الرِّيحِ وَالْجُنُودِ. قُلْتُ: وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ مِيكَائِيلُ؟ قَالَ: عَلَى النَّبَاتِ وَالْقَطْرِ. قُلْتُ: وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ مَلِكُ الْمَوْتِ؟ قَالَ: عَلَى قَبْضِ الْأَنْفُسِ، وَمَا ظَنَنْتُهُ هَبَطَ إِلَّا لِقِيَامِ السَّاعَةِ، وَمَا الَّذِي رَأَيْتَ مِنِّي إِلَّا خَوْفًا مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ».

[أخرجه أبو الشيخ في العظمة، والطبراني في المعجم الكبير ١٢٠٦١، والبيهقي في شعب الإيمان: ١/ ١٠٩، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية:

٤٥/١ وقال غريب من هذا الوجه والسيوطي في الدر المنثور: ٩١/١ والحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٣٠٧/٦ مختصراً]

❁ جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكُ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ، قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ: أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ، أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعُ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: «بَلْ عَبْدًا رَسُولًا».[صحيح: رواه أحمد ٢/٢٣١ وابن حبان، وصححه الألباني في الصحيحة ١٠٠٢]

❁ وفي رواية: فما رَوَى النبي ﷺ يأكل متكئاً، حتى لحق ربه.
قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]

❁ قال كعب بن مالك: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ ﷻ عَلَى عَبْدٍ مِنْ نِعْمَةٍ فِي الدُّنْيَا فَشَكَرَهَا اللَّهُ ﷻ، وَتَوَاضَعَ بِهَا لِلَّهِ، إِلَّا أَعْطَاهُ نَفْعَهَا فِي الدُّنْيَا، وَيَرْفَعُ اللَّهُ لَهُ بِهَا دَرَجَةً فِي الْآخِرَةِ، وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ نِعْمَةٍ فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَشْكُرْ لِلَّهِ، وَلَمْ يَتَوَاضَعْ بِهَا لِلَّهِ، إِلَّا مَنَعَهُ اللَّهُ نَفْعَهَا فِي الدُّنْيَا، وَفَتَحَ لَهُ طَبَقًا مِنَ النَّارِ، يُعَذِّبُهُ إِنْ شَاءَ، أَوْ يَتَجَاوَزَ عَنْهُ».

[رواه ابن أبي الدنيا في الشكر ١٨٩ و التواضع ٩٣ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤٣/٦]

❁ وقال إبراهيم بن شيان رحمه الله: «الشَّرَفُ فِي التَّوَاضَعِ، وَالْعِزُّ فِي التَّقْوَى».

[رواه القشيري في الرسالة ١٨٥]

رابعاً: أنواع التواضع

١- التواضع يشمل عدم التكبر على أوامر الله.

- فالعبد ينبغي أن يرى نفسه صغيراً حقيراً ضعيفاً أمام عظمة الله وقدرته، فيُعَظِّم ربه، ويُعَظِّمُ شعائر ربه.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ شَعْرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]
- ومن رد شيئاً من شرع الله، كان فيه شبهة من إبليس في تكبره عن طاعة أمر الله، فيكفر بذلك.

قال الله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ سَجْدَ لِمَنْ خَلَقَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]
❁ والتواضع عكس الاستكبار عن قبول أمر الله، أو رده، أو تركه، أو الإعراض عنه، أو إنكاره، أو جحوده، أو السخرية أو الاستهزاء به.

٢- والتواضع يشمل الذل على المؤمنين.

- فالتواضع يرى نفسه أقلهم، فيرفق بضعيفهم، ويرحم صغيرهم، ويشفق على شيخهم.

قال الله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]
ويشتد تواضعه لو الديه، فيعاملهم معاملة الذليل، لا لذلة في نفسه، بل رحمة بهم.

قال الله تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]

٣- والتواضع يشمل عدم المن على العباد.

- فالتواضع لا يمن على الخلق بعلمه، أو عمله، أو صدقته، ولا يرى لنفسه منزلة فوقهم.

- وسبيل تحقيق ذلك هو الاجتهاد في إخلاص العباد لله؛ حتى يسلم من المن والرياء.

خامساً: الأسباب المعينة على التواضع

١- العلم بأن من أساء الله الحسنى اسم المتكبر.

- وأن صفة التكبر لا تنبغي إلا لله العظيم، ولا يجوز أن يتشبه به العبد في هذه الصفة.

٢- العلم بأن الله تعالى يتكبر بكمال ذاته وبأسائه وصفاته.

- فهو القوي العظيم الغني الكريم.

٣- العلم بأن الله تعالى رحيم عادل في تكبره.

- لأن هذا مقتضى أسائه الرحمن الرحيم العدل المقسط، أما العبد المتكبر، فهو دائماً ظلومٌ، جهولٌ، طائشٌ، سفيهٌ.

٤- العلم بعظمة الله تعالى.

- ونستدل بعظمة مخلوقاته على عظمة ذاته تعالى.

- فأنت تعيش على كوكب، هو أحد تسعة كواكب من المجموعة الشمسية.

- والمجموعة الشمسية هي أحد مكونات مجرتنا، التي تحتوي على مئات الآلاف مثل مجموعتنا الشمسية.

- والسماء الدنيا تحتوي على مئات الآلاف من المجرات؛ مثل مجرتنا.

- والسموات سبع، وما بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، وسمك كل سماء خمسمائة عام.

- وكل تلك السموات بالنسبة إلى كرسي الرحمن كخاتم ألقى في صحراء.

قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

- والكرسي في العرش كمثل ذلك.

﴿قال رسول الله ﷺ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَانِي

فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ.»﴾ [صحيح: رواه ابن جرير وابن أبي شيبة في العرش ٥٨]

- والله تعالى استوى على عرشه استواء إحاطة؛ فهو تعالى محيط بكل مخلوقاته.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]

فالعرش لا يحويه، ولا يقله، ولا يسنده، بل هو تعالى محيط بالعرش وما تحته.

٥- العلم بضعف الإنسان وعجزه.

- والآن: أين أنت أيها المخلوق الصغير الضعيف العاجز الجاهل المريض الفقير؟!
- فأنت تولد ضعيفاً في مكان وميعاد، لم يكن لك شأن بتحديدتهما، وكذلك تموت في مكان وميعاد لا تعلمهما، ولن تُستأذن قبل موتك، وعلى هيئة لها تعلمها.
- وإذا أصابك فيروس، أقعدك، وإذا أنفذك سلاح، قتلك.
- فيهاذا تتكبر؟! وبأي حق تتكبر؟!

✽ بلغ عمر بن العزيز أن ابنه اشترى خاتماً بألف دينار، فكتب إليه : عزمت عليك إلا ما بعت خاتمك بألف دينار، وجعلتها في بطن جائع، واستعمل خاتماً من ورق (يعني: فضة)، وانقش عليه: رحم الله إمرء عرف قدر نفسه.

[الرسالة القشيرية ١/ ٢٨١، ومدرج الساكنين ٢/ ٣١٦، والمستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي ٢٧٨].

سادساً: علامة المتواضع

١- المتواضع دليل على المؤمنين.

- المتواضع لا يرى لنفسه فضلاً على أحد من المسلمين.
- قال الله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]
- ✽ قال الحسن البصري رحمته الله: «التواضع أن تخرج من منزلك؛ فلا تلقى مسلماً، إلا رأيت له عليك فضلاً». [رواه ابن أبي الدنيا في التواضع ١١٦ والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ١٦٨٠]
- ✽ قال الجنيد بن محمد رحمته الله: «التواضع خفض الجناح للخلق، ولين الجانب لهم».

[رواه القشيري في الرسالة ١٨٤]

وقد كانت المرأة العجوز تقف مع النبي صلوات الله عليه ساعة تشكو إليه حاجتها، فما ينصرف صلوات الله عليه عنها، حتى تكون هي التي تنصرف، ثم يقضي لها حاجتها. [صحيح مسلم ٢٣٢٦]

٢- المتواضع يقبل الحق، ولا يردده.

❁ قال الفضيل بن عياض رحمته الله: « التَّوَاضُّعُ أَنْ تَخْضَعَ لِلْحَقِّ، وَتَنْقَادُ لَهُ، وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ صَبِيٍّ، قَبْلَتْهُ مِنْهُ، وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ، قَبْلَتْهُ مِنْهُ. » [رواه ابن الدنيا في

التواضع ٨٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩١/٨ والبيهقي في شعب الإيمان ٦/٣٠١/٨٢٤٥]

٣- المتواضع يأكل على الأرض.

كان النبي صلوات الله عليه يأكل على الأرض، ولم يكن له خوانٌ مرتفع.
❁ قال رسول الله صلوات الله عليه: « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ؛ آكَلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ. وَكَانَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَعُودُ الْمَسَاكِينَ، وَيَجَالِسُ الْفُقَرَاءَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبِيدِ، وَيَجْلِسُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مَخْتَلِطًا بِهِمْ؛ حَيْثُ مَا انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ، جَلَسَ. » [صحيح: رواه أحمد في الزهد ٥ وصححه لغيره الألباني في الصحيحة ٥٤٤]

٤- المتواضع لا يسبل إزاره، ولا يطيل بنطاله تحت الكعبين.

❁ قال رسول الله صلوات الله عليه: « مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ النَّارُ. » [صحيح البخاري ٥٧٨٧]

٥- المتواضع يسيء الظن بنفسه، ويظن أن كل صالحٍ المسلمين خيرٌ منه.

❁ قال عمر بن الخطاب رحمته الله: «لَوْ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا، لَخِفْتُ أَنْ أَكُونَ هُوَ، وَلَوْ نَادَى مُنَادٍ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ النَّارَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا، لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ هُوَ. » [حلية الأولياء ١/٥٣]

٦- المتواضع كثير اللوم لنفسه على غفلاتها.

- المتواضع كثير الاستدراك على نفسه؛ أنها لم تزد في طاعاتها.

- المتواضع كثير التوبة من هفواتها وهناتها.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]

سابعا: جزاء التواضع

١- الرفعة في الدنيا والآخرة.

❁ قال رسول الله ﷺ: « وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ. » [صحيح مسلم ٢٥٨٨]

٢- دخول الجنة.

❁ قال رسول الله ﷺ: « حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ. » [صحيح: رواه

أحمد ٤١٥/١ وصححه لغيره الألباني في الصحيحة ٩٣٨]

❁ قال رسول الله ﷺ: « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ أَهْلُ الْجَنَّةِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ

قَرِيبٍ. » [صحيح: رواه الطبراني في المعجم الصغير ٨٩ وصححه لغيره الألباني في الصحيحة ٩٣٨]

❁ قال رسول الله ﷺ: « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ، عَلَى

كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ. » [صحيح: رواه الترمذي ٢٤٨٨، وأحمد ٤١٥/١، والطبراني في المعجم الأوسط ٨٤٩ والبيهقي في شعب

الإيمان ٧٩٠٣، وصححه الألباني لغيره في الصحيحة ٩٣٨]

ثامنا: الكبر عكس التواضع

❁ قال رسول الله ﷺ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ. » [صحيح مسلم ٩١]

- فمن كان في قلبه كبر عن قبول أمر الله، لم يدخل الجنة أبداً لكفره.

- ومن كان في قلبه تكبر على الخلق، فهو تزكية للنفس، واحتقار للخلق، وهو من أكبر الكبائر.

- وكبيرة الكبر يلزمها توبة خاصة؛ حتى يغفرها الله تعالى، ومن مات على ذلك،

كان إلى مشيئة الله تعالى؛ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.

- وأصل الكبر على الخلق هو التشبه بصفة الله المتكبر، التي لا تنبغي إلا له تعالى،

والتشبه بالله تعالى هو أصل الشرك، وهو من الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته .

٢١. الخشوع

✽ مبحث الخشوع يتضمن:

- أولاً: ما هو الخشوع؟
- ثانياً: الخشوع من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى.
- ثالثاً: أهمية الخشوع.
- رابعاً: أركان الخشوع.
- خامساً: الأسباب المعينة على الخشوع.
- سادساً: فضل الخشوع وثمرته.
- سابعاً: علامة صدق الخشوع.
- ثامناً: جزاء الخشوع.
- تاسعاً: أنواع الخشوع.
- عاشرًا: الغفلة في الصلاة عكس الخشوع.

أولاً: ما هو الخشوع؟

✽ الخشوع هو التصديق بما أنزل الله والاستسلام له والتذلل له والتواضع له والخوف من مقامه تعالى.

١- الخشوع هو حضور القلب في الصلاة.

- وانصراف العبد بكليته إلى الله تعالى، وقطع الفكر فيما سواه.
- وانصراف الفكر إلى أعمال الصلاة ومعاني القرآن، الذي يتلوه العبد، أو يسمعه في الصلاة.

٢- الخشوع هو لين القلب.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَنسَقُوتُ﴾ [الحديد: ١٦]

٣- الخشوع هو خشية الله.

قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾

[الحشر: ٢١]

قال الله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]

٤- خشوع الجوارح:

قال الله تعالى: ﴿وَأَغْضَضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩]

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]

٥- خشوع البصر:

قال الله تعالى: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ [القمر: ٧]

وقال الله تعالى: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ [القلم: ٤٣ / المعارج: ٤٤]

٦- خشوع الجلود:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مِّثْقَانِي نَقَشَرْتُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]

ثانياً: الخشوع من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنی

والخشوع من لوازم الإيمان بأسمائه تعالى العظیم، والجليل، والسمیع، والبصیر.

- فكيف ينصرف عن العظیم إلى الحقير؟!

- وكيف يتهاون بسمع السميع وبصر البصیر! ويترك الإخلاص له، ويلهث

خلف من لا يأبه له، ولا جزاء عنده؟!

- وكيف ينصرف عن القريب المجيب، وينشغل بدنيا قريية الزوال بعيدة المنال؟!

ثالثًا: أهمية الخشوع

✽ خشوع الجوارح من أركان الصلاة.

- وليس للإنسان من صلاته إلا ما عقل منها، وخشع فيه.
- وإن كانت الصلاة قليلة الخشوع تسقط عنه الفرض، لكن ذهب عنه ثوابها.
- ✽ قال سفيان الثوري رحمه الله: « يكتب للرجل من صلاته ما عقل منها ».

[صحيح : رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧ / ٦١]

- صل صلاة تدخل معك قبرك.
- صل بخشوع؛ فكل ما ينتظره أقل شأنًا من الصلاة.
- صل بخشوع؛ فإن الذي تصلي له هو الذي يملك تيسير ما ترجوه بعد الصلاة.
- المحروم من حرم صلاة خاشعة وعينًا دامعة.
- ✽ الأنبياء عليهم السلام كانوا خاشعين.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

رابعًا: أركان الخشوع

✽ تحصيل الخشوع لا يكون إلا بستة أركان:

□ حضور القلب، □ والتفهم، □ والتعظيم، □ والهيبة، □ والرجاء، □ والحياء.

✽ قال أبو حامد الغزالي: « اعلم أن هذه المعاني (يقصد الخشوع) تكثر العبارات عنها، ولكن يجمعها ست جمل، وهي: حضور القلب، والتفهم، والتعظيم، والهيبة، والرجاء، والحياء. » [إحياء علوم الدين ١ / ١٦]

١- حضور القلب:

حضور القلب هو اقتران الفعل بالفكر.

- فلا يفكر المصلي في غير أفعال وأقوال الصلاة، ولا يصلُّ إلى ذلك إلا إذا كانت الصلاة عظيمة عنده، فإن كان عنده شيء أهم من الصلاة، انصرف فكره إليه.

- ولا تكون الصلاة مهمة عنده، إلا إذا كان عظيم الإيمان، عظيم اليقين بأن الآخرة خير وأبقى، وأن الصلاة وسيلة لنيل درجاتها.

٢- التفهم :

التفهم هو معرفة القلب لمعنى ما ينطق به اللسان.

- فمن دفع الخواطر عن قلبه، وصرف ذهنه لإدراك معنى الآيات، فتح الله عليه في كل مرة يقرأ فيها بفهم جديد للآيات، يقربه من ربه، ويمنعه عن الفحشاء والمنكر.

٣- التعظيم :

التعظيم هو معرفة جلال من تقف بين يديه، وتصلي له.

وأيضاً معرفة ضالة نفسك وفقرها إلى الله.

فينتج عن ذلك الانكسار والخشوع لله تعالى.

٤- الهيبة :

الهيبة هي خوف ناتج عن معرفة قدرة الله وسطوته ونفاذ مشيئته.

وكلماً زاد العلم بعظمة الله، زادت الهيبة والخشية في نفس المؤمن.

٥- الرجاء :

الرجاء هو الطمع في ثواب الله.

- والطمع في ثواب الله يحصل بعد معرفة كرمه وإنعامه وبره بعباده، وصدقه في وعده بأنه يعطي الجنة لمن خشع في صلاته.

٦- الحياء :

الحياء هو إحساس العبد بالتقصير في أداء العبادة

واستشعار العبد بالعجز عن القيام بحق الله، يدفعه إلى ذلك علمه بعيوب نفسه وقلة إخلاصها، وعلمه باطلاع الله على خطرات نفسه وأسرارها.

خامساً: الأسباب المعينة على الخشوع

- ١- حسن الاستعداد للصلاة بإسباغ الوضوء.
- ٢- الحرص على نظافة البدن، والملبس، ومحل الصلاة؛ حتى لا يشغل بإزالة النجاسات أثناء الصلاة.
- ٣- أداء الصلوات في المساجد؛ لأن خشوع الإمام يجبر سهو المأموم؛ ولأن المساجد هي الأماكن المعدة للصلوات عكس البيوت.
- ٤- عدم الإسراع في المشي إلى الصلاة حتى لا يقف في الصف مضطرب الفؤاد؛ من إسراع الخطى إلى المسجد.
- ٥- الحرص على إدراك إقامة الصلاة في المسجد، فإن لم يدركها، فيقيم الصلاة لنفسه؛ لما في كلمات الإقامة من دفع الفكر عن أعراض الدنيا، وإقبال الفكر على طاعة الله.
- ٦- الحرص على تكبيرة الإحرام؛ حتى يدرك الصلاة من بدايتها؛ فلا يكون مسبوقة مشغولاً بكيفية إتمام ما فاتته من الصلاة.

٧- التكبير برفع اليدين

فكأنها أخذ الدنيا على ظهر كفيه، فألقاها خلف ظهره عند الإحرام بالصلاة.

٨- تذكر الموت.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ، فَصَلِّ صَلَاةً مُودَّعٍ، وَلَا تَكَلِّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ، وَاجْمَعْ الْيَأْسَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ».

[حسن: رواه ابن ماجه ٤١٧١ وأحمد ٤١٢/٥ وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/٣٦٢ وحسنه لغيره الألباني في الصحيحة ٤٠١ و١٩١٤]

❁ جاء عن بعض صالحى هذه الأمة أنه سئل عن الصلاة، فقال للسائل: أتسألني عن آدابها أم عن تأديتها؟ فقال عن آدابها. فقال: (أقوم بالأمر، وأمشي بالخشية، وأدخل بالتواضع، وأكبر بالإجلال، وأجعل الجنة عن يميني، والنار عن شمالي، والله تعالى مطلع علي، فإذا كبرت لم أظن أني أركع، وإذا ركعت لم أظن أني أرفع، ثم كذلك حتى تفرغ الصلاة، ثم أستغفر الله تعالى من التقصير فيها، إلى الصلاة الأخرى).

[التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه ٣/٦٠٧]

❁ قال آخر: إني لأقوم في صلاتي، فأجعل الجنة عن يميني، والنار عن يساري، والصراط أمامي، وأجعل ملك الموت ورائي، يريد قبض روحي، ثم لا أدري أقبلت صلاتي أم لا.

❁ قال رجل: يَا حَاتِمُ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ: نَعَمْ قَالَ: كَيْفَ تُصَلِّي؟ قَالَ حَاتِمٌ: أَقُومُ بِالْأَمْرِ وَأُمْشِي بِالْخَشْيَةِ وَأَدْخُلُ بِالنِّيَّةِ وَأُكَبِّرُ بِالْعِظَمَةِ وَأَقْرَأُ بِالتَّرْتِيلِ وَالتَّفَكُّرِ وَأَرْكَعُ بِالْخُشُوعِ وَأَسْجُدُ بِالتَّوَاضُعِ وَأَجْلِسُ لِلتَّشْهَدِ بِالتَّامِّ، وَأُسَلِّمُ بِالسَّبِيلِ وَالسَّنَةِ، وَأُسَلِّمُهَا بِالْإِخْلَاصِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَرْجِعُ عَلَى نَفْسِي بِالْخَوْفِ أَخَافُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنِّي وَأَحْفَظُهُ بِالْجُهْدِ إِلَى الْمَوْتِ قَالَ: تَكَلَّمَ فَأَنْتَ تُحْسِنُ تُصَلِّي. [أورده أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٧٤، والتذكرة الحمدونية ١/ ١٨٧، ابن رجب في تفسيره ٢/ ٢٦]

٩- تستحضر عظمة الله الملك، الجبار، المتكبر، ذو البطش الشديد، والأخذ الأليم.

١٠- تدبر القراءة.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]

١١- ألا ينظر إلى السماء في صلاته

- أو ينشغل بما حوله من زخارف المسجد، أو متاع الدنيا.

١٢- ألا يخرج بصره عن موضع سجوده؛ فإنه أخشع لبصره، وأجمع لقلبه.

١٣- أن يقترب من السترة؛ حتى لا يمر بين يديه ما يشغله.

❁ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيُصَلِّ إِلَى سُتْرَةٍ، وَلْيَدْنُ مِنْهَا».

[صحيح رواه أبو داود ٦٩٨، وابن ماجه ٩٥٤، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٦٩٥]

١٤- ألا يكون حاقناً أو حاقباً

- وهو الذي يدفع الأخشين البول والغائط؛ فينشغل بذلك عن تفهم ما يقول،

فليذهب للخلاء قبل الصلاة؛ حتى يخشع.

❁ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ وَهُوَ حَاقِنٌ».

[صحيح رواه ابن ماجه ٦١٧، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ٦٨٣٢، ٢/ ١١٥٤]

- فمن كان حاقناً، لم يتحمل طول القيام، حتى لو قرأ الإمام ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾،

لاستطال قراءته.

١٥- ألا يكون جائعاً والطعام قد حضر، فليأكل قبل الصلاة؛ حتى يخشع.

❁ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا حَضَرَ الْعِشَاءُ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَأَبْدَءُوا بِالْعِشَاءِ».

[صحيح مسلم ٥٥٧]

١٦- ألا يوجد ما يشغله من طعام على نار، أو طفل بجوار نافذة، فليضبط كل

أموره قبل أن يذهب للصلاة؛ حتى يخشع.

١٧- الإعراض عن اللغو وكل مالا فائدة فيه؛ حتى لا يتشتت ذهنه في غير وقت الصلاة، ويجتمع عليه قلبه، فإذا جاء وقت الصلاة، اجتمع قلبه عليها.

اللغو يضيع الأوقات.

فالأوقات رأس مال العبد، الذي يكتسب فيه الحسنات، فإن أضاع العبد وقته فيما لا فائدة فيه، ضاع رأس ماله الذي يكتسب به الأرباح وعلو الدرجات في الجنات. - فمن قال: سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة، فانظر كم ضيعت من النخيل في الجنة؟!

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ.» [صحيح: رواه الترمذي ٣٤٦٤ وابن حبان ٨٢٦ والحاكم ٥٠١/١ وصححه الألباني في الصحيحة ٦٤]

١٨- العلم أن أجر الصلاة يكون على قدر الخشوع فيها.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي، وَلَعَلَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا عَشْرُهَا، وَتُسْعُهَا، أَوْ ثُمْنُهَا، أَوْ سُبْعُهَا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِ الْعَدَدِ.»

[صحيح: رواه أحمد ٣١٩/٤ وأبو داود ٧٩٦ والنسائي في السنن الكبرى ١/٢١١/٦١١ وعبد الله بن المبارك في مسنده ٧٢]

والبخاري في التاريخ الكبير ٧/٢٥ وابن أبي شيبة في مسنده ٤٣٦ وصححه الألباني في صلاة التروايح ١٠٤]

❁ وهذا صلاته صحيحة، وبرأت ذمته، لكن كم ضيع من الآجر والثواب؟!

١٩- اليقين بلقاء الله يؤدي للخشوع.

قال الله تعالى: ﴿الْخَاشِعِينَ﴾ ٤٥ ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦]

سادساً: فضل الخشوع وثمرته

١- قبول الصلاة:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٌ تَخْضَرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ.» [صحيح مسلم ٢٢٨]

❁ فلو لم يقبلها الله تعالى، لما جعلها كفارة للذنوب.

٢- مغفرة الذنوب:

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.» [صحيح البخاري ١٦٠، ومسلم ٢٢٦]

٣- استجابة الدعاء:

❁ قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

٤- الخشوع وصف المؤمنين:

❁ قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]

٥- الخشوع من الإيمان:

❁ قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]

سابعاً: علامة صدق الخشوع

١- عدم الالتفات في الصلاة وقلة الحركة.

✽ كان عبد الله بن الزبير رحمته الله إذا قام في الصلاة كأنه عود خشب من الخشوع، وكان يسجد فيطيل، حتى تنزل العصافير على ظهره؛ تحسبه جزع شجرة أو حائطاً.

[رواه ابن أبي الدنيا في التهجيد ٤٦٨ وأحمد في الزهد ٢٠٠]

- رغم أن النبي صلوات الله عليه كان يحمل الحسن والحسين وزينب في الصلاة.
- وفي قيام الليل كان النبي صلوات الله عليه يغمز عائشة رحمته الله في قدمها؛ لكي تجمعها فتوسع للنبي صلوات الله عليه عند سجوده صلوات الله عليه.

٢- عدم الشعور بما يحيط بالمصلي من أحداث في المسجد أو غيره.

✽ كان مسلم بن يسار إذا صلى، كأنه ثوب ملقى، كان يقول لأهله إذا دخل في الصلاة: تحدثوا؛ فليست أسمع حديثكم، وروي أنه وقع حريق في داره، وأطفئ وهو يصلي، فلما ذكر ذلك له، قال: «ما شعرت». [سير أعلام النبلاء ٥١٢/٤]

✽ وقد ورد عن عروة بن الزبير رحمته الله أن رجله أصابتها آكلة، وكان لابد من قطعها، فعرضوا عليه أن يشرب ما يذهب عقله، فرفض، وقال: «فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة». [القصة بطولها في نضرة النعيم ١٨٢٧/٥]

٣- عدم تشعب الفكر في أودية الدنيا.

✽ كان علي بن الحسين رحمته الله إذا توضأ، اصفر لونه، فسئل عن سبب ذلك، فقال: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟! [رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ٣٦٧]

٤- البكاء من خشية الله وفهم آيات القرآن.

✽ كان رسول الله صلوات الله عليه: «يُصَلِّي، وَيَصْدُرُ أَزِيْزًا كَأَزِيْزِ الْمَرْجَلِ».

[صحيح: رواه النسائي ١٢١٤ وأبو داود ٩٠٤ وأحمد ٢٦/٤ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٨٣٩]

✽ قالت عائشة رحمته الله إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيْفٌ، إذا قام ذلك المقام (أي الصلاة بالناس عندما كان رسول الله صلوات الله عليه مريضاً) بكى حتى ما يفهم شيء من قراءته.

[صحيح البخاري ٦٦٤، ومسلم ٤١٩]

✽ غفر الله لأقوام أحبوا صلاتهم أكثر من دنياهم، وألحقنا بهم عند نيل مناهم، وتحت العرش جمعنا وإياهم، وفي الجنة متعنا بليقياهم.

اللهم آمين آمين!

٥- إتقان الدعاء وترتيبه.

✽ فإن من يريد الخشوع في الصلاة يضع خطة لنفسه قبل الدخول في الصلاة.
- فتجده يستحضر الآيات التي سيقراً بها في الصلاة، سواء كان إماماً أو مأموماً.
- وتجده يرتب احتياجاته الدينية و الدنيوية؛ ليضعها بين يدي خالق البرية في صلاته.

- فالخاشع في صلاته له طلبات عند ربه الكريم، وهو يرتب لكل طلب دعاء يناسبه، ويناجي ربه بأسمائه التي تناسب دعاءه.
- هو يرتب ما سيدعوه به في الركعة الأولى، ثم الثانية، وهكذا.
- ويرتب ما سيدعوه به في السجدة الأولى، وما سيقوله في السجدة الثانية.
- فإذا خرج من صلاته، كان قد أتم ثمانى دعوات في ثمانى سجعات، لم يفته شيء.
- أما من سها، فإنه يفوته بعضها، أو كلها، أو يفوته تدبر القراءة، أو ربما تفوته الصلاة كلها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثامناً: جزاء الخشوع

المغفرة والأجر العظيم:

قال الله تعالى : ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]

تاسعاً: أنواع الخشوع

- ١- خشوع القلب، وهو المقصود بالخشوع، وهو خشوع المؤمنين.
 - ٢- خشوع البدن بينما القلب ليس بخاشع هو خشوع النفاق.
- ✽ يروى أن عمر رضي الله عنه رأى رجلاً يطأطئ رقبته في الصلاة، فقال: «يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب».

[مدارج السالكين ١/ ٥٥٩ لابن القيم وإحياء علوم الدين ٣/ ٢٩٦ للغزالي]

- ✽ وكان عمر رضي الله عنه يمشي مرفوع الرأس، ويهرب الشيطان من طريقه، ولكنه كان أخشع الناس لله رب العالمين.
- ✽ قال رسول الله ﷺ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ». [صحيح البخاري ٣٢٩٤، ٣٦٨٣، ٦٠٨٥ ومسلم ٢٣٩٦]

عاشراً: الغفلة عكس الخشوع

أولاً: الغفلة في الصلاة:

- ١- من غفل في صلاة، لم يكن ذاكراً لله فيها.

فإنما شرعت الصلاة لذكر الله، فمن لم يخشع في الصلاة، لم يكن ذاكراً لله بقلبه.

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]

- ٢- ومن غفل في جميع صلاته، لم يكن مقيماً للصلاة.

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]

- ٣- ومن غفل في صلاته، لم يكن مناجياً لربه تعالى.

- من قرأ القرآن بغير حضور قلب، أو قرأه وهو غافل عنه، فلا يقال: إن صلاته مناجاة لربه.

قال الله تعالى : ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء : ٤٣]

﴿ فمن الناس من يدخل في صلاته فيأتيه شيطانه. ﴾

- فيذكره بهال كذا في مكان كذا، ومال كذا في مكان كذا، وأن فلاناً سيغتصب منه بعض ماله بغير حق، ولذلك يكيد أو يحتاط له لينقذ ماله.

- ويذكره بأن زوجته كثيرة الطلبات، ولا بد أن يتحايّل عليها.

- ويذكره بأن زملاءه في العمل يكيدون له؛ فلا بد أن يتنبه لهم.

- ويذكره بأن جيرانه يفعلون كذا؛ فلا بد أن يحذرهم.

- فيغرق في هذه الأودية، ولا يتنبه إلا على قول الإمام: **السلام عليكم ورحمة الله.**

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. أعاذنا الله وإياكم من الغفلة!

- **فإن الشيطان** يدخل إلى العبد في صلاته، فيذكره بأهله، وماله، وأولاده، وطعامه، وداره، فيلهيه في شعب الدنيا، فإذا انتبه العبد، وأعاد التركيز في صلاته، انصرف عنه الشيطان، ويظل العبد بين هذا وذاك، حتى ينتهي من صلاته.

﴿ قال ابن القيم : الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان :

أحدهما : التفات القلب عن الله ﷻ إلى غير الله تعالى .

والثاني: التفات الصبر. وكلاهما منهي عنه . [الوابل الصب ٣٥]

﴿ نظر رسول الله ﷺ إلى السماء يوماً فقال: هذا أوان يرفع العلم، فقال له ابن لبيد

رحمته: يا رسول الله، كيف يرفع العلم، وقد أثبت في الكتاب، ووعته القلوب؟ فقال

رسول الله ﷺ « إِنْ كُنْتُ لَأَخْبِسُكَ أَفْقَةَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ » ثم ذكر ضلالة اليهود

والنصارى على ما في أيديهم من كتاب الله، قال شداد بن أوس رحمه الله: أَلَا أُخْبِرُكَ

بَأَوَّلِ ذَلِكَ يُرْفَعُ؟ قلت: بلى، قال: **الخشوع حتى لا ترى خاشعاً.**

[صحيح: رواه البخاري في خلق أفعال العباد ٣٣٧ والنسائي في السنن الكبرى ٥٩٠٩/٤٥٦/٣ والطحاوي في مشكل

الآثار ٢٧٧/١ والخطيب في اقتضاء العلم بالعمل ٨٩ وابن حبان ٤٥٧٢ في صحيحه والحاكم في المستدرک ٩٩/١، ورواه أحمد

٢٦/١ دون زيادة شداد بن أوس، وصححه الألباني في إقتضاء العلم بالعمل ٨٩]

ثانياً: الغفلة عن الصلاة:

قال الله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٤ - ٥]

- فهؤلاء من أهل الصلاة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ لِلْمُصَلِّينَ ﴾، لكنهم سهوا عن أدائها.

- أو سهوا عن أدائها في وقتها، فأخرجوها إلى آخر وقتها أو وقت الكراهة.

- أو سهوا عن أداء أركانها وشروطها.

❁ قال رسول الله ﷺ: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِينَ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِينَ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِينَ، يَجْلِسُ أَحَدُهُمْ، حَتَّى إِذَا اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ، وَكَانَتْ بَيْنَ قَرْنِي الشَّيْطَانِ، أَوْ عَلَى قَرْنِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَتَقَرَّرَ أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا». [صحيح مسلم ٦٢٢].

❁ وأعظم الغفلة عن الصلاة عدم إقامتها.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١]

❁ قال رسول الله ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ».

[صحيح رواه الترمذي ٢٦٢١، والنسائي ٤٦٣، وابن ماجه ١٠٧٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤١٤٣ / ٢ / ٧٦٠]

ثالثاً: أسباب الغفلة وعلاجها:

الغفلة والخواطر التي تسبب عدم التركيز في الصلاة لها سببان: «خارجي وباطني»

١- السبب الخارجي للغفلة:

❁ وهو بسبب ما يراه المصلي، أو يسمعه وهو في مصلاه.

- وعلاج ذلك أن يغض بصره، ولينظر موضع سجوده، ويقرب من السترة، ويتعد عن المواضع المنقوشة والمزخرفة.

- ويستمع نفسه الآيات التي يقرأها.

٢- السبب الباطني للغفلة:

❁ وهي الهموم التي تطير بقلب المصلي من وادٍ إلى آخر.

- وعلاج ذلك أن يجدد النية قبل الدخول في الصلاة، وليتذكر الآخرة وعظمة الله،

وقيامه بين يديه، وليخش عقاب التقصير، وليتذكر أن الله مُطَّلِع على كل خافية، وما تُحَدِّثه به نفسه.

والغفلة سببها الشيطان:

- فهو الذي يوسوس للمصلي بما يشغله خارجياً وباطنياً.

❁ وعلاج نزغ الشيطان في الصلاة هو أن يتفل المصلي عن يساره ثلاث مرات.

❁ قال رسول الله ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ

وَاثْفُلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا». [صحيح مسلم ٢٢٠٣]

٢٢- القنوت

✽ بحث القنوت يتضمن:

أولاً: ما هو القنوت؟

ثانياً: القنوت هو مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى.

ثالثاً: جزاء القنوت.

رابعاً: من هم القانتون؟

أولاً: ما هو القنوت؟

✽ القنوت هو الطاعة.

- وهو الصلاة في خشوع.

- وهو الخضوع والاستكانة لله تعالى.

✽ قال الحسن البصري رحمه الله: القنوت هو العبادة. [تفسير الطبري ٤٠٣/٦، وتفسير ابن كثير ٤١/٢]

✽ قال مجاهد: القنوت هو طول الركوع في الصلاة. [تفسير الثوري ٧٧ والطبري ٥٧١/٢]

✽ وقال مجاهد: من القنوت: الخُشُوعُ وَخَفْضُ الْجَنَاحِ مِنْ رَهْبَةِ اللَّهِ. [تفسير الطبري ٥٧١/٢]

✽ قال ابن عباس والشعبي وعطاء وسعيد بن جبر والضحاك وغيرهم: القنوت

الطاعة. [تفسير الطبري ٥٦٨-٥٦٩/٢]

ثانياً: القنوت هو مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى

✽ القنوت هو مقتضى الإيمان بأسماء الله: القدوس، الطيب، المؤمن، الهادي.

ثالثًا: جزاء القنوت

جزاء القنوت هو المغفرة والأجر العظيم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّكِرِينَ وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]

رابعًا: من هم القانتون؟

✽ أكثر الناس قنوتًا، هم الأنبياء عليهم السلام، ثم صحابة النبي صلى الله عليه وآله، ثم الصالحين من أمته. - بل كل مخلوقات الله تعالى قانتة له ومن القانتين:

١- نبي الله إبراهيم عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]
معنى أن إبراهيم عليه السلام كان أمة قانتًا:

معنى حنيفًا: هو التارك للشرك، المتمسك بالتوحيد، وقانتًا هو الخاشع المطيع.

✽ قال مجاهد رحمته الله: مؤمنًا وحده، والناس كلهم كفار. [تفسير البغوي ٨٩/٣ وابن كثير ٥٩٢/٢]

✽ قال قتادة رحمته الله: كان إمام هدى مطيعًا، تُتَّبَعُ سنته وملته. [تفسير الطبري ١٩٢/١٤]

✽ قال ابن عمر رحمتهما الله: هو الذي يعلم الناس دينهم. [تفسير الطبري ١٩٠/١٤]

✽ قال ابن مسعود رحمته الله: هو معلم الخير. [تفسير الطبري ٣٩٤/١٤]

✽ وقال ابن مسعود رحمته الله: هو المطيع لله ورسوله. [تفسير الطبري ٣٩٤/١٤]

٢- مريم بنت عمران:

قال الله تعالى: ﴿يَمْرَيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]
وقال الله تعالى: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا الْوَقُوفُ﴾ [التحریم: ١٢]

٣- أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن :-

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ لَلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُفُوتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١]

الرزق الكريم هو أن الله تعالى يدخلهن الجنة مع زوجهن رسول ﷺ؛ لأنهن كن زوجاته في الدنيا، فيجعلهن في عليين فوق منازل جميع الخلائق.

- والنبى ﷺ في درجة الوسيلة التي اختصه الله ﷻ والتي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش، وهي التي أمرنا نبينا ﷺ أن ندعو الله له بها بعد كل أذان.

﴿ قال رسول الله ﷺ: « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ؛ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي » . [صحيح مسلم ٣٨٤]

٤- الصحابة رضي الله عنهم :-

﴿ قال عبد الله بن مسعود: «إن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان قانتاً لله حنيفاً» .

[رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣٤٩/٢ وابن جرير الطبري في تفسيره ٣٩٦/١٤]

٥- الصالحين من عباد الله:

قال الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ آيَلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر: ٩]

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمَتَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٦) **الْصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ** [آل عمران: ١٦-١٧]

٦- الصالحات من النساء:

قال الله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ [النساء: ٣٤]

﴿ قال ابن عباس رضي الله عنهما المرأة القانتة هي المطيعة لزوجها . [تفسير ابن كثير ٢/٢٩٣]

٧- كل من في السماوات والأرض قانتون قسراً:

قال الله تعالى: ﴿بَلْ لَهُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ﴾ [الروم: ٢٦]

❁ قال عكرمة : كلُّ مقر له بالعبودية . [تفسير ابن جرير الطبري ١/ ٥٠٦]

❁ قال سعيد بن جبیر : مخلصون . [تفسير القرطبي ١٤ / ٢٠]

❁ قال السدي : مطيعون يوم القيامة .

❁ قال مجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم : مطيعون .

فهم منقادون لأمر الله وقدره الكوني، فكانت هيئة خلقهم كما أراد، وكذا علمهم وجهلهم، وغناهم وفقيرهم، فكأنهم أطاعوه طوعاً وكرهاً.

٢٣- الاستعاذة بالله تعالى

✽ بحث الاستعاذة يتضمن:

- أولاً: ما هي الاستعاذة بالله؟
- ثانياً: الاستعاذة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى.
- ثالثاً: أهمية الاستعاذة بالله تعالى.
- رابعاً: تباين الناس في الاستعاذة بالله.
- خامساً: ما يُستعاذ به.
- سادساً: ما يُستعاذ منه.

أولاً: ما هي الاستعاذة بالله؟

✽ الاستعاذة هي الامتناع بالله، والالتجاء إليه.
- الاستعاذة هي طلب العوذ من الله تعالى، وهو طلب دفع ما يخافه الإنسان ويخشى ضرره على نفسه.

ثانياً: الاستعاذة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى

الاستعاذة من مقتضيات الإيمان بأسمائه تعالى المعاذ، والمستعاذ، فهو الذي يعيذ من استعاذ به، والتجأ إليه، وامتنع به، فيكفيه شر ما استعاذ منه.

ثالثاً: أهمية الاستعاذة

١- الاستعاذة مأمورها عند قراءة القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]

٢- والاستعاذة مندوبة بعد افتتاح الصلاة قبل قراءة الفاتحة.

✽ وكان النبي ﷺ يقولها سرّاً هي والبسمة قبل الفاتحة.
✽ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَفْتِحُ قِيَامَ اللَّيْلِ؟ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكَبِّرُ عَشْرًا،

وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُسَبِّحُ عَشْرًا، وَيُهْلِلُ عَشْرًا، وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا، وَيَقُولُ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ضَيْقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

[صحيح رواه أبو داود ٥٠٨٥، والنسائي ١٦١٧، وابن ماجه ١٣٥٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٧٤٢]

❁ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ وَاسْتَفْتَحَ صَلَاتَهُ وَكَبَّرَ قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ثَلَاثًا، ثُمَّ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ» ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ» ثَلَاثًا، ثُمَّ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ».

[صحيح: أخرجه أحمد في مسنده ١٨/٥١/١١٤٧٣، وأبو داود ٧٧٥، والترمذي ٢٤٢، وصححه الألباني في صفة الصلاة ٩٤/٩٥]

❁ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ اسْتِفْتَاكِ الصَّلَاةِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ثَلَاثًا، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ».

[صحيح رواه أبو داود ٧٦٤، وابن ماجه ٨٠٧، وصححه الألباني في الإرواء ٣٤٢، والمشكاة ٨١٦]

❁ وتشرع الاستعاذة في كل الركعات قبل الفاتحة؛ لأن الاستعاذة مشروعة قبل قراءة القرآن عمومًا.

٣- يستعاذ بالله عند دخول الخلاء.

❁ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ». [صحيح البخاري ٦٣٢٢، ومسلم ٣٧٥]

٤- الراقي يعوذ أولاده والمرضى من الشيطان الرجيم في الرقية.

❁ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ». [صحيح البخاري ٣٣٧١]

رابعاً: تباين الناس في الاستعاذة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠]

✽ فالشیطان لیس له تحکم، ولا طاعة، ولا سلطان على المؤمنین؛ لاستمرار استعاذتهم بالله منه.

✽ إنما سلطانه على الذين يتولونه من دون الله، فيطيعون وسوسته، ويتبعون إضلاله، وينقادون له من دون الله، فيشركون به مع الله تعالى في الاستسلام والانقياد.

خامساً: ما يستعاذ به

١- يستعاذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم، وبكلماته التامات، وبرضاه، وبمعافاته.

✽ كان رسول الله ﷺ يقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

٢- ومن أفضل ما يستعاذ به: سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾

٣- ومن أفضل ما يستعاذ به عند السفر أن يقول إذا نزل بمكان:

✽ «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ شَرِّ

الشَّيَاطِينِ أَنْ يَحْضُرُونِ». [صحيح: رواه أبو داود ٣٨٩٣، والترمذي ٣٥٢٨، وأحمد ٦٦٩٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٠١]

✽ «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ، الَّتِي لَا يُجَاوِزُهَا بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، شَرِّ الطَّوَارِقِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ». [صحيح: رواه أحمد ١٥٤٩٨، والنسائي ١٠٧٩٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٤]

✽ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ

بِنَاصِيَتِهِ». [حسن: رواه أبو داود ٥٠٥٢، والنسائي ٧٦٨٥، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي]

سادساً: ما يستعاذ منه

١- يستعاذ من سخط الله، وغضبه، وعقابه، ونقمته، وزوال نعمته.

❁ كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سُخْطِكَ، بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عِقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ». [صحيح مسلم ٤٨٦]

❁ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ». [صحيح مسلم ٢٧٣٩]

❁ «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ، أَنْ يَحْضُرُونَ». [صحيح: رواه أحمد ١٥٤٩٨، والنسائي ١٠٧٩٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٤]

٢- يستعاذ من الشيطان، ومن همزه، ونفخه، ونفثه، وشركه وتخبطه، ووسوسته.

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨]

❁ كان رسول الله ﷺ يقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ».

❁ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ».

❁ «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ».

٣- الاستعاذة من الكفر والشرك والنفاق والرياء والفسوق.

❁ كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْكَفْرِ، وَالشُّرْكِ، وَالْفُسُوقِ، وَالشَّقَاقِ، وَالنَّفَاقِ، وَالسُّمْعَةِ، وَالرِّيَاءِ».

❁ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ».

٤- الاستعاذة من الضلال.

❁ كان رسول الله ﷺ يقول: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَحْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا »

٥- الاستعاذة من عذاب النار وعذاب القبر.

❁ كان رسول الله ﷺ يقول: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ. »

٦- الاستعاذة من الفتن، ومن فتنة الدنيا، ومن فتنة المحيا والممات، وفتنة النار وفتنة المسيح الدجال، وفتنة الغنى، وفتنة الفقر.

❁ كان رسول الله ﷺ يقول: « رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَجْمَعُ عِبَادَكَ ». [صحيح مسلم ٧٠٩]

❁ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ الْغِنَى وَالْفَقْرِ. »

❁ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَضَلَعِ الدِّينِ وَغَلْبَةِ الرِّجَالِ. »

❁ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا. »

❁ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ وَمِنْ شَرِّ فِتْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. »

❁ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ. »

❁ « نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. »

❁ « اللَّهُمَّ إِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً ، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ. »

٧- الاستعاذة من شر الناس، والظلم، والخيانة، وصديق السوء، وجار السوء، ومن المتكبرين، وأصحاب العلو في الأرض.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ١- ٥]

❁ كان رسول الله ﷺ يقول: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بُسَّتِ الْبِطَانَةُ. »

❁ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ صَاحِبِ السُّوءِ، وَمِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ. »

❁ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أَظْلَمَ. »

**٨- الاستعاذة من الأخلاق السيئة، ومن الجبن، والعجز والكسل،
والهرم، والبخل، والقسوة، والغفلة، والذلت.**

- ❁ كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ».
- ❁ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ وَالْعَيْلَةِ، وَالذَّلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ».
- ❁ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ».

**٩- الاستعاذة من الأمراض، ومن الصمم، والبكم، والجنون،
والجزام، والبرص.**

- ❁ كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ، وَالْبَكَمِ، وَالْجُنُونِ، وَالْبَرَصِ وَالْجُذَامِ، وَسَيِّئِ الْأَسْقَامِ».
- [صحيح: رواه أبو داود ١٥٥٤، وأحمد ١٣٠٠٤، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١٣٩٠]

١٠- الاستعاذة من عمل الإنسان، وما تكتسبه جوارحه.

- ❁ كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمَلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ».
- ❁ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّ».
- ❁ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي».
- ❁ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْعُرُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَحْشَعُ».
- ❁ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ».

١١- الاستعاذة من الجوع والفقر.

- ❁ كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بَشَسُ الضَّجِيعِ».
- ❁ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَأْتَمِ وَالْمَغْرَمِ».
- ❁ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ».
- ❁ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ، وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ».

١٢- الاستعاذة من المصائب، ومن الغرق، والحرق، والهدم،
والوقوع من الجبال، ومن لدغ الهوام، ومن كل سوء.

- ❁ كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَالْهَرَمِ».
- ❁ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا».
- ❁ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السُّوءِ، وَمِنْ لَيْلَةِ السُّوءِ، وَمِنْ سَاعَةِ السُّوءِ».
- ❁ «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذَا الْيَوْمِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ».
-

٢٤. الاستعانة بالله تعالى

✽ بحث الاستعانة بالله يتضمن:

- أولاً: ما هي الاستعانة بالله تعالى؟
- ثانياً: الاستعانة هي مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى.
- ثالثاً: أهمية الاستعانة بالله.
- رابعاً: تباين الناس في الاستعانة بالله تعالى.
- خامساً: الأسباب المعينة على الاستعانة بالله.
- سادساً: ما يُستعان به.
- سابعاً: ما يُستعان عليه بالله.

أولاً: ما هي الاستعانة بالله؟

- ✽ الاستعانة هي طلب العون من الله على فعل مصالح الدنيا وبلوغ درجات الجنة.
- ✽ فالمؤمن يبرأ من حوله وقوته إلا أن يكون بالله، فإنه لا تحول له عن المعصية إلا بتوفيق الله، ولا قوة له على الطاعة إلا بمعونة الله.

ثانياً: الاستعانة هي مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى

- ✽ الاستعانة بالله من مقتضيات الإيمان بأسمائه تعالى المعين والمستعان، فهو الذي يعين من التجأ إليه في تحصيل منافع الدنيا والآخرة.
- واسم المستعان قد يكون اسم الله الأعظم الذي ما دُعي به إلا أجاب، وما سُئل إلا أعطى.

ثالثاً: أهمية الاستعانة بالله تعالى

أمرنا الله تعالى أن نستعين به في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] - فمن قلت استعانتك بالله، نقص دينه بقدر عدم استعانتك بالله تعالى؛ لأن من لا يسأل الله، يغضب عليه.

✽ قال رسول الله ﷺ: « مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ ». [حسن: رواه البخاري في الأدب المفرد ٦٥٨، والترمذي ٣٣٧٣ وأحمد ٢/ ٤٤٢ وحسنه الألباني في الصحيحة ٢٦٥٤ وفي صحيح الجامع ٤١٨٣]

رابعاً: تباين الناس في الاستعانة بالله تعالى

- ١- كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون ربهم كل شيء من أمر الدنيا والآخرة، حتى كان حذافة رضي الله عنه يسأل الله إذا انقطع شسع نعله.
- ٢- أما العلمانيون، فإنهم يبنون كل حساباتهم على الأمور المادية، ولا يستعينون برب البرية، ولا يدعون، ولا يتوكلون عليه، فهؤلاء وإن نجحت بعض مقاصدهم الدنيوية، إلا أنهم لا يؤجرون عليها، ولا يُرزقون حسن العاقبة في الدنيا ولا في الآخرة.

خامساً: الأسباب المعينة على الاستعانة بالله

١- أن توفن أن المقادير بيد الله تعالى.

- ما شاء الله، كان، وما لم يشأ، لم يكن.

- فتستعين بالمقدّر سبحانه أن ينزل النفع الذي تريد، أو يدفع الضر الذي تحشى.

✽ قال رسول الله ﷺ: « يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ، يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ، تَحِذْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجُفَّتِ الصُّحُفُ. » [صحيح: رواه الترمذي ٢٥١٦، وأحمد ١/ ٢٩٣ وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٥١٦ وفي صحيح الجامع ٧٩٥٧]

٢- أن توقن أن الحول والقوة بيد الله جميعاً.

❁ قال رسول الله ﷺ: « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ».

[صحيح البخاري ٤٢٠٥ و ٦٣٨٤ و ٦٦١٠ و ٧٣٨٦ و مسلم ٢٧٠٤]

- فلا تحول من المعصية إلى الطاعة، إلا بمعونة الله.

- ولا ثبات على الطاعة، إلا بمعونة الله.

- ولا إقرار بالتوحيد عند الممات، إلا بمعونة الله.

فبعد ذلك كيف لا تذهب إلى بابه وتتمسح بأعتابه راجياً ثوابه والفرار من عقابه؟!

سادساً: ما يستعان به؟

١- يستعان بالله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]

وقال الله تعالى: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢]

٢- يستعان بالصبر والصلاة:

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]

سابعاً: ما يستعان عليه بالله

- يستعان بالله على تحصيل منافع الدنيا والآخرة.

- وأعظم ما يطلب فيه المسلم المعونة من الله هو : المعونة على ذكر الله وشكره وإحسان عبادته.

لقول الله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ مباشرة بعد قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

- فعندما قال الله تعالى : ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال بعدها : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾؛ ليعلمنا أن أهم ما يطلب فيه العبد المعونة من ربه هو المعونة على الهداية

إلى طريق الجنة.

❁ قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: « لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ:

اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ. » [صحيح: رواه أبو داود ١٥٢٢ والنسائي ١٣٠٣ وأحمد

٥/ ٢٤٤ وابن حبان في موارد الزمان ٢٣٤٥ والحاكم ١/ ٢٧٣ وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١٣٦٢]

❁ اللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك!

٢٥. الاستغاثة بالله تعالى

✽ بحث الاستغاثة يتضمن:

أولاً: ما هي الاستغاثة بالله؟

ثانياً: الاستغاثة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى.

ثالثاً: الأسباب المعينة على الاستغاثة بالله.

رابعاً: فضل الاستغاثة بالله تعالى وثمرتها.

خامساً: أنواع الاستغاثة.

أولاً: ما هي الاستغاثة؟

✽ الاستغاثة هي طلب الغوث من الله تعالى في جلب خير، أو دفع شر، عند وقوع كرب شديد.

ثانياً: الاستغاثة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى

✽ الاستغاثة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى المغيثة والغياث، وهذه الأسماء أجمعت عليها الأمة؛ كما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية [مجموع الفتاوى ١/ ١١١].

ثالثاً: الأسباب المعينة على الاستغاثة بالله

١- اليقين بقوة الله الغالبة.

وأن الله تعالى لا يقوم أمامه شيء من عدو أو غيره، وأنه لا ينجي في ظلمات البر والبحر إلا هو تعالى.

قال الله تعالى في غوث المؤمنين في حروبهم ضد عدو الله وعدوهم: ﴿إِذَا تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجِبْ لَكُمْ أَيْ مُمِدُّكُمْ يَأْتِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]

وقال الله تعالى في غوث حتى الكفار إذا لعب بهم موج البحار: ﴿فَإِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ رِيحٌ طَبَّيَّةٌ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [٢٣] ﴿يونس: ٢٢-٢٣﴾

٢- اليقين برحمة الله الواسعة.

وأن رحمة الله تعالى وسعت كل شيء من خلقه برهم وفاجرهم، وأنه تعالى كتب أن رحمته سبقت غضبه.

قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]

﴿ قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي. » [صحيح البخاري ٦٨٧٢]

﴿ قال رسول الله ﷺ: « لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي. » [صحيح البخاري ٧٤٥٣ ومسلم ٢٧٥١]

- والله أرحم بعباده من رحمة الأم بأبنائها.

﴿ قال رسول الله ﷺ: « اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بَوَلَدِهَا. » [صحيح البخاري ٥٩٩٩ ومسلم ٢٧٥٤]

- واليقين بأن الله يريد أن يرحم عباده، ويغفر لهم، ويهديهم، ويخفف عنهم، ويسر لهم.

٣- اليقين بحكمة الله البالغة.

وأن الله تعالى ما قَدَّرَ البلاء، إلا ليمحص قلوب المتقين، ويرفع درجات المؤمنين، ولم يَقْدِر البلاء لإهلاكهم، بل قدره لإكرامهم، وإحسان عاقبتهم.

رابعاً: فضل الاستغاثة بالله تعالى وثمرتها

١- الله تعالى يغيث المستغيث، وإن كان كافراً.

- الله تعالى ينصر المظلوم، وإن كان كافراً.
﴿ قال رسول الله ﷺ: « أَتَقِي دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ. »

[صحيح البخاري ١٤٩٦، ٤٣٤٧ ومسلم ١٩]

- وهو تعالى يغيث من استغاث به - ولو كان كافراً -، إذا أخلص له الدعاء.

٢- وغوثه تعالى يكون سريعاً جداً.

- فغوث الله تعالى جاء بحرف الفاء دليلاً على سرعة الاستجابة في قوله

تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٩٥]

وقول الله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩]

خامساً: أنواع الاستغاثة

١- الاستغاثة المشروعة هي الاستغاثة بالله وحده:

﴿ فلا يستغاث إلا بالله. ﴾

﴿ وتحرم الاستغاثة بال مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق. ﴾

﴿ وتحرم الاستغاثة بالغائب مطلقاً. ﴾

٢- الاستغاثة الشركية:

❁ من استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق تعالى، أو استغاث بميت.
- سواء كان صالحاً أو طالحاً، فقد أشرك بالله شركاً أكبر؛ لأنه أعطى المخلوق صفة لا تنبغي إلا لله العظيم، فأشركه مع الله في صفته تعالى، وهذا الشرك مخرج من الملة.
- فإن هذا الميت لا يسمعه، فكيف يجيبه أو ينفعه، وهو لا يستطيع أن يدفع عن نفسه دود الأرض وهوامها؟!
- وحتى لما كان حياً لم يكن يستطيع أن يغيثه بالغيب.

- وحتى لما كان حاضراً، لم يكن يملك أن يغيثه إلا على قدر طاقته البشرية، ولم يكن يملك أن يغيثه عند إحاطة العدو به، أو تلاعب موج البحر به.

٣- تجوز الاستغاثة بالمخلوق الحاضر فيما يقدر عليه.

- كأن يستغيث بمن يجيد السباحة في إنقاذه من الغرق. مع التوكل على الله، وانعقاد القلب على أن المغيث على الحقيقة هو الله تعالى، ولولا إعانة الله وتوفيقه لغرق، وإن حاول أن ينقذه أهل الأرض كلهم.

❁ قال رسول الله ﷺ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَتِ الصُّحُفُ».

[رواه الترمذي ٢٥١٦، وأحمد ٢٩٣/١، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٩٥٧]

٤- والعبد الصالح يمكن أن يغيث غيره بدعاء الله المغيث أن يفرج كربه.

- وهذه في الحقيقة ليست إغاثة، إنما هي دعوة أو شفاعة لمن يملك الغوث والإغاثة.

٢٦ . التفكير في آيات الله

✽ بحث التفكير يتضمن:

أولاً: ما هو التفكير؟

ثانياً: التفكير في آيات الله من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى.

ثالثاً: أهمية التفكير.

رابعاً: تفاوت الناس في التفكير.

خامساً: فضل التفكير.

سادساً: مجالات التفكير وأنواعه.

سابعاً: من أمثلة التفكير.

أولاً: ما هو التفكير؟

✽ التفكير هو إعمال العقل في مخلوقات الله من سموات وأرض وإنسان، والتفكير في مصير الدنيا وعاقبة الكفران، والتفكير في نعيم الجنة وعذاب النيران، وتدبر عظمة الله الواحد الديان.

ثانياً: التفكير في آيات الله من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى

✽ والتفكير في آيات الله من لوازم الإيمان بأسمائه تعالى العليم والحكيم.

- فهو تعالى يحب من عباده من يتصف بما أمر الانصاف به من الصفات الحسنة، التي توافق بعض صفاته تعالى، كالعلم والحكمة، ومن تدبر في مخلوقات الله، رأى إحكام صنعه تعالى، فازداد إيمانه، وعظم يقينه.

✽ وفي العصر الحديث آمن كثير من العلماء لما رأوا من إعجاز القرآن، وأنه أتى بما عندهم من البيان قبل ألف وأربعمائة من الأعوام.

ثالثاً: أهمية التفكير في آيات الله

❁ الله ﷻ دعانا أن نتفكر في مخلوقاته.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَنَكَ ۝﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]

❁ وقال رسول الله ﷺ عن هذه الآيات: «وَيْلٌ لِّمَن قَرَأَهَا، ثُمَّ لَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا» [صحیح:

رواه الطحاوي في مشكل الآثار ٤٦١٨، وابن حبان ٥٢٣ في موارد الظمان وأبو الشيخ في أخلاق النبي ١٧٧ وصححه الألباني في الصحيحة ٦٨]

❁ وقد كان النبي ﷺ يقوم من الليل، فينظر إلى السماء، ويتلو الآيات العشر الأخيرة من سورة آل عمران.

❁ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إنه رقد عند رسول الله ﷺ، فاستيقظ رسول الله ﷺ، فتسوك وتوضأ وهو يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ ۝ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَءَايِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ۝ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بُعِثْتُمْ مِّنْ بَعْضِ الْآلِذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقَتِلُوا لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا تَدْخُلْنَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ۝ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۝ مَتَّعُ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَّلْنَا مِنَ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ۝ وَإِن مِّنْ أَهْلٍ لِّكِتَابٍ لَّمِن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشَعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِءَايَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ ﴿ [آل عمران: ١٩٠-٢٠٠]، فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة، ثم قام، صلى ركعتين، فأطال فيها القيام والركوع والسجود، ثم انصرف، فنام حتى نفخ، ثم فعل ذلك ثلاث مرات، ست ركعات، كل ذلك يستاك ويتوضأ، ويقرأ هؤلاء الآيات، ثم أوتر بثلاث، فأذن المؤذن، فخرج للصلاة وهو يقول: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في بصري نوراً، واجعل من خلفي نوراً، ومن أمامي نوراً، واجعل من فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، اللهم أعطني نوراً.» [صحيح مسلم ٧٦٣]

❀ فقد كان النبي ﷺ يتلو هذه الآيات قبل قيام الليل؛ لكي يدخل في الصلاة بقلب خاشع متفكر في عظمة الله.

❀ **فإن ركعتين في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه.**

❀ قال أبو الدرداء رضي الله عنه: « تفكر ساعة خير من قيام ليلة».

[رواه أحمد في الزهد ١٣٩ وابن سعد في الطبقات ٣٢٩/٧ وهنادي في الزهد ٩٤٣]

رابعاً: تفاوت الناس في التفكير

- الله تعالى جعل التكاليف الشرعية على قدر الطاقة، كل بحسبه.
- والله تعالى لم يكلف الخلق إلا بما يطيقون، وما جعل علينا في الدين من حرج.
- قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]
- وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨]
- فهو تعالى لم يكلف الجاهل بما كلف به العلماء من التفكير.
- قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]
- وهو تعالى لم يكلف الفقراء بما كلف به الأغنياء من الصدقات.
- ❀ قال رسول الله ﷺ: « خَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى ».[صحيح البخاري ١٤٢٧ ومسلم ١٠٣٤]
- وهو تعالى لم يكلف الضعفاء بما كلف به الأقوياء من الجهاد.
- قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [النور: ٦١]

خامساً: فضل التفكير

التفكر في ملكوت الله وآياته في الأكوان يؤدي إلى زيادة الإيمان؛ لما ترى من شدة الأحكام، ودقة البنيان، لمخلوقات الرحيم الرحمن.

سادساً: مجالات التفكير وأنواعه

١. التفكير في خلق السماوات والأرض.

ـ فإن عظمة تلك المخلوقات تدل على عظمة خالقها، سبحانه.
قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١]

٢. التفكير في تصريف الكون.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]
تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

١. التفكير في اختلاف الليل والنهار

قال الله تعالى: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤]

٢. التفكير في الظل كيف تجرى في البحر

قال الله تعالى: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤]

٣. التفكير في إنزال الماء من السماء

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]

٤. التفكر في حياة الأرض بعد موتها بالماء

قال الله تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤]

٥. التفكر في ما بث في الأرض من كل دابة

قال الله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]

٦. التفكر في تصريف وتسخير الرياح والسحاب

قال الله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]

٧. التفكر في امتداد الأرض وما فيها من الأنهار والثمار

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]

٨. التفكر في إنزال المطر وما ينبت منه من الزروع والأشجار

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٠ - ١١]

٣. التفكر في خلق الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]

وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [الروم: ٨]

- فكيف يتحول الإنسان من نطفة، ثم إلى علقة، ثم إلى مضغة، ثم إلى عظام، ثم إلى خلق سوي، ثم هو فاجر أو تقي، وهو فقير أو غني، وضعيف أم قوي، ثم هو طائع أم شقي، ثم يتفكر في طعامه كيف دبره الله في أحشائه، فأصبح هنيئاً، ويتفكر في قلبه كيف ينبض بلا اختلال وهل هو ذكي أو ردي.

١. التفكر في الوفاة الكبرى بالموت والوفاة الصغرى بالنوم للاتعاظ

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا

فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ [الزمر: ٤٢]

٢. التفكر في سكن الرجل لزوجته وما بينهما من المودة والرحمة

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١]

٤. التفكر في مخلوقات الله تعالى

١. التفكر في خلق الإبل والسماء والجبال والأرض

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠]

٢. التفكر في النحل وما يخرج منه من العسل

قال الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل: ٦٩]

٣. التفكر في تسخير ما في السماوات والأرض لخدمة الإنسان

قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجن: ١٣]

٥. التفكر في بداية الخلق ونهايته.

- والتفكر كيف سينتهي هذا العالم وما عليه من خير أو شر، وكيف سيدمر الله كل زخارف الكافرين وزينتهم ورفاهيتهم.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَيْنَاهَا أَمْرًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤]

٦. التفكر في الدنيا والآخرة

- لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿البقرة: ٢١٩ - ٢٢٠﴾

٧. التّفكر في قِصر هذه الحياة الدنيا.

وأنها لا تخلو من كدر ومرض وآفات، فعزیزها ذلیل، وغنیها فقیر، وقویها ضعیف، ونعمیها حقیر، وأملها طویل، وكثیرها قليل.

قال الله تعالى عن حوار الكفار: ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ (١١٣) ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ﴾ (١١٣) ﴿قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[المؤمنون: ١١٢ - ١١٤]

فما هذه الحياة الدنيا إلا لعب ولهو، إذا قورنت بالحياة الحقيقية الباقية في الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الأنعام: ٣٢]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦]

وقال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الحديد: ٢٠]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: ٦٤]

﴿من تفكر في قول الله تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤] علم أن الحياة

الحقيقية ليست هنا في الدنيا.

٨. التّفكر في قصص السابقين

قال الله تعالى: ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]

٩. التّفكر في سوء عاقبة الكفار وأعداء الرسل ﷺ

١. التّفكر في مصارعهم وما أنزل الله من آيات عذابهم

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]

٢. التّفكر في عقاب الله لمن انحرف عن سبيله

قال الله تعالى: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ

فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦]

١٠. التفكير في حسن عاقبة المتقين

فإن عاقبة المتيقن هي النصر والتمكين في الدنيا، والجنة في الآخرة.
قال الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۚ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥-٦]

١١. التفكير في أهوال القيامة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]
- فريق تحت الشمس في حر شديد وعري أكيد، وفريق تحت ظل العرش في روح وريحان عند رب غير غضبان، عليهم التيجان، تحتهم اللؤلؤ والمرجان، عليهم حلة الإيمان.
- فاختر لنفسك - يا إنسان - فالعمل اليوم في إمكان.

١٢. التفكير في الجنة والنار.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الأنفطار: ١٣-١٤]
- والتفكر في مقعد الصدق عند ملك مقتدر، أو غياهب سجن في قعر سقر.
- والتفكر في مخالطة الحور الحسان، أو لسعات الحيات والديدان.
- والتفكر في أطايب المطعوم أو الغسلين والزقوم.
- والتفكر في النظر لوجه أرحم الراحمين، أم العذاب في سجين.

١٣. التفكير في مسائل العلم

ومن أعظم التفكير: التفكير في مسائل العلم وفي دلالات آيات القرآن، وأحاديث النبي ﷺ.

فإن أول كلمة نزلت من القرآن هي ﴿اقْرَأْ﴾
﴿وإن الله تعالى أقسم بوسيلة التعلم، وهي القلم، فقال: ﴿تَوَالَّفَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [ن: ١]﴾
﴿والله تعالى لم يأمر بالزيادة من شيء إلا من العلم.
قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]﴾
﴿وإنك كلما قرأت في كتب العلم، وجدت كل يوم مسألة في هذا الدين القويم تجعلك

تقول: وعزة رب العالمين، لو لم أكن مسلماً، لكنت أسلمت الحين، حين ترى البرهان المبين والإحكام المتين، التي تدل على قوة هذا الدين العظيم، وعدل أرحم الراحمين.

١٤. التفكير في آيات الله المنزلة وأحكام شريعته المحكمة.

١. التفكير في تشريع تحريم الخمر والميسر وما فيهما من الضرر

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]

٢. التفكير في السنة وكيف هي تبين القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]

١٥. التفكير في أمثال القرآن

١. مثال: تصدع الجبل لو فهم القرآن، فكيف لا تتصدع قلوب

العقلاء عند فهمه ؟

قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]

٢. مثال: سرعة زوال الدنيا من يد أصحابها مع اغترارهم بها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آمْنًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]

١٦. التفكير في الهداية والضلال.

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]
وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]

١٧ - التفكير في عظمة الله تعالى

والتفكر في عظمة أسمائه وصفاته، وحكمته، ورحمته، وكماله، ولطفه بعباده، وما يستحق من العبادة والتوحيد، والتسبيح والتمجيد.

❁ وإن الله تعالى دعا عباده إلى التعلم والتفكر، وجاء ذلك في كثير من آيات القرآن.

قال الله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩ / البقرة: ٢٦٦]

وقال الله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]

- على عكس ما ينصح به الرهبان، أتباع دين الخسران، الذين يقولون: إن التفكير في أقانيم الصليبان هو السبيل إلى الكفران.

- وصدقوا، فما من أحدٍ منهم تفكر في دينهم إلا كفر بمعبودهم، ورجع إلى الحق المبين، واتبع خير المرسلين، محمد نبينا الأمين ﷺ.

واعلم أن رسول الله ﷺ قد نهى عن التفكير في ذات الله، وأمر بالتفكير في

خلق الله.

❁ قال رسول الله ﷺ: «تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَّهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ».

[حسن: رواه الطبراني في الأوسط ٦٤٥٦ أبو نعيم في حلية الأولياء ٦٦/٦ وحسنه لغيره الألباني في الصحيحة ١٧٨٨]

سابعاً: من أمثلة التفكير

١- التفكير في خلق السماوات والأرض:

❁ التفكير في الأفلاك السماوية:

- الأفلاك السماوية تسير بحسابات دقيقة جداً .

١. التفكير في المسافة بين القمر والأرض

❁ فلو اقترب القمر من الأرض ربع المسافة التي هو عليها الآن لكان المد والجزر

هائلاً، حتى أن المد سيغرق جميع الأرض من جهة القمر، فتموت كل الكائنات.

- فسبحان من جعل بُعد القمر عن الأرض بحساب لا يختل .

٢. التفكير في محور دوران الأرض

✽ **ولو انحرّف محور دوران الأرض عما هو عليه الآن لأصبح أحد القطبين ليلاً دائماً.**
- وليله الآن ستة شهور ونهاره ستة شهور، فيومه المكون من نهار وليل يساوي سنة من زماننا.

- فإذا أصبحت السنة ليلاً دائماً، لتراكت كمية من الجليد المتزايد الذي سيحدث ثقله انبعاجاً في الكرة الأرضية ، وضغطاً يسبب تحول شكل الكرة الأرضية إلى كروي منبعج ويكون القطر بين القطبين أصغر من القطر المتسع عند خط الاستواء ، وسيسبب هذا قلة هطول الأمطار واستحالة الحياة على الأرض .

٣. التفكير في سرعة دوران الأرض

✽ **من المعلوم أن سرعة دوران الأرض حول نفسها حوالي ألف ميل في الساعة.**
- وينتج عن هذا أن تدور دورة كاملة حول نفسها كل ٢٤ ساعة ، يعني دورة كاملة كل يوم ، هذا اليوم أو الـ ٢٤ ساعة يكون فيها نهار وليل .
- فإذا أبطأت سرعة دوران الأرض حول نفسها لطلال اليوم بقدر اكتمال الدورة إلى ٣٠ أو ٤٠ أو ٧٠ ساعة مثلاً.

- وعند ازدياد طول اليوم عن ٢٤ ساعة يطول النهار وتزيد الحرارة المتراكمة حتى تحترق كل المخلوقات والنباتات ، ويطول الليل وتنقص الحرارة حتى يتجمد كل شيء أثناء الليل.

- فسبحان من جعل لدوران الأرض هذه السرعة ، وسبحان من جعل اليوم ٢٤ ساعة بالضبط.

٤. التفكير في دوران الأشياء؛

١ - فالأرض وكواكب المجموعة الشمسية تدور **حول الشمس** في اتجاه عكس عقارب الساعة.

٢ - والقمر يدور **حول الأرض** في اتجاه عكس عقارب الساعة.

٣ - والأرض تدور **حول نفسها** في اتجاه عكس عقارب الساعة، تتجه دائماً نحو الشرق، فتشرق الشمس على آسيا، ثم أوروبا وأفريقيا ثم أمريكا.

٤ - والإلكترونات في الذرة تدور **حول النواة** في اتجاه عكس عقارب الساعة.

٥- والحجاج في مكة يطوفون **حول الكعبة** في اتجاه عكس عقارب الساعة.

ألا يدل ذلك على أن خالق هذا الكون واحد سبحانه؟!

٥. التفكير في طول الأيام قبل يوم القيامة:

- من المعلوم أن الأرض تدور حول محورها عكس عقارب الساعة، فتتجه إلى الشرق دائماً، فتشرق الشمس على مشارق الأرض قبل مغاربها، فيتكون الليل والنهار وتكون الأيام.

- وقبل يوم القيامة ستبتاطأ الأرض تدريجياً، حتى تقف.

- وتباطؤها يعني أنها ستستغرق وقتاً أطول لكي تتم دورة كاملة حول نفسها.

- ودورة الأرض حول محورها هو اليوم، وما فيه من طلوع الشمس، وانتصاف النهار، وغروب الشمس، ومجيء الليل، ثم طلوع الشمس مرة أخرى، فيكون اليوم.

- وتباطؤ الأرض يعني أن الأيام ستطول، **فيكون يوم كاسبوع، ويوم كشهرا، ويوم كسنة**؛ كما أخبر النبي ﷺ.

- ثم يقف الدوران، ثم يبدأ الدوران في عكس الاتجاه، فتشرق الشمس من المغرب، **وتقوم القيامة**، فلا ينفع يومئذ نفس إيمانها، لم تكن آمنت من قبل.

❁ سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ عن الدجال.

«قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبُثُهُ فِي الْأَرْضِ؟»

قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؛ يَوْمٌ كَسَنَةِ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ.

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةِ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ.

قَالَ: لَا، أَفْذَرُوا لَهُ قَدْرَهُ». [صحيح مسلم ٢٩٣٧]

٢- التفكير في خلق الإنسان:

التفكير في العلاقة بين خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان.

١- الله تعالى خلق السماوات سبع.

قال الله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣]

٢- والله تعالى جعل الأرضين سبعاً.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]

٣- والله تعالى جعل خلق الإنسان في سبعة أطوار:

سلالة من طين. نطفة علقة
مضغة عظامًا كسا العظام لحماً
أنشأه خلقاً آخر.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤]

٤- والله تعالى جعل المدارات داخل الذرة سبعة.

٥- وجعل أشواط الطواف حول الكعبة سبعة.

❁ ألا يدل ذلك على أن خالق هذا الكون واحد.

٣- التفكير في تشريع العبادات:

هل في الأعمار زكاة؟

- من تفكر في تشريع الزكاة، وجد أن الله تعالى فرض الزكاة ربع العشر، أو اثنان ونصف بالمائة في الأموال والذهب والفضة والتجارات، وهي عامة أموال الناس، وقضى في الأنعام واحدة من كل أربعين متماثلة، وهي أيضاً ربع العشر.
- وأخبرنا رسولنا ﷺ أن من أدى زكاة ماله، لم يسأل عنه يوم القيامة.
- ومن تأمل أوامر النبي ﷺ، وجد أنه حثنا على تزكية أعمارنا؛ حتى لا نسأل عنها يوم القيامة، وجعل زكاة الأعمار. أيضاً - ربع العشر.

كيف ذلك؟

- لما كانت السنة ٣٦٥ يوماً، كان ربع العشر هو تسعة أيام وثمن يوم.
- فكأن من استقطع من عمره كل سنة تسعة أيام وثمن يوم، وقضاها في عبادة الله تعالى، فكأنما أعطى زكاة سنته، ومن واطب عليها، فكأنما أعطى زكاة عمره.
- والله تعالى يعلم أن أحداً لا يستطيع أن يقطع تسعة أيام للعبادة نهارها ولياليها، فإنه لا يستطيع مواصلة العبادة بالليل والنهار بلا راحة.

- فكان من رحمة الله بنا أن خفف عنا، وقسمها قسمين، فجعلها مرة نهارات، ومرة ليالي؛ حتى نستطيع الانقطاع فيها للعبادة.

- فشرع لنا الاجتهاد في **العشر الأواخر من رمضان**، وأخبرنا أن لياليها خير ليالي السنة.
- وشرع لنا الاجتهاد في **العشر الأوائل من ذي الحجة**، وأخبرنا أن نهاراتها خير نهارات السنة وخير أيامها.

- ومن تأمل في **نهارات ذي الحجة**، وجد أنها **تسعة فقط**، فالיום العاشر هو العيد، وهو يوم أكل وشرب وفرحة، ويحرم صيامه.

- ومن تأمل في **ليالي رمضان**، وجد أن أغلبها **تسعة** أيضًا، وإنما تكتمل عدة رمضان كل أربع سنوات ثلاثين يومًا.

- فكأنها ليلة الثلاثون هي رُبْع ليلة لكل سنة .

✽ **فأصبح مجموع أوقات الانقطاع للعبادة تسعة نهارات، وتسع ليالي، وربع ليلة.**

- وتسع ليالي وتسعة نهارات تعني: تسعة أيام كاملة.

- واللييلة نصف يوم كامل، وربع ليلة يعني: ثُمْن يوم كامل.

- إذن فالمجموع هو **تسعة أيام كاملة وثمان يوم**، وهذا هو الرقم الأول، وهو

ربيع عشر السنة أو اثنين ونصف بالمائة من أيام السنة.

✽ **فمن وَفَّى لربه تسع ليالي من رمضان، وتسع نهارات من ذي الحجة، وأتم ليلة**

من رمضان كل أربع سنوات فكأنما أتم كل عام تسعة أيام بلياليها

كاملة، وثمان يوم، وهذا هو ربع العشر لأيام السنة ٣٦٥ يوم.

- ومن فعل ذلك، فكأنما أدى **زكاة عامه**.

- ومن وازب على ذلك، فكأنما أدى **زكاة عمره**.

فضل الله في خواتيم العبادات

✽ **ومن فضل الله على عباده أن كافأ الصالحين من عباده بالمكافآت العظيمة.**

- فجعل في نهايات ليالي رمضان **ليلة القدر** التي قيامها خير من ألف شهر.

قال الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]

- وجعل نهاية عشر ذي الحجة **يوم عرفة** الذي صيامه يكفر سنة ماضية

وسنة مستقبلية لمن لم يحضر عرفات.

❁ فإن رسول الله ﷺ أخبرنا أن صوم يوم عرفة: « يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ. »

[صحيح مسلم ١١٦٢]

- أما من حضر الموقف من عرفات، فقد وعده الله تعالى أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ليس عليه خطيئة.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.» [صحيح البخاري ١٥٢١ ومسلم ١٣٥٠]

❁ ثم يوم القيامة يعطي الله المخلصين منهم الجائزة الكبرى بدخول أعلى درجات الجنة.

❁ اللهم اجعلنا ممن وفقته لقيام العشر من رمضان وقيام ليلة القدر، واجعلنا ممن وفقته للذكر والصيام في عشر ذي الحجة، ووفقته لحج عرفة، أو صيام يومه، آمين آمين!

٤- التفكير في التفاوت بين الناس في درجات الدنيا والآخرة؛

❁ من نظر في أمر تقسيم الله للأرزاق في الدنيا، رأى عجباً.

١- فهذا مخترع برامج الكمبيوتر الشهير، متوسط دخله اليومي الناتج

عن بيع برامجه في أنحاء العالم يزيد على الخمسين مليون دولاراً في اليوم.

- وهذا العامل في رفع الرمال في البناء متوسط أجره في اليوم خمسة دولارات.

فريح مخترع برامج الكمبيوتر في اليوم أكثر من أجر العامل بعشرة ملايين مرة.

- فإذا ظل هذا العامل يعمل ثلاثين سنة بلا توقف يعني: ٣٠ سنة ٣٦٥ × يوم

حوالي عشرة آلاف يوم، وهذا أقصى ما يستطيع أن يعمل طوال عمره، عشرة آلاف

يوم، لأصبح مجموع ما يتقاضاه هو ٥ × ١٠٠٠٠ خمسون ألف دولار.

- وتكون المقارنة: أن ما يستطيع جمعه ذلك **المخترع** من المال في **يوم واحد** هو

أكثر من ألف ضعف مما يستطيع أن يجمعه ذلك **العامل** في **عمره كله**.

- لأن خمسين مليوناً هي أكثر ألف مرة من خمسين ألفاً.

- أو بعبارة أخرى أن ذلك **المخترع** يستطيع أن يجمع في **يوم واحد** من الأموال ما لا

يستطيع جمعه **ألف رجل** يعملون **طوال حياتهم** في الأعمال الشاقة في مواد البناء.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]

❁ فإن كنا نرى هذا التفاوت في الدرجات في الدنيا، فإن التفاوت في درجات

الآخرة أكبر بكثير مما يستطيع تخيله عقل، ففي الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

❁ ومن نظر لتقسيم الله تعالى لأرزاق الآخرة رأى أعجب من تقسيم أرزاق الدنيا.

٢- رُوي أن إيمان أبي بكر رضي الله عنه يزن بإيمان الأمة.

- يعني: أن ما يوضع في ميزان حسنات أبي بكر رضي الله عنه يوم القيامة يكون أكثر مما يوضع في ميزان كل المسلمين.

- يعني: أن ما اكتسبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في عمره من الحسنات أكثر مما اكتسبه كل المسلمين طوال أعمارهم من الحسنات.

- يعني: أن أبا بكر رضي الله عنه كان يكتسب في يوم واحد من الحسنات أكثر مما يكتسبه غيره في أعمارهم كلها.

- فانظر إلى هذا التفاوت الهائل في الأعمال، وما يتبعه من التفاوت في الأجر والمنزلة في الجنة، وما فيها من الحور والقصور والنعيم.

- فإذا كان أقل أهل الجنة منزلة يكون ملكه في الجنة أعظم من أعظم ملوك الدنيا عشرات المرات، فما هو حال الصالحين الأبرار، بل ما هو حال المقربين الأطهار، بل ما هو حال أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٣- ونبينا صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا بأن الجنة فيها مائة درجة مخصصة للمجاهدين

في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض

❁ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةً، دَرَجَةً أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». [صحيح البخاري ٢٧٩٠، ٧٤٢٣]

٤- وإن في الجنة درجات بعدد آيات القرآن؛ لأن حافظ القرآن يرتقي في

الجنة بقدر ما يحفظ من آيات القرآن، وتكون منزلته عند آخر آية يقرؤها

❁ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ، كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا».

[حسن: رواه أبو داود ١٤٦٤ والترمذي ٢٩١٤ وأحمد ١٩٢/٢ وحسنه الألباني في الصحيحة ٢٢٤٠]

❁ اللهم ارزقنا الدرجات العلى في الجنة.

وارزقنا من عبادات القلوب ما تضاعف به أجورنا.

والحقنا بالمقربين الأخيار، وارزقنا جوار النبيين الأطهار.

وأعنا على أنفسنا، وانصرنا على عدونا الشيطان، يا واحد يا قهار.

٥- التفكير في المسائل العلمية:

١- الإمام أبو حنيفة:

سئل الإمام أبو حنيفة يوماً عن رجل أعطى حائكا قطعة قماش؛ ليصنع له الحائك ثوباً منها، وعند يوم الاستلام أنكر الحائك أنه أخذ القماش، وبعد أيام وجد الرجل ثوباً عند الحائك من قماشه، فتخاصما، وانتهى النزاع بأن أخذ صاحب القماش الثوب، فطالبه الحائك بأجر الحياكة، فهل يحق له؟

فأجاب الإمام «إجابة إمام»، فقال: إن كان الحائك قد أعد الثوب على مقاس صاحبه، فهذا يعني: أنه نوى غصبه بعد أن أتم حياكته، فكان عمله وأجره صحيحاً قبل النية الفاسدة، فيحق له الأجر، ويقع عليه وزر نية الغصب بعد ذلك. وإن كان صنع الثوب على مقاس مختلف، فهذا يعني: أنه نوى غصبه قبل الحياكة، فلا أجر له، وعليه وزر نية الغصب.

٢- الإمام الشافعي:

سئل الإمام الشافعي عن صفقة تجارية، اختلف فيها البائع مع المشتري، فأحضر المدعي شهوداً، رجلاً وامرأة، ثم بعد فترة أحضر امرأة أخرى كشاهد، فرد الإمام الشهود، وطالب المدعي ببينة أخرى.

- فقال المدعي: إن الله تعالى قبل في الشهادة رجلين، أو رجلاً وامرأتين، فكيف لا يقبل ذلك الإمام؟

- فرد الإمام: إن الله تعالى قد قيد شهادة الرجل والمرأتين بأن تكونا مجتمعتين.

قال الله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]

ولا يصح الانقطاع في شهادة المرأتين.

ومن العبادات القلبية

- ٢٧- التقديس لله تعالى وتنزيهه، وهو عبادة الله بأسائه القدوس، السلام، السبوح، الجميل، الجبار، القوي، المتين، والقادر، القدير، المقتدر.
- ٢٨- التمجيد لله تعالى وتعظيمه وإجلاله، وهو عبادة الله بأسائه المجيد، السيد، العزيز، الصمد، الحق، العظيم، الجليل، النور، العلي، الأعلى، المتعالي، الكبير، المتكبر.
- ٢٩- التحاكم إلى شرع الله، وهو عبادة الله بأسائه الحكم، العدل، المقسط.
- ٣٠- الصدق مع الله، وهو عبادة الله بأسائه الصادق، الوفي.
- ٣١- الحياء من الله، وهو عبادة الله بأسائه الحيي، الستير، الغيور.
- ٣٢- الموالاة لله، وهي عبادة الله بأسائه الولي، المولى.
- ٣٣- الرضا بقضاء الله، وهو عبادة الله بأسائه الحكيم، الخير، العليم، السميع، البصير.
- ٣٤- الاستنصار بالله، وهو عبادة الله بأسائه النصير، الناصر، الغالب، المنجي، الواقى، الفتاح.
- ٣٥- الاستجارة بالله، وهي عبادة الله باسمه المجير.
- ٣٦- اللجوء إلى الله، وهو عبادة الله بأسائه المجيب، الرؤوف، الرقيق، القريب، الحفيظ، الحافظ.
- ٣٧- الاستغناء بالله، وهو عبادة الله بأسائه الكافي، والحسيب، والكفيل.

عبادات التروك

- ٣٨- ترك الشرك، والكفر، والاستكبار، والشك، والإباء، والجحود، والاستحلال.
- ٣٩- ترك النفاق والرياء والعجب.
- ٤٠- ترك اليأس من روح الله.
- ٤١- ترك القنوط من رحمة الله.
- ٤٢- ترك سوء الظن بالله تعالى.
- ٤٣- ترك الغيبة القلبية وسوء الظن بالمسلمين.
- ٤٤- ترك موالاته الكفار.
- ٤٥- ترك بغض الإسلام والمسلمين.
- ٤٦- ترك نسبة النعمة إلى غير المنعم بها، سبحانه.
- ٤٧- ترك تعظيم غير الله والحلف بغيره.
- ٤٨- ترك التشاؤم بغير دليل شرعي.
- ٤٩- ترك الحسد.
- ٥٠- ترك تعصب الجاهلية.
- ٥١- ترك الإصرار على المعاصي.

٣٨- ترك الشرك والكفر

✽ يجب ترك الشرك والكفر والنفاق والإلحاد، و ترك توجيه العبادة للمخلوق من دون الخالق، وترك الاعتقادات الفاسدة، وترك البدع، ويجب اعتقاد بطلان كل ذلك.

١- وترك **الشك**، سواء كان في الله تعالى، أو في النبي ﷺ، وبعثته أو في يوم القيامة.

٢- وترك **الريبية والت تردد** في أمر الله تعالى أو رسالاته، أو البعث والجزاء.

٣- ترك **الإعراض** عن طاعة الله، أو تعلم أحكام الشرع.

٤- وترك **رد شيء** من أحكام الشريعة وعدم الانقياد لها.

٥- وترك **الإباء** عن التزام شيء من أحكام الشريعة وعدم الاستسلام لأحكامها.

٦- وترك **إنكار** المعلوم من الدين بالضرورة؛ من شرائع الإسلام وواجبات

الإيمان وغيرها.

٧- وترك **جحود** أوامر الله ونواهيه أو عدم قبولها والإذعان لها.

٨- وترك **استحلال** ما حرم الله، أو مجرد عدم اعتقاد تحريم ما حرم الله، وتحليل ما أحل الله.

٩- وترك **التكذيب** لشيء مما جاء به الوحي وعدم تصديقه.

١٠- وترك **السخرية والاستهزاء** بالشرع، أو بالله تعالى، أو برسوله ﷺ.

١١- وترك **البغض** لله تعالى ولرسوله ﷺ، أو بغض مرضاة الله تعالى، وترك

بغض المؤمنين لأجل إيمانهم، أو بغض أوامر الله تعالى.

١٢- وترك **الاستكبار** عن اتباع الشرع، أو الاستكبار على الخلق بأعراض

الدنيا أو بالدين.

١٣- وترك **المراءاة** بالأعمال الصالحة لاكتساب الوجاهة والمنزلة عند الخلق.

✽ **فإن الشك، والريبية، والإعراض، والرد، والإباء، والجحود،**

والاستحلال، والاستكبار، والاستهزاء، والبغض، والإنكار، والتكذيب من

نواقض الإيمان ونواقض الشهادتين.

وهذه الاعتقادات الباطلة تخرج صاحبها من الملة، وإن شهد الشهادتين بلسانه.

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ

وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٤]

✽ **وهذا هو النفاق الاعتقادي؛** بإظهار الإسلام بالنطق بالشهادتين، مع أن قلب

الإنسان وباطنه يناقض ذلك، ويعتقد خلافه.

٣٩. ترك النفاق

❁ النفاق هو إظهار قول اللسان بالشهادتين، أو إظهار التقوى بعمل الجوارح أمام الناس، مع خلو القلب من التوحيد واعتقادات الإيمان، وانتفاء عمل القلب بالعبادات القلبية الذي يعني انتفاء الإيمان؛ لأن العبادات القلبية من أركانه.

- غير النفاق في أعمال الجوارح، فهو غير مخرج من الملة، وإن كان مقدمة للنفاق الأكبر في أعمال القلوب واعتقاداتها، لأن النفاق في أعمال الجوارح يبطلها لكن يبقى معه أصل الإيمان.

❁ ومن النفاق في أعمال الجوارح قول رسول الله ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.» [صحيح البخاري ٢٤٥٩، ومسلم ٥٨]

❁ وقول رسول الله ﷺ: « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ ، حَتَّى يَدْعَهَا : إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.» [صحيح البخاري ٣٤ ومسلم ٥٨]

ترك الرياء والعجب

- يجب ترك الرياء، وترك طلب مدح الناس على فعل الطاعات، وكراهية ذمهم.

- ويجب ترك العجب بالعمل ورؤية الإنسان لنفسه فاعلاً، فيعجب بعمله، ويتكبر به على المخلوق، ويمن به على الخالق تعالى.

- فهذا مناقض للإخلاص.

وقد ذمه النبي ﷺ، وسماه الشرك الأصغر، وأخبر أنه أخوف ما يخاف على الأمة منه.

❁ قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ، قَالُوا : وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ ؟ قَالَ : الرِّيَاءُ.» [حسن : رواه أحمد ٤٢٨/٥ - ٤٢٩ وحسنه الألباني في الصحيحة ٩٥١]

- وإن الرياء يحبط للعمل الذي هو فيه صغيراً كان أم كبيراً.

- فإن كان الرياء في أصل عبادة ظاهرة، أبطلها.

- وإن كان في جزء من العبادة، أبطل ذلك الجزء.

- وإن كان الرياء في أصل الاعتقاد أبطله، وهو النفاق الأكبر ؛ ويكون بنطق الشهادتين باللسان والقلب لا يخلص فيها لله تعالى، بل يبتغي منافع الدنيا.

٤٠- ترك اليأس من روح الله

١- ما هو اليأس من روح الله؟

✽ اليأس من روح الله هو قطع الرجاء والأمل في الله . [قاله ابن كثير في تفسيره] ولا يفعل ذلك إلا كافر.

✽ قال البخاري: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ معناه لا تقطعوا الرجاء [فتح الباري ٨ / ٣٦١]
قال الله تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]

✽ قال ابن كثير: أي: لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه؛ فإنه لا يقطع الرجاء، ويقطع الإيأس من روح الله إلا القوم الكافرون. [تفسير ابن كثير ٢ / ٤٨٩]
قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ ۝١ وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾ [هود: ٩-١١]
✽ قال ابن كثير: فضيف الإيأس إذا أصابته شدة بعد نعمة، حصل له يأس وقنوط أن يحصل له خير في المستقبل.

- وحصل له كفر وجحود لما أصابه من خير في الماضي؛ كأنه لم ير خيراً، ولم يرج بعد ذلك فرجاً. [تفسير ابن كثير ٢ / ٤٣٩]

٢- ما هو حال ضعفاء الإيمان عند النعمة والمصيبة؟

حال ضعفاء الإيمان هو الإعراض عن الطاعة عند النعمة، واليأس من فرج الله عند المصيبة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَجَّيْنَاهُ عِوَاذَ مَسَّهُ الشُّرْكَانَ يُوَسْوِسُ ۝١﴾ [الإسراء: ٨٣]
✽ قال ابن كثير: فإذا منَّ الله عليه بهال وعافية ورزق ونصر، أعرض عن طاعة الله وعبادته، وإذا مسه الشر والمصائب والحوادث والنوائب، يئس وقنط أن يعود حاله لما كان عليه من الخير. [تفسير ابن كثير ٣ / ٦١]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ

كَفُورٌ ﴿٩﴾ [هود:٩]، يعني: إذا نزع الله منه النعمة، ظن بالله السوء، وأنه لن يرده إلى حال اليسر الذي كان فيه.

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ [هود:١٠]، يعني إذا أصابه الخير بعد الشر، لم ينسبه إلى رحمة الله، وإنما إلى كسبه هو، فيفرح فرح الأشر والبطر والفخر.

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضُّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرْمِ مَسِّهِ ﴾ [يونس:١٢]

يعني: لما كشف الله عنه الضر، أعرض عن طاعة الله وشكره.

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَجَّيْنَاكَ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتَ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء:٦٧]

يعني: فلما أنجأكم من الموت المحقق بالغرق، أعرضتم عن شكر الله وطاعته، وأعرضتم عن توحيده.

٣. سبب اليأس من روح الله:

- اليأس سببه الشيطان الذي يزين المعصية لأتباعه، فإن أطاعوه، ذكَّروهم بعقاب الله وبغضه لفعلهم، وأنه لا يقبل العصاة من أمثالهم.

- فالشيطان كان يهون لأتباعه الذنب في البداية، ثم أصبح يضخمه لهم - بعد أن وقعوا فيه -؛ حتى يشعروا أن ذنبهم يحيط بهم، وأنهم لن يستطيعوا الفرار منه.

- فبدلاً من أن يستحيوا من الله تعالى ويتوبوا إليه، فیرجعوا إلى معية الله ومحبه، بدلاً من ذلك ييأسون من عفو الله بتأسيس الشيطان لهم فيغضون الله تعالى ويغضون فعله وقضاه.

- **فتنـج خطة الشيطان** فبعد أن كانت معصيتهم **معصية جوارح** لا تخرجهم

من الملة، أصبحت **معصيتهم معصية قلوب** وبغض الله المعبود، فخرجوا بها من مسمى الإيمان، وأصبحوا عباداً للشيطان.

- فيزدادون انغماساً في الشهوات ووقوعاً في المحرمات؛ لأنهم يعتقدون أنهم سيدخلون النار حتماً، فما يضرهم أن يأخذوا من المعاصي ضعفاً.

- فيزداد **المران** على قلوبهم، ويمنع دخول الهداية.

ويزداد **الوقر** في آذانهم، ويمنعهم من سماع الهداية.

وتزداد الغشاوة على أعينهم وتمنع رؤية الهداية.
ويزداد الحجاب بينهم وبين ربهم وبين صالحى قومهم، فلا يختلطوا بالمهتدين.
- فكيف لهؤلاء أن يتوبوا؟ وكيف لهم أن يرجعوا أو يهتدوا
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم؟!
ولكن إن تابوا، وندموا، ورجعوا لله، غفر لهم...

٤- اليأس الحقيقى:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٢٣]

هذا هو اليأس الحقيقى، فإنه لما كان يوم القيامة، وأفضى الكافرون إلى ما قدموا من الإعراض عن طاعة الله، وصد المؤمنين عن سبيل الله، ورأوا ما أعد الله من الكرامة للمؤمنين الذين سخروا منهم، وأيقنوا باستحقاق العذاب جزاءً وفاقاً، يئسوا من رحمة الله وجنته في هذه الحال.

- فأوصد الله تعالى عليهم جهنم، وجعلهم خالدين فيها، وضاعف لهم العذاب، فما زادهم طول بقائهم في النار إلا زيادة في العذاب، والعياذ بالله من النار ومن حال أهل النار!

٤١- ترك القنوط من رحمة الله

١. ما هو القنوط من رحمة الله؟

القنوط من رحمة الله هو اليأس من قدرة الله على تفريج الكروب، وهو من الضلال والجهل بعظيم قدرة الله وواسع رحمته، ومن ظن السوء برب العالمين.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنِطِينَ﴾ [الحجر: ٥٥]

قال الله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩] يعنى: إذا ناله الضر من مرض أو تعب أو قلة رزق، فإنه ييأس من فرج الله.

٢. سبب القنوط من رحمة الله:

القنوط من رحمة الله سببه وقوع العبد في سيئات المعاصي، وما يتبعها من وقوع سيئات البلاء عليه.

- فيجد البلاء قلباً هزياً قد أضعفته سيئات المعاصي، فلم يعد يقوى على تحمل سيئات البلاء، فلم يستطع للمعاصي دفعاً، ولا على البلاء صبراً.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]

١- سبب القنوط من رحمة الله هو الوقوع في سيئات المعاصي

- الانغماس في سيئات المعاصي يظلم قلب العبد بالمعصية، فإذا أظلم قلب العبد ظن أن الله قد أبغضه وأبعده، وظن أنه لا يمكنه الرجوع إلى ربه؛ لأنه يظن أن الله لن يقبله، فيتهدى في المعاصي، فيزداد بعده عن الله تعالى، ويظن أنه إذا قدم على الله، أدخله النار ولا بد، فيزداد بعداً.

❁ ولا بد لهذا العبد من وقفة حاسمة حازمة مع نفسه؛ يردعها عن غيها، ويلجمها بكفها عن المعاصي، ويقودها بسياط الخوف إلى سبيل المؤمنين وطريق الهداية.

- ولا بد لهذا العبد من دعاء ربه باضطراب شديد يتناسب مع بعده الشديد، حتى يعود إلى الحميد المجيد.

٢- والسبب الآخر للقنوط من رحمة الله هو وقوع بلاء العقوبة من الله تعالى؛

- فإذا وقع بلاء العقوبة بسبب الذنوب، وقع على قلبٍ ضعيف الإيمان، قليل الصبر، هلوع غير ثابت، فتضيق عليه الدنيا بما رحبت، وينظر إلى الدنيا بعين أحادية، وهي إحاطة البلاء به من كل جانب؛ فلا يجد منه مفرًا.

قال الله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]

٣. علاج القنوط من رحمة الله:

١- التوبة من الذنوب

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]

- هذا الخطاب عامٌ لكل من أسرف من المؤمنين والمشركون ألا يقنط ويأس من رحمة الله، فإن الله تعالى لم يجعل لنيل هذه الرحمة إلا شرطاً واحداً، هو التوبة التي ذكرها الله تعالى في الآية التالية.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ [الزمر: ٥٤]

ولكن يجب أن يستكمل التوبة بشروطها، فالتوبة من الشرك هي الإيمان، والتوبة من الظلم تكون برد المظالم إلى أهلها.

٢- الصبر على البلاء.

ولا ينجو من هذه الآفة ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [هود: ١١]

- يعني صبروا، ولم يتسخطوا في الضراء، وعملوا الصالحات في الرخاء والسراء.
- ولم يبطروا ولم يتكبروا بنعم الله على عباد الله، ولم يطلبوا بها العلو عليهم، فيجحدوا
نعمة الخالق بعدم شكره، ويجحدوا حق المخلوقين بظلمهم أو التعالي عليهم.

٤٢- ترك سوء الظن بالله

❁ و يجب ترك الظنون الفاسدة كلها، وأولها سوء الظن بالله وبحكمته البالغة، وهو ظن الجاهلية.

قال الله تعالى: ﴿وَطَآيِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

١. سوء الظن بالله هو ظن الجاهلية.

١- وهو الظن بأن الله تعالى يُمكن أن يدل على المؤمنين إدالة كاملة، حتى يُستأصلوا.

٢- أو هو الشك في حكمة الله البالغة في أحكامه وأوامره وقدره.

٣- أو هو الشك في أنه سيستقم من المجرمين أعداءه وأعداء أوليائه.

٤- أو هو الشك في إكرامه للصالحين في الآخرة.

٥- أو هو الشك في كمال أسمائه وصفاته.

٦- أو هو الشك في إتمامه لوعده ووعيده.

٢. ومن سوء الظن بالله نسبة الصاحبة أو الولد لله تعالى كما

يقول النصارى.

٣. ومن سوء الظن بالله نسبة الشريك لله تعالى.

١- شريك يدعونه مع الله؛ كأصحاب القبور.

٢- شريك يظنون فيه القدرة على تصرف وتدبير الأمور مع الله؛ كموتى الصالحين.

٣- شريك يظنون فيه علم ما لا يعلمه إلا الله؛ كالكهان والمنجمين.

٤- شريك يظنون فيه النفع والضر من دون الله؛ كالسحرة.

٥- شريك يتولونه من دون الله الولي، ويتولونه من دون الطائفة المؤمنة التي أمر الله

يتوليها من دون خلقه.

٦- شريك يحكم بينهم بغير ما أنزل الله وبغير شرعه، كمن يحكم بالقانون الوضعي.

❁ ويجب ترك سوء الظن برسول الله ﷺ وبالمؤمنين وسوء الظن بالشرع.

٤٣- ترك سوء الظن بالمسلمين

❁ سوء الظن بالمسلمين هو الغيبة القلبية، وهو من أعظم الآثام.
قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]

٤٤- ترك موالاته الكفار

❁ يجب التبرؤ من الشرك والمشركين، وتجب عداوتهم وبغضهم؛
لشركهم بالله، وهذا من عمل القلب.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١) فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥١-٥٣]

- فمن يتول الكفار، يأخذ حكمهم، ويصبح مثلهم في شركهم وكفرهم، ويصبح بذلك من الظالمين، ومن الخاسرين، ويحبط عمله، ولا يتولاهم إلا من كان في قلبه مرض النفاق.

❁ وتحرم موالاته الكفار، وإن كانوا من أقرب الناس نسباً.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]

❁ ويحرم الاستغفار للمشركين، وتحرم نصرتهم، والسير تحت رايتهم، والانضمام لأحزابهم، وتحرم الاستعانة بهم في الحروب، وتحرم توليتهم للمناصب المهمة، وتحرم طاعتهم على خلاف ما أمر الله، ويحرم الثناء

عليهم وعلى كفرهم، وتحرم معاونتهم على الظلم الذي يفعلونه، ويحرم التشبه بهم في زيهم وكلامهم وأعيادهم، ويحرم حضور أعيادهم؛ لأنها من الزور، ويحرم التسمي بأسمائهم، ويحرم التواجد في بلادهم وتحت سلطانهم بغير غرض شرعي، وتحرم مدهنتهم ومجاملتهم على حساب أحكام الدين.

٤٥- ترك بغض الإسلام والمسلمين

✽ يجب ترك بغض الحق، أو بغض الإسلام، أو بغض شيء مما شرعه الله، أو جاء به رسول الله ﷺ، أو بغض المسلمين لأجل إسلامهم، أو بغض المؤمنين لأجل طاعتهم.

- ويجب ترك حب الكافرين؛ لأجل كفرهم، أو حب ملل الكفر وحب عقائدهم، مثل حب الشيوعية، أو العلمانية، أو حب الطواغيت، أو حب من يُعبد من دون الله.

- كل ذلك مناقض لحب الله ورسوله ﷺ وشرعه، وهو **مخرج من الملة**؛ لأنه ينافي وجود حب الله في القلب، ويعني زوال حب الله من القلب، **وان زوال حب الله بالكلية يعني زوال الإيمان بالكلية**.

✽ وهذا من النفاق الأكبر بالنطق بالشهادتين رغم خلو القلب من حب الله، والخوف منه، والإخلاص له، والتوكل عليه، والتوبة إليه.

أو بإظهار التقوى، مع أن قلب الإنسان وباطنه يناقض ذلك تمامًا.

٤٦- ترك جحود النعمة ونسبتها إلى غير المنعم بها. سبحانه

قال الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]

✽ كيف يرزق ويُشكر غيره؟ وكيف يخلق ويُعبد غيره؟!

✽ وإن الاعتراف بالنعمة أول منازل شكرها.

✽ وإن **نسبة النعم إلى المنعم - سبحانه -** هو أول منازل العبودية، وهو أول الفقر إلى الله تعالى، والإقرار باحتياج العبد إليه سبحانه.

✽ ومن لم **يشكر الله**، فقد جحد نعمته.

✽ ومن لم **يشكر الناس** على إحسانهم، فقد انتقص حقهم.

٤٧- ترك تعظيم غير الله والحلف بغيره

- يحرم تعظيم المخلوق ورفع عن حد العبودية، سواء بالحلف باسمه، أو بغير ذلك، والتعظيم من أعمال القلوب.

❁ فيحرم الحلف بالآباء، وبالأبناء، وبالنبي ﷺ، وبالكعبة، وبالأمانة، وبأي مخلوق.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ».

[صحيح: رواه الترمذي ١٥٣٥، وأبو داود ٣٢٥١، وأحمد ٥٣٥٢، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٢٥٦١]

❁ والحلف بغير الله صادقاً أكبر إثماً من الحلف بالله كاذباً، وإن كان الحلف بالله كاذباً هو اليمين الغموس، واسمه (الغموس)؛ لأنه يقتطع به حق غيره، فيغمس قائله في نار جهنم؛ فهو لا كفارة له، إلا التوبة ورد الحقوق لأصحابها، ومع ذلك فالحلف بغير الله صادقاً أو كاذباً أعظم إثماً من الحلف بالله كاذباً؛ لما فيه من تعظيم المخلوق.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ». [صحيح البخاري ٢٣٥٦، ومسلم ١٣٨]

٤٨- ترك التشاؤم والتطير بغير سبب شرعي

❁ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ فِي الْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالِدَّارِ».

[صحيح البخاري ٥٧٧٢ ومسلم ٢٢٢٥]

- فشؤم الدار هو انهدامها على أهلها.

- وشؤم الدابة هو بطؤها، وكثرة مشاكلها، وعدم استجابتها لصاحبها.

- وشؤم الزوجة هو عدم إنجابها، وكثرة كفرانها لإحسان زوجها، وتكديرها عليه.

❁ وإن التشاؤم بالقطرة السوداء أو غيرها من الشرك الأصغر.

قال الله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٤]

❁ قال رسول الله ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأَلُ قَالُوا وَمَا الْفَأَلُ قَالَ

كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ». [صحيح البخاري ٥٧٠٧ ومسلم ٢٢٢٠] (والطيرة هي التشاؤم)

٤٩- ترك الحسد واستكثار النعم عند الخلق

✽ يجب ترك حسد الخلق على النعم الدنيوية والأخروية.

✽ والحسد معناه: تمنى زوال نعمة المحسود، وهو يدل على حقد الحاسد وغله على المحسود.

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤]

✽ **والحسد على الإيمان** وعلى نعمة الطاعة من الكفر؛ لأنه تمنى زوال الإيمان

من المحسود وحصول الكفر بدلاً منه، وهو يدل على كراهية الحاسد للإيمان وللمؤمنين، فلا يكون هذا الحاسد مؤمناً أبداً.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٠٩]

✽ قال رسول الله ﷺ: «مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّامِينِ». [صحيح: رواه ابن ماجه ٨٥٦ وصححه الألباني في صحيح الترهيب والترغيب ٥١٥]

- وهذا من الكفر؛ لأن حسد اليهود معناه تمنى زوال تلك الطاعات من المسلمين.

✽ أما **الحسد على الدنيا** ورخائها وعافيتها وتمنى زوال تلك النعم عن المحسود، فمُحرَّم، وسببه مرض القلب، وإرادة الفساد، وإرادة العلو على الآخرين، والعجب بالنفس.

✽ والحسد دليل على اختلال حب الخير للمسلمين، وهو يذهب الحسنات.

✽ قال رسول الله ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْخَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ».

[حسن: رواه الترمذي ٢٥١٠ وأحمد ١٦٦٧/١ والطيالسي ١٩٣ وعبد بن حميد ٩٧ وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب ٢٦٩٥]

✽ «قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ قَالَ كُلُّ مُحْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ قَالُوا صَدُوقِ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مُحْمُومُ الْقَلْبِ قَالَ هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِيْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيٍ وَلَا غِلٌّ وَلَا حَسَدٌ».

[صحيح: رواه ابن ماجه ٤٢١٦ والخراطي في مساوئ الأخلاق ٧٦٦ وابن عساکر في تاريخ دمشق ٤٥١/٥٩ وصححه الألباني في الصحيحة ٩٤٨]

الحسد على الطاعة

- النعم منها الدنيوي ومنها الآخروي .
- ❁ وعند النعم تختلف ردود أفعال البشر .
- فإن صاحب النعمة الدنيوية قد يطغى ويتكبر بها على البشر .
- وغيره الذي لم يصب منها شيئاً قد يحسده على تلك النعمة .
- ❁ فإذا كانت النعمة في الدين؛ كعلم آتاه الله أحد عباده، أو مال، يسر له إنفاقه في سبيله ، أو قرآن ، أقامه به بين يديه ، أو تفريج كربات ، جعل بها احتياج الناس إليه .
- ❁ فلا يصح لعاقل أن يتكبر بها على الله أو على خلقه .
- فإن تكبر بها على الخالق، نازعه صفاته .
- وإن تكبر بها على خلقه، فقد ولغ في كبائر مكروهاته .
- وإنما الحق أن يبذل لها الشكر بالقلب واللسان ، ويسخر النعمة في طاعة الرحمن ، ويدخرها قُربى ليوم الخذلان ، فيعلم الجاهل، ويعطي المحروم، ويتغنى بالقرآن ، ويزيل لهفة المكروب وصاحب الحرمان .
- وكيف يتكبر بنعمة وهبها الله له، إن شاء سلبها منه، أو سلبه عنها ؟
- فالنعمة حسنة من الله إليه ، والكبر سيئة منه إلى نفسه ، فكيف يقابل الحسنات بالسيئات ؟!
- قال الله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن : ٦٠]
- وكان أولى به أن يرد إحسان الله إليه بإحسانه إلى خلقه .
- ❁ وأما غيره، فلا يصح لهم حسده على نعمة الله إليه .
- فصاحب النعمة إما يتخذها قُربى عند ربه، فأولى بالحاسد تقليده .
- أو يصد بها عن سبيل ربه، فأولى بالحاسد أن يتعظ بمصيره .
- فإن إبليس ما حسد آدم إلا على تكريم الله له .
- وإن قابيل ما حسد هابيل إلا على قبول الله لطاعته .
- ❁ فيا من يحسد إخوانه .
- لا تكن لنعم الله عليهم مراقباً ، ولكن كن في طريق الله معهم مزاحماً

القلب السليم من الحسد

❁ من بات ليس في قلبه غشٌ لمسلم، ولا غل لمؤمن، وليس في قلبه كراهية الخير للناس في أمور الدين والدنيا، فهذا من أعظم ما تُنال به الدرجات العالية، وهذا من علامات صاحب القلب السليم.

❁ فإن المنشغلون بالآخرة لا وقت لديهم للعداوات والحقد وتوافه الأمور.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَأَصْفَحْ أَصْفَحَ الْجَمِيلِ﴾ [الحجر: ٨٥]

❁ قال أنس بن مالك: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وَضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشَّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ السَّمَرَةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ، تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَأَحِبُّ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتُ، قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسُ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلُهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثُمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَارٍ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مَرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ، بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا تُطِيقُ.»

[صحيح رواه أحمد ١٢٢٣٦/١٦٦/٣ وعبد الرزاق في المصنف ٢٠٥٥٩/٢٨٧/١١ وعبد الله بن المبارك في الزهد ٦٩٤ وفي

المسند ٦٩٤ وصححه شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند ١٢٥/٢٠]

❁ أما قول رسول الله ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا.» [صحيح البخاري ٧٣، ومسلم ٨١٦]
فالحسد هنا معناه: الغبطة، وهي أن لا يتمنى زوال نعمة المال والقرآن من أخيه، وإنما يتمنى حصول مثلها لنفسه حتى ينال الفضل مثله.

٥٠- ترك تعصب الجاهلية

تعصب الجاهلية هو أن ينحاز الرجل لطائفة معينة في الخصومات قبل أن يعرف أَّهم على الحق أم على الباطل، وهذا التعصب محرم.
❁ ومن تعصب الجاهلية أن ينحاز الرجل لأهل بلده، وإن كانوا على غير دينه ضد إخوانه في الدين، وهذا من عمل القلب.
❁ ومن تعصب الجاهلية أن يتعصب المقلد لشيخ مذهبه، ولا يرى الحق إلا في شيخه، ويرى الخطأ ملازمًا لكل من سواه، بغير النظر في الدليل.
وهذا المقلد يريد أن يتبع قول شيخه، لا قول رسول الله ﷺ، ولذلك يرى أن نصوص الشرع يجب أن تُلوى أو تُؤول؛ لكي توافق مذهبه وقول إمامه.

٥١- ترك الإصرار على المعاصي

❁ الإصرار هو عدم الندم على الذنب، والعزم على العودة إلى المعصية متى قدر عليها.
قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]
وقال الله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة: ٥]
❁ فلا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار.
❁ وإذا تمكن الإصرار من القلب، أدى إلى تكرار الذنب بالقلب والجوارح.
- وقد يوجد الإصرار في القلب على معصية لم يفعلها العبد إلا مرة واحدة، وأغلب هذا في العشق.

- كمن فعل ذنباً مرة واحدة، وتعلق قلبه به لأعوام كثيرة، فهو يجتهد في طلبه، ولا يستطيعه، ولا يستطيع تخليص قلبه من إرادة الفاحشة والعياذ بالله.

- فيكتب عليه الذنب مرات عديدة، كلما تمناه وعزم عليه؛ لأنه في الحقيقة **لم يكتب، ولم يندم، ولم يقلع** عن الذنب بقلبه، ولكنه عزم على فعله، ولو قَدَرَ عليه لَأَتَاهُ.

- فهو وإن لم يستطع الوصول إليه إلا أنه يكتب عليه وزره؛ لأنه مصرٌّ عليه.

❁ قال ابن رجب: الإصرار على المعاصي وشعب النفاق من غير توبة يخشى منها أن يعاقب صاحبها بسلب الإيمان بالكلية، وبالوصول إلى النفاق الخالص وسوء الخاتمة، نعوذ بالله من ذلك. [فتح الباري لابن حجر ١/ ١٩٧]

- كما يقال: إن المعاصي بريد الكفر.

الفرق بين الإباء والإصرار:

❁ **الإباء** هو رد الأمر على الله، وهو قرين الاستكبار عن امتثال أمر الله، وهو من التشبه بإبليس في رده الأمر على الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]

فالإباء هو الكفر الصريح.

❁ أما **الإصرار** على المعاصي، فليس بكفر؛ لأن المصر يقر بأن ما يفعله ذنب، ويعترف بذلك، لكنه يأتيه لغلبة الشهوة على قلبه؛ ولأن شهوة المعصية عنده أكبر من خوفه من الله والعياذ بالله.

- والمصر على الذنب حتى الممات واقع تحت المشيئة، إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]

❁ أما من أذنب وتاب، فمات على التوبة، فلا يقال على هذا: إنه مصر، حتى لو تكرر منه الذنب، بل يقال عليه تائب.

❁ ومن عزم على فعل الذنب حتى الموت، فإنه يكون مصرّاً، حتى وإن لم يقدر على فعل الذنب.

من عبادات التروك

- ٥٢- ترك الإلحاد في أسماء الله وصفاته.
- ٥٣- ترك تصديق الكهان والعرافين.
- ٥٤- ترك اعتقاد النفع والضرفي السحرة.
- ٥٥- ترك الرضا بغير حكم الله والتحاكم لغير ما أنزل الله.
- ٥٦- ترك الأمن من مكر الله تعالى.
- ٥٧- ترك التسخط على قدر الله.
- ٥٨- ترك الاعتراض على قدر الله.
- ٥٩- ترك العجب بالعمل والتكبر به.
- ٦٠- ترك اتباع الهوى والغى والضلال.
- ٦١- ترك البطر والطغيان.
- ٦٢- ترك نكران الجميل.
- ٦٣- ترك الحقد والغل والنقمة.
- ٦٤- ترك المن والتكبر.
- ٦٥- ترك الغرور.
- ٦٦- ترك الغضب.
- ٦٧- ترك القسوة.
- ٦٨- ترك المكر والكيد بالباطل.
- ٦٩- ترك الطمع.
- ٧٠- ترك الشح.
- ٧١- ترك طول الأمل.
- ٧٢- ترك التعجل.
- ٧٣- ترك الكسل والوهن.
- ٧٤- ترك الإحباط واليأس والجزع.
- ٧٥- ترك القلق والحزن.

الخاتمة

نسأل الله حسنها، إذا بلغت الروح المنتهى

- فكما بدأنا بالحمد، ننتهي به، فهو تعالى المستحق لأنواع المحامد كلها؛ لكمال ذاته، وكمال أسمائه وصفاته، وكمال أفعاله، وإحسانه إلى عباده، وخلق له سماواته وأرضه، وكمال شرعه وأمره، وإنزال كتبه وإرسال رسله، وهدايته لخلقه، وكمال حكمته في قضائه وقدره، وكمال جزائه في ثوابه وعقابه.

- وهو المحمود في الأولى والآخرة، تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهنّ، وتسبح الملائكة بحمده، ويسبح الرعد بحمده، ولا يغفل عن ذلك إلا مخذول بذنبه، ويوم القيامة يدعوهم، فيستجيب كل خلقه بحمده.

- سَعِدَ من رأى أنه مخلوقٌ لحمده، وتعس من اعترض على أمره.

- فالله تعالى يحمد نفسه، وأمر كل خلقه بحمده.

- ولن يبلغ العبد حقيقة حمده، ولن يحصي الثناء على ربه؛ لأنه لن يحصي مقدار عظمة ربه، وما يستحقه من الحمد، ولن يحصي نعمه التي يستحق عليها الحمد، ولن يحصي ما يستوجب الحمد في كل نعمة من نعمه.

- وإني إذا أردت أن أستفتح حمده، فإني أبدأ بحمده على هدايته، فلولا توفيقه، ما أقامنا على سبيله، ولولا تعليمه، ما علّمنا معالم دينه.

وبعد..... فإني أطلب من الله تعالى أن يرزقني الإخلاص، وأن يعينني عليه، ويسره لي، كما أطلب منه تعالى مزيداً من الافتقار إليه، والذل بين يديه، والإنكسار له، والانطراح على بابه، والخضوع لعظمته، والاستكانة لرفعته، والرضا بقضائه، والسرور بقدره، إنه نعم المولى ونعم النصير.

- وما ذلك إلا لكي يتقبل عملي، ويبارك في هذا السعي، ويضاعف عليه الأجر.

- وقبل أن أنتهي أريد أن أروي رؤيتاً رأيته في أول طلبتي للعلم.

رأيت أني شهدت مع النبي ﷺ ليلة فتح مكة، حيث كان جيش المسلمين على جبل أسود قبل أن ينزلوا إلى الوادي في الصباح.

وكان النبي ﷺ يمر بين خيام المجاهدين في الليل، وكانوا جميعاً مستيقظين،

وأشعلوا نيراناً كثيرة، فكان النبي ﷺ يمر عليهم؛ يعلمهم، وينصحهم، ويثبتهم.
فاستأذن أبو بكر رضي الله عنه أن يصحبه، فأذن له، واستأذن عمر رضي الله عنه، فأذن له،
واستأذن عثمان رضي الله عنه، فأذن له، واستأذن علي رضي الله عنه فأذن له، ثم استأذنته أنا الفقير،
فأذن لي رضي الله عنه، ولم يأذن لأحدٍ بعد.

فكان النبي ﷺ إذا وقف على جماعة من المسلمين، نفعهم بما عنده، ثم توجه إلينا
يكلمنا، وربما نظر إلى أبي بكر رضي الله عنه، فتكلم، وربما نظر إلى عمر رضي الله عنه، فتكلم، وربما
اكتفى بأبي بكر رضي الله عنه، وربما لم يأذن لأحد في الكلام.

**فإذا كلمنا رسول الله ﷺ، كان يوجه الكلام إلي، ويظل ينظر إلي،
ويعلمني، وأنا أعقل منه، وأعي كل ما يقوله ﷺ.**

- وعلى حبي الشديد له رضي الله عنه، ومع أنه كان ينظر إلي رضي الله عنه، إلا أنني لم أكن أستطيع أن
أرفع نظري عن موضع قدمه الشريف؛ لحيائي الشديد منه رضي الله عنه، ولم أكن أملأ عيني منه
رضي الله عنه إلا إذا سار أمامنا، فلا تترك عيني هيأته رضي الله عنه.

- فإذا سار أمامنا، أسرع، وكأنها ينحدر من جبل رضي الله عنه، فأجتهد خلفه؛ حتى أدركه،
وربما سبقني، فكنت أشد خلفه رضي الله عنه حتى أدركه رضي الله عنه، فإذا وقف، وقفنا، وإذا سار،
سرنا، وإذا كلمنا، أقبل علينا وعلمنا.

**- وكان نصيبي من خطابه ﷺ وتعليمه يومئذ أوفر النصيب، فقد وعيت منه
ﷺ كلاماً كثيراً، وعلماً غزيراً، دخل كله في قلبي، لم أترك منه حرفاً.**

❁ **ثم رؤية رآها لي أخي عبد الرحمن كانت تتمّة الرؤيا الأولى.**

- ومنذ يوم **رؤية الفتح**، وأنا أطلب العلم مع المعاش ودراسة الطب، حتى رأى
لي أخي عبد الرحمن رؤيا هي **رد رؤية الفتح**، بعدها بعشرين عاماً.
رأى أنه كان في حجرة مضيئة على رأس جبل أسود، في ليلة ظلماء، وكان في
الحجرة نبينا محمد رضي الله عنه.

وأنا أسفل الجبل، والجبل كله **عقبات كوؤد**، ولكنني اجتهدت في الصعود، وعانيت
المشقّة، وتجاوزت العقبات، حتى بلغت الحجرة المضيئة، التي فيها رسول الله ﷺ.
فلما بلغت، كان أخي عبد الرحمن واقفاً بين يدي رسول الله ﷺ يحدثه.

حتى إذا انتهى، أذن له رسول الله ﷺ في الجلوس، ثم أذن لي في الكلام.
فوقفت بين يديه ﷺ كأي أراجعه شيئاً علمنيه قبل ذلك، فتكلمت
طويلاً، فلما انتهيت، قال لي رسول الله ﷺ: أحسنت، أحسنت، أحسنت.
فما فرحت بشيء في الدنيا فرحي بهذه الرؤيا، وأسأل الله أن يكون من تأويلها هذا
الكتاب الذي بين أيديكم، وأن يحسن خاتمتي.
فكأن رسول الله ﷺ علمنيه في الرؤيا الأولى وأنا راجعته عليه في الرؤيا الثانية.
- وفي الختام أجعل الحمد آخر الكلام، وأصلي وأسلم على خير الأنام محمد عليه
أفضل الصلاة وأتم السلام، وعلى آله وصحبه وذريته الكرام.

اللهم! يا من بلغ آذان إبراهيم بالحج للعالمين .
انشر هذا الكتاب في أمة المسلمين .
وافتح به قلوب وبلاد الكافرين .
وارفع به راية الحق والدين .
وأعد به الخلافة الراشدة على نهج النبي الأمين.
وارفع به الأذان على الفاتيكان وما وراء الشيشان.
واضرب به الجزية على رومية والحلف الأطلسية.
وارزقنا به النصر الأطول الأعرض على البيت الأبيض.

وكتبه

الفقيه إلى مربه في إصلاح قلبه
محمد أشرف صلاح حجازي

نداء

إلى إخواني طلاب العلم في شتى بقاع الأرض...
أدعوكم إلى التعاون على البر والتقوى
فمن أراد أن يضيف شيئاً، أو يسد ثغرةً أنسانيها الشيطان، أو يضيف دليلاً، أو
يُقدم شرحاً، أو يضع تعليقاً، أو يقترح استبدال عبارةٍ بعبارةٍ أقوى منها،
أو يعيد ترتيب أحد الأبواب، حتى يكون الكتاب أنفع لدارسيه
فليراسلنا، وله حسن الجزاء من الله تعالى على تعاونه على البر والإحسان
والله من وراء القصد
وإني لأرجو الله تعالى أن يقدر بمنه وكرمه من يتمم أبحاث هذا الكتاب
وعناصره .
وإني أدعو الله تعالى أن يجمع الأمة على أن تُودع في هذا الكتاب ما أبدعه أئمتنا في باب
العبادات القلبية من علم وعمل؛ حتى تكتمل الفائدة، وتكون ميسرة لكل من طلبها في
مصنف واحد، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المفهرس

| | |
|----|-----------------------------|
| ٣ | مقدمة المصنف للطبعة الرابعة |
| ٦ | مقدمة الكتاب |
| ٩ | تمهيد |
| ١٠ | أهمية القلوب |
| ١٦ | أهمية عبادات القلوب |
| ٤٠ | أنواع القلوب |
| ٤٠ | القلب السليم |
| ٤٤ | القلب المريض |
| ٥١ | القلب الميت |
| ٥٧ | العبادات القلبية |

١ - حب الله .

| | |
|-----|--|
| ٦١ | أولاً: ما هو حب الله؟ |
| ٦٢ | ثانياً: الحب هو مقتضى الإيمان بأسماء الله وصفاته |
| ٦٣ | ثالثاً: حب الله شرط الإيمان |
| ٦٤ | رابعاً: تفاوت الناس في حب الله تعالى |
| ٦٦ | خامساً: الأسباب الجالبة لمحبة الله |
| ٨٤ | سادساً: ثمرة وفضائل حب الله تعالى |
| ٨٨ | سابعاً: علامات صدق حب العبد لله تعالى |
| ٩٧ | ثامناً: أعلى درجات العبادة |
| ٩٨ | تاسعاً: جزاء حب الله تعالى |
| ١٢١ | عاشراً: أحب عباد الله إلى الله |
| ١٢٢ | حادي عشر: أنواع المحبة |

٢ - الخوف من الله

| | |
|-----|---|
| ١٣٢ | أولاً: ما هو الخوف؟ |
| ١٣٢ | ثانياً: الخوف هو مقتضى الإيمان بأسماء الله وصفاته |
| ١٣٣ | ثالثاً: الخوف شرط قبول العمل وشرط الإيمان |
| ١٣٥ | رابعاً: تفاوت الناس في خوف الله تعالى |
| ١٣٦ | خامساً: الأسباب الجالبة لخوف العبد من الله تعالى |
| ١٤٠ | سادساً: ميزان الاعتدال |

- سابعاً: أنواع الخوف من الله تعالى واستكمال درجاته ١٤١
- ثامناً: فضل الخوف وثمرته ١٤٧
- تاسعاً: جزاء الخوف من الله تعالى ١٥٣
- عاشراً: أنواع الخوف ١٥٥
- حادي عشر: الإكراه ١٥٨
- ثاني عشر: الجُبْن ١٥٨

٣ - الإخلاص ١٥٩

- أولاً: ما هو الإخلاص؟ ١٦٠
- ثانياً: الإخلاص مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته ١٦١
- ثالثاً: الإخلاص شرط قبول العمل ١٦٢
- رابعاً: تفاوت الناس في الأخذ بالإخلاص ١٦٧
- خامساً: الأسباب الجالبة للإخلاص ١٧٦
- سادساً: فضل الإخلاص ١٧٨
- سابعاً: علامات المخلصين ١٨٢
- ثامناً: جزاء الإخلاص ١٨٤
- تاسعاً: الرياء ١٨٥
- عاشراً: درجات الرياء ١٩١
- حادي عشر: ما يتعلق بالرياء من حب المدح وكره الذم ١٩٣
- ثاني عشر: من الشرك إرادة الإنسان الدنيا بعمله ١٩٦
- ثالث عشر: إرادة العلو ١٩٨

٤ - التوكل على الله ٢٠٠

- أولاً: ما هو التوكل؟ ٢٠١
- ثانياً: التوكل هو مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى ٢٠١
- ثالثاً: التوكل شرط الإيمان ٢٠٦
- رابعاً: تفاوت الناس في التوكل على الله ٢٠٧
- خامساً: التوكل كان سلاح الأنبياء ﷺ ٢٢٧
- سادساً: الأسباب المعينة على التوكل ٢٢٩
- سابعاً: فضل التوكل ٢٣٢
- ثامناً: علامة صدق التوكل ٢٤٧
- تاسعاً: الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل ٢٥٠
- عاشراً: جزاء التوكل ٢٥١

| | |
|-----|--|
| ٢٥٤ | حادي عشر: أنواع التوكل |
| ٢٥٩ | ثاني عشر: الفرق الضالة في التوكل |
| ٢٦٠ | ثالث عشر: أنواع التوكل |
| ٢٦١ | رابع عشر: الفرق الضالة في التوكل |

٥. التوبة والإنابة إلى الله

| | |
|-----|---|
| ٢٦٣ | أولاً: ما هي التوبة؟ |
| ٢٦٦ | ثانياً: التوبة هي مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى |
| ٢٦٦ | ثالثاً: التوبة شرط الإيمان |
| ٢٦٧ | رابعاً: الله تعالى أمر عباده بالتوبة |
| ٢٦٧ | خامساً: التوبة واجبة |
| ٢٧٢ | سادساً: أهمية التوبة |
| ٢٧٤ | سابعاً: تفاوت الناس في التوبة |
| ٢٧٧ | ثامناً: الأسباب الجالبة للتوبة والمعينة عليها |
| ٢٧٧ | تاسعاً: فضل التوبة |
| ٢٧٩ | عاشراً: جزاء التوبة |
| ٢٨٠ | حادي عشر: علامة صدق التوبة |
| ٢٨٠ | ثاني عشر: شروط قبول التوبة |
| ٢٨٢ | ثالث عشر: أنواع التوبة |
| ٢٨٤ | رابع عشر: أنواع التائبين |
| ٢٨٨ | خامس عشر: التسويف بالتوبة |
| ٢٩٢ | سادس عشر: خطورة المعاصي |
| ٢٩٨ | سابع عشر: سوء الخاتمة وأسبابه |

٦- التقوى

| | |
|-----|---|
| ٣٠١ | أولاً: ما هي التقوى |
| ٣٠١ | ثانياً: التقوى من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى |
| ٣٠٢ | ثالثاً: التقوى شرط الإيمان |
| ٣٠٢ | رابعاً: الله تعالى أمر عباده بالتقوى |
| ٣٠٣ | خامساً: أساس التقوى العلم |
| ٣٠٤ | سادساً: ما الذي نتقيه؟ |
| ٣٠٥ | سابعاً: أهمية التقوى؟ |
| ٣٠٩ | ثامناً: تفاوت الناس في التقوى |

| | |
|----------|--|
| ٣١٣..... | تاسعاً: ما يعين على تحصيل التقوى |
| ٣١٧..... | عاشراً: فضل التقوى |
| ٣١٩..... | حادي عشر: جزاء التقوى |
| ٣٢١..... | ثاني عشر: الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على عقوبة الشهوة |
| ٣٢٣..... | ثالث عشر: الهوى عكس التقوى |

٧- الصبر..... ٣٢٤

| | |
|----------|--|
| ٣٢٥..... | أولاً: ما هو الصبر؟ |
| ٣٢٥..... | ثانياً: الصبر هو مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى |
| ٣٢٦..... | ثالثاً: أهمية الصبر |
| ٣٢٦..... | رابعاً: تفاوت الناس في الصبر |
| ٣٣٢..... | خامساً: الأسباب المعينة على الصبر |
| ٣٣٥..... | سادساً: فضل الصبر وثمرته |
| ٣٣٩..... | سابعاً: شروط الصبر التي توصل لأعلى درجاته |
| ٣٣٩..... | ثامناً: علامة صدق الصبر |
| ٣٤١..... | تاسعاً: آداب الصبر على المصائب |
| ٣٤٢..... | عاشراً: جزاء الصبر والرضا |
| ٣٤٤..... | حادي عشر: الصبر ثلاثة أنواع |
| ٣٥٢..... | ثاني عشر: ميزان الاعتدال في التفضيل بين الصبر والشكر |
| ٣٥٥..... | ثالث عشر: الفرق بين ابتلاء رفع الدرجات وابتلاء العقوبة |
| ٣٥٦..... | رابع عشر: فوائد البلاء |

٨- الحمد والشكر..... ٣٦٠

| | |
|----------|---|
| ٣٦١..... | أولاً: ما هو الحمد؟ |
| ٣٦٣..... | ثانياً: الحمد والشكر هو مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى |
| ٣٦٤..... | ثالثاً: الشكر شرط الإيمان |
| ٣٦٤..... | رابعاً: أهمية الحمد |
| ٣٦٥..... | خامساً: تفاوت الناس في الشكر |
| ٣٧٣..... | سادساً: الأسباب المعينة على الشكر |
| ٣٧٨..... | سابعاً: أركان الشكر |
| ٣٨٠..... | ثامناً: فضل الشكر |
| ٣٨٣..... | تاسعاً: علامة صدق الشكر |
| ٣٨٥..... | عاشراً: جزاء الحمد والشكر |

- ٣٨٥..... حادي عشر: هل الشكر أعظم من الصبر؟
٣٨٦..... ثاني عشر: الجحد عكس الشكر

٩- الرجاء..... ٣٨٩

- ٣٩٠..... أولاً: ما هو الرجاء؟
٣٩١..... ثانياً: الرجاء هو مقتضي الإيمان بأسماء الله تعالى
٣٩٢..... ثالثاً: أهمية الرجاء
٣٩٤..... رابعاً: تفاوت الناس في الرجاء ﷻ
٣٩٧..... خامساً: الأسباب المعينة على الرجاء في الله تعالى
٤٠٣..... سادساً: فضل الرجاء
٤٠٣..... سابعاً: دليل صدق الرجاء
٤٠٤..... ثامناً: جزاء الرجاء
٤٠٥..... تاسعاً: أنواع الرجاء
٤٠٨..... عاشراً: الله يعطى أعلى الدرجات على يسير الطاعات

١٠- حسن الظن بالله..... ٤٢٥

- ٤٢٥..... أولاً: ما هو حسن الظن بالله؟
٤٢٦..... ثانياً: حسن الظن بالله من مقتضيات الإيمان بأسمائه وصفاته تعالى
٤٢٦..... ثالثاً: الأسباب التي تدفعك إلى أن تحسن الظن بربك
٤٢٨..... رابعاً: علامة صدق حسن الظن بالله
٤٢٩..... خامساً: جزاء إحسان الظن بالله
٤٣٦..... سادساً: شرط دخول الجنة أن تكون طيباً
٤٤٠..... سابعاً: أنواع الظن بالله

١١- مجاهدة النفس..... ٤٤٢

- ٤٤٢..... أولاً: ما هي مجاهدة النفس؟
٤٤٢..... ثانياً: مجاهدة النفس من مقتضيات الإيمان بأسماء الله وصفاته
٤٤٣..... ثالثاً: تفاوت النفوس في طاعة الله تعالى
٤٤٥..... رابعاً: علامة اتباع الهوى
٤٤٦..... خامساً: أنواع الجهاد و المجاهدة

١٢- المحاسبة..... ٤٦٢

- ٤٦٢..... أولاً: ما هي المحاسبة؟

- ٤٦٢..... ثانيًا: المحاسبة هي مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى
 ٤٦٣..... ثالثًا: أهمية المحاسبة
 ٤٦٣..... رابعًا: الأسباب التي تعين على المحاسبة
 ٤٦٤..... خامسًا: كيفية المحاسبة
 ٤٦٧..... سادسًا: أنواع المحاسبة وأوقاتها

١٣- المراقبة..... ٤٦٨

- ٤٦٨..... أولاً: ما هي المراقبة؟
 ٤٦٨..... ثانيًا: المراقبة هي مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى
 ٤٦٩..... ثالثًا: تفاوت الناس في المراقبة
 ٤٦٩..... رابعًا: كيف يصل العبد إلى المراقبة؟ (الأسباب المعنية على المراقبة)
 ٤٧٠..... خامسًا: فضل المراقبة
 ٤٧٠..... سادسًا: علامة صدق المراقبة

١٤- اليقين..... ٤٧٢

- ٤٧٢..... أولاً: ما هو اليقين؟
 ٤٧٣..... ثانيًا: اليقين من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى
 ٤٧٤..... ثالثًا: أهمية اليقين
 ٤٧٥..... رابعًا: تفاوت الناس في اليقين
 ٤٧٦..... خامسًا: الأسباب المعنية على اليقين
 ٤٦٧..... سادسًا: فضل اليقين
 ٤٧٧..... سابعًا: علامة صدق اليقين
 ٤٧٨..... ثامنًا: درجات اليقين

١٥- الورع..... ٤٧٩

- ٤٧٩..... أولاً: ما هو الورع؟
 ٤٧٩..... ثانيًا: الورع من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى
 ٤٨٠..... ثالثًا: درجات الورع
 ٤٨٠..... رابعًا: كيف تصل إلى الورع، وما هي الأسباب المعنية عليه؟
 ٤٨١..... خامسًا: علامة صدق الورع
 ٥٨١..... سادسًا: من الورع ما هو كاذب

١٦- الزهد..... ٤٨٤

- أولاً: ما هو الزهد؟ ٤٨٤
- ثانياً: الزهد من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى ٤٨٥
- ثالثاً: الله تعالى أمر نبيه ﷺ بالزهد في الدنيا ٤٨٦
- رابعاً: الأسباب الجالبة للزهد ٤٨٧
- خامساً: كيف تحقق الزهد؟ ٤٨٧
- سادساً: الزهد الكاذب ٤٩٣
- سابعاً: من الناس من لا يزهد في الدنيا وإنما يزهد في الآخرة ٤٩٥
- ثامناً: علامة صدق الزهد ٤٩٥
- تاسعاً: الزهد في النفس ٤٩٦

١٧ - الافتقار إلى الله ٥٠١

- أولاً: ما هو الافتقار إلى الله؟ ٥٠١
- ثانياً: الافتقار إلى الله من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى ٥٠٢
- ثالثاً: أهمية الافتقار إلى الله تعالى ٥٠٢
- رابعاً: درجات الناس في الافتقار إلى الله تعالى ٥٠٥
- خامساً: الأسباب الجالبة للشعور بالافتقار إلى الله تعالى ٥٠٦
- سادساً: فضل الافتقار إلى الله ٥٠٧
- سابعاً: علامة صدق الافتقار إلى الله ٥٠٨
- ثامناً: أنواع الافتقار إلى الله ٥٠٩
- تاسعاً: الزهد والافتقار إلى الله ٥١١

١٨ - الإخبات لله ٥١٢

- أولاً: ما هو الإخبات؟ ٥١٢
- ثانياً: الإخبات من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى ٥١٣
- ثالثاً: الأسباب المعينة على الإخبات ٥١٣
- رابعاً: فضل الإخبات ٥١٣
- خامساً: علامة المخبتين ٥١٤
- سادساً: جزاء الإخبات ٥١٥

١٩ - الاستسلام والذل لله ٥١٦

- أولاً: ما هو الاستسلام لله تعالى؟ ٥١٦
- ثانياً: الاستسلام لله من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى ٥١٦
- ثالثاً: أهمية الاستسلام لله تعالى ٥١٧

- رابعاً: تفاوت الناس في الاستسلام لله تعالى ٥١٧
- خامساً: الأسباب المعينة على الاستسلام لله تعالى ٥١٨
- سادساً: فضل الاستسلام لله تعالى ٥١٨

٢٠- التواضع ٥١٩

- أولاً: ما هو التواضع؟ ٥١٩
- ثانياً: التواضع من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى ٥٢٠
- ثالثاً: أهمية التواضع ٥٢٠
- رابعاً: أنواع التواضع ٥٢٢
- خامساً: الأسباب المعينة على التواضع ٥٢٣
- سادساً: علامة التواضع ٥٢٤
- سابعاً: جزاء التواضع ٥٢٦
- ثامناً: الكبر عكس التواضع ٥٢٦

٢١- الخشوع ٥٢٧

- أولاً: ما هو الخشوع؟ ٥٢٧
- ثانياً: الخشوع من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى ٥٢٨
- ثالثاً: أهمية الخشوع ٥٢٩
- رابعاً: أركان الخشوع ٥٢٩
- خامساً: الأسباب المعينة على الخشوع ٥٣١
- سادساً: فضل الخشوع وثمرته ٥٣٤
- سابعاً: علامة صدق الخشوع ٥٣٥
- ثامناً: جزاء الخشوع ٥٣٦
- تاسعاً: أنواع الخشوع ٥٣٧
- عاشراً: الغفلة عكس الخشوع ٥٣٧

٢٢- القنوت ٥٤٠

- أولاً: ما هو القنوت؟ ٥٤٠
- ثانياً: القنوت هو مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى ٥٤٠
- ثالثاً: جزاء القنوت ٥٤١
- رابعاً: من هم القانتون؟ ٥٤١

٢٣- الاستعاذة بالله تعالى ٥٤٤

- أولاً: ما هي الاستعاذة بالله؟ ٥٤٤
 ثانيًا: الاستعاذة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى ٥٤٤
 ثالثًا: أهمية الاستعاذة بالله تعالى ٥٤٤
 رابعًا: تباين الناس في الاستعاذة بالله ٥٤٦
 خامسًا: ما يستعاذ منه ٥٤٦
 سادسًا: ما يستعاذ به ٥٤٧

٢٤ - الاستعانة بالله تعالى ٥٥١

- أولاً: ما هي الاستعانة؟ ٥٥١
 ثانيًا: الاستعانة هي مقتضى الإيمان بأسماء الله تعالى ٥٥١
 ثالثًا: أهمية الاستعانة بالله ٥٥٢
 رابعًا: تباين الناس في الاستعانة بالله تعالى ٥٥٢
 خامسًا: الأسباب المعينة على الاستعانة بالله ٥٥٢
 سادسًا: ما يستعان به؟ ٥٥٣
 سابعًا: ما يستعان عليه بالله ٥٥٣

٢٥ - الاستغاثة بالله تعالى ٥٥٥

- أولاً: ما هي الاستغاثة؟ ٥٥٥
 ثانيًا: الاستغاثة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى ٥٥٥
 ثالثًا: الأسباب المعينة على الاستغاثة بالله ٥٥٦
 رابعًا: فضل الاستغاثة بالله تعالى وثمرتها ٥٥٧
 خامسًا: أنواع الاستغاثة ٥٥٧

٢٦ - التفكير في آيات الله ٥٥٩

- أولاً: ما هو التفكير؟ ٥٥٩
 ثانيًا: تفكير في آيات الله من مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى ٥٥٩
 ثالثًا: أهمية التفكير ٥٦٠
 رابعًا: تفاوت الناس في التفكير ٥٦١
 خامسًا: فضل التفكير ٥٦٢
 سادسًا: مجالات التفكير وأنواعه ٥٦٢
 سابعًا: من أمثلة التفكير ٥٦٨

من العبادات القلبية ٥٧٦

- ٢٧- التقديس لله. ٥٧٦.....
- ٢٨- تمجيد الله. ٥٧٦.....
- ٢٩- التحاكم إلى شرع الله. ٥٧٦.....
- ٣٠- الصدق مع الله. ٥٧٦.....
- ٣١- الحياء من الله. ٥٧٦.....
- ٣٢- الموالاتة لله. ٥٧٦.....
- ٣٣- الرضا بقضاء الله. ٥٧٦.....
- ٣٤- الاستنصار بالله. ٥٧٦.....
- ٣٥- الاستجارة بالله. ٥٧٦.....
- ٣٦- اللجوء إلى الله. ٥٧٦.....
- ٣٧- الاستغناء بالله. ٥٧٦.....

٥٧٧..... عبادات التروك

- ٣٨- ترك الشرك والكفر والاستكبار والشك والإيذاء والجحود والاستحلال... ٥٧٩
- ٣٩- ترك النفاق والرياء والعجب. ٥٨٠.....
- ٤٠- ترك اليأس من روح الله. ٥٨١.....
- ٤١- ترك القنوط من رحمة الله. ٥٨٤.....
- ٤٢- ترك سوء الظن بالله - تعالى. ٥٨٦.....
- ٤٣- ترك سوء الظن بالمسلمين. ٥٨٧.....
- ٤٤- ترك الغيبة القلبية وسوء الظن بالمسلمين. ٥٨٧.....
- ٤٥- ترك بغض المسلمين. ٥٨٨.....
- ٤٦- ترك حجوم النعمة ونسبتها إلى غير المنعم بها سبحانه. ٥٨٨.....
- ٤٧- ترك تعظيم غير الله والحلف بغيره. ٥٨٩.....
- ٤٨- ترك التشاؤم بغير دليل شرعي. ٥٨٩.....
- ٤٩- ترك الحسد. ٥٩٠.....
- ٥٠- ترك تعصب الجاهلية. ٥٩٣.....
- ٥١- ترك الإصرار على المعاصي. ٥٩٣.....

٥٩٥..... من عبادات التروك

- ٥٢- ترك الإحاد في أسماء الله وصفاته. ٥٩٥.....
- ٥٣- ترك تصديق الكهان والعرافين. ٥٩٥.....
- ٥٤- ترك اعتقاد النفع والضرر في السحرة. ٥٩٥.....
- ٥٥- ترك الرضا بغير حكم الله والتحاكم لغير ما أنزل الله. ٥٩٥.....

- ٥٦- ترك الأمن من مكر الله تعالى..... ٥٩٥
- ٥٧- ترك التسخط على قدر الله..... ٥٩٥
- ٥٨- ترك الاعتراض على قدر الله..... ٥٩٥
- ٥٩- ترك العجب بالعمل والتكبر..... ٥٩٥
- ٦٠- ترك اتباع الهوى والغنى والضلال..... ٥٩٥
- ٦١- ترك البطر والطغيان..... ٥٩٥
- ٦٢- ترك نكران الجميل..... ٥٩٥
- ٦٣- ترك الحقد والغل والنقمة..... ٥٩٥
- ٦٤- ترك المن والتكبر..... ٥٩٥
- ٦٥- ترك الغرور..... ٥٩٥
- ٦٦- ترك الغضب..... ٥٩٥
- ٦٧- ترك القسوة..... ٥٩٥
- ٦٨- ترك المكر والكيد بالباطل..... ٥٩٥
- ٦٩- ترك الطمع..... ٥٩٥
- ٧٠- ترك الشح..... ٥٩٥
- ٧١- ترك طول الأمل..... ٥٩٥
- ٧٢- ترك التعجل..... ٥٩٥
- ٧٣- ترك الكسل والوهن..... ٥٩٥
- ٧٤- ترك الإحباط واليأس والجزع..... ٥٩٥
- ٧٥- ترك القلق والحزن..... ٥٩٥

٥٩٦..... **الخاتمة**

٥٩٩..... **نداء**

٦٠٠..... **الفهرس**